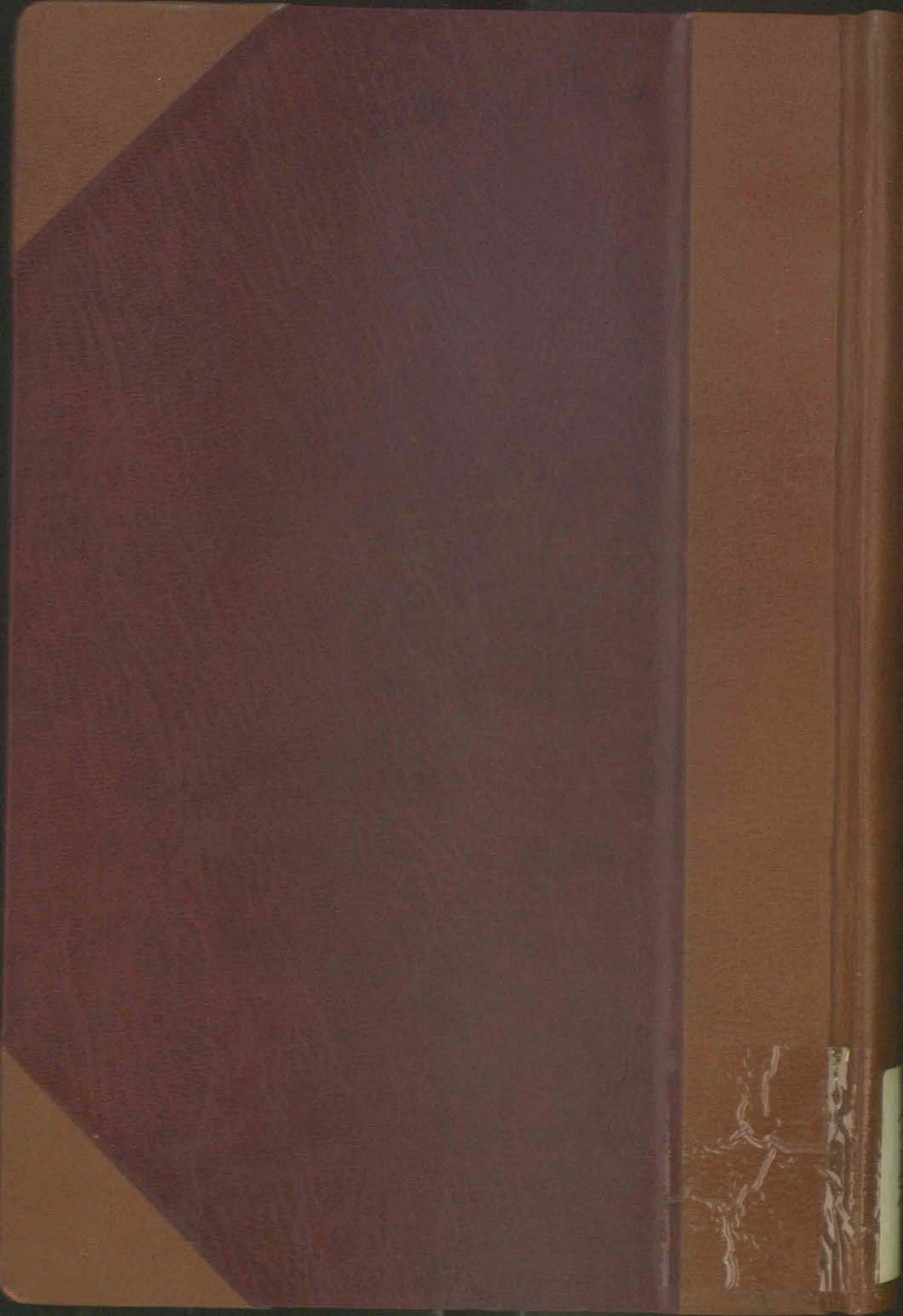

ثبت ۲۴۸۱۸

﴿فهرست الجزء السابع من تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري﴾

صحيفة
٢ (سنة اثنتين وستين)
٢ مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية وسبب مقدمهم عليه
٥ (سنة ثلاث وستين)
٥ اخراج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة
٥ كتاب مروان بذلك الى يزيد بن معاوية
١٣ (سنة أربع وستين)
١٣ مسير أهل الشأم الى مكة لحرب ابن الزبير ومن معه من الممتنعين على يزيد بن معاوية
١٤ ذكر موت مسلم بن عقبة ورمي الكعبة واحراقها
١٥ ذكر السبب في احراقها
١٥ هلاك يزيد بن معاوية
١٦ ذكر عدد ولده
١٦ (سنة خمس وستين)
(هذه الترجمة وقعت في الاصل غلطا فلزم التنبيه عليها وستأتي هذه الترجمة في نمرة ٦٦)
١٦ خلافة معاوية بن يزيد وذكر المبايعة له
١٨ ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد
٣٠ طرد أهل الكوفة عمرو بن حريث وتأميرهم عامر بن مسعود والخبر عن ذلك
٣٤ مبايعة أهل الشأم لمروان بن الحكم والسبب في ذلك
٣٧ ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتمام الخبر عن الكائن من جليل الاخبار والأحداث في سنة أربع وستين
٤٣ مبايعة جند خراسان لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية
٤٣ فتنة عبد الله بن خازم بخراسان وذكر الخبر عن ذلك
٤٧ تحرك الشيعة بالكوفة واجتماعهم بالنخيلة في سنة خمس وستين للمسير الى أهل الشأم للطلب بدم الحسين وذكر الخبر عن مبدإ أمرهم في ذلك
٥٥ فراق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين كانوا قد موا عليه مكة فقاتلوا معه حصين بن نمير السكوني الخ وذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذي من أجله فارقوه والذي من أجله افترقت كلمتهم
٥٨ مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة وذكر الخبر عن سبب مقدمه اليها
٦٦ (سنة خمس وستين) وذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليلة

صحيفة

٨٣ أمر مروان بن الحكم أهل الشأم بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما ولي العهد وذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لهما

٨٣ موت مروان بن الحكم بدمشق وذكر الخبر عن سبب هلاكه

٨٤ قتل حبيش بن دلجة عامل مروان بن الحكم

٨٥ اشتداد شوكة الخوارج بالبصرة وقتل نافع بن الأزرق وذكر الخبر عن مقتله

٩٠ توجيه مروان بن الحكم ابنه محمدا الى الجزيرة

٩٠ عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة وتوليته عليها عبد الله بن مطيع وعزل عبيدة بن الزبير عن المدينة وتولية مصعب بن الزبير

٩٠ بناء عبد الله بن الزبير البيت الحرام

٩١ اختلاف من كان بخراسان من بني تميم على عبد الله بن خازم واليها حتى وقعت بينهم حروب وذكر الخبر عن السبب في ذلك

٩٣ (سنة ست وستين) وذكر الخبر عن الكائن فيها من الامور الجليلة فمن ذلك وثوب المختار ابن أبي عبيد بالكوفة طالبا بدم الحسين واخراجه منها عامل الزبير عبد الله بن مطيع

٩٣ ذكر الخبر عما كان من أمرهما وظهور المختار للدعوة الى ما دعا اليه الشيعة بالكوفة

١١٢ وثوب المختار على من كان بالكوفة من قتلة الحسين والمشايعين على قتله وذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية من قتل منهم ومن هرب الخ

١٣٠ دعاء المثنى بن مخربة العبدي آل البصرة الى البيعة للمختار

١٣٣ بعث المختار جيشا الى المدينة للمكر بابن الزبير الخ وذكر الخبر عن السبب الداعي للمختار الى توجيه ذلك الجيش والى ما صار أمرهم

١٣٦ قدوم الخشبية مكة للحج وذكر الخبر عن سبب قدومهم

١٣٧ حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من بني تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمدا

١٣٩ شخوص ابراهيم بن الاشتر الى عبيد الله بن زياد لحربه

١٤٠ ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذي يستنصر به هو وأصحابه

١٤١ (سنة سبع وستين) وذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ومقتل عبد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشأم

١٤٢ ذكر الخبر عن صفة مقتله

١٤٦ عزل عبد الله بن الزبير القباع عن البصرة وتوليته أخاه مصعب بن الزبير

١٤٦ سير مصعب بن الزبير الى المختار وقتله وذكر الخبر عن سبب مسير مصعب اليه والخبر عن مقتل المختار

صحيفة

١٦١ عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب عن البصرة وتوليته ابنه حمزة والاختلاف في سبب عزله

١٦٢ (سنة ثمان وستين) ذكر الخبر عما كان فيها من الامور الجليلة مرجع الازارقة من فارس الى العراق وذكر الخبر عن أمرهم

١٦٧ ذكر الخبر عن حصول القحط الشديد بالشأم

١٦٧ ذكر الخبر عن قتل عبيد الله بن الحر والسبب الذي جر ذلك عليه

١٧٥ (سنة تسع وستين) خروج عبد الملك بن مروان الى عين وردة واستخلافه عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق الخ

١٨١ (سنة سبعين) ثورة الروم على من بالشأم من المسلمين

١٨١ شخوص مصعب بن الزبير الى مكة بأموال عظيمة قسمها في قومه

١٨١ (سنة احدى وسبعين) مسير عبد الملك بن مروان الى العراق لحرب مصعب بن الزبير

١٨٨ دخول عبد الملك بن مروان الكوفة

١٨٩ تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبي بكرة وحمران بن ابان

١٩٠ بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة واليا

١٩٠ رجوع عبد الملك الى الشأم

١٩١ فتح عبد الملك قيسارية

١٩١ (سنة اثنتين وسبعين) وذكر خبر الخوارج وأمرهم وأمر المهلب بن أبي صفرة الخ

١٩٣ خروج أبي فديك الخارجي وتغلبه على البحرين الخ

١٩٥ توجيه عبد الملك الحجاج بن يوسف الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير

١٩٦ كتاب عبد الملك الى عبد الله بن خازم السلمي يدعوه الى بيعته

١٩٧ فصل في ذكر الكتاب من بدء أمر الاسلام

٢٠٢ (سنة ثلاث وسبعين) ومقتل عبد الله بن الزبير

٢٠٥ تولية عبد الملك طارق مولى عثمان المدينة

٢٠٥ وفاة بشر بن مروان

٢٠٥ توجيه عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك

٢٠٦ عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وتوليته أخاه بشر بن مروان

٢٠٦ غزو محمد بن مروان الصائفة وهزمه الروم

٢٠٦ (سنة أربع وسبعين) وعزل عبد الملك طارق بن عمرو عن المدينة واستعماله عليها الحجاج بن يوسف

كتابخانه
مجلس شورای ملی
تأسیس ۱۳۰۶

الجزء السابع

تاريخ الأمم والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٤٨١٨

الطبعة الأولى
بالمطبعة الحسينية المصريه
على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه

صحيفة

٢٠٦ نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة وتولية عبد الملك أبا ادريس الخولانى على القضاء
٢٠٦ شخوص بشر بن مروان من الكوفة الى البصرة وتوليـة المهلب حرب الأزارقة وذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها
٢٠٨ عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وتولية أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد
٢١٠ (سنة خمس وسبعين) غزوة محمد بن مروان الصائفة وتولية عبد الملك يحيى بن الحكم ابن أبى العاص المدينة
٢١٠ تولية عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق وقدوم الحجاج الكوفة وخطبته بها
٢١٤ خروج الحجاج من الكوفة الى البصرة
٢١٥ نفى المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز وما كان من أمرهم
٢١٧ تحرك صالح بن مصرح وذكر خبر ما كان منه
٢١٧ (سنة ست وسبعين)
٢٢٢ دخول شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة وما كان من أمره وأمر الحجاج
٢٤٢ أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم ووفود يحيى بن الحكم على عبد الملك
٢٤٢ (سنة سبع وسبعين) قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحى وزهرة بن حوية والخبر عن سبب مقتلهما
٢٤٩ دخول شبيب الكوفة وحربه بها الحجاج
٢٥٥ ذكر سبب هلاك شبيب
٢٦٩ وقوع الاختلاف بين الازارقة والسبب الذى من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم الى الهلاك
٢٧٤ هلاك قطرى وعبيدة بن هلال وعبد رب الكبير ومن كان معهم من الازارقة وذكر سبب مهلكهم
٢٧٥ قتل بكير بن وشاح السعدى أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وذكر سبب قتله اياه
٢٨٠ (سنة ثمان وسبعين) عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وضمه خراسان وسجستان الى الحجاج بن يوسف
٢٨٠ ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان وذكر السبب فى توليته من ولى ذلك وشيأ منه
٢٨١ (سنة تسع وسبعين) وغزوة عبيد الله بن أبى بكرة رتبيل وذكر الخبر عن غزوه اياه

تمت

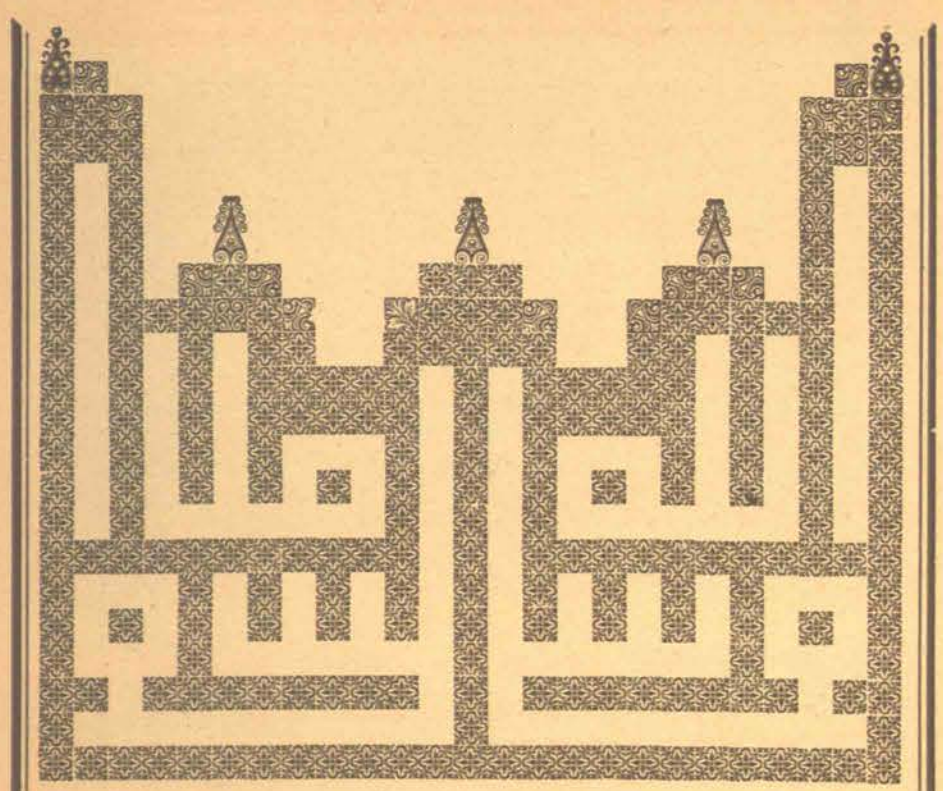

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وستين ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الاحداث﴾

فمن ذلك مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية

﴿ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه﴾

وكان السبب في ذلك فيما ذكر لوط بن يحيى عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن عبد الله ابن عروة ان يزيد بن معاوية لما سرّح الوليد بن عتبة على الحجاز أميرا وعزل عمرو بن سعيد قدم الوليد المدينة فأخذ غلمانا كثيرا العمر وموالى له فحبسهم فكلمه فيهم عمرو فأبى أن يخليهم وقال له لا تجزع يا عمرو فقال أخوه أبان بن سعيد بن العاص أعمرٌو يجزع والله لو قبضتم على الخمر وقبض عليه ما تركه حتى تتركوه وخرج عمرو سائرا حتى نزل من المدينة على ليلتين وكتب الى غلمانه وموالية وهم نحو من ثلثمائة رجل اني باعث الى كل رجل منكم جملا

وحقيبة

وحقيبة وأداته وتناخ لكم الابل في السوق فاذا أتاكم رسولي فاكسروا باب السجن ثم ليقم كلُّ رجل منكم الى جمله فليركبه ثم أقبلوا عليّ حتى تأتوني فجاء رسوله حتى اشترى الابل ثم جهّزها بما ينبغي لها ثم أناخها في السوق ثم أتاهم حتى أعلمهم ذلك فكسروا باب السجن ثم خرجوا الى الابل فاستووا عليها ثم أقبلوا حتى انتهوا الى عمرو بن سعيد فوجدوه حين قدم على يزيد بن معاوية فلما دخل عليه رحّب به وأدنى مجلسه ثم انه عاتبه في تقصيره في أشياء كان يأمره بها في ابن الزبير فلا ينفذ منها الا ما أراد فقال يا أمير المؤمنين الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وانّ جلّ أهل مكة واهل المدينة قد كانوا مالوا اليه ووهووه وأعطوه الرضا ودعا بعضهم بعضا سرًّا وعلانية ولم يكن معي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته وقد كان يحذرني ويتحرّزمني وكنت أرفق به وأداريه لاستمكر منه فأثب عليه مع أني قد ضيّقتُ عليه ومنعته من أشياء كثيرة لو تركته وإياها ما كانت له الا معونةً وجعلت على مكة وطُرُقها وشعابها رجالا لا يَدَعون أحدا يدخلها حتى يكتبوا الى باسمه واسم أبيه ومن أي بلاد الله هو وما جاء به وما يريد فان كان من أصحابه أو ممن أرى انه يريده رددته صاغرا وان كان ممن لا أتهم خليت سبيله وقد بعثت الوليد وسيأتيك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضل مبالغتي في أمرك ومناصحتي لك ان شاء الله والله يصنع لك ويكبت عدوّك يا أمير المؤمنين فقال له يزيد أنت أصدق ممن رقّى هذه الاشياء عنك وحملني بها عليك وأنت ممن أثق به وأرجو معونته وادّخره لرأب الصَدْع وكفاية المُهِمّ وكشف نوازل الامور العظام فقال له عمرو وما أرى يا أمير المؤمنين ان أحدا أولى بالقيام بتشديد سلطانك وتوهين عدوّك والشدة على من نابذك مني وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده الا متحذرا ممتنعا وثار نَجْدة بن عامر الحنفي باليمامة حين قتل الحسين وثار ابن الزبير فكان الوليد يُفيض من المُعَرّف وتفيض معه عامة الناس وابن الزبير واقفٌ وأصحابه ونَجْدة واقفٌ في أصحابه ثم يفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه لا يفيض واحد منهم بافاضة صاحبه وكان نجدة يلقى ابن الزبير فيكثر حتى ظن الناس انه سيبايعه ثم ان ابن الزبير عمل بالمكر في أمر الوليد بن عتبة فكتب الى يزيد بن معاوية انك بعثت الينا رجلا أخرق لا يتّجه لامر رشد ولا يرعوي لعظة الحكيم ولو بعثت الينا رجلا سهل الخُلق ليّن الكنف رجوتُ أن يسهُل من الامور ما استوعر منها وان يجتمع ما تفرّق فانظرْ في ذلك فإنّ فيه صلاح خواصنا وعوامنا ان شاء الله والسلام فبعث يزيد بن معاوية الى الوليد فعزله وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان فيما ذكر أبو مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حميد بن حمزة مولى لبني أميّة قال فقدم فتى غرٌّ حَدَثٌ غمرٌ لم يُجرّب الأمورَ ولم يحنكه السِّنُّ ولم تُضرّسه التجارب وكان لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله وبعث الى يزيد وفدا من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغَسيل

الانصاريّ وعبدالله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزوميّ والمنذر بن الزبير ورجالاً كثيراً من أشراف أهل المدينة فقدموا على يزيد بن معاوية فأكرمهم وأحسن اليهم وأعظم جوائزهم ثم انصرفوا من عنده وقدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير فإنه قدم على عبيدالله بن زياد بالبصرة وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف درهم فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعتبه وقالوا انا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخرّاب والفتيان وإنّا نشهدكم انّا قد خلعناه فتابعهم الناس (قال لوط) بن يحيى فحدّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ان الناس أتوا عبدالله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم قال لوط وحدّثني أيضا محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف ورجع المنذر من عند يزيد بن معاوية فقدم على عبيدالله بن زياد البصرة فأكرمه وأحسن ضيافته وكان لزياد صديقاً اذ سقط اليه كتاب من يزيد بن معاوية حيث بلغه أمر أصحابه بالمدينة أن أوثق منذر ابن الزبير واحبسه عندك حتى يأتيك فيه أمري فكره ذلك عبيدالله بن زياد لانه ضيفه فدعاه فأخبره بالكتاب وأقرأه اياه وقال له انك كنت لزياد وُدّاً وقد أصبحت لي ضيفاً وقد آتيتُ اليك معروفاً فأنا أحبُّ ان أسدي ذلك كله باحسان فاذا اجتمع الناس عندي فقُمْ فقُلْ ائذن لي فلأنصرف الى بلادي فاذا قلت لا بل أقم عندي فان لك الكرامة والمواساة والأثرة فقل لي ضيعةٌ وشُغلٌ لا أجد من الانصراف بُدّاً فأذن لي فاني آذنُ لك عند ذلك فالحق بأهلك فلمّا اجتمع الناس عند عبيدالله قام اليه فاستأذنه فقال لا بل أقم عندي فاني مُكرمك ومُواسيك ومؤثرك فقال له ان لي ضيعةً وشغلاً ولا أجد من الانصراف بدّاً فأذنْ لي فأذن له فانطلق حتى لحق بالحجاز فأتى أهل المدينة فكان فيمن يحرّض الناس على يزيد وكان من قوله يومئذ ان يزيد والله لقد أجازني بمائة ألف درهم وانه لا يمنعني ما صنع الى أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه والله انه ليشرب الخمر وانه ليسكر حتى يدع الصلاة وعابه بمثل ما عابه به أصحابه الذين كانوا معه وأشدّ فكان سعيد بن عمرو يحدّث بالكوفة أن يزيد بن معاوية بلغه قوله فيه فقال اللهمّ انى آثرته وأكرمته ففعل ما قد رأيتَ فاذكره بالكذب والقطيعة (قال أبو مخنف) فحدّثني سعيد بن زيد أبو المثلم ان يزيد بن معاوية بعث النعمان بن بشير الانصاريّ فقال له آت الناس وقومَك فافتأهم عما يريدون فانهم ان لم ينهضوا في هذا الامر لم يجترئ الناس على خلافي وبها من عشيرتي من لا أحبّ ان ينهض في هذه الفتنة فيهلكَ فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومه ودعا الناس اليه عامّةً وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة وخوّفهم الفتنةَ وقال لهم انه لا طاقة لكم بأهل الشأم فقال عبدالله بن مطيع العدويّ ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من

أمرنا فقال النعمان أم والله لكأني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو اليها وقامت الرجال على الرُكب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جنبيها الى مكة وقد خلفت هؤلاء المساكين يعني الانصار يُقتَلون في سِكَكِهم ومساجدهم وعلى أبواب دُورهم فعصاه الناس فانصرف وكان والله كما قال وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة وكانت العمال في هذه السنة على العراق وخراسان العُمّال الذين ذكرتُ في سنة ٦١ وفي هذه السنة وُلد فيما ذُكر محمد بن عبدالله بن العباس

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وستين﴾

﴿ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها﴾

فمن ذلك ما كان من اخراج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة وإظهارهم خلعَ يزيد بن معاوية وحصارهم مَن كان بها من بني أميّة ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف عن عبدالملك بن نوفل بن مساحق عن حبيب بن كرّة ان أهل المدينة لما بايعوا عبدالله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد بن معاوية وثبوا على عثمان ابن محمد بن أبي سفيان ومَن بالمدينة من بني أمية وموالِيهم ومن رأى رأيَهم من قريش فكانوا نحواً من ألف رجل فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دارَ مروان بن الحكم فحاصرهم الناس فيها حصاراً ضعيفاً قال فدعت بنو أمية حبيب بن كرة وكان الذي بَعَث اليه منهم مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان بن عفان وكان مروان هو يدبر أمرهم فأما عثمان ابن محمد بن أبي سفيان فإنما كان غلاماً حدثاً لم يكن له رأي قال عبدالملك بن نوفل فحدّثني حبيب بن كرّة قال كنت مع مروان فكتب معي هو وجماعة من بني أمية كتاباً الى يزيد بن معاوية فأخذ الكتاب عبدالملك بن مروان حتى خرج معي الى ثنية الوَداع فدفع الي الكتاب وقال قد أجّلتك اثنتي عشرة ليلة ذاهباً واثنتي عشرة ليلة مُقبلاً فوافني لاربع وعشرين ليلة في هذا المكان تجدني ان شاء الله في هذه الساعة جالساً أنتظرك وكان الكتاب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أما بعد فإنا قد حُصِرنا في دار مروان بن الحكم ومُنعنا العذابَ ورمينا بالحبوب فيا غوثاه يا غوثاه قال فأخذتُ الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كُرسيّ واضع قدميه في ماء في طست من وجع كان يجده فيهما ويقال كان به النقرس فقرأه ثم قال فيما بلغنا متمثّلا

لقد بدّلوا الحلمَ الذي من سَجِيّتي * فبدلتُ قومي غلظةً بليانِ

ثم قال أما يكون بنو أميّة وموالِيهم ألف رجل بالمدينة قال قلت بلى والله وأكثر قال فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهارٍ قال فقلت يا أمير المؤمنين أجمع الناس كلهم عليهم فلم يكن لهم بجمع الناس طاقةٌ قال فبعث الى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأخبره الخبر

وأمره أن يسير اليهم في الناس فقال له قد كنت ضبطت لك البلاد وأحكمت لك الامور فأما الآن اذ صارت انما هي دماء قريش تُهراق بالصعيد فلا أحب أن أكون أنا أتولى ذلك يتولاها منهم من هو أبعد منهم مني قال فبعثني بذلك الكتاب الى مسلم بن عقبة المرّي وهو شيخ كبير ضعيف مريض فدفعت اليه الكتاب فقرأه وسألني عن الخبر فأخبرته فقال لي مثل مقالة يزيد أما يكون بنو أمية وموالهم وأنصارهم بالمدينة ألف رجل قال قلت بلى يكونون قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من نهار ليس هؤلاء بأهل ان يُنصر واحتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوّهم وعزّ سلطانهم ثم جاء حتى دخل على يزيد فقال يا أمير المؤمنين لا تنصر هؤلاء فإنهم الأذلاّء أما استطاعوا أن يقاتلوا يوما واحداً أو شطره أو ساعة منه دَعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوّهم وعزّ سلطانهم ويستبين لك من يقاتل منهم على طاعتك ويصبر عليها أو يستسلم قال ويحك انه لا خير في العيش بعدهم فاخرج فأنبئني نبأك وسر بالناس فخرج منادياً فنادى ان سيروا الى الحجاز على أخذ أعطياتكم كملاً ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل ﴿ حدثنا ﴾ ابن حميد قال حدثنا جرير عن مغيرة قال كتب يزيد الى ابن مرجانة أن اغزُ ابن الزبير فقال لا أجمعهما للفاسق أبدا أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغزو البيت قال وكانت مرجانة امرأة صدق فقالت لعبيد الله حين قتل الحسين عليه السلام ويلك ماذا صنعتَ وماذا ركبتَ ﴿ رجع الحديث الى حديث حبيب بن كُرَة ﴾ قال فأقبلت حتى أوافي عبد الملك بن مروان في ذلك المكان في تلك الساعة أو بُعَيدها شيأ قال فوجدته جالساً متقنعاً تحت شجرة فأخبرته بالذي كان فسُرّ به فانطلقنا حتى دخلنا دار مروان على جماعة بني أمية فنبأتهم بالذي قدمت به فحمدوا الله عز وجل قال عبد الملك بن نوفل حدّثني حبيب انه بلغه في عشرة قال فلم أبرح حتى رأيت يزيد ابن معاوية خرج الى الخيل يتصفحها وينظر اليها قال فسمعته وهو يقول وهو متقلد سيفاً متنكّب قوساً عربيّة

أبلغ أبا بكرٍ إذا الليلُ سَرَى * وهبطَ القومُ على وادي القرى
عشرون ألف بين كهلٍ وفتى * أجمعَ سكرانٍ من القوم ترى
أم جمعَ يقظانٍ نفى عنه الكَرَى * ياعجباً من مُلحدٍ ياعجبا
مُخادعٍ في الدينِ يَقفُو بالعُرَى

قال عبد الملك بن نوفل وفصل ذلك الجيش من عند يزيد وعليهم مُسلِم بن عُقبة وقال له ان حدث بك حدَثٌ فاستخلف على الجيش حُصَين بن نُمير السكوني وقال له ادعُ القوم ثلاثا فإن هم أجابوك والا فقاتلهم فإذا أظهرت عليهم فأبحها ثلاثا فما فيها من مال أو رقة

او

أو سلاح أو طعام فهو للجند فإذا مضت الثلاث فاكفُف عن الناس وانظر علي بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيراً وأذن مجلسه فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه وقد أتاني كتابه وعلي لا يعلم بشيء مما أوصى به يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة وقد كان علي بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشأم أوى اليه ثقل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان ابن عفان وهي أم أبان بن مروان وقد حُدّثت عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة كلم مروان بن الحكم ابن عمر ان يغيّب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل وكلم علي بن الحسين وقال يا أبا الحسن ان لي رحماً وحُرمة تكون مع حُرمك فقال افعل فبعث بحرمه الى علي بن الحسين فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبُع وكان مروان شاكر العلي بن الحسين مع صداقة كانت بينهما قديمة ﴿ رجع الحديث الى حديث أبي مخنف ﴾ عن عبد الملك بن نوفل قال وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى اذا بلغ أهل المدينة اقباله وثبوا على من معهم من بني أمية فحصروهم في دار مروان وقالوا والله لا نكفّ عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ولا تدلوا الناس على عورة ولا تظاهروا علينا عدواً فنكفّ عنكم ونُخرجكم عنا فاعطوهم عهد الله وميثاقه لا نبغيكم غائلة ولا ندل لكم على عورة فأخرجوهم من المدينة فخرجت بنو أمية بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القُرى وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفان الى الطائف فمرّ بعلي بن حسين وهو بمال له الى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيأ من أمرهم فقال لها احملي ابني عبد الله معكِ الى الطائف فحملته الى الطائف حتى نُقضت أمور أهل المدينة * ولما قدمت بنو أمية على مسلم بن عقبة بوادي القرى دعا بعمرو بن عثمان بن عفان أوّل الناس فقال له أخبرني خبر ماوراءك وأشر علي قال لا أستطيع ان أخبرك أخذ علينا العهود والمواثيق ألا ندلّ على عورة ولا نظاهر عدواً فاتنهره ثم قال والله لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك وايم الله لا أقيلها قرشياً بعدك فخرج بما لقي من عنده الى أصحابه فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك ادخل قبلي لعله يجترئ بك عني فدخل عليه عبد الملك فقال هات ما عندك أخبرني خبر الناس وكيف ترى فقال له نعم أرى ان تسير بمن معك فتنكّب هذا الطريق الى المدينة حتى اذا انتهيت الى أدنى نخل بها نزلت فاستظلّ الناس في ظله وأكلوا من صقره حتى اذا كان الليل اذكيت الحرس الليل كله عقبا بين أهل العسكر حتى اذا أصبحت صليت بالناس الغداة ثم مضيت بهم وتركت المدينة ذات اليسار ثم أدرت بالمدينة حتى تأتيهم من قبل الحرّة مُشرقاً ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم وطلعت الشمس طلعت بين اكتاف أصحابك فلا تؤذيهم وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرّها ويصيبهم أذاها ويرون

ما دمتم مشرقين ائتلاف بيضكم وحرابكم واسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم مالاترونه أنتم لشئ من سلاحهم ماداموا مغربين ثم قاتلهم واستعن بالله عليهم فإن الله ناصرك اذا خالفوا الامام وخرجوا من الجماعة فقال له مسلم لله أبوك أى امرئ ولد اذ ولدك لقد رأى بك خلفا ثم ان مروان دخل عليه فقال له ايه قال أليس قد دخل عليك عبد الملك قال بلى وأى رجل عبد الملك قلما كلمت من رجال قريش رجلا به شبيها فقال له مروان اذا لقيت عبد الملك فقد لقيتنى قال أجل ثم ارتحل من مكانه ذلك وارتحل الناس معه حتى نزل المنزل الذى أمره به عبد الملك فصنع فيه ما أمره به ثم مضى فى الحرة حتى نزلها فأتاهم من قبل المشرق ثم دعاهم مسلم بن عقبة فقال يا أهل المدينة ان أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم انكم الأصل وإنى أكره هراقة دمائكم وانى اؤجلكم ثلاثا فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم وسرت الى هذا الملحد الذى بمكة وإن أبيتم كنا قد أعذرنا اليكم وذلك فى ذى الحجة من سنة ٦٤ هكذا وجدته فى كتابى وهو خطأ لأن يزيد هلك فى شهر ربيع الأول سنة ٦٤ وكانت وقعة الحرة فى ذى الحجة من سنة ٦٣ يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه ولما مضت الايام الثلاثة قال يا أهل المدينة قد مضت الايام الثلاثة فما تصنعون أتسالمون أم تحاربون فقالوا بل نحارب فقال لهم لاتفعلوا بل ادخلوا فى الطاعة ونجعل حدنا وشوكتنا على هذا الملحد الذى قد جمع اليه المراق والفساق من كل أوب فقالوا لهم يا أعداء الله والله لو أردتم ان تجوزوا اليهم ماتركناكم حتى نقاتلكم نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام وتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمته لا والله لا نفعل وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقا فى جانب المدينة ونزله جمع منهم عظيم وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن عم عبد الرحمن بن عوف الزهرى وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر فى جانب المدينة وكان معقل بن سنان الأشجعى على ربع آخر فى جانب المدينة وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارى فى أعظم تلك الأرباع وأكثره عددا (قال هشام) وأما عوانة بن الحكم الكلبى فذكر ان عبد الله بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار ومعقل ابن سنان على المهاجرين (قال هشام) عن أبى مخنف قال عبد الملك بن نوفل وصمد مسلم ابن عقبة بجميع من معه فأقبل من قبل الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل فحمل ابن الغسيل على الخيل فى الرجال الذين معه حتى كشف الخيل حتى انتهوا الى مسلم بن عقبة فنهض فى وجوههم بالرجال وصاح بهم فانصرفوا فقاتلوا قتالا شديدا ثم إن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء الى عبد الله ابن حنظلة الغسيل فقاتل فى نحو من عشرين فارسا قتالا شديدا حسنا ثم قال لعبد الله مر

من

من معك فارسا فليأتنى فليقف معى فاذا حملت فليحملوا فوالله لا أنتهى حتى أبلغ مسلما فإما ان أقتله وإما ان أقتل دونه فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بنى عبد الأشهل من الأنصار نادفى الخيل فلتقف مع الفضل بن العباس فنادى فيهم الضحاك فجمعهم الى الفضل فلما اجتمعت الخيل اليه حمل على أهل الشأم فانكشفوا فقال لأصحابه ألا ترونهم كشفا لياما احملوا أخرى جعلت فداكم فوالله لئن عاينت أميرهم لأقتلنه أو لأقتلن دونه إن صبر ساعة معقب سرورا انه ليس بعد لصبرنا الا النصر ثم حمل وحمل أصحابه معه فانفرجت خيل أهل الشأم عن مسلم بن عقبة فى نحو من خمسمائة راجل جثاة على الركب مشرعى الاسنة نحو القوم ومضى كما هو نحو رايته حتى يضرب رأس صاحب الراية وان عليه لمغفرا فقط المغفر وفلق هامته فخر ميتا فقال خذها منى وأنا ابن عبد المطلب فظن انه قتل مسلما فقال قتلت طاغية القوم ورب الكعبة فقال مسلم اخطأت أستك الحمرة وإنما كان ذلك غلاما له يقال له رومى وكان شجاعا فأخذ مسلم رايته ونادى يا أهل الشأم أهذا القتال قتال قوم يريدون ان يدفعوا به عن دينهم وان يعزوا به نصرا مامهم قبح الله قتالكم منذ اليوم ما أوجعه لقلبى وأغيظه لنفسى أم والله ما جزاؤكم عليه إلا ان تحرموا العطاء وان تجمروا فى أقاصى الثغور شدوا مع هذه الراية ترح الله وجوهكم ان لم تعتبوا فمشى برايته وشدت تلك الرجال امام الراية فصرع الفضل بن عباس فقتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة الا نحو من عشر أذرع وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف وقتل معه ابراهيم بن نعيم العدوى فى رجال من أهل المدينة كثير (قال هشام) عن عوانة وقد بلغنا فى حديث آخر ان مسلم بن عقبة كان مريضا يوم القتال وانه أمر بسرير وكرسى فوضع بين الصفين ثم قال يا أهل الشأم قاتلوا عن أميركم أودعوا ثم زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمدون لربع من تلك الأرباع إلا هزموه ولا يقاتلون الا قليلا حتى تولوا ثم انه أقبل الى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشد القتال واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع الى عبد الله بن حنظلة فاقتتلوا قتالا شديدا فحمل الفضل بن العباس بن ربيعة فى جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلم بن عقبة ومسلم على سريره مريض فقال احملونى فضعونى فى الصف فوضعوه بعد ما حملوه امام فسطاطه فى الصف وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى الى السرير وكان الفضل أحمر فلما رفع السيف ليضربه صاح بأصحابه ان العبد الأحمر قاتلى فأين أنتم يا بنى الحرائر اسجروه بالرماح فوثبوا اليه فطعنوه حتى سقط (قال هشام) قال أبو مخنف ثم ان خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو عبد الله بن حنظلة الغسيل ورجاله بعدة كما حدثنى عبد الله بن منقذ حتى دنوا منه ورب مسلم بن عقبة فرساله فأخذ يسير فى أهل الشأم ويحرضهم ويقول يا أهل الشأم انكم لستم بأفضل العرب فى أحسابها ولا أنسابها ولا أكثرها عددا ولا أوسعها بلدا ولم يخصكم

الله بالذى خصكم به من النصر على عدوكم وحسن المنزلة عند أئمتكم الإبطاعتكم واستقامتكم وان هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غير وافغيَّر الله بهم فقاموا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفلج ثم جاء حتى انتهى الى مكانه الذى كان فيه وأمر الخيل ان تقدم على ابن الغسيل وأصحابه فأخذت الخيل اذا أقدمت على الرجال فثار وافي وجوهها بالرماح والسيوف نفرت وابذعرّت وأجمت فنادى فيهم مسلم بن عقبة ياأهل الشأم ما جعلهم الله أولى بالأرض منكم يا حُصَيْن بن نُمَير انزل فى جندك فنزل فى أهل حمص فمشى اليهم فلما رآهم قد أقبلوا يمشوا تحت راياتهم نحو ابن الغسيل قام في أصحابه فقال ياهؤلاء ان عدوكم قد أصابوا وَجْه القتال الذى كان ينبغى ان تقاتلوهم به وانى قد ظننت ألا تلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم إما لكم وإما عليكم أما انكم أهل البصيرة ودار الهجرة والله ما أظن ربَّكم أصبح عن أهل بلدٍ من بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم ولا على أهل بلدٍ من بُلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ان لكل امرئ منكم ميتةً هو ميت بها والله ما من ميتةٍ بأفضل من ميتةِ الشهادة وقد ساقها الله اليكم فاغتنموها فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها ثم مشى برايته غير بعيدٍ ثم وقف وجاء ابن نمير برايته حتى أدناها وأمر مسلم بن عقبة عبد الله بن عضاه الأشعرى فمشى فى خمسمائة مرامٍ حتى دنوا من ابن الغسيل وأصحابه فأخذوا ينضحونهم بالنبل فقال ابن الغسيل علامَ تستهدفون لهم من أراد التعجل الى الجنة فليلزم هذه الراية فقام اليه كل مستميت فقال اتعدوا الى ربكم فوالله انى لأرجوان تكونوا عن ساعةٍ قريرى عين فنهض القوم بعضهم الى بعض فاقتتلوا أشد قتال رؤى فى ذلك الزمان ساعةً من نهار وأخذ يقدِّم بنيه أمامه واحداً واحداً حتى قتلوا ابن يديه وابن الغسيل يضرب بسيفه ويقول

بُعْدًا لمن رامَ الفَسادَ وطَغَى * وجانبَ الحقَّ وآياتِ الهُدَى
لا يُبْعِدِ الرَّحمنُ إلا مَنْ عَصَى

فقتل وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس استقدم فقاتل حتى قتل وقال ما أحب ان الديلم قتلونى مكان هؤلاء القوم ثم قاتل حتى قتل وقتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصارىُّ فمر عليه مروان بن الحكم وكأنه بِرَطِيلٌ من فِضَّةٍ فقال رحمك الله فربَّ سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة الى جنبها (قال هشام) فحدثنى عوانة قال فبلغنا ان مسلم بن عقبة كان يجلس على كرسىٍّ ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يوم الحرة وهو يقول

أحْيَا أباه هاشِمُ بنُ حَرْمَلَهْ * يومَ الهُبَاتَيْنِ ويومَ اليَعْمَلَهْ
كلُّ المُلوكِ عِنْدَهُ مُغَرْبَلَهْ * ورُمْحُهُ للوالداتِ مُثْكِلَهْ

لا

لا يلبثُ القتيلُ حتى يَجِدَ لَهْ * يَقْتُلُ ذا الذنبِ ومَنْ لا ذَنْبَ لَهْ

(قال هشام) عن أبى مخنف وخرج محمد بن سعد بن أبى وقاص يومئذ يقاتل فلما انهزم الناسُ مال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمةُ فذهب فيمن ذهب من الناس وأباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس ويأخذون الأموال فأفزع ذلك من كان بها من الصحابة فخرج أبو سعيد الخدرى حتى دخل في كهفٍ في الجبل فبصر به رجل من أهل الشأم فجاء حتى اقتحم عليه الغار (قال أبو مخنف) فحدثنى الحسن بن عطية العوفىُّ عن أبى سعيد الخدرى قال دخل الى الشامىّ يمشى بسيفه قال فانتضيتُ سيفى فمشيت اليه لأرعبَه لعله ينصرف عنى فأبى إلا الإقدام علىَّ فلما رأيت ان قد جدَّ شمتُ سيفى ثم قلت له لئن بسطتَ الىَّ يدَك لتقتلنى ما أنا بباسطٍ يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين فقال لى من أنت لله أبوك فقلت أنا أبو سعيد الخدرىّ قال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فانصرف عنى (قال هشام) حدثنى عوانة قال دعا الناسَ مسلم بن عقبة بقُبَا الى البيعة وطلب الامان لرجلين من قريش ليزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزّى ومحمد بن أبى الجهم بن حذيفة العدوى ولمعقل بن سنان الأشجعىّ فأتى بهم بعد الوقعة بيوم فقال بايعوا فقال القرشيان نبايعك على كتاب الله وسنَّة نبيه فقال لا والله لا أقيلكم هذا أبدًا فقدمهما فضرب أعناقهما فقال له مروان سبحان الله أتقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا فضربت أعناقهما فنفخس بالقضيب فى خاصرته ثم قال وأنت والله لو قلت بمقالتهما ما رأيت السماء إلا بُرْقَةً (قال هشام) قال أبو مخنف وجاء معقل بن سنان فجلس مع القوم فدعا بشراب ليسقى فقال له مسلم أى الشراب أحب اليك قال العسل قال اسقوه فشرب حتى ارتوى فقال له أقضيت رَيّك من شرابك قال نعم قال لا والله لا تشرب بعده شرابا أبدًا إلا الحميم في نار جهنم أتذكر مقالتك لأمير المؤمنين سرتُ شهرًا ورجعتُ شهرًا وأصبحتُ صِفرًا اللهم غيِّرْ تعنى يزيد فقدَّمه فضرب عنقه (قال هشام) وأما عوانة بن الحكم فذكر ان مسلم بن عقبة بعث عمرو بن مُحْرِز الأشجعىّ فأتاه بمعقل بن سنان فقال له مسلم مرحبا بأبى محمد أراك عطشان قال أجل قال سُوبوا له عسلا بالثلج الذى حملتموه معنا وكان له صديقًا قبل ذلك فشابوه له فلما شرب معقل قال له سقاك الله من شراب الجنة فقال له مسلم أم والله لا تشربُ بعدها شرابا أبدًا حتى تشرب من شراب الحميم قال أنشدك الله والرَّحِم فقال له مسلم أنت الذى لقيتنى بطبريّة ليلة خرجتَ من عند يزيد فقلت سرنا شهرًا ورجعنا من عند يزيد صفرًا ارجع الى المدينة فتخلع هذا الفاسق ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين قيم غطفان وأشجع من الخلع والخلافة انى آليت بيمين لألقاك في حرب أقدر فيه على ضرب عنقك إلا فعلتُ ثم أمر به فقتل (قال هشام) قال عوانة وأتى بيزيد بن وهب

ابن زمعة فقال بايعْ قال أبايعك على سنة عمر قال اقتلوه قال أنا أبايع قال لا والله لا أقيلك عثرتك فكلمه مروان بن الحكم لصهر كان بينهما فأمر بمروان فوجئت عنقه ثم قال بايعوا على انكم خوَل ليزيد بن معاوية ثم أمر به فقتل (قال هشام) قال عوانة عن أبي مخنف قال قال عبد الملك بن نوفل بن مساحق ثم ان مروان أتى بعليّ بن الحسين وقد كان عليّ بن الحسين حين أخرجت بنو أمية منع ثقل مروان وامرأته وآواهما ثم خرجت الى الطائف فهي أم أبان ابنة عثمان بن عفان فبعث ابنه عبد الله معها فشكر ذلك له مروان وأقبل عليّ ابن الحسين يمشي بين مروان وعبد الملك يلتمس بهما عند مسلم الأمان فجاء حتى جلس عنده بينهما فدعا مروان بشراب ليتحرّم بذلك من مسلم فأتي له بشراب فشرب منه مروان شيأ يسيرا ثم ناوله عليا فلما وقع في يده قال له مسلم لا تشرب من شرابنا فأرعدت كفه ولم يأمنه على نفسه وأمسك القدح بكفه لا يشرب به ولا يضعه فقال انك انما جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي والله لو كان هذا الأمر اليهما لقتلتك ولكن أمير المؤمنين أوصاني بك وأخبرني انك كاتبته فذلك نافعك عندي فإن شئت فاشرب شرابك الذي في يدك وان شئت دعونا بغيره فقال هذه التي في كفي أريد قال اشربها فشربها ثم قال الى ههنا فأجلسه معه (قال هشام) قال وقال عوانة بن الحكم لما أتى بعليّ بن الحسين الى مسلم قال من هذا قالوا هذا عليّ ابن الحسين قال مرحبا وأهلا ثم أجلسه معه على السرير والطنفسة ثم قال ان أمير المؤمنين أوصاني بك قبلا وهو يقول ان هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وصلتك ثم قال لعليّ لعلّ أهلك فزعوا قال اي والله فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله فرده عليها (قال هشام) وذكر عوانة أن عمرو بن عثمان لم يكن فيمن خرج من بني أمية وأنه أتى به يومئذ الى مسلم بن عقبة فقال يا أهل الشأم تعرفون هذا قالوا لا قال هذا الخبيث ابن الطيب هذا عمرو بن عثمان بن عفان أمير المؤمنين هي يا عمر واذا ظهر أهل المدينة قلت أنا رجل منكم وان ظهر أهل الشأم قلت أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان فأمر به فنُتِفت لحيته ثم قال يا أهل الشأم ان أم هذا كانت تُدخِل الجَعل في فيها ثم تقول يا أمير المؤمنين حاجيتك ما في فيّ وفي فها ما ساء ها وناء ها فخلى سبيله وكانت أمه من دوس ﴿قال أبو جعفر الطبري﴾ فحدثني أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وحدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد عن محمد ابن عمر قالا كانت وقعة الحرّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٦٣ وقال بعضهم لثلاث ليال بقين منه ﴿وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير﴾

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الله ابن جعفر عن ابن عوف قال حج ابن الزبير بالناس سنة ٦٣ وكان يسمى يومئذ العائذ ويرون الامر شورى قال فلما كانت ليلة هلال المحرم ونحن في منزلنا اذ قدم علينا سعيد

مولى

مولى المِسْوَر بن مخرمة فخبّرنا بما أوقع مسلم بأهل المدينة وما نيل منهم فجاءهم أمر عظيم فرأيت القوم شهروا وجدّوا وأعدّوا وعرفوا انه نازل بهم وقد ذكر من أمر وقعة الحرّة ومقتل ابن الغسيل أمرٌ غيرُ الذي رُوي عن أبي مخنف عن الذين رَوَى ذلك عنهم وذلك ما حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا جويرية ابن أسماء قال سمعت أشياخ أهل المدينة يحدثون ان معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيد فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته فلما هلك معاوية وفد اليه وفدٌ من أهل المدينة وكان ممن وفد عليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر وكان شريفا فاضلا سيّدا عابدا معه ثمانية بنين له فأعطاه مائة ألف درهم وأعطى بنيه لكل واحد منهم عشرة آلاف سوى كُسوتهم وحُملانهم فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا ما وراءك قال جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد الا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم قالوا قد بلغنا انه أجداك وأعطاك وأكرمك قال قد فعل وما قبلت منه الا لأتقوّى به وحضّض الناس فبايعوه فبلغ ذلك يزيد فبعث مسلم بن عقبة اليهم وقد بعث أهل المدينة الى كل ماء بينهم وبين الشأم فصبّوا فيه زقّا من قَطِران وعُوِّر فارسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة فخرج اليهم أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم يُرَ مثلها فلما رآهم أهل الشأم هابوهم وكرهوا قتالهم ومسلم شديد الوجع فبينا الناس في قتالهم اذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة وأقحم عليهم بنو حارثة أهل الشأم وهم على الجَدِّ فانهزم الناس فكان من أصيب في الخندق أكثر ممن قُتل من الناس فدخلوا المدينة وهُزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستند الى أحد بنيه يغط نوما فنبّهه ابنه فلما فتح عينيه فرأى ما صنع الناس أمر أكبر بنيه فتقدم حتى قُتل فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على انهم خَوَل ليزيد بن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء

﴿ثم دخلت سنة أربع وستين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ فمن ذلك مسير أهل الشأم الى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ومن كان على مثل رأيه في الامتناع على يزيد بن معاوية ولما فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جنده أموالهم ثلاثة ايام نهض بمن معه من الجند متوجها الى مكة كالذي ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني عبد الملك بن نوفل ان مسلما خرج بالناس الى مكة يريد ابن الزبير وخلف على المدينة رَوْح بن زِنباع الجذامي * وأما الواقدي فانه قال خلف عليها عمرو ابن محرز الاشجعي قال ويقال خلف عليها روح بن زنباع الجذامي

﴿ذكر موت مسلم بن عقبة ورمي الكعبة واحراقها﴾

﴿رجع الحديث الى أبي مخنف﴾ قال حتى اذا انتهى الى المُشَلَّل ويقال الى قفا المشلل نزل به الموت وذلك فى آخر المحرّم من سنة ٦٤ فدعا حصين بن نمير السكونى فقال له يا ابن برذعة الحمار أما والله لو كان هذا الامر الىّ ما وليتُك هذا الجند ولكن أمير المؤمنين ولاك بعدى وليس لأمر أمير المؤمنين مَرَدٌّ خذ عنى أربعا أسرع السير وعجّل الوِقاع وعمّ الاخبار ولا تمكن قُرَشيًّا من أذنك ثم انه مات فدفن بقفا المشلل (قال هشام) بن محمد الكلبى وذكر عَوانة ان مسلم بن عقبة شخص يريد ابن الزبير حتى اذا بلغ ثنيّة هَرْشَا نزل به الموت فبعث الى رؤس الاجناد فقال ان أمير المؤمنين عهد الىّ إن حدث بى حَدَثُ الموت ان أستخلف عليكم حصين بن نمير السكونى والله لو كان الامر الىّ ما فعلت ولكن أكره معصية أمر أمير المؤمنين عند الموت ثم دعا به فقال انظر يا برذعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به عمّ الاخبار ولا تُرْع سمعَك قريشا أبدا ولا تردّن أهل الشأم عن عدوهم ولا تقيمن الا ثلاثا حتى تناجز ابن الزبير الفاسق ثم قال اللهم انى لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أحبّ الىّ من قتلى أهل المدينة ولا أرجى عندى فى الآخرة ثم قال لبنى مُرَّة زرّاعتى التى بحوران صدقةٌ على مرّة وما أغلقتْ عليه فلانة بابها فهو لها يعنى أمّ ولده ثم مات ولما مات خرج حصين بن نمير بالناس فقدم على ابن الزبير مكة وقد بايعه أهلها وأهل الحجاز (قال هشام) قال عوانة قال مسلم قبل الوصية انّ ابنى يزعم ان أم ولدى هذه سقتنى السمّ وهو كاذب هذا ابنى يُصيبُنا فى بطوننا أهل البيت قال وقدم عليه يعنى ابن الزبير كلُّ أهل المدينة وقد قدم عليه نجْدة بن عامر الحنفى فى أناس من الخوارج يمنعون البيت فقال لاخيه المنذر ما لهذا الامر ولدفع هؤلاء القوم غيرى وغيرُك وأخوه المنذر ممن شهد الحرّة ثم لحق به فجرّد اليهم أخاه فى الناس ففاتلهم ساعة قتالا شديدا ثم ان رجلا من أهل الشأم دعا المنذر الى المبارزة قال والشأمىُّ على بغلة له فخرج اليه المنذر فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة خرّ صاحبه لها ميّتا فجثا عبد الله بن الزبير على ركبتيه وهو يقول يا رب أبرْهامن أصلها ولا تَشدَّها وهو يدعو على الذى بارز أخاه ثم ان أهل الشأم شدوا عليهم شدةً منكرةً وانكشف أصحابه انكشافةً وعثرت بغلته فقال تَعْسًا ثم نزل وصاح بأصحابه الىّ فأقبل اليه المِسْوَر بن مخرمة ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زُهرة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فقاتلوا حتى قتلوا جميعا وصابَرَهم ابن الزبير بحالدهم حتى الليل ثم انصرفوا عنه وهذا فى الحصار الاول ثم انهم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرّم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الاول يوم السبت سنة ٦٤ قذفوا البيت بالمجانيق وحرّقوه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون

خَطَّارةٌ مِثلُ الفَنيقِ المُزبِدِ * نَرمى بها أعوادَ هذا المسجِدِ

قال

(قال هشام) قال أبو عوانة جعل عمرو بن حَوْط السدوسى يقول

كيف ترى صَنيع أمِّ فَرْوَهْ * تأخُذُهُمْ بين الصَّفَا والمَرْوَهْ

يعنى بأم فروة المَنجنيق ﴿وقال الواقدى﴾ سار الحصين بن نمير حين دُفن مسلم بن عقبة بالمشلل لسبع بقين من المحرم وقدم مكة لاربع بقين من المحرم فحاصر ابن الزبير أربعا وستين يوما حتى جاءهم نعى يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر ﴿وفى هذه السنة﴾ حُرقت الكعبة

﴿ذكر السبب فى احراقها﴾

قال محمد بن عمر احترقت الكعبة يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ قبل أن يأتى نعى يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوما وجاء نعيه لهلال ربيع الآخر ليلة الثلاثاء * قال محمد بن عمر حدثنا رياح بن مسلم عن أبيه قال كانوا يوقدون حول الكعبة فأقبلت شَرَرة هبّت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت يوم السبت لثلاث ليال خلون من ربيع الاول * قال محمد بن عمر وحدثنى عبد الله بن زيد قال حدثنى عروة بن أذَيْنة قال قدمت مكة مع أمى يوم احترقت الكعبة قد خلصت اليها النار ورأيتها مجردةً من الحرير ورأيت الركن قد اسودّ وانصدع فى ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فأشاروا الى رجل من أصحاب عبد الله بن الزبير فقالوا هذا احترقت بسببه أخذ قبسا فى رأس رمح له فطيّرت الريح به فضرب أستار الكعبة ما بين الركن اليمانى والاسود ﴿وفيها﴾ هلك يزيد بن معاوية وكانت وفاته بقرية من قُرى حمص يقال لها حُوّارين من أرض الشأم لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة ٦٤ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فى قول بعضهم

حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن هشام بن الوليد المخزومى ان الزهرى كتب لجده اسنان الخلفاء فكان فيما كتب من ذلك ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر فى قول بعضهم ويقال ثمانية أشهر

وحدثنى أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر انه قال توفى يزيد بن معاوية يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثمانى ليال وصلى على يزيد ابنه معاوية بن يزيد (وأما هشام) بن محمد الكلبى فانه قال فى سن يزيد خلاف الذى ذكره الزهرى والذى قال هشام فى ذلك فيما حُدّثنا عنه استخلف أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وهو ابن اثنين وثلاثين سنة وأشهر فى هلال رجب سنة ٦٠ وولى سنتين وثمانية أشهر وتوفى لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة ٦٣ وهو ابن خمس وثلاثين وأمه مَيْسُون بنت بَحْدَل بن أُنَيف بن وَلجة بن قُنافة ابن عدى بن زهير بن حارثة الكلبى

﴿ذكر عدد ولده﴾

فمنهم معاوية بن يزيد بن معاوية يُكنى أبا ليلى وهو الذى يقول فيه الشاعر

انى أرى فتنة قد حان أوّلُها * والمُلكُ بعد أبى ليلى لِمَنْ غلَبَا

وخالد بن يزيد وكان يكنى أبا هاشم وكان يقال انه أصاب عمل الكيميّاء وأبو سفيان وأمهما أم هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس تزوجها بعد يزيد مروان وهى التى يقول لها الشاعر

إنْعَمِى أمَّ خالدِ * رُبَّ ساعٍ لقاعِدِ

وعبد الله بن يزيد قيل انه من أرمى العرب فى زمانه وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الاسوار وله يقول الشاعر

زَعَمَ الناسُ أنّ خيرَ قريشٍ * كلِهِمْ حينَ تُذْكَرُ الاسوارُ

وعبد الله الاصغر وعمر وأبو بكر وعتبة وحرب وعبد الرحمن والربيع ومحمد لامهات أولاد شتّى

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين﴾

﴿خلافة معاوية بن يزيد﴾

﴿وفى هذه السنة﴾ بويع لمعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بالشأم بالخلافة ولعبد الله ابن الزبير بالحجاز * ولما هلك يزيد بن معاوية مكث الحصين بن نمير وأهل الشأم يقاتلون ابن الزبير وأصحابه بمكة فيما ذكر هشام عن عوانة أربعين يوما قد حصروهم حصارا شديدا وضيّقوا عليهم ثم بلغ موته ابن الزبير وأصحابه ولم يبلغ الحصين بن نمير وأصحابه ﴿حدثنا﴾ محمد بن اسحاق بن أبى اسرائيل قال حدثنا عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعانى أبو محمد قال حدثنا زياد بن جيل قال بينا حصين بن نمير يقاتل ابن الزبير اذ جاء موت يزيد فصاح بهم ابن الزبير فقال انّ طاغيتكم قد هلك فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل فمن كره فليلحق بشأمه فغدوا عليه يقاتلونه قال فقال ابن الزبير للحصين بن نمير ادنُ منى أحدّثك فدنا منه فحدثه فجعل فرس أحدهما يجفل والجفل الروث فجاء حمام الحرم يلتقط من الجفل فكفّ الحصين فرسه عنهن فقال له ابن الزبير مالك قال أخاف أن يقتل فرسى حمام الحرم فقال له ابن الزبير أتحرّج من هذا وتريد أن تقتل المسلمين فقال له لا أقاتلك فأذن لنا نطّف بالبيت وننصرف عنك ففعل فانصرفوا * وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام عنه قال لما بلغ ابن الزبير موت يزيد وأهل الشأم لا يعلمون بذلك قد حصروه حصارا شديدا وضيّقوا عليه أخذ يناديهم هو وأهل مكة علام تقاتلون قد هلك طاغيتكم وأخذوا لا يصدّقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المُنْقِع النخعى من أهل الكوفة فى رؤس أهل العراق فربا الحصين ابن نمير وكان له صديقا وكان بينهما صهر وكان يراه عند معاوية فكان يعرف فضله واسلامه وشرفه فسأل عن الخبر فأخبره بهلاك يزيد فبعث الحصين بن نمير الى عبد الله بن الزبير فقال

موعدُ ما بيننا وبينك الليلةَ الابطحُ فالتقيا فقال له الحصين ان يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الامر هلمَّ فلنبايعك ثم اخرج معى الى الشأم فان هذا الجند الذين معى هم وجوه أهل الشأم وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التى كانت بيننا وبينك والتى كانت بيننا وبين أهل الحرّة فكان سعيد بن عمرو يقول ما منعه أن يبايعهم ويخرج الى الشأم الا تطيّرٌ لانّ مكة التى منعه الله بها وكان ذلك من جند مروان وان عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشأم ما اختلف عليه منهم اثنان فزعم بعضُ قريش انه قال أنا أهدر تلك الدماء أمَ والله لا أرضى أن أقتل بكل رجل منهم عشرة وأخذ الحصين يكلمه سرا وهو يجهر جهرا وأخذ يقول لا والله لا أفعل فقال له الحصين بن نمير قبح الله من يعدّك بعد هذه داهيا قط أو أديبا قد كنت أظنّ انّ لك رأيا ألا أرانى أكلمك سرا وتكلمنى جهرا وأدعوك الى الخلافة وتعدنى القتل والهلكة ثم قام فخرج وصاح فى الناس فأقبل فيهم نحو المدينة وندم ابن الزبير على الذى صنع فأرسل اليه اما ان أسير الى الشأم فلستُ فاعلا وأكره الخروج من مكة ولكن بايعوا الى هنالك فانى مؤمنكم وعادلٌ فيكم فقال له الحصين أرأيت ان لم تقدم بنفسك ووجدتُ هنالك أناسا كثيرا من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس ما أنا صانعٌ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة فاستقبله علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ومعه قَتٌّ وشعيرٌ وهو على راحلة له فسلم على الحصين فلم يكد يلتفت اليه ومع الحصين بن نمير فرسٌ له عتيقٌ وقد فنى قتّه وشعيرُه فهو عَرِضٌ وهو يسبّ غلامه ويقول من أين نجد ههنا لدابتنا علفا فقال له علىّ بن الحسين هذا علفٌ عندنا فاعلف منه دابتك فأقبل على علىّ عند ذلك بوجهه فأمر له بما كان عنده من علف واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشأم فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل الا أخذ بلجام دابته ثم نُكس عنها فكانوا يجتمعون فى معسكرهم فلا يفترقون وقالت لهم بنو أمية لا تبرحوا حتى تحملونا معكم الى الشأم ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشأم وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد فلم يلبث الا ثلاثة أشهر حتى مات * وقال عوانة استخلف يزيد بن معاوية ابنه معاوية بن يزيد فلم يمكث الا أربعين يوما حتى مات ﴿وحدثنى﴾ عمر عن علىّ بن محمد قال لما استخلف معاوية بن يزيد وجمع عُمّال أبيه ويزيد له بدمشق هلك بها بعد أربعين يوما من ولايته ويُكنى أبا عبد الرحمن وهو أبو ليلى وأمه أم هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة وتوفى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوما ﴿وفى هذه السنة﴾ بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطلح الناس على امام يرتضونه لانفسهم ثم أرسل عبيد الله رسولا الى الكوفة يدعوهم الى مثل الذى فعل من ذلك أهل البصرة فأبوا عليه وحصبوا الوالى الذى كان عليهم ثم خالفه أهل البصرة أيضا فهاجت بالبصرة فتنةٌ ولحق

عبيد الله بن زياد بالشأم

﴿ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد﴾

وحدثني عمر بن شبة قال حدثني موسى بن اسماعيل قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن قال كتب الضحاك بن قيس الى قيس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية سلام عليك أما بعد فان يزيد بن معاوية قد مات وأنتم اخواننا فلا تسبقونا بشيء حتى نختار لانفسنا وحدثني عمر قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جماد قال حدثنا محمد بن أبي عيينة قال حدثني شهرك قال شهدت عبيد الله بن زياد حين مات يزيد ابن معاوية قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل البصرة انسبوني فوالله لتجدني أهاجر والدي ومولدي فيكم وداري ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم الا سبعين ألف مقاتل ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفا وما أحصى ديوان عمالكم الا تسعين ألفا ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا وما تركت لكم ذا ظنة أخافه عليكم الا وهو في سجنكم هذا وان أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي وقد اختلف أهل الشأم وأنتم اليوم أكثر الناس عددا وأعرضه غناء وأغناه عن الناس وأوسعه بلادا فاختاروا لانفسكم رجلا ترتضونه لدينكم وجماعتكم فأنا أول راض من رضيتموه وتابع فان اجتمع أهل الشأم على رجل ترتضونه دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم فما بكم الى أحد من أهل البلدان حاجة وما يستغني الناس عنكم فقامت خطباء أهل البصرة فقالوا قد سمعنا مقالتك أيها الامير وانا والله ما نعلم أحدا أقوى عليها منك فهلم فلنبايعك فقال لا حاجة لي في ذلك فاختاروا لانفسكم فأبوا عليه وأبى عليهم حتى كرروا ذلك عليه ثلاث مرات فلما أبوا بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا بعد البيعة وهم يقولون لا يظن ابن مرجانة أنا نستقاد له في الجماعة والفرقة كذب والله ثم وثبوا عليه وحدثني عمر قال زهير قال حدثنا وهب قال وحدثنا الاسود بن شيبان عن خالد بن سمير ان شقيق بن ثور ومالك بن مسمع وحصين بن المنذر أتوا عبيد الله ليلا وهو في دار الامارة فبلغ ذلك رجلا من الحي من بني سدوس قال فانطلقت فلزمت دار الامارة فلبثوا معه حتى مضى عليه الليل ثم خرجوا ومعهم بغل موقر مالا قال فأتيت حصينا فقلت مر لي من هذا المال بشيء فقال عليك ببني عمك فأتيت شقيقا فقلت مر لي من هذا المال بشيء قال وعلى المال مولى له يقال له أيوب فقال يا أيوب أعطه مائة درهم قلت أما مائة درهم والله لا أقبلها فسكت عني ساعة وسار هنيهة فأقبلت عليه فقلت مر لي من هذا المال بشيء فقال يا أيوب أعطه مائتي درهم قلت لا أقبل والله مائتين ثم أمر لي بثلثمائة ثم أربعمائة فلما انتهينا الى الطفاوة قلت مر لي بشيء قال أرأيت ان لم أفعل ما أنت صانع قلت انطلق والله حتى اذا توسطت دور الحي

وضعت

وضعت إصبعي في أذني ثم صرخت بأعلى صوتي يا معشر بكر بن وائل هذا شقيق بن ثور وحصين بن المنذر ومالك بن المسمع قد انطلقوا الى ابن زياد فاختلفوا في دمائكم قال ماله فعل الله به وفعل ويلك أعطه خمسمائة درهم قال فأخذتها ثم صبحت غاديا على مالك قال وهب فلم أحفظ ما أمر له به مالك قال ثم رأيت حصينا فدخلت عليه فقال ما صنع ابن عمك فأخبرته وقلت أعطني من هذا المال فقال انا قد أخذنا هذا المال ونجونا به فلن نخشى من الناس شيأ فلم يعطني شيأ ﴿قال أبو جعفر﴾ وحدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى ان يونس بن حبيب الجرمي حدثه قال لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي عليه السلام وبنى أبيه بعث برؤسهم الى يزيد بن معاوية فسر بقتلهم أولا وحسنت بذلك منزلة عبيد الله عنده ثم لم يلبث الا قليلا حتى ندم على قتل الحسين فكان يقول وما كان علي لو احتملت الاذى وأنزلته معي في داري وحكمته فيما يريد وان كان علي في ذلك وكف ووهن في سلطاني حفظا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية لحقه وقرابته لعن الله ابن مرجانة فانه أخرجه واضطره وقد كان سأله أن يخلي سبيله ويرجع فلم يفعل أو يضع يده في يدي أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل فأبى ذلك وردّه عليه وقتله فبغضني بقتله الى المسلمين وزرع لي في قلوبهم العداوة فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسينا مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ثم ان عبيد الله بعث مولى له يقال له أيوب بن حمران الى الشأم ليأتيه بخبر يزيد فركب عبيد الله ذات يوم حتى اذا كان في رحبة القصابين اذا هو بأيوب بن حمران قد قدم فلحقه فأسر اليه موت يزيد بن معاوية فرجع عبيد الله من مسيره ذلك فأتى منزله وأمر عبد الله بن حصن أحد بني ثعلبة بن يربوع فنادى الصلاة جامعة (قال أبو عبيدة) وأما عمير بن معن الكاتب فحدثني قال الذي بعثه عبيد الله حمران مولاه فعاد عبيد الله عبد الله بن نافع أخا زياد لأمه ثم خرج عبيد الله ماشيا من خوخة كانت في دار نافع الى المسجد فلما كان في صحنه اذا هو بمولاه حمران أدنى ظلمة عند المساء وكان حمران رسول عبيد الله بن زياد الى معاوية حياته والى يزيد فلما رآه ولم يكن له أن يقدم قال مهيم قال خير قال وما وراءك قال ادنو منك قال نعم وأسر اليه موت يزيد واختلاف أمر الناس بالشأم وكان يزيد مات يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ فأقبل عبيد الله من فوره فأمر مناديا فنادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فنعى يزيد وعرض بثلبه لقصد يزيد اياه قبل موته حتى يخافه عبيد الله فقال الاحنف لعبيد الله انه قد كانت ليزيد في أعناقنا بيعة وكان يقال أعرض عن ذي فن فأعرض عنه ثم قام عبيد الله يذكر اختلاف أهل الشأم وقال اني قد وليتكم ثم ذكر نحو حديث عمر بن شبة عن زهير بن حرب الى فبايعوه عن رضى منهم ومشورة ثم قال فلما خرجوا من عنده جعلوا

يمسحون أكفّهم بباب الدار وحيطانه ويقولون ظن ابن مرجانة انّا نوليه أمرنا في الفرقة
قال فاقام عبيد الله أميرا غير كثير حتى جعل سلطانه يضعف ويأمرنا بالامر فلا يُقضى
ويرى الرأى فيُرد عليه ويأمر بحبس المخطئ فيُحال بين أعوانه وبينه (قال أبو عبيدة)
فسمعت غيلان بن محمد يحدّث عن عثمان البتّى قال حدثنى عبد الرحمن بن حَوْشب قال
تبعتُ جنازةً فلما كان في سوق الابل اذا رجلٌ على فرس شهباء متقنّعٌ بسلاح وفي يده
لواءٌ وهو يقول أيها الناس هلمّوا الىّ أدعُكم الى مالم يدعُكم اليه أحد أدعوكم الى العائذ
بالحرم يعنى عبد الله بن الزبير * قال فتجمّع اليه نُوَيْسٌ فجعلوا يصفقون على يديه ومضينا
حتى صلينا على الجنازة فلما رجعنا اذا هو قد انضمّ اليه أكثرُ من الاولين ثم أخذ بين دار
قيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت السلمىّ ودار الحارثيّين قبلَ بنى تميم فى الطريق الذى
ياخذ عليهم فقال ألا من أرادنى فأنا سَلَمةُ بن ذؤيب وهو سَلَمة بن ذؤيب بن عبد الله
ابن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة قال فلقينى عبد الرحمن بن بكر عند
الرحبة فأخبرته بخبر سلمة بعد رجوعى فأتى عبد الرحمن عبيد الله فحدثه بالحديث عنى
فبعث الىّ فأتيته فقال ماهذا الذى خبّر به عنك أبو بحر فال فاقتصصت عليه القصة حتى
أتيتُ على آخرها فأمر فنودى على المكان الصلاة جامعة فتجمّع الناس فانشأ عبيد الله
يقصّ أول أمره وأمرهم وماقد كان دعاهم الى من يرتضونه فيبايعه معهم وانكم أبيتم
غيرى وانه بلغنى انكم مسحتم أكفّكم بالحيطان وباب الدار وقلتم ماقلتم وانى آمر بالامر
فلا يُنفذ ويُردّ علىّ رأيى وتحول القبائل بين أعوانى وطلبتى ثم هذا سلمة بن ذؤيب يدعو
الى الخلاف عليكم ارادةَ أن يفرّق جماعتكم ويضرب بعضكم جباه بعض بالسيف
فقال الاحنف صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عُبادة بن النزّال بن مُرّة بن عبيد
ابن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم والناس جميعا نحن نأتيك
بسلمة فأتوا سلمة فاذا جمعهُ قد كثف واذا الفتق قد اتسع على الراتق وامتنع عليهم فلما رأوا
ذلك قعدوا عن عبيد الله بن زياد فلم يأتوه (قال أبو عبيدة) فحدثنى غيرُ واحد عن سَبْرة
ابن الجارود الهُذلىّ عن أبيه الجارود قال وقال عبيد الله فى خطبته ياأهل البصرة والله
لقد لبسنا الخزّ واليمنة واللين من الثياب حتى لقد أجمنا ذلك وأجمّته جلودُنا فما بنّا الى أن
نُعقبها الحديد ياأهل البصرة والله لو اجتمعتم على ذنب عير لتكسروه ما كسرتموه (قال
الجارود) فوالله مارُمى بجُمّاح حتى هرب فتوارى عند مسعود فلما قُتل مسعود لحق
بالشأم (قال يونس) وكان في بيت مال عبيد الله يوم حطب الناس قبل خروج سلمة
ثمانية آلاف ألف أو أقلّ وقال علىّ بن محمد تسعة عشر ألف ألف فقال للناس ان هذا
فيئكم فخذوا أعطياتكم وأرزاق ذراريّكم منه وأمر الكَتَبَة بتحصيل الناس وتخريج

الاسماء واستعجل الكُتّاب في ذلك حتى وكّل بهم من يحبسهم بالليل في الديوان وأسرجوا
بالشمع * قال فلما صنعوا ما صنعوا وقعدوا عنه وكان من خلاف سلمة عليه ما كان كفّ عن
ذلك وثقلها حين هرب فهى الى اليوم تردّد فى آل زياد فيكون فيهم العُرس أو المأتم فلا
يُرى فى قريش مثلهم ولا في قريش أحسن منهم في الغضارة والكسوة فدعا عبيد الله رؤساء
خاصّة السلطان فأرادهم أن يقاتلوا معه فقالوا ان أمرنا قوّادُنا فاقتلنا معك فقال اخوةُ
عبيد الله لعبيد الله والله ما من خليفة فتقاتل عنه فان هُزمت فئتَ اليه وان استمددته
أمدّك وقد علمت ان الحرب دُولٌ فلا ندرى لعلها تدول عليك وقد اتخذنا بين أظهر
هؤلاء القوم أموالا فان ظفروا اهلكونا واهلكوها فلم تبق لك باقيةٌ وقال له أخوه عبد الله
لأبيه وأمه مرجانة والله لئن قاتلتَ القوم لأعتمدنّ على ظُبة السيف حتى يخرج من
صُلبى فلما رأى ذلك عبيد الله أرسل الى حارث بن قيس بن صُهبان بن عون بن علاج
ابن مازن بن أسود بن جُهْضم بن جَذيمة بن مالك بن فهم فقال له ياحار ان أبى كان أوصانى
ان احتجتُ الى الهرب يوما أن أختاركم وإن نفسى تأبى غيركم فقال الحارث قد أبلوك
فى أبيك ماقد علمت وبلوه فلم يجدوا عنده ولا عندك مُكافاةً ومالك مَردٌّ اذا اخترتنا وما
أدرى كيف ابائى لك ان أخرجتك نهارا انى أخاف ألاّ أصل بك الى قومى حتى تُقتَل
وأقتل ولكنى أقيم معك حتى اذا وارى دَمْسٌ دَمْسا وهدأت القدم رددتَ خلفى لئلاّ
تُعرف ثم أخذتك على اخوالى بنى ناجية قال عبيد الله نعم مارأيتَ فأقام حتى اذا قلتَ أخوك
أم الذئب حمله خلفه وقد نقل تلك الأموال فأحرزها ثم انطلق به يمرّ به على الناس وكانوا
يتحارسون مخافة الحرورية فيسأل عبيد الله أين نحن فيخبره فلما كانوا فى بنى سُليم قال عبيد
الله أين نحن قال في بنى سليم قال سلمنا ان شاء الله فلما أتى بنى ناجية قال أين نحن قال فى بنى
ناجية قال نجونا ان شاء الله فقال بنو ناجية مَن أنت قال الحارث بن قيس قالوا ابن أخيكم
وعرف رجلٌ منهم عبيد الله فقال ابن مرجانة فأرسل سهما فوقع في عمامته ومضى به
الحارث حتى ينزله دار نفسه في الجهاضم ثم مضى الى مسعود بن عمرو بن عدىّ بن محارب
ابن صُنَيم بن مُليح بن شرْطان بن مَعْن بن مالك بن فهم فقالت الأزد ومحمد بن أبى عيينة
فلما رآه مسعود قال ياحار قد كان يُتعوّذ من سوء طوارق الليل فنعوذ بالله من شرّ ماطرقتنا
به قال الحارث لم أطرقك إلا بخير وقد علمتَ ان قومك قد أنجَوْا زيادا فوفَوْا له فصارت لهم
مكرُمةً فى العرب يفتخرون بها عليهم وقد بايعتم عبيد الله بيعة الرضا رضًى من مَشورة
وبيعةً أخرى قد كانت في أعناقكم قبل هذه البيعة يعنى بيعة الجماعة فقال له مسعود ياحار
أترى لنا ان نعادى أهل مِصرنا فى عبيد الله وقد أبلَيْنا فى أبيه ما أبلينا ثم لم نُكافَ عليه ولم
نُشكَر ما كنتُ أحسب انّ هذا من رأيك قال الحارث انه لا يُعاديك أحدٌ على الوفاء ببَيْعتك

حتى تبلّغه مأمنه (قال أبو جعفر) وأما عمر فحدّثني قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي عن الزبير بن الخرّيت عن أبي لبيد الجهضمي عن الحارث ابن قيس قال عرض نفسه يعني عبيد الله بن زياد على فقال أم والله اني لأعرف سوء رأي كان في قومك قال فرققت له فأردفته على بغلتي وذلك ليلاً فأخذت على بني سليم فقال من هؤلاء قلت بنو سليم قال سلمنا ان شاء الله ثم مررنا ببني ناجية وهم جلوس ومعهم السلاح وكان الناس يتحارسون اذ ذاك في مجالسهم فقالوا من هذا قلت الحارث بن قيس قالوا امض راشداً فلما مضينا قال رجل منهم هذا والله ابن مرجانة خلفه فرماه بسهم فوضعه في كور عمامته فقال يا أبا محمد من هؤلاء قال الذين كنت تزعم انهم من قريش هؤلاء بنو ناجية قال نجونا ان شاء الله ثم قال يا حارث انك قد أحسنت وأجملت فهل أنت صانع ما أشير به عليك قد علمت منزلة مسعود بن عمرو في قومه وشرفه وسنّه وطاعة قومه له فهل لك ان تذهب بي اليه فأكون في داره فهي وسط الأزد فإنك ان لم تفعل صدع عليك أمر قومك قلت نعم فانطلقت به فما شعر مسعود بشيء حتى دخلنا عليه وهو جالس ليلتئذ يوقد بقضيب على لبنة وهو يعالج خفّيه قد خلع أحدهما وبقي الآخر فلما نظر في وجوهنا عرفنا وقال انه كان يتعوّذ من طوارق السوء فقلت له أفتخرجه بعد ما دخل عليك بيتك قال فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود وامرأة عبد الغافر يومئذ خيرة بنت خفاف ابن عمرو قال ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه فطافوا في الأزد ومجالسهم فقالوا ان ابن زياد قد فقدنا وإنا لا نأمن ان تلطّخوا به فاصبحوا في السلاح وفقد الناس ابن زياد فقالوا أين توجه فقالوا ما هو إلا في الأزد قال وهب فحدّثنا أبو بكر ابن الفضل عن قبيصة بن مروان انهم جعلوا يقولون أين ترونه توجه فقالت عجوز من بني عقيل أين ترونه توجه اندحس والله في أجمة أبيه وكانت وفاة يزيد حين جاءت ابن زياد وفي بيوت مال البصرة ستة عشر ألف ألف ففرّق ابن زياد طائفة منها في بني أبيه وحمل الباقي معه وقد كان دعا البخارية الى القتال معه ودعا بني زياد الى ذلك فأبوا عليه ﴿ حدثني عمر قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا الأسود بن شيبان عن عبد الله بن جرير المازني قال بعث الي شقيق بن ثور فقال لي انه قد بلغني ان ابن مرجوف هذا وابن مسمع يدلجان بالليل الى دار مسعود ليردّا ابن زياد الى الدار ليصلوا بين هذين الغارين فبهر يقوادماءكم ويعزوا أنفسهم ولقد هممت ان أبعث الى ابن مرجوف فأشدّه وثاقا وأخرجه عني فاذهب الى مسعود فاقرأ عليه السلام مني وقل له ان ابن مرجوف وابن مسمع يفعلان كذا وكذا فاخرج هذين الرجلين عنك قال وكان معه عبيد الله وعبد الله ابنا زياد قال فدخلت على مسعود وابنا زياد عند أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فقلت السلام عليك أبا

قيس

فيس قال وعليك السلام قلت بعثني اليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام ويقول لك انه بلغني فردّ الكلام بعينه الى فاخرجهما عنك قال مسعود والله قلت ذاك فقال عبيد الله كيف أبا ثور ونسي كنيته انما كان يكنى أبا الفضل فقال أخوه عبد الله انا والله لا نخرج عنكم قد أجرتمونا وعقدتم لنا ذمتكم فلا نخرج حتى نقتل بين أظهركم فيكون عارا عليكم الى يوم القيامة قال وهب حدثنا الزبير بن الخرّيت عن أبي لبيد ان أهل البصرة اجتمعوا فقلدوا أمرهم النعمان بن صهبان الراسبي ورجلاً من مضر يختارانهم رجلاً فيولوه عليهم وقالوا من رضيتما لنا فقد رضيناه وقال غير أبي لبيد الرجل المضري قيس ابن الهيثم السلمي قال أبو لبيد ورأى المضري في بني أمية ورأى النعمان في بني هاشم فقال النعمان ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من فلان رجل من بني أمية قال وذلك رأيك قال نعم قال قد قلدتك أمري ورضيت من رضيت ثم خرجا الى الناس فقال المضري قد رضيت من رضي النعمان فمن سمى لكم فأنا به راض فقالوا للنعمان ما تقول فقال ما أرى أحداً غير عبد الله بن الحارث وهو ببنّة فقال المضري ما هذا الذي سميت لي قال بلى لعمري انه لهو فرضي الناس بعبد الله وبايعوه قال أصحابنا دعت مضر الى العباس بن الأسود بن عوف الزهري ابن أخي عبد الرحمن بن عوف ودعت اليمن الى عبد الله بن الحارث بن نوفل فتراضى الناس ان حكّموا قيس بن الهيثم والنعمان بن صهبان الراسبي لينظرا في أمر الرجلين فاتفق رأيهما على ان يوليا المضري الهاشمي الى أن يجتمع أمر الناس على امام فقيل في ذلك

نزعنا وليّنا وبكر بن وائل * تجرّ خصاها تبتغي من تحالف

فلما أمر وابية على البصرة ولى شرطته همّيان بن عدي السدوسي ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وأما أبو عبيدة فإنه فيما حدّثني محمد بن علي عن أبي سعد ان عنه قص من خبر مسعود وعبيد الله ابن زياد وأخيه غير القصة التي قصها وهب بن جرير عمن روى عنهم خبرهم قال حدثني مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد وغيره من آل زياد عمن أدرك ذلك منهم ومن مواليهم والقوم أعلم بحديثهم ان الحارث بن قيس لم يكلم مسعود اولكنه آمن عبيد الله فحمل معه مائة ألف درهم ثم أتى بها الى أم بسطام امرأة مسعود وهي بنت عمه ومعه عبيد الله وعبد الله ابنا زياد فاستأذن عليها فأذنت له فقال لها الحارث قد أتيتك بأمر تسود بن به نساءك وتتمين به شرف قومك وتعجلين غنى ودنيالك خاصة هذه مائة ألف درهم فاقبضيها فهي لك وضمّي عبيد الله قالت اني أخاف ألا يرضى مسعود بذلك ولا يقبله فقال الحارث البسيه ثوبا من أثوابك وأدخليه بيتك وخلي بيننا وبين مسعود فقبضت المال وفعلت فلما جاء مسعود أخبرته فأخذ برأسها فخرج عبيد الله والحارث من حجلتها عليه فقال عبيد الله قد

أجارَتني ابنة عمك عليك وهذا ثوبك عليّ وطعامك في بطني وقد التفّ عليّ بيتك وشهد له على ذلك الحارث وتلطفاله حتى رضى قال أبو عبيدة وأعطى عبيد الله الحارث نحوًا من خمسين ألفًا فلم يزل عبيد الله في بيت مسعود حتى قُتِل مسعود قال أبو عبيدة فحدثني يزيد ابن سُمَير الجُرْميّ عن سوّار بن عبد الله بن سعيد الجرميّ قال فلما هرب عبيد الله غبر أهل البصرة بغير أمير فاختلفوا فيمن يؤمّرون عليهم ثم تراضَوا برجلين يختاران لهم خيرةً فيرضون بها اذا اجتمعا عليها فتراضوا بقيس بن الهيثم السلميّ وبنعمان بن سفيان الراسبيّ راسب بن جَرْم بن رَبّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أن يختارا من يرضيان لهم فذكرا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأمه هند بنت ابي سفيان ابن حرب بن أمية وكان يلقب بَبّة وهو جدّ سليمان بن عبد الله بن الحارث وذكرا عبد الله بن الأسود الزهريّ فلمّا أطبقا عليهما اتّعدا المربدَ وواعدا الناسَ ان يجتمع آراؤهم على أحد هذَين قال فحضر الناس وحضرتْ معهم قارعةَ المربد أى أعلاه فجاء قيس بن الهيثم ثم جاء النعمان بعد فتحاول قيس والنعمان فأرى النعمان قيسًا ان هواه في ابن الأسود ثم قال انّا لا نستطيع أن نتكلم معا وأراده أن يجعل الكلام اليه ففعل قيس وقد اعتقد أحدهما على الآخر فأخذ النعمان على الناس عهدَ الرضون بما يختار قال ثم أتى النعمان عبد الله بن الأسود فأخذ بيده وجعل يشترط عليه شرائط حتى ظن الناس انه مبايعه ثم تركه وأخذ بيد عبد الله بن الحارث فاشترط عليه مثل ذلك ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحق أهل بيته وقرابته ثم قال يا أيها الناس ما تنقمون من رجل من بني عمّ نبيكم صلى الله عليه وسلم وأمه هند بنت أبي سفيان فإن كان فيهم فهو ابن أختكم ثم صفق على يده وقال ألا اني قد رضيتُ لكم به فنادوا قد رضينا فأقبلوا بعبد الله بن الحارث الى دار الإمارة حتى نزلها وذلك في أوّل جمادى الآخرة سنة ٦٤ واستعمل على شرطته همبان بن عديّ السدوسيّ ونادى في الناس ان احضروا البيعة فحضروا فبايعوه فقال الفرزدق حين بايعه

وبايعتُ أقوامًا وفيتُ بعهدهم * وبَبّة قد بايعتُه غيرَ نادمِ

قال أبو عبيدة فحدّثني زهير بن هُنَيْدة عن عمرو بن عيسى قال كان منزل مالك بن مِسْمَع الجُحْدَريّ في الباطنة عند باب عبد الله الإصبهانيّ في خط بني جحدر الذي عند مسجد الجامع فكان مالك يحضر المسجد فبينا هو قاعد فيه وذلك بعد يسير من أمر بيعة وافى الحلقةَ رجل من ولد عبد الله بن عامر بن كُرَيْز القرشيّ يريد بيعة ومعه رسالة من عبد الله بن خازم وبيعته بهَراة فتنازعوا فأغلظ القرشيُّ لمالك فلطم رجل من بكر بن وائل القرشيَّ فتهايج من ثم من مُضَر وربيعة وكثرتهم ربيعة الذين في الحلقة فنادى رجل يا آل تميم فسمعت

الدعوة عصبةٌ من ضبّة بن أدّ كانوا عند القاضي فأخذوا رماح حَرَس من المسجد وتربتهم ثم شدّوا على الرَّبَعيّين فهزموهم وبلغ ذلك شقيق بن ثور السدوسيّ وهو يومئذ رئيس بكر ابن وائل فأقبل الى المسجد فقال لا تجدُنّ مضريًا إلا قتلتموه فبلغ ذلك مالك بن مسمع فأقبل متفضلًا يُسكن الناس فكفّ بعضهم عن بعض فمكث الناس شهرا أو أقلّ وكان رجل من بني يشكر يجالس رجلا من بني ضبة في المسجد فتذاكرا الطمة البكريّ القرشيّ ففخر اليشكريُّ قال ثم قال ذهبت طُلْقًا فأحفظ الضبّيّ بذلك فوجأ عنقه فوقذه الناس في الجمعة فحمل الى أهله ميّتًا أعني اليشكريّ فثارت بكر الى رأسهم أشيم بن شقيق فقالوا سر بنا فقال بل أبعث اليهم رسولًا فإن سيّبوا الناحقنا والا سرنا اليهم فأبت ذلك بكر فأتوا مالك بن مسمع وقد كان قبل ذلك مملّكًا عليهم قبل أشيم فغلب أشيم على الرئاسة حين شخص أشيم الى يزيد بن معاوية فكتب له الى عبيد الله بن زياد ان ردّوا الرئاسة الى أشيم فأبت اللهازم وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عنزة وشَيْبان اللات وحلفاؤها عجل حتى توافوا هم وآل ذُهل بن شيبان وحلفاؤها يشكر وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار أربع قبائل وأربع قبائل وكان هذا الحلف في أهل الوبر في الجاهلية فكانت حنيفة بقيت من قبائل بكر لم تكن دخلت في الجاهلية في هذا الحلف لأنهم أهل مدر فدخلوا في الاسلام مع أخيهم عجل فصاروا الهزمة ثم تراضوا بحكم عمران بن عِصام العَنَزيّ أحد بني هُمَيْم وردّها الى أشيم فلما كانت هذه الفتنة استخفت بكر مالك بن مسمع فخف وجمع وأعدّ فطلب الى الازد أن يجدّدوا الحلف الذي كان بينهم قبل ذلك في الجماعة على يزيد بن معاوية فقال حارثة بن بدر في ذلك

نزعنا وأمرّتنا وبكر بن وائل * تجرخصاها تبتغي من تحالف

ومابات بكريٌّ من الدهر ليلةً * فيُصبحُ إلا وهو للذُل عارفُ

قال فبلغ عبيد الله الخبر وهو في رحل مسعود من تباعد ما بين بكر وتميم فقال لمسعود الق مالكا فجدّد الحلف الأوّل فلقيه فتراذا ذلك وتأبّى عليهما نفر من هؤلاء وأولئك فبعث عبيد الله أخاه عبد الله مع مسعود فأعطاه جزيلا من المال حتى أنفق في ذلك أكثر من مائتي ألف درهم على ان يبايعوهما وقال عبيد الله لأخيه استوثق من القوم لأهل اليمن فجددوا الحلف وكتبوا بينهم كتابًا سوى الكتابين اللذين كانا كتبا بينهما في الجماعة فوضعوا كتابًا عند مسعود بن عمرو قال أبو عبيدة فحدّثني بعض ولد مسعود ان أوّل تسمية من فيه الصلت بن حُرَيْث بن جابر الحنفيّ ووضعوا كتابا عند الصلت بن حريث أوّل تسميته ابن رجاء العَوْذيّ من عوذ بن سود وقد كان بينهم قبل هذا حلفٌ قال أبو عبيدة وزعم محمد ابن حفص ويونس بن حبيب وهبيرة بن جُدَير وزهير بن هنيد ان مضر كانت تكثر ربيعة

بالبصرة وكانت جماعة الأزد آخر من نزل بالبصرة كانوا حيث مُصِرت البصرة فحوّل عمر بن الخطاب رحمه الله من تَنُوخ من المسلمين الى البصرة وأقامت جماعة الأزد لم يتحوّلوا ثم لحقوا بالبصرة بعد ذلك فى آخر خلافة معاوية وأول خلافة يزيد بن معاوية فلمّا قدموا قالت بنو تميم للاحنف بادِرْ الى هؤلاء قبل ان تسبقنا اليهم ربيعة وقال الأحنف ان أتوكم فاقبلوهم والا تأتوهم فانكم ان أتيتموهم صرتم لهم أتباعا فأتاهم مالك بن مسمع ورئيس الأزد يومئذ مسعود بن عمر والمعنىّ فقال مالك جدّدوا حلفنا وحلف كندة فى الجاهلية وحلف بنى ذهل بن ثعلبة فى طيئ بن أدَد من ثَعل فقال الأحنف اما اذ أتوهم فلن يزالوا لهم اتباعا اذنابا قال أبو عبيدة فحدّثنى هبيرة بن جُدَير عن اسحاق بن سويد قال فلما ان جَرَتْ بكر الى نصر الأزد على مضر وجدّدوا الحلف الاوّل وأرادوا أن يسيروا قالت الأزد لا نسير معكم الا أن يكون الرئيس منا فرأسوا مسعودا عليهم قال أبو عبيدة فحدّثنى مسلمة بن محارب قال قال مسعود لعبيد الله سر معنا حتى نعبدك فى الدار فقال ما أقدر على ذلك امض أنت وأمر برواحله فشدّوا عليها أدواتها وسوادها وتزمل فى أهبة السفر وألقوا له كرسيا على باب مسعود فقعد عليه وسار مسعود وبعث عبيد الله غلمانا له على الخيل مع مسعود وقال لهم انى لا أدرى ما يحدُث فأقول اذا كان كذا فليأتنى بعضكم بالخبر ولكن لا يحدثن خبر ولا شرّ إلا أتانى بعضكم به فجعل مسعود لا يأتى على سكة ولا يتجاوز قبيلة إلا أتى بعض أولئك الغلمان بخبر ذلك وقدم مسعود ربيعة وعليهم مالك بن مسمع فأخذوا جميعا سكة المربد فجاء مسعود حتى دخل المسجد فصعد المنبر وعبد الله بن الحارث فى دار الامارة فقيل له إن مسعودا وأهل اليمن وربيعة قد ساروا وسُيِّج بين الناس شرٌّ فلو أصلحت بينهم أو ركبت فى بنى تميم عليهم وقال أبعدهم الله لا والله لا أفسدت نفسى فى اصلاحهم وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول

لأَنْكِحَنَّ بَبَّهْ * جارِيَةً فى قُبَّهْ * تَمْشُطُ رَأْسَ لَعْبَهْ

فهذا قول الأزد وربيعة فأما مضر فيقولون ان أمه هند بنت أبى سفيان كانت ترقصه وتقول هذا فلما لم يخل أحد بين مسعود وبين صعود المنبر خرج مالك بن مسمع فى كتيبته حتى علا الجبّان من سكة المربد ثم جعل يمر بعدادد ور بنى تميم حتى دخل سكة بنى العدوية من قبل الجبان فجعل يحرّق دورهم للشحناء التى فى صدورهم لقتل الضبّىّ اليشكرىّ ولاستعراض ابن خازم ربيعة بهراة قال فبينا هو فى ذلك اذ أتوه فقالوا قتلوا مسعودا وفالوا سارت بنو تميم الى مسعود فأقبل حتى اذا كان عند مسجد بنى قيس فى سكة المربد بلغه قتل مسعود وقف قال أبو عبيدة فحدثنى زهير بن هنيدة قال حدثنا الضحاك أو الوضاح بن خيثمة أحد بنى عبد الله بن دارم قال حدثنى مالك بن دينار قال ذهبت فى الشباب الذين ذهبوا

الى

الى الاحنف ينظرون قال فأتيته وأتته بنو تميم فقالوا ان مسعودا قد دخل الدار وأنت سيدنا فقال لست بسيدكم انما سيدكم الشيطان وأما هبيرة بن جدير فحدثنى عن اسحاق بن سويد العدوى قال أوتيت منزل الاحنف فى النظارة فأتوا الاحنف فقالوا يا أبا بحران ربيعة والازد قد دخلوا الرحبة فقال لستم بأحق بالمسجد منهم ثم أتوه فقالوا قد دخلوا الدار فقال لستم بأحق بالدار منهم فتسرع سلمة بن ذؤيب الرياحىّ فقال انى يا معشر الفتيان فانما هذا جيش لا خير لكم عنده فبدرت ذؤبان بنى تميم فانتدب معه خمسمائة وهم معماه أفريذون فقال لهم سلمة أين تريدون قالوا ايا لم أردنا قال فتقدموا قال أبو عبيدة فحدثنى زهير بن هنيدة عن أبى نعامة عن ناشب بن الحسحاس وحميد بن هلال قالا أتينا منزل الاحنف بحضرة المسجد قالا فكنا فيمن ينظر فأتته امرأة بمُجمَر فقالت مالك وللرئاسة تجمَّر فانما أنت امرأة فقال است المرأة أحقُّ بالمجمر فأتوه فقالوا ان عليه بنت ناجية الرياحىّ وهى أخت مطَر وقال آخرون عزّة بنت الحرّ الرياحية قد سلبت خلاخيلها من ساقيها وكان منزلها شارعا فى رحبة بنى تميم على الميضاة وقالوا قتلوا الصباغ الذى على طريقك وقتلوا المقعد الذى كان على باب المسجد وقالوا ان مالك بن مسمع قد دخل سكة بنى العدوية من قبل الجبان فحرّق دورا فقال الأحنف أقيموا البينة على هذا فى دون هذا ما يحلّ قتالهم فشهدوا عنده على ذلك فقال الاحنف أجاء عبّاد وهو عباد بن حصين بن يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حلزّة بن بيان بن سعد بن الحارث الحبطة بن عمرو بن تميم قالوا لا ثم مكث غير طويل فقال أجاء عباد قالوا لا قال فهل ههنا عبّس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحكم بن ظالم ابن صريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد فقالوا نعم فدعاه فانتزع معجرا فى رأسه ثم جثا على ركبتيه فعقده فى رُمح ثم دفعه اليه فقال سر قالا فلما ولى قال اللهم لا تخزها اليوم فانك لم تخزها فيما مضى وصاح الناس هاجت زيرا وزيرا أمة للاحنف وانما كنوا بها عنه قالا فلما سار عبس جاء عباد فى ستين فارسا فسأل ما صنع الناس فقالوا سار وا قال ومن عليهم قالوا عبس بن طلق الصَّريمىّ فقال عباد أنا أسير تحت لواء عبس فرجع والفرسان الى أهله فحدثنى زهير قال حدثنا أبو ريحانة العرَيْنىّ قال كنت يوم قتل مسعود تحت بطن فرس الزرد بن عبد الله السعدى أعدو حتى بلغنا شريعة القديم قال اسحاق بن سويد فاقبلوا فلما بلغوا أفواه السكك وقفوا فقال لهم ماه أفريذون بالفارسية مالكم يا معشر الفتيان قالوا تلقونا بأسنة الرماح فقال لهم بالفارسية صكوهم بالفنجقان أى بخمس نُشابات فى رمية بالفارسية والأساورة أربعمائة فصكوهم بألفى نشابة فى دفعة فأجلوا عن أبواب السكك وقاموا على باب المسجد ودلفت التميمية اليهم فلما بلغوا الأبواب وقفوا فسألهم ماه أفريذون مالكم قالوا اسندوا الينا أطراف رماحهم قال أرموهم أيضا فرموهم بالفى نشابة فأجلوهم عن الابواب

فدخلوا المسجد فأقبلوا ومسعود يخطب على المنبر ويحضض فجعل غطفان بن أنيف بن يزيد بن فهدة أحد بني كعب بن عمرو بن تميم وكان يزيد بن فهدة فارسا في الجاهلية يقاتل ويحض قومه ويرتجز

يال تميم انها مذكورهْ * إن فات مسعود بها مشهورهْ

فاستمسكوا بجانب المقصورهْ

أي لا يهرب فيفوت قال اسحاق بن يزيد فأتوا مسعودا وهو على المنبر يحض فاستنزلوه فقتلوه وذلك في أول شوال سنة ٦٤ فلم يكن القوم شيأ فانهزموا وبادر أشيم بن شقيق القوم باب المقصورة هاربا فطعنه أحدهم فنجا بها ففي ذلك يقول الفرزدق

لو أنّ أشيم لم يسبق أسنّتنا * وأخطأ الباب إذ نيرانُنا تقدُ

إذ الصاحب مسعودا وصاحبه * وقد تهافتت الأعفاج والكبدُ

قال أبو عبيدة فحدثني سلام بن أبي خيرة وسمعته أيضا من أبي الخنساء كُسَيْب العنبري يحدث في حلقة يونس قالا سمعنا الحسن بن أبي الحسن يقول في مجلسه في مسجد الأمير فأقبل مسعود من ههنا وأشار بيده الى منازل الازد في أمثال الطير معلما بقباء ديباج أصفر مغيّر بسواد يأمر الناس بالسنة وينهى عن الفتنة ألا إنّ من السنة ان تأخذ فوق يديك وهم يقولون القمر القمر فوالله ما لبثوا الا ساعة حتى صار قمرهم قُمَيرا فأتوه فاستنزلوه عن المنبر وهو عليه قد علم الله فقتلوه (قال سلام في حديثه) قال الحسن وجاء الناس من ههنا وأشار بيده الى دور بني تميم قال أبو عبيدة فحدثني سلمة بن محارب قال فأتوا عبيد الله فقالوا قد صعد مسعود المنبر ولم يُرَم دون الدار بكتاب فبيناهم في ذلك يتهيأ ليجيء الى الدار اذ جاؤا فقالوا قد قتل مسعود فاغتر ز في ركابه فلحق بالشأم وذلك في شوال سنة ٦٤ قال أبو عبيدة فحدثني رَوّاد الكعبيُّ قال فأتى مالك بن مسمع اناسٌ من مضر فحصروه في داره وحرّقوا ففي ذلك يقول غطفان بن أنيف الكعبي في أرجوزة

وأصبحَ ابنُ مِسْمَعٍ مَحْصورا * يَبْغِي قُصُورًا دُونَهُ وَدُورا

حتى شَبَبْنا حَوْلَهُ السَّعِيرا

ولما هرب عبيد الله بن زياد اتبعوه فأعجز الطلبة فانتهبوا ما وجدوا له ففي ذلك يقول وافد بن خليفة بن أسماء أحد بني صخر بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد

يارُبَّ جبّارٍ شديدٍ كَلَبُهْ * قد صار فينا تاجُهُ وسَلَبُهْ

منهُمْ عُبَيْدُ الله حين نَسْلُبُهْ * جيادَهُ وبَزَّهُ ونَنْهَبُهْ

يَوْمَ التَّقَى مقنَبُنا ومقنَبُهْ * لَوْلَمْ يُنَجِّ ابْنَ زيادٍ هَرَبُهْ

وقال جرهم بن عبد الله بن قيس أحد بني العدوية في قتل مسعود في كلمة طويلة

ومَسْعودَ بنَ عَمْرٍو إذ أتانا * صبحناحدَّ مَطْرُورٍ سَنِينا

رَجا التَّأْمِيرَ مسعودٌ فأضحى * صَرِيعًا قد أزَرْناهُ المَنونا

﴿قال أبو جعفر﴾ محمد بن جرير وأما عمر فانه حدثني في أمر خروج عبيد الله الى الشأم قال حدثنا زهير قال حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال حدثنا الزبير بن الخريت قال بعث مسعود مع ابن زياد مائة من الأزد عليهم قرة بن عمرو بن قيس حتى قدموا به الشأم

وحدثني عمر قال حدثنا أبو عاصم النبيل عن عمرو بن الزبير وخلاد بن يزيد الباهلي والوليد بن هشام عن عمه عن أبيه عن عمرو بن هبيرة عن يساف بن شريح اليشكريّ قال وحدثنيه عليّ بن محمد قال قد اختلفوا فزاد بعضهم على بعض ان ابن زياد خرج من البصرة فقال ذات ليلة انه قد ثقل عليّ ركوب الابل فوطئوا لي على ذي حافر قال فألقيت له قطيفة على حمار فركبه وان رجليه لتكادان تخُدّان في الارض قال اليشكريّ فإنه ليسير أمامي اذ سكت سكتةً فأطلتها ففلت في نفسي هذا عبيد الله أمير العراق أمس نائمٌ الساعة على حمار لو قد سقط منه أغنته ثم قلت والله لئن كان نائما لأنغصن عليه نومه فدنوت منه فقلت أنائم أنت قال لا قلت فما أسكتك قال كنت أحدّث نفسي قلت أفلا أحدثك ما كنت تحدث به نفسك قال هات فوالله ما أراك تكيس ولا تصيب قال قلت كنت تقول ليتني لم أقتل الحسين قال وماذا قلتُ تقول ليتني لم أكن قتلت من قتلت قال وماذا قلت كنت تقول ليتني لم أكن بنيت البيضاء قال وماذا قلت تقول ليتني لم أكن استعملت الدهاقين قال وماذا قلتُ وتقول ليتني كنت أسمى مما كنتُ قال فقال والله ما نطقت بصواب ولا سكتّ عن خطإٍ أما الحسين فانه سار الى يريد قتلي فاخترت قتله على ان يقتلني وأما البيضاء فاني اشتريتها من عبد الله بن عثمان الثقفيّ وأرسل يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها فإن بقيت فلأهلي وان هلكت لم آس عليها مما لم أعنف فيه وأما استعمال الدهاقين فان عبد الرحمن بن أبي بكرة وزاذان فروخ وقعا في عند معاوية حتى ذكرا قشور الأرز فبلغا بخراج العراق مائة ألف ألف فخيرني معاوية بين الضمان والعزل فكرهتُ العزل فكنت اذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج فتقدمت اليه أو أغرمت صدور قومه أو أغرمت عشيرته أضررت بهم وان تركته تركتُ مال الله وأنا أعرف مكانه فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية وأوفى بالامانة وأهون في المطالبة منكم معاني قد جعلتكم أمناء عليهم لئلا يظلموا أحدا وأما قولك في السخاء فوالله ما كان لي مالٌ فأجود به عليكم ولو شئتُ لأخذتُ بعض مالكم فخصصت به بعضكم دون بعض فيقولون ما أسخاه ولكني عممتكم وكان عندي أنفع لكم وأما قولك ليتني لم أكن قتلت من قتلت فما عملت بعد كلمة الإخلاص عملا هو أقرب الى الله عندي من قتلي من قتلت من الخوارج ولكني سأخبرك بما حدثتُ به نفسي قلت ليتني كنت قاتلت أهل

البصرة فانهم بايعونى طائعين غير مكرهين وايم الله لقد حرصتُ على ذلك ولكن بنى زياد أتونى فقالوا انك اذ قاتلتهم فظهر واعليك لم يبقوا منا أحداً وإن تركتهم يغيب الرجل منا عند اخواله وأصهاره فرفقت لهم فلم أقاتل وكنت أقول ليتنى كنت أخرجت أهل السجن فضربت أعناقهم فاما اذ فاتت هاتان فليتنى كنت أقدم الشأم ولم يبرموا أمرا قال بعضهم فقدم الشأم ولم يبرموا أمرا فكانما كانوا معه صبيانا وقال بعضهم قدم الشأم وقد أبرموا فنقض ما أبرموا الى رأيه ﴿وفي هذه السنة﴾ طرد أهل الكوفة عمرو بن حريث وعزلوه عنهم واجتمعوا على عامر بن مسعود

﴿ذكر الخبر عن عزلهم عمرو بن حُريث وتأميرهم عامرًا﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ ذكر الهيثم بن عدى قال حدثنا ابن عياش قال كان أول من جمع له المصران الكوفة والبصرة زياد وابنه فقتلا من الخوارج ثلاثة عشر ألفا وحبس عبيد الله منهم أربعة آلاف فلما هلك يزيد قام خطيبا فقال ان الذى كنا نقاتل عن طاعته قد مات فان أمرتمونى جبَيْتُ فيئكم وقاتلت عدوكم وبعث بذلك الى أهل الكوفة مقاتل بن مسمع وسعيد بن قرحا أحد بنى مازن وخليفته على الكوفة عمرو بن حريث فقاما بذلك فقام يزيد ابن الحارث بن رُوَيم الشيبانى فقال الحمد لله الذى أراحنا من ابن سُمَيَّة لا ولا كرامة فأمر به عمر فلُبِّب ومضى به الى السجن فحالت بكر بينهم وبينه فانطلق يزيد الى أهله خائفا فأرسل اليه محمد بن الأشعث انك على رأيك وتتابعت عليه الرُّسل بذلك وصعد عمرو المنبر فحصَبُوه فدخل داره واجتمع الناس فى المسجد فقالوا نؤمر رجلا الى أن يجتمع الناس على خليفة فاجمعوا على عمرو بن سعيد فجاءت نساء همدان يبكين حسينا ورجالهم متقلدو السيوف فأطافوا المنبر فقال محمد بن الاشعث جاء أمرٌ غير ما كنا فيه وكانت كندة تقوم بأمر عمرو ابن سعيد لانهم أخواله فاجتمعوا على عامر بن مسعود وكتبوا بذلك الى ابن الزبير فأقرّه وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه لما بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد بعث وافدين من قبله الى الكوفة عمرو بن مسمع وسعد بن القرحا التميمى ليعلم أهل الكوفة ما صنع أهل البصرة ويسألانهم البيعة لعبيد الله بن زياد حتى يصطلح الناس فجمع الناس عمرو بن حريث فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذين الرجلين قد أتيا كم من قِبَل أميركم يدعُوانكم الى أمر يجمع الله به كلمتكم ويصلح به ذات بينكم فاسمعوا منهما واقبلوا عنهما فانهما برُشد ما أتيا كم فقام عمرو بن مسمع فحمد الله وأثنى عليه وذكر أهل البصرة واجتماع رأيهم على تأمير عبيد الله بن زياد حتى يرى الناس رأيهم فيمن يولون عليهم وقد جئنا كم لنجمع أمرنا وأمركم فيكون أميرُنا وأميركم واحداً فانما الكوفة من البصرة والبصرة من الكوفة وقام ابن القرحا فتكلم نحوًا من كلام صاحبه قال فقام يزيد

ابن الحارث بن يزيد الشيبانى وهو ابن رويم فحصبهما أول الناس ثم حصبهما الناس بعد ثم قال أنحن نبايع لابن مرجانة لا ولا كرامة فشرّفت تلك الفعلة يزيد فى المِصر ورفعته ورجع الوفد الى البصرة فأعلم الناس الخبر فقالوا أهل الكوفة يخلعونه وأنتم تولونه وتبايعونه فوثب به الناس وقال ما كان فى ابن زياد وصمةٌ الا استجارته بالأزد قال فلما نابذه الناس استجار بمسعود بن عمرو الأزدى فأجاره ومنعه فمكث تسعين يوما بعد موت يزيد ثم خرج الى الشأم وبعثت الأزد وبكر بن وائل رجالا منهم معه حتى أوردوه الشأم فاستخلف حين توجه الى الشأم مسعود بن عمرو على البصرة فقالت بنو تميم وقيس لا نرضى ولا نجيز ولا نولى إلا رجلا ترضاه جماعتُنا فقال مسعود فقد استخلفنى فلا أدَعُ ذلك أبدًا فخرج فى قومه حتى انتهى الى القصر فدخله واجتمعت تميم الى الأحنف بن قيس فقالوا له ان الأزد قد دخلوا المسجد قال ودخل المسجد فمَه انما هو لكم ولهم وأنتم تدخلونه قالوا فانه قد دخل القصر فصعد المنبر وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا بنهر الأساورة حين خرج عبيد الله بن زياد الى الشأم فزعم الناس ان الأحنف بعث اليهم ان هذا الرجل الذى قد دخل القصر لنا ولكم عدوٌ فما يمنعكم من ان تبدؤا به فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد ومسعود بن عمرو على المنبر يبايع من أتاه فيرميه علج يقال له مُسلم من أهل فارس دخل البصرة فأسلم ثم دخل فى الخوارج فاصاب قلبه فقتله وخرج وجال الناس بعضُهم فى بعض فقالوا قُتل مسعود ابن عمرو وقتلته الخوارج فخرجت الأزد الى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرّحوا وطردوهم عن البصرة ودفنوا مسعودا فجاءهم الناس فقالوا لهم تعلمون ان بنى تميم يزعمون انهم قتلوا مسعود بن عمرو فبعثت الأزد تسأل عن ذلك فاذا أناس منهم يقولونه فاجتمعت الأزد عند ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو العتكى ثم ازدلفوا الى بني تميم وخرجت مع بنى تميم قيس وخرج مع الأزد مالك بن مسمع وبكر بن وائل فاقبلوا نحو بنى تميم وأقبلت تميم الى الأحنف يقولون قد جاء القوم اخرج وهو متمكّث اذ جاءته امرأة من قومه بمجمر فقالت يا أحنف اجلس على هذا أى انما أنت امرأة فقال استك أحقُّ بها فما سمع منه بعد كلمةٌ كانت ارفثَ منها وكان يُعرف بالحلم ثم انه دعا برايته فقال اللهم انصُرها ولا تُذللها وإنّ نُصرتها ألا يُظهَر بها ولا يظهر عليها اللهم أحقِن دماءنا وأصلح ذات بيننا ثم سار وسار ابن أخيه اياس بن معاوية بين يديه فالتقى القوم فاقتتلوا أشدّ القتال فقُتِل من الفريقين قتلى كثيرة فقالت لهم بنو تميم الله الله يا معشر الأزد فى دمائنا ودمائكم بيننا وبينكم القرآن ومن شئتم من أهل الاسلام فإن كانت لكم علينا بينةٌ أنا قتلنا صاحبكم فاختاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه بصاحبكم وان لم تكن لكم بينة فإنا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ولا نعلم لصاحبكم قاتلاً وان لم تريدوا ذلك فنحن ندى صاحبكم بمائة ألف درهم فاصطلحوا فاتاهم الأحنف بن

قيس فى وجوه مضر الى زياد بن عمر والعَتَكى فقال يا معشر الأزد أنتم جيرتُنا في الدار واخوتُنا عند القتال وقد آتينا كم في رحالكم لإطفاء حشيشتكم وسلّ سخيمتكم ولكم الحكمُ مرسلاً فقولوا على أحلامنا وأموالنا فانه لا يتعاظمنا ذهاب شىء من أموالنا كان فيه صلاح بيننا فقالوا أندون صاحبَنا عشرَ ديات قال هى لكم فانصرف الناس واصطلحوا فقال الهيثم بن الاسود

أعلى بمسعود النامى فقلتُ له * نعم اليمانى تجرُّ أعلى النامى
أوفى ثمانين مابسطيعُه أحدٌ * فنى دعاه لرأس العدّة الدامى
أدّى ابن حرب وقد سُدَّتْ مذاهبُه * فأوسعَ السَّرْبَ منه أىَّ ايساع
حتى توارتْ به أرضٌ وعامرُها * وكانَ ذا ناصرٍ فيها وأشياع

وقال عبد الله بن الحرّ

مازلتُ أرجو الأزدَ حتى رأيتُها * تقصرُ عن بنيانها المتطاول
أيُقتلُ مسعودٌ ولم يَثْأرُوا به * وصارتْ سيوفُ الأزد مثلَ المناجل
وما خيرُ عقل أورثَ الأزدَ ذلةً * تُسبُّ به أحياؤُهم فى المحافل
على أنهم شُمطٌ كأنَّ لحاهُمُ * ثعالبُ فى أعناقها كالجلاجل

واجتمع أهل البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميرا يصلى بهم حتى يجتمع الناس على امام فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهرا ثم جعلوا بيّة وهو عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب فصلى بهم شهرين ثم قدم عليهم عمر بن عبد الله بن مَعْمَر من قِبَل ابن الزُّبير فمكث شهرا ثم قدم الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومى بعزله فوليها الحارث وهو القُباع ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما عمر بن شبّة فانه حدّثنى في أمر عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كُرَيز وأمر بيّة ومسعود وقتله وأمر عمر بن عبد الله غيرَ ماقال هشام عن عوانة والذى حدّثنى عمر بن شبّة فى ذلك انه قال حدّثنى علىّ بن محمد عن أبى مُقرّن عبيد الله الدُّهنىّ قال لما بايع الناس بيّة ولى بيّة شُرطته هُمَيان بن عدىّ وقدم على بيّة بعض أهل المدينة وأمر هميان بن عدىّ بإنزاله قريبا منه فأتى هميان دارا للفيل مولى زياد التى فى بنى سُليم وهم بتفريغها لينزلها اياه وقد كان هرب وأقفل أبوابه فمنعت بنو سُليم هميان حتى قاتلوه واستصرخوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كريز فأرسل بخاريته ومواليه فى السلاح حتى طردوا هميان ومنعوه الدار وغدا عبد الملك من الغد الى دار الامارة ليسلم على بيّة فلقيه على الباب رجلٌ من بنى قيس بن ثعلبة فقال أنت المعين علينا بالأمس فرفع يده فلطمه فضرب قوم من البخارية يدَ القيسىّ فأطاروها ويقال بل سَلِم القيسىّ وغضب ابن عامر فرجع وغضبت له مضر فاجتمعت وأتت بكر بن وائل أُشَيم بن شقيق بن ثور فاستصرخوه

فاقبل

فأقبل ومعه مالك بن مسمع حتى صعد المنبر فقال أىّ مضرىّ وجدتموه فاسلبوه وزعم بنو مسمع ان مالكا جاء يومئذ متفضلا فى غير سلاح ليردّ أشيم عن رأيه ثم انصرفت بكر وقد تحاجز واهم والمضرية واغتنمت الأزد ذلك فحالفوا بكرا وأقبلوا مع مسعود الى المسجد الجامع وفزعت تميم الى الأحنف فعقد عمامته على قناة ودفعها الى سلمة بن ذؤيب الرياحىّ فأقبل بين يديه الأساورة حتى دخل المسجد ومسعود يخطب فاستنزلوه فقتلوه وزعمت الأزد أن الأزارقة قتلوه فكانت الفتنة وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام حتى رضيت الأزد من مسعود بعشر ديات ولزم عبد الله بن الحارث بيته وكان يتديّن وقال ما كنتُ لأصلح الناس بفساد نفسى قال عمر قال أبو الحسن فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير فكتب الى أنس بن مالك يأمره بالصلاة بالناس فصلى بهم أربعين يوما ﴿حدثنى﴾ عمر قال حدثنا علىّ بن محمد قال كتب ابن الزبير الى عمر بن عبيد الله ابن مَعْمَر التيمىّ بعهده على البصرة ووجه به اليه فوافقه وهو متوجه يريد العُمْرة فكتب الى عبيد الله يأمره أن يصلى بالناس فصلى بهم حتى قدم عمر ﴿حدثنى﴾ عمر قال حدّثنى زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدّثنى أبى قال سمعت محمد بن الزبير قال كان الناس اصطلحوا على عبد الله بن الحارث الهاشمىّ فولى أمرهم أربعة أشهر وخرج نافع بن الأزرق الى الأهواز فقال الناس لعبد الله ان الناس قد أكل بعضهم بعضا تؤخذ المرأة من الطريق فلا يمنعها أحد حتى تُفضح قال فتريدون ماذا قالوا تضع سيفك وتشدّ على الناس قال ما كنت لأصلحهم بفساد نفسى يا غلام ناولنى نعلىّ فانتعل ثم لحق بأهله وأمّر الناس عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمىّ قال أبى عن الصَّعْب بن زيدان الجارف وقع وعبد الله على البصرة فمات أمه فى الجارف فاوجد والها من يحملها حتى استأجر والها أربعة اعلاج فحملوها الى حُفرتها وهو الأمير يومئذ ﴿حدثنى﴾ عمر قال حدّثنى علىّ بن محمد قال كان بيّة قد تناول فى عمله على البصرة أربعين ألفا من بيت المال فاستودعها رجلا فلما قدم عمر بن عبيد الله أميرا أخذ عبد الله بن الحارث فحبسه وعذب مولى له فى ذلك المال حتى أغرمه اياه ﴿حدثنى﴾ عمر قال حدّثنى علىّ بن محمد عن القافلانىّ عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير قال قلت لعبد الله بن الحارث بن نوفل رأيتك زمان استُعملت علينا اصبتَ من المال واتّقيت الدم فقال ان تبعة المال أهون من تبعة الدم

﴿وفى هذه السنة﴾ ولى أهل الكوفة عامر بن مسعود أمرهم فذكر هشام بن محمد الكلبىّ عن عوانة بن الحكم انهم لما ردّوا وافدَىْ أهل البصرة اجتمع أشراف أهل الكوفة فاصطلحوا على ان يصلى بهم عامر بن مسعود وهو عامر بن مسعود بن خلف القرشىّ وهو دُحروجةُ الجُعَل الذى يقول فيه عبد الله بن همام السَّلولىّ

أشدُّ دَيدَبكَ بزيدٍ إن ظَفِرتَ به * واشفِ الأراملَ من دُحروجةِ الجُعَلِ

وكان قصيرًا حتى يرى الناس رأيهم فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي على الصلاة وابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة وأهل البصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الشأم وأهل الجزيرة إلا أهل الأردن ﴿وفي هذه السنة﴾ بويع لمروان بن الحكم بالخلافة بالشأم

﴿ ذكر السبب في البيعة له ﴾

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال لما بويع عبد الله ابن الزبير ولى المدينة عبيدة بن الزبير وعبد الرحمن بن جَحدَم الفهري مصر وأخرج بني أمية ومروان بن الحكم الى الشأم وعبد الملك يومئذ ابن ثمان وعشرين فلما قدم حصين ابن نمير ومن معه الى الشأم أخبر مروان بما خلف عليه ابن الزبير وأنه دعاه الى البيعة فأبى فقال له ولبني أمية نحن نراكم في اختلاط شديد فأقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شأمكم فتكون فتنة عمياء صمّاء فكان من رأى مروان ان يرحل فينطلق الى ابن الزبير فيبايعه فقدم عبيد الله بن زياد واجتمعت عنده بنو أمية وكان قد بلغ عبيد الله ما يريد مروان فقال له استحييتُ لك مما تريد أنت كبير قريش وسيّدها تصنع ما تصنعه فقال ما فات شيءٌ بعدُ فقام معه بنو أمية ومواليهم وتجمع اليه أهل اليمن فسار وهو يقول ما فات شيءٌ بعد فقدم دمشق ومن معه والضحاك بن قيس الفهري قد بايعه أهل دمشق على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع أمر أمة محمد (وأما عوانة) فإنه قال فيما ذكر هشام عنه أن يزيد بن معاوية لما مات وابنه معاوية من بعده وكان معاوية بن يزيد بن معاوية فيما بلغني أمر بعد ولايته فنودي بالشأم الصلاة جامعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني قد نظرت في أمركم فضعفت عنه فابتغيت لكم رجلا مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه حين فزع اليه أبو بكر فلم أجده فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر فلم أجدها فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم ثم دخل منزله ولم يخرج الى الناس وتغيّب حتى مات فقال بعض الناس دُسّ اليه فسُقي سمًّا وقال بعضهم طُعن ﴿رجع الحديث الى حديث عوانة﴾ ثم قدم عبيد الله بن زياد دمشق وعليها الضحاك بن قيس الفهري فثار زفر بن عبد الله الكلابي بقنسّرين يبايع لعبد الله بن الزبير وبايع النعمان بن بشير الأنصاري بحمص لابن الزبير وكان حسان بن مالك بن بَحدَل الكلبي بفلسطين عاملا لمعاوية بن أبي سفيان ثم ليزيد بن معاوية بعده وكان يهوى هوى بني أمية وكان سيّد أهل فلسطين فدعا حسان بن مالك بن بحدل الكلبي رَوح بن زِنباع الجذامي فقال اني مستخلفك على فلسطين وأدخل

هذا

هذا الحي من لخم وجُذام ولست بدون رجل اذ كنت عينهم فاقتلت بمن معك من قومك وخرج حسان بن مالك الى الأردن واستخلف روح بن زنباع على فلسطين فثار ناتل بن قيس بروح بن زنباع فأخرجه فاستولى على فلسطين وبايع لابن الزبير وقد كان عبد الله ابن الزبير كتب الى عامله بالمدينة ان ينفي بني أمية من المدينة فنفوا بعيالاتهم ونسائهم الى الشأم فقدمت بنو أمية دمشق وفيها مروان بن الحكم فكان الناس فريقين حسان بن مالك بالأردن يهوى هوى بني أمية ويدعو اليهم والضحاك بن قيس الفهري بدمشق يهوى هوى عبد الله بن الزبير ويدعو اليه قال فقام حسان بن مالك بالأردن فقال يا أهل الأردن ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلى أهل الحرّة قالوا نشهد ان ابن الزبير منافق وان قتلى أهل الحرّة في النار قال فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد ان يزيد على الحق وان قتلانا في الجنة قال وأنا أشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حيّ حقا يومئذ انه اليوم وشيعته على حق وإن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل انه اليوم على باطل وشيعته قالوا له قد صدقت نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك من الناس وأطاع ابن الزبير على ان تجتنبنا هذين الغلامين فإنا نكره ذلك يعنون ابني يزيد بن معاوية عبد الله وخالدا فانهما حديثة اسنانهما ونحن نكره ان يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي وقد كان الضحاك بن قيس بدمشق يهوى هوى ابن الزبير وكان يمنعه من اظهار ذلك ان بني أمية كانوا بحضرته وكان يعمل في ذلك سرًّا فبلغ ذلك حسان بن مالك بن بحدل فكتب الى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بني أمية ويذكر الطاعة والجماعة ويحسن بلاء بني أمية عنده ويصنيعهم اليه ويدعوه الى طاعتهم ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ويذكر انه منافق قد خلع خليفتين وأمره أن يقرأ كتابه على الناس ودعا رجلا من كلب يُدعى ناغضة فسرّح بالكتاب معه الى الضحاك بن قيس وكتب حسان بن مالك نسخة ذلك الكتاب ودفعه الى ناغضة وقال ان قرأ الضحاك كتابي على الناس والا فقم فاقرأ هذا الكتاب على الناس وكتب حسان الى بني أمية يأمرهم ان يحضروا ذلك فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه اليه ودفع كتاب بني أمية اليهم فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر فقام اليه ناغضة فقال أصلح الله الأمير ادعُ بكتاب حسان فاقرأه على الناس فقال له الضحاك اجلس فجلس ثم قام اليه الثانية فقال له اجلس ثم قام اليه الثالثة فقال له اجلس فلما رآه ناغضة لا يفعل اخرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فصدق حسانا وكذّب ابن الزبير وشتمه وقام يزيد بن أبي النمس الغسّاني فصدّق مقالة حسان وكذّبه وشتم ابن الزبير وقام سفيان بن الأبرد الكلبي فصدّق مقالة حسان وكذّبه وشتم ابن الزبير وقام عمرو بن يزيد الحكمي فشتم حسانا وأثنى على ابن الزبير واضطرب الناس تبعًا لهم ثم أمر

الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان بن الأبرد الذين كانوا صدّقوا مقالة حسان وشتموا ابن الزبير فحبسوا وجال الناس بعضهم في بعض ووثبت كلب على عمرو بن يزيد الحكميّ فضربوه وحرّقوه بالنار وحرّقوا ثيابه وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقاتين من المنبر وهو يومئذ غلام والضحاك بن قيس على المنبر فتكلم خالد بن يزيد بكلام أوجز فيه لم يُسمع مثله وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ثم دخل فجاءت كلب فاخرجوا سفيان بن الأبرد وجاءت غسّان فأخرجوا يزيد بن أبي النمس فقال الوليد بن عتبة لو كنتُ من كلب أو غسان أخرجتُ قال فجاء ابنا يزيد بن معاوية خالد وعبد الله معهما اخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن فكان ذلك اليوم يسمّيه أهل الشأم يوم جيرون الأول وأقام الناس بدمشق وخرج الضحاك الى مسجد دمشق فجلس فيه فذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه فقام اليه شابّ من كلب بعصا معه فضربه بها والناس جلوسٌ في الحلق متقلدي السيوف فقام بعضهم الى بعض في المسجد فاقتتلوا قيس تدعو الى ابن الزبير ونصرة الضحاك وكلب تدعو الى بني أميّة ثم الى خالد بن يزيد ويتعصّبون ليزيد ودخل الضحاك دار الإمارة وأصبح الناس فلم يخرج الى صلاة الفجر وكان من الأجناد ناسٌ يهوون هوى بني أمية وناس يهوون هوى ابن الزبير فبعث الضحاك الى بني أمية فدخلوا عليه من الغد فاعتذر اليهم وذكر حسن بلائهم عنده ومواليه وعنده وأنه ليس يريد شيأ يكرهونه قال فتكتبون الى حسان ونكتب فيسير من الأردنّ حتى ينزل الجابية ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بها فتبايع لرجل منكم فرضيت بذلك بنو أمية وكتبوا الى حسان وكتب اليه الضحاك وخرج الناس وخرجت بنو أمية واستقبلت الرايات وتوجهوا يريدون الجابية فجاء ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السُلميّ الى الضحاك فقال دعوتنا الى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك وأنت تسير الى هذا الأعرابيّ من كلب تستخلف ابن أخيه خالد ابن يزيد فقال له الضحاك فما الرأي قال الرأي أن نُظهر ما كنا نُسرّ وندعو الى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها فمال الضحاك بمن معه من الناس فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل بمَرْج راهط واختُلف في الوقعة التي كانت بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم فقال محمد بن عمر الواقدي بويع مروان بن الحكم في المحرّم سنة ٦٥ وكان مروان بالشأم لا يُحدّث نفسه بهذا الأمر حتى أطمعه فيه عبيد الله ابن زياد حين قدم عليه من العراق فقال له أنت كبير قريش ورئيسها يلي عليك الضحاك بن قيس فذلك حين كان ما كان فخرج الى الضحاك في جيش فقتلهم مروان والضحاك يومئذ في طاعة ابن الزبير وقُتلت قيس بمرج راهط مقتلة لم يُقتل مثلها في موطن قط قال محمد ابن عمر حدّثني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال قتل الضحاك يوم مرج راهط على انه يدعو الى عبد الله بن الزبير وكُتب به الى عبد الله لنا وذكر من طاعته عنه وحُسن رأيه

وقال

وقال غيرُ واحد كانت الوقعة بمرج راهط بين الضحاك ومروان في سنة ٦٤ وقد حُدّثت عن ابن سعد عن محمد بن عمر قال حدّثني موسى بن يعقوب عن بني الحُوَيرث قال قال أهل الأردنّ وغيرهم لمروان أنت شيخٌ كبيرٌ وابن يزيد غلامٌ وابن الزبير كهل وانما يقرع الحديد بعضه ببعض فلا تباره بهذا الغلام وارمِ بنحرك في نحره ونحن نبايعك ابسط يدك فبسطها فبايعوه بالجابية يوم الاربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة ٦٤ قال محمد بن عمر وحدّثني مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله ان الضحاك لما بلغه ان مروان قد بايعه من بايعه على الخلافة بايع من معه لابن الزبير ثم سار بكل واحد منهما الى صاحبه فاقتتلوا قتالاً شديداً فقُتل الضحاك وأصحابه قال محمد بن عمر وحدّثني ابن أبي الزناد عن أبيه قال لما ولي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك كان فتى شابًّا فقال ان الضحاك بن قيس قد كان دعا قيساً وغيرها الى البيعة لنفسه فبايعهم يومئذ على الخلافة فقال له زفر بن عقيل الفهريّ هذا الذي كنا نعرف ونسمع وإن بني الزبير يقولون انما كان بايع لعبد الله بن الزبير وخرج في طاعته حتى قُتل الباطل والله يقولون كان أول ذاك ان قريشاً دعته اليها فأبى عليها حتى دخل فيها كارهاً

﴿ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتمام الخبر عن الكائن من جليل الاخبار والاحداث في سنة ٦٤﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ حدثنا نوح بن حبيب قال حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم الكلبيّ قال مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسّان ابن مالك فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط وأظهر البيعة لابن الزبير وخلع بني أمية وبايعه على ذلك جُلّ أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم قال وسارت بنو أمية ومن تبعهم حتى وافوا حسّان بالجابية فصلى بهم حسان أربعين يوماً والناس يتشاورون وكتب الضحاك الى النعمان بن بشير وهو على حمص والى زُفر بن الحارث وهو على قِنّسرين والى ناتل بن قيس وهو على فلسطين يستمدهم وكانوا على طاعة ابن الزبير فأمدّه النعمان بشُرحبيل بن ذي الكلاع وأمده زفر بأهل قنسرين وأمده ناتل بأهل فلسطين فاجتمعت الاجناد الى الضحاك بالمرج وكان الناس بالجابية لهم اهواءٌ مختلفةٌ فأما مالك بن هبيرة السَكُونيّ فكان يهوى هوى بني يزيد بن معاوية ويحبّ أن تكون الخلافة فيهم وأما الحصين بن نمير السكوني فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم فقال مالك بن هبيرة لحصين بن نمير هلمّ فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه وهو ابن أختنا فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه فانه يحملنا على رقاب العرب غداً يعني خالد بن يزيد فقال الحصين لا لعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبيّ فقال مالك هذا ولم ترِدِ تهامة ولما يبلغ الحزامُ

الطُّبَيْنِ فقالوا مهلاً يا أبا سليمان فقال له مالك والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدُنَّكَ على سوطك وشراكِ نعلك وظلِّ شجرةٍ تستظل بها ان مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة وعمّ عشيرة فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ولكن عليكم بابن أختكم خالد فقال حصين انى رأيت في المنام قنديلا معلقا من السماء وان من يمدّ عنقه الى الخلافة تناوله فلم ينله وتناوله مروان فناله والله لنستخلفنه فقال له مالك ويحك يا حصين أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلم انهم أهل بيت من قيس فلما اجتمع رأيهم للبيعة لمروان ابن الحكم قام روح بن زنباع الجذامىُّ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انكم تذكرون عبد الله بن عمر بن الخطاب وصُحبتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدَمه فى الإسلام وهو كما تذكرون ولكن ابن عمر رجلٌ ضعيفٌ وليس بصاحب أمة محمد الضعيفُ وأما ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدَّعون اليه من أمره فهو والله كما يذكرون بأنه لابن الزبير حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أسماء ابنة أبى بكر الصدّيق ذات النطاقين وهو بعد كما تذكرون فى قدمه وفضله ولكن ابن الزبير منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية ابن يزيد وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس صاحب أمر أمة محمد صلى الله عليه المنافقُ وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الاسلام صَدْعٌ قطّ الا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذى قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار والذى قاتل علىّ بن أبى طالب يوم الجمل وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبّوا الصغير يعنى بالكبير مروان بن الحكم وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية قال فأجمع رأى الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على ان امارة دمشق لعمرو بن سعيد بن العاص وامارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية قال فدعا حسّان بن مالك ابن بحدل خالد بن يزيد فقال أبُنَىَّ أختى ان الناس قد أبوك لحداثة سنّك وانى والله ما أريد هذا الامر الا لك ولاهل بيتك وما أبايع مروان الا نظرا لكم فقال له خالد بن يزيد بل عجزت عنا قال لا والله ما عجزت عنك ولكن الرأى لك ما رأيتُ ثم دعا حسان بمروان فقال يا مروان ان الناس والله ما كلهم يرضى بك فقال له مروان ان يرد الله أن يعطنيها لا يمنعنى اياها أحدٌ من خلقه وان يرد أن يمنعنيها لا يُعطنيها أحدٌ من خلقه قال فقال له حسان صدقتَ وصعد حسان المنبر يوم الاثنين فقال يا أيها الناس انا نستخلف يوم الخميس ان شاء الله فلما كان يوم الخميس بايع لمروان وبايع الناس له وسار مروان الى الجابية في الناس حتى نزل مرج راهط على الضحاك في أهل الاردنّ من كلب وأتته السكاسك والسكون وغسان وربع حسان بن مالك بن بحدل الى الاردن قال وعلى ميمنته أعنى مروان عمرو بن سعيد بن العاص وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العقيلىُّ وعلى

ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه وكان يزيد بن أبى النمس الغسانى لم يشهد الجابية وكان مختبئاً بدمشق فلما نزل مروان مرج راهط ثار يزيد بن أبى نمس بأهل دمشق فى عبيدها فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح فكان أوّل فتحٍ فُتِحَ على بنى أمية قال وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلة ثم هزم أهل المرج وقتلوا وقُتل الضحاك وقُتل يومئذ من أشراف الناس من أهل الشأم ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ الفطيفة والذى كان يأخذ الفطيفة يأخذ ألفين فى العطاء وقتل أهل الشأم يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قطّ من القبائل كلها وقتل مع الضحاك يومئذ رجل من كلب من بنى عُلَيم يقال له مالك بن يزيد ابن مالك بن كعب وقتل يومئذ صاحب لواء قضاعة حيث دخلت قضاعة الشأم وهو جدّ مُدَّلج بن المقدام بن زَمل بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الجَرَشىّ وقتل ثور بن معن بن يزيد السلمىّ وهو الذى كان ردّ الضحاك عن رأيه قال وجاء برأس الضحاك رجلٌ من كلب وذكروا ان مروان حين أتى برأسه ساءه ذلك وقال الآن حين كبرتْ سنّى ودقّ عظمى وصرت فى مثل ظِمْءِ الحمار أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض قال وذكروا انه مرّ يومئذ برجل قتيل فقال

وَمَا ضَرَّهُمْ غيرَ حِينِ النُّفُو * سِ أىُّ أُمِيرَىْ قُرَيشٍ غَلَبْ

وقال مروان حين بويع له ودعا الى نفسه

لما رأيتُ الأمرَ أمراً انهبا * يَسَّرْتُ غَسَّانَ لهم وكلبا
والسَّكْسَكِيِّينَ رجالاً غلبا * وَطَيِّئاً تأباهُ إلا ضَرْبا
والقَيْنَ تَمْشِى فى الحديد نكبا * ومن تنوخ مُشْمَخِرًّا صعبا
لا يأخذونَ الملكَ إلا غصبا * وإن دَنَتْ قيسٌ فقل لا قربا

(قال هشام بن محمد) حدثنى أبو مخنف لوط بن يحيى قال حدثنى رجل من بنى عبد ودّ من أهل الشأم قال حدثنى من شهد مقتل الضحاك بن قيس قال مرّ بنا رجلٌ من كلب يقال له زُحنة بن عبد الله كأنما يرمى بالرجال الجُدَّاء ما يطعن رجلا إلا صَرَعَهُ ولا يضرب رجلاً الا قتله فجعلت أنظر اليه أتعجّب من فعله ومن قتله الرجال اذ حمل عليه رجل فصرعه زحنة وتركه فأتيته فنظرت الى المقتول فاذا هو الضحاك بن قيس فأخذت رأسه فأتيت به الى مروان فقال أنت قتلته فقلت لا ولكن قتله زحنة بن عبد الله الكلبى فأعجبه صِدْقى اياه وتركى ادّعاءه فأمر لى بمعروف وأحسن الى زحنة (قال أبو مخنف) وحدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حبيب بن كرّة قال والله ان راية مروان يومئذ لمعى وانه ليدفع بنعل سيفه فى ظهرى وقال اذن برايتك لا أبالك ان هؤلاء لوقد وجدوا لهم حدّ السيوف انفرجوا

انفراج الرأس وانفراج الغنم عن راعيها قال وكان مروان فى ستة آلاف وكان على خيله عبيد الله بن زياد وكان على الرجال مالك بن هبيرة قال عبد الملك بن نوفل وذكروا ان بشر بن مروان كانت معه يومئذ راية يقاتل بها وهو يقول

إنّ عـلى الرئيس حقًّا حقًّا * أن يخضب الصّعدة أو تندقّا

قال وصُرع يومئذ عبد العزيز بن مروان قال ومرّ مروان يومئذ برجل من محارب وهو فى نفر يسير تحت راية يقاتل عن مروان فقال مروان يرحمك الله لوانك انضممت بأصحابك فإنى أراك فى قلة فقال ان معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مددًا أضعاف من تأمرنا ننضم اليه قال فسُرّ بذلك مروان وضحك وضمّ أناسًا اليه ممن كان حوله قال وخرج الناس منهزمين من المرج الى أجنادهم فانتهى أهل حمص الى حمص والنعمان بن بشير عليها فلما بلغ النعمان الخبر خرج هاربا ليلا ومعه امرأته نائلة بنت عمارة الكلبية ومعه ثقله وولده فحير ليلته كلها وأصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذى طلبه رجلٌ من الكلاعيين يقال له عمرو بن الخلىّ فقتله وأقبل برأس النعمان بن بشير وبنائلة امرأته وولدها فألقى الرأس فى حجر أمّ أبان ابنة النعمان التى كانت تحت الحجاج بن يوسف بعد قال فقالت نائلة القُوا الرأس الىّ فأنا أحق به منها فألقى الرأس فى حجرها ثم أقبلوا بهم وبالرأس حتى انتهوا بهم الى حمص فجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة وولدها قال وخرج زُفر بن الحارث من قِنّسْرين هاربًا فلحق بقرقيسيا فلما انتهى اليها وعليها عياضٌ الجرشىّ وهو ابن أسلم بن كعب بن مالك بن لغز بن أسود بن كعب بن حدس بن أسلم وكان يزيد بن معاوية ولاه قرقيسيا فحال عياضٌ بين زُفر وبين دخول قرقيسيا فقال له زفر أوثق لك بالطلاق والعتاق اذا أنا دخلت حمامها ان أخرج منها فلما انتهى اليها ودخلها لم يدخل حمامها وأقام بها وأخرج عياضا منها وتحصن زفر بها وثابت اليه قيسٌ قال وخرج نائل بن قيس الجذامىّ صاحب فلسطين هاربا فلحق بابن الزبير بمكة وأطبق أهل الشأم على مروان واستوثقوا له واستعمل عليها عماله (قال أبو مخنف) حدثنى رجل من بنى عبد ودّ من أهل الشأم يعنى الشرقىّ قال وخرج مروان حتى أتى مصر بعد ما اجتمع له أمر الشأم فقدم مصر وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشىّ يدعو الى ابن الزبير فخرج اليه فيمن معه من بنى فهر وبعث مروان عمرو بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصر وقام على منبرها يخطب الناس وقيل لهم قد دخل عمرو مصر فرجعوا وأمر الناس مروان وبايعوه ثم أقبل راجعا نحو دمشق حتى اذا دنا منها بلغه ان ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزبير نحو فلسطين فسرح اليه مروان عمرو بن سعيد بن العاص فى جيش واستقبله قبل ان يدخل الشأم فقاتله فهزم أصحاب مصعب وكان معه رجلٌ من بنى عذرة يقال

له محمد بن حريث بن سليم وهو خال بنى الأشدق فقال والله ما رأيت مثل مصعب بن الزبير رجلا قط أشدّ قتالا فارسا وراجلا ولقد رأيته فى الطريق يترجل فيطّرد باصحابه ويشدّ على رجليه حتى رأيتهما قد دميتا قال وانصرف مروان حتى استقرّ به دمشق ورجع اليه عمرو بن سعيد قال ويقال انه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق فنزل الشأم أصاب بنى أمية بتدمر قد نفاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ومن الحجاز كله فنزلوا بتدمر وأصابوا الضحاك بن قيس أميرا على الشأم لعبد الله بن الزبير فقدم ابن زياد حين قدم ومروان يريد ان يركب الى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة فيأخذ منه الأمان لبنى أمية فقال له ابن زياد أنشدك الله ان تفعل ليس هذا برأى ان تنطلق وأنت شيخ قريش الى أبى خبيب بالخلافة ولكن ادع أهل تدمر فبايعهم ثم سر بهم وبمن معك من بنى أمية الى الضحاك بن قيس حتى تخرجه من الشأم فقال عمرو بن سعيد بن العاص صدق والله عبيد الله بن زياد ثم أنت سيد قريش وفرعها وأنت أحق الناس بالقيام بهذا الأمر انما ينظر الناس الى هذا الغلام يعنى خالد بن يزيد بن معاوية فتزوج أمّه فيكون فى حجرك قال ففعل مروان ذلك فتزوج أمّ خالد بن يزيد وهى فاختة ابنة أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ثم جمع بنى أمية فبايعوه بالامارة عليهم وبايعه أهل تدمر ثم سار فى جمع عظيم الى الضحاك بن قيس وهو يومئذ بدمشق فلما بلغ الضحاك ما صنع بنو أمية ومسيرتهم اليه خرج بمن تبعه من أهل دمشق وغيرهم فيهم زفر بن الحارث فالتقوا بمرج راهط فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل الضحاك بن قيس الفهرى وعامة أصحابه وانهزم بقيتهم فتفرقوا وأخذ زفر بن الحارث وجها من تلك الوجوه هو وشابان من بنى سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم فلما خاف السلميان ان تلحقهم خيل مروان قالا لزفر يا هذا انج بنفسك فأما نحن فمقتولان فمضى زفر وتركهما حتى أتى قرقيسيا فاجتمعت اليه قيس فرأسوه عليهم فذلك حيث يقول زفر بن الحارث

أربى سلاحى لا أبالك إنّنى * أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
أتانى عن مروان بالغيب أنّه * مفيد دمى أو قاطع من لسانيا
ففى العيس منجاة وفى الأرض مهرب * إذا نحن رفّعنا لهنّ المثانيا
فلا تحسبونى إن تغيّبت غافلا * ولا تفرحوا إن جئتكم بلقائيا
فقد يثبت المرمى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أتذهب كلب لم تنلها رماحنا * وتترك قتلى راهط هى ماهيا
لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط * لحسان صدعا بيّنا متنائيا
أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا * ومقتل همام أمنى الأمانيا

فلم ترمني نبوة قبل هذه * فراري وتركي صاحبي ورائيا
عشية أعدوا بالقران فلا أرى * من الناس إلا من علي ولا ليا
أيذهب يوم واحد إن أسأته * بصالح أيامي وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا * وتثأر من نسوان كلب نسائيا
ألا ليت شعري هل تصيبن غارتي * تنوخا وحيي طيئ من شفائيا

فأجابه جواس بن قعطل

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط * على زفر داء من الداء باقيا
مقيما ثوى بين الضلوع محله * وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا
تبكي على قتلى سليم وعامر * وذبيان معذورا وتبكي البواكيا
دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى * سيوف جناب والطوال المذاكيا
عليها كأسد الغاب فتيان نجدة * اذا شرعوا نحو الطعان العواليا

فأجابه عمرو بن المخلاة الكلبي من تيم اللات بن رفيدة فقال

بكى زفر القيسي من هلك قومه * بعبرة عين ما يجف سجومها
يبكي على قتلى أصيبت براهط * تجاوبه هام القفار ورومها
أبخنا حمى للحي قيس براهط * وولت شلالا واستبيح حريمها
يبكيهم حران تجري دموعه * يرجي نزارا أن تؤوب حلومها
فمت كمدا أو عش ذليلا مهضما * بحسرة نفس لا تنام همومها
إذا خطرت حول قضاعة بالقنا * تخبط فعل المصعبات قرومها
خبطت بهم من كادني من قبيلة * فمن ذا إذا عز الخطوب يرومها

وقال زفر بن الحارث أيضا

أفي الله أما بحدل وابن بحدل * فيحيى وأما ابن الزبير فيقتل
كذبتم وبيت الله لا تقتلونه * ولما يكن يوم أغر محجل
ولما يكن للمشرفية فوقكم * شعاع كقرن الشمس حين ترجل

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم فقال

أتذهب كلب قد حمتها رماحها * وتترك قتلى راهط ما أجنت
لحا الله قيسا قيس عيلان انها * أضاعت ثغور المسلمين وولت
فباهل بقيس في الرخاء ولا تكن * أخاها اذا ما المشرفية سلت

(قال

﴿قال أبو جعفر﴾ ولما بايع حصين بن نمير مروان بن الحكم وعصا مالك بن هبيرة فيما أشار به عليه من بيعة خالد بن يزيد بن معاوية واستقر لمروان بن الحكم الملك وقد كان الحصين بن نمير اشترط على مروان أن ينزل البلقاء من كان بالشأم من كندة وأن يجعلها لهم مأكلة فأعطاه ذلك وان بني الحكم لما استوثق الامر لمروان وقد كانوا اشترطوا لخالد بن يزيد بن معاوية شروطا قال مروان ذات يوم وهو جالس في مجلسه ومالك بن هبيرة جالس عنده ان قوما يدعون شروطا منهم عطارة مكحلة يعني مالك بن هبيرة وكان رجلا يتطيب ويكتحل فقال مالك بن هبيرة هذا ولما نرد بي تهامة ولما يبلغ الحزام الطبيين فقال مروان مهلا يا أبا سليمان انما داعبناك فقال مالك هو ذاك وقال عويج الطائي يمتدح كلبا وحميد بن بحدل

لقد علم الاقوام وقع ابن بحدل * وأخرى عليهم ان بقي سيعيدها
يقودون أولاد الوجيه ولاحق * من الريف شهرا ما بغى من يقودها
فهذا لهذا ثم اني لناقض * على الناس أقوالا كثيرا حدودها
فلولا أمير المؤمنين لاصبحت * قضاعة أربابا وقيس عبيدها

﴿وفي هذه السنة﴾ بايع جند خراسان لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة ﴿وفيها﴾ كانت فتنة عبد الله بن خازم بخراسان

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد قال أخبرنا مسلمة بن محارب قال بعث سلم بن زياد بما أصاب من هدايا سمرقند وخوارزم الى يزيد بن معاوية مع عبد الله بن خازم وأقام سلم واليا على خراسان حتى مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد فبلغ سلما موته وأتاه مقتل يزيد بن زياد في سجستان وأسر أبي عبيدة بن زياد وكتم الخبر سلم فقال ابن عرادة

يا أيها الملك المغلق بابه * حدثت أمور شأنهن عظيم
قتلى بجرزة والذين بكابل * ويزيد أعلن شأنه المكتوم
أبني أمية ان آخر ملككم * جسد بحوارين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده * كوب وزق راعف مرتوم
ومرنة تبكي على نشوانه * بالصنج تفعد تارة وتقوم

(قال مسلمة) فلما ظهر شعر ابن عرادة أظهر سلم موت يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ودعا الناس الى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة فبايعوه ثم مكثوا بذلك شهرين ثم نكثوا به * قال علي بن محمد وحدثنا شيخ من أهل خراسان قال لم يحب أهل خراسان أميرا قط حبهم سلم بن زياد فسمي في تلك السنين التي كان بها سلم أكثر من عشرين

ألف مولود بسلم من حبهم سلما قال وأخبرنا حفص الازدى عن عمه قال لما اختلف الناس بخراسان ونكثوا بيعة سلم خرج سلم عن خراسان وخلف عليها المهلب بن أبى صفرة فلما كان بسرخس لقيه سليمان بن مرثد أحد بنى قيس بن ثعلبة فقال له من خلفت على خراسان قال المهلب فقال ضاقت عليك نزار حتى وليت رجلا من أهل اليمن فولاه مرو الروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى أوس بن ثعلبة بن زفر وهو صاحب قصر أوس بالبصرة هراة ومضى فلما سار بنيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال من وليت خراسان فأخبره فقال أما وجدت في مضر رجلا تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل ومزون عمان وقال له اكتب لى عهدا على خراسان قال أوالى خراسان أنا قال اكتب لى عهدا وخلاك ذم قال فكتب له عهدا على خراسان قال فأعنى الآن بمائة ألف درهم فأمر له بها وأقبل الى مرو وبلغ الخبر المهلب بن أبى صفرة فأقبل واستخلف رجلا من بنى جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم قال وأخبرنا المفضل بن محمد الضبى عن أبيه قال لما صار عبد الله ابن خازم الى مرو بعهد سلم بن زياد منعه الجشمى فكانت بينهما مناوشة فأصابت الجشمى رمية بحجر فى جبهته وتحاجز واوخلى الجشمى بين مرو الروذ وبينه فدخلها ابن خازم ومات الجشمى بعد ذلك بيومين * قال على بن محمد المدائنى حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجانى عن أبيه قال لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وثب أهل خراسان بعمالهم فأخرجوهم وغلب كل قوم على ناحية ووقعت الفتنة وغلب ابن خازم على خراسان ووقعت الحرب ﴿قال أبو جعفر﴾ وأخبرنا أبو الذيال زهير بن هنيد عن أبى نعامة قال أقبل عبد الله بن خازم فغلب على مرو ثم سار الى سليمان بن مرثد فلقيه بمرو الروذ فقاتله أياما فقتل سليمان بن مرثد ثم سار عبد الله بن خازم الى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان في سبعمائة وبلغ عمرا اقبال عبد الله اليه وقتله أخاه سليمان فأقبل اليه فالتقوا على نهر قبل أن يتوافى الى ابن خازم أصحابه فأمر عبد الله من كان معه فنزلوا وسأل عن زهير بن ذؤيب العدوى فقالوا لم يجئ حتى أقبل وهو على حاله فلما أقبل قيل له هذا زهير قد جاء فقال له عبد الله تقدم فالتقوا فاقتتلوا طويلا فقتل عمرو بن مرثد وانهزم أصحابه فلحقوا بهراة بأوس بن ثعلبة ورجع عبد الله بن خازم الى مرو * قال وكان الذى ولى قتل عمرو بن مرثد زهير بن حيان العدوى فيما يرون فقال الشاعر

أتذهب أيام الحروب ولم تبئ * زهير بن حيان بعمرو بن مرثد

قال وحدثنا أبو السرى الخراسانى وكان من أهل هراة قال قتل عبد الله بن خازم سليمان وعمرا ابنى مرثد المرثديين من بنى قيس بن ثعلبة ثم رجع الى مرو وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل الى هراة وانضم اليهما من كان بكور خراسان من بكر بن وائل فكان لهم بها جمع

كثير

كثير عليهم أوس بن ثعلبة قال فقالوا له نبايعك على أن تسير الى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان كلها فقال لهم هذا بغى وأهل البغى مخذولون أقيموا مكانكم هذا فان تركتكم ابن خازم وما أراه يفعل فارضوا بهذه الناحية وخلوه وما هو فيه فقال بنو صهيب وهم موالى بنى جحدر لا والله لا نرضى أن نكون نحن ومضر في بلد وقد قتلوا ابنى مرثد فان أجبتنا الى هذا والا أمرنا علينا غيرك قال انما أنا رجل منكم فاصنعوا ما بدا لكم فبايعوه وسار اليهم ابن خازم واستخلف ابنه موسى وأقبل حتى نزل على واد بين عسكره وبين هراة قال فقال البكريون لأوس اخرج فخندق خندقا دون المدينة فقاتلهم فيه وتكون المدينة من ورائنا فقال لهم أوس الزموا المدينة فانها حصينة وخلوا ابن خازم ومنزله الذى هو فيه فانه ان طال مقامه ضجر فأعطاكم ما ترضون به فان اضطررتم الى القتال قاتلتم فأبوا وخرجوا من المدينة فخندقوا خندقا دونها فقاتلهم ابن خازم نحوا من سنة * قال وزعم الاحنف بن الاشهب الضبى وأخبرنا أبو الذيال زهير بن الهنيد سار ابن خازم الى هراة وفيها جمع كثير لبكر بن وائل قد خندقوا عليهم وتعاقدوا على اخراج مضر ان ظفروا بخراسان فنزل بهم ابن خازم فقال له هلال الضبى أحد بنى ذهل ثم أحد بنى أوس انما تقاتل اخوتك من بنى أبيك والله ان نلت منهم ما تريد ما في العيش بعدهم من خير وقد قتلت بمرو الروذ منهم من قتلت فلو أعطيتهم شيأ يرضون به وأصلحت هذا الامر قال والله لو خرجت لهم عن خراسان ما رضوا به ولو استطاعوا أن يخرجوكم من الدنيا لأخرجوكم قال لا والله لا أرمى معك بسهم ولا رجل يطيعنى من خندق حتى تعذر اليهم قال فانت رسولى اليهم فأرضهم فأتى هلال الى أوس بن ثعلبة فناشده الله والقرابة وقال أذكرك الله فى نزار أن تسفك دماءها وتضرب بعضها ببعض قال لقيت بنى صهيب قال لا والله قال فالقهم فخرج فلقى أرقم بن مطرف الحنفى وضمضم بن يزيد أو عبد الله بن ضمضم بن يزيد وعاصم بن الصلت بن الحريث الحنفيين وجماعة من بكر ابن وائل وكلمهم بمثل ما كلم به أوسا فقالوا هل لقيت بنى صهيب فقال لقد عظم الله أمر بنى صهيب عندكم لا ألم لقهم قالوا القهم فأتى بنى صهيب فكلمهم فقالوا لولا انك رسول لقتلناك قال أفما يرضيكم شئ قالوا واحدة من اثنتين إما أن تخرجوا عن خراسان ولا يدعو فيها المضر داع واما أن تقيموا وتنزلوا الناعن كل كراع وسلاح وذهب وفضة قال أفما شئ غير هاتين قالوا لا قال حسبنا الله ونعم الوكيل فرجع الى ابن خازم فقال ما عندك قال وجدت اخوتنا قطعا للرحم قال قد أخبرتك ان ربيعة لم تزل غضابا على ربها منذ بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم من مضر ﴿قال أبو جعفر﴾ وأخبرنا سليمان بن مجالد الضبى قال أغارت الترك على قصر اسفاد وابن خازم بهراة فحصروا أهله وفيه ناس من الازد هم أكثر من فيه فهزمتهم فبعثوا الى من حولهم من الازد فجاؤا لينصروهم فهزمتهم الترك فارسلوا الى ابن خازم فوجه اليهم

زهير بن حيان في بني تميم وقال له اياك ومُشاولة الترك اذا رأيتموهم فاحملوا عليهم فأقبل فوافاهم في يوم باردٍ قال فلما التقوا شدوا عليهم فلم يثبتوا لهم وانهزمت الترك واتبعوهم حتى مضى عامّةُ الليل حتى انتهوا الى قصر في المفازة فأقامت الجماعة ومضى زهير في فوارس يتبعهم وكان عالما بالطريق ثم رجع في نصف من الليل وقد يَبِسَت يدُه على رُمحه من البَرد فدعا غلامه كعبا فخرج اليه فأدخله وجعل يُسخن له الشحم فيضعه على يده ودهنوه وأوقدوا له نارا حتى لان ودفئ ثم رجع الى هراة فقال في ذلك كعب بن معدان الاشقريّ

أتاك أتاك الغوثُ في برقِ عارضٍ * دُروعٌ وبيضٌ حشوُهنّ تميمُ
أبوا أن يَضُمّوا حشوَ ما تجمع القُرَى * فضمَّهُمُ يومَ اللقاء صَميمُ
ورزقهمُ من رائحاتٍ تزينُها * ضروعٌ عَريضاتُ الحواصرِ كومُ

وقال ثابت قُطْنَة

فدَتْ نفسي فوارسَ من تميمٍ * على ما كان من ضَنْكِ المُقامِ
بقَصرِ الباهليّ وقد أرانى * أحامي حين قلّ به المُحامي
بسيفي بعد كسرِ الرمحِ فيهم * أذودُهمُ بذي شُطَبٍ حُسامِ
أكرُّ عليهمُ اليَحْمُومَ كرًّا * ككرّ الشرْبِ آنيةَ المُدامِ
فلولا اللهُ ليس له شريكٌ * وضربي قونسَ الملكِ الهُمامِ
اذًا فاظَتْ نساءُ بني دثارٍ * أمامَ التُرْكِ بادية الخدامِ

(قال أبو جعفر) وحدثني أبو الحسن الخراساني عن أبي حماد السلمي قال أقام ابن خازم بهراة يقاتل أوس بن ثعلبة أكثر من سنة فقال يوما لاصحابه قد طال مقامنا على هؤلاء فنادُوهم يامعشر ربيعة انكم قد اعتصمتم بخندقكم أفرضيتم من خراسان بهذا الخندق فاحفظهم ذلك فتنادى الناس للقتال فقال لهم أوس بن ثعلبة الزموا خندقكم وقاتلوهم كما كنتم تقاتلونهم ولا تخرجوا اليهم بجماعتكم قال فعصوه وخرجوا اليهم فالتقى الناس فقال ابن خازم لاصحابه اجعلوه يومكم فيكون المُلك لمن غلب فان قُتلتُ فأميركم شمّاس بن دِثار العُطاردي فان قُتل فأميركم بكير بن وشاح الثقفيّ * قال علي وحدثنا أبو الذيال زهير بن هنيدة عن أبي نعامة العَدَوي عن عبيد بن نقيد عن اياس بن زهير بن حيان لما كان اليوم الذي هرب فيه أوس بن ثعلبة وظفر ابن خازم ببكر بن وائل قال ابن خازم لاصحابه حين التقوا انى قلِقٌ فشدوني على السرج واعلموا ان عليّ من السلاح مالا أقتل قدرَ جزْرِ جزُورَين فان قيل لكم انى قد قُتلت فلا تصدّقوني قال وكانت راية بني عدي مع أبي وأنا على فرس مُحزم وقد قال لنا ابن خازم اذا لقيتم الخيل فاطعنوها في مناخرها فانه لن يطعن فرسٌ في نحرته الا أدبر أو رمى بصاحبه فلما سمع فرسي قعقعةَ السلاح وثب بي واديا كان بيني وبينهم قال فتلقاني رجل من بكر بن وائل

فطعنت

فطعنت فرسه في نحرته فصرعه وحمل أبي ببني عدي وأتبعته بنو تميم من كل وجه فاقتتلوا ساعة فانهزمت بكر بن وائل حتى انتهوا الى خندقهم وأخذوا يمينا وشمالا وسقط ناسٌ في الخندق فقُتلوا قتلا ذريعا وهرب أوس بن ثعلبة وبه جراحات وحلف ابن خازم لا يؤتى بأسيرٍ الا قتله حتى يغيب الشمس فكان آخر مَن أُتي به رجلٌ من بني حنيفة يقال له مخمية فقالوا لابي خازم قد غابت الشمس قال وفوا به القتلى فقُتل قال فأخبرني شيخ من بني سعد بن زيد مناة ان أوس بن ثعلبة هرب وبه جراحاتٌ الى سجستان فلما صار بها أوقر بيا منها مات وفي مقتل ابن مرثد وأمر أوس بن ثعلبة يقول المغيرة بن حَبْناء أحد بني ربيعة بن حنظلة

وفي الحرب كنتم في خُراسان كلها * قتيلا ومسجونا بها ومُسيَّرا
ويوم احتوا كُم في الحفير ابنَ خازمٍ * فلم تجدوا الا الخنادقَ مقبرا
ويوم تركتم في الغُبار ابنَ مرثدٍ * وأوسا تركتم حيثُ سار وعسكرا

قال وأخبرني أبو الذيال زهير بن هنيد عن جده أبي أمّه قال قُتل من بكر بن وائل يومئذ ثمانية آلاف * قال وحدثنا التميمي رجلٌ من أهل خراسان عن مولى لابن خازم قال قاتل ابن خازم أوس بن ثعلبة وبكر بن وائل فظفر بهراة وهرب أوس وغلبه ابن خازم على هراة واستعمل عليها ابنه محمدا وضم اليه شمّاس بن دثار العُطاردي وجعل بكير بن وشاح على شُرطته وقال لهما ربّياه فانه ابن أختكما فكانت أمه من بني سعد يقال لها صفيّة وقال له لا تخالفهما ورجع ابن خازم الى مرو * (قال أبو جعفر) * وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة واتعدوا الاجتماع بالنُخيلة في سنة ٦٥ للمسير الى أهل الشأم للطلب بدم الحسين بن عليّ وتكاتبوا في ذلك

﴿ذكر الخبر عن مبدأ أمرهم في ذلك﴾

(قال هشام) بن محمد حدثنا أبو مخنف قال حدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر الازدي قال لما قتل الحسين بن عليّ ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة فدخل الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوُم والتندُّم ورأت انها قد أخطأت خطأ كبيرا بدُعائهم الحسين الى النصرة وتركهم اجابته ومقتله الى جانبهم لم ينصروه ورأوا انه لا يُغسل عارُهم والاثم عنهم في مقتله الا بقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا بالكوفة الى خمسة نفر من رؤس الشيعة الى سليمان بن صُرَد الخزاعي وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم والى المُسيَّب بن نَجَبة الفَزاري وكان من أصحاب عليّ وخيارهم والى عبد الله بن سعد بن نفيل الازدي والى عبد الله بن والٍ التيمي والى رِفاعة بن شدّاد البجلي ثم ان هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صُرَد وكانوا من خيار أصحاب عليّ ومعهم أناسٌ من الشيعة وخيارهم ووجوههم قال فلما اجتمعوا الى منزل سليمان بن صرد بدأ المسيب بن نجبة القوم بالكلام فتكلم فحمد الله

وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فانا قد ابتلينا بطول العمر والتعرّض لانواع الفتن فترغب الى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غدا أولَم نُعَمِّرْكم ما يتذكّر فيه مَن تذكّر وجاءكم النذير فان أمير المؤمنين قال العُمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجل الا وقد بلغه وقد كنا مُغرمين بتزكية أنفسنا وتقريظ شيعتنا حتى بلا الله أخيارنا فوجدنا كاذبين فى موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم وقد بلغتنا قبل ذلك كُتبه وقدمت علينا رُسله وأعذر الينا يسألنا نصره عَودا وبدءا وعلانية وسرا فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتل الى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا قوّيناه باموالنا ولا طلبناله النصرة الى عشائرنا فاعذرنا الى ربنا وعند لقاء نبينا صلى الله عليه وسلم وقد قتل فينا ولده وحبيبه وذرّيته ونسله لا والله لا عُذر دون أن تقتلوا قاتله والمُوالين عليه أو تُقتلوا فى طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن أيها القوم ولو اعليكم رجلا منكم فانه لا بد لكم من أمير تفزعون اليه ورايةٍ تحفّون بها أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم قال فبدر القوم رِفاعة بن شداد بعد المسيب الكلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الله قد هداك لأصوب القول ودعوت الى أرشد الامور بدأت بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ودعوت الى جهاد الفاسقين والى التوبة من الذنب العظيم فسموعٌ منك مستجابٌ لك مقبول قولك قلت ولوا أمركم رجلا منكم تفزعون اليه وتحفّون برايته وذلك رأىٌ قد رأينا مثل الذى رأيت فان تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيًا وفينا متنصّحا وفى جماعتنا محبّا وان رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولينا هذا الامر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد المحمود فى بأسه ودينه والموثوق بحزمه أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم قال ثم تكلم عبد الله بن والٍ وعبد الله ابن سعد فحمدا ربهما وأثنيا عليه وتكلما بنحو من كلام رفاعة بن شداد فذكرا المسيب بن نجبة بفضله وذكرا سليمان بن صرد بسابقته ورضاهما بتوليته فقال المسيب بن نجبة أصبتم ووفقتم وأنا أرى مثل الذى رأيتم فولوا أمركم سليمان بن صرد (قال أبو مخنف) فحدثت سليمان بن أبى راشد بهذا الحديث فقال حدثنى حميد بن مسلم قال والله انى لشاهد بهذا اليوم يوم ولوا سليمان بن صُرَد وانا يومئذ لأكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجوههم فى داره قال فتكلم سليمان بن صرد فشدّد وما زال يردّد ذلك القول فى كل جمعة حتى حفظته بدأ فقال أثنى على الله خيرا وأحمده آلاءه وبلاءه وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسوله أما بعد فإنى والله لخائف ألا يكون اخرنا الى هذا الدهر الذى نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجور أولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خيرا نا كنا

نمد

نمدّ أعناقنا الى قدوم آل نبينا ونمنيهم النصر ونحثهم على القدوم فلما قدموا وَنينا وعجزنا وأدهنا وتربّصنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولد نبينا وولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعةٌ من لحمه ودمه اذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يُعطاه اتخذه الفاسقون غرضا للنبل ودريّة للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه ألا انهضوا فقد سخط ربُّكم ولا ترجعوا الى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله والله ما أظنه راضيا دون ان تناجزوا من قتله أو تبيروا ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤٌ قط الا ذلّ كونوا كالأولى من بنى اسرائيل اذ قال لهم نبيهم إنّكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم ففعل القوم جثوا على الركب والله ومدّوا الأعناق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا انه لا ينجيهم من عظيم الذنب الا الصبر على القتل فكيف بكم لو قد دُعيتم الى مثل ما دُعى اليه القوم اشحذوا السيوف وركبوا الأسنة وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل حتى تدعوا حين تدعوا وتستنفروا قال فقام خالد بن سعد بن نُفيل فقال أما أنا فوالله لو أعلم ان قتلى نفسى يُخرِجنى من ذنبى ويرضى عنى ربى لقتلتها ولكن هذا أمر به قوم غيرنا كانوا من قبلنا ونهينا عنه فأشهد الله ومن حضر من المسلمين ان كلما أصبحت أملكه سوى سلاحى الذى أقاتل به عدوّى صدقةٌ على المسلمين أقوّيهم به على قتال القاسطين وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكنانى فقال وأنا أشهدكم على مثل ذلك فقال سليمان بن صرد حسبكم من أراد من هذا شيأ فليأت بماله عبد الله بن والٍ التيمى تيم بكر بن وائل فاذا اجتمع عنده كلما تريدون اخراجه من أموالكم جهزنا به ذوى الخلة والمسكنة من أشياعكم (قال أبو مخنف) لوط بن يحيى عن سليمان بن أبى راشد قال فحدثنا حميد بن مسلم الأزدى ان سليمان بن صرد قال لخالد بن سعد بن نفيل حين قال له والله لو علمت ان قتلى نفسى يخرجنى من ذنبى ويرضى عنى ربى لقتلتها ولكن هذا أمر به قوم غيرُنا كانوا من قبلنا ونهينا عنه قال أخوكم هذا غدا فريسُ أوّل الأسنة قال فلما تصدّق بماله على المسلمين قال له ابشر بجزيل ثواب الله الذين لا أنفسهم يمهدون (قال أبو مخنف) حدثنى الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نفيل قال أخذت كتابا كان سليمان بن صرد كتب به الى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن فقرأته زمان ولى سليمان قال فلما قرأته أعجبنى فتعلمته فما نسيته كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين سلام عليكم أما بعد فإن الدنيا دارٌ قد أدبر منها ما كان معروفا وأقبل منها ما كان مُنكرا وأصبحت قد تشنأت الى ذوى الألباب وأزمع بالترحال منها عباد الله الأخيار وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بجزيل مثوبة عند الله لا يفنى ان أولياء الله من اخوانكم وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم فيما ابتُلوا به من أمر ابن بنت

نبيهم الذى دعى فأجاب ودعا فلم يُجب وأراد الرجعة فحبس وسأل الأمان فمُنع وترك الناسَ فلم يتركوه وعدوا عليه فقتلوه ثم سلبوه وجرّدوه ظلما وعُدوانا وغِرّة بالله وجهلا وبعبر الله مايعملون وإلى الله مايرجعون وسيعلم الذين ظلموا أىّ مُقلَب ينقلبون فلما نظروا اخوانُكم وتدبّروا عواقبَ ماستقبلوا رأوا ان قد خطئوا بخذلان الزكىّ الطيّب واسلامه وترك مواساته والنصر له خطأ كبيرا ليس لهم منه مخرج ولا توبة دون قتل قاتليه أوقتلهم حتى تفنى على ذلك أرواحهم فقد جدّوا اخوانكم فجِدّوا وأعدّوا واستعدّوا وقد ضربنا لاخواننا أجلا يوافوننا اليه وموطنا يلقوننا فيه فأما الأجل فغرّة شهر ربيع الآخر سنة ٦٥ وأما الموطن الذى يلقوننا فيه فالنُخيلة أنتم الذين لم تزالوا لنا شيعة واخواناً وإلا وقد رأينا ان ندعوكم الى هذا الأمر الذى أراد الله به اخوانكم فيما يزعمون ويُظهرون لنا انهم يتوبون وانكم جدير آء بتطلاب الفضل والتماس الأجر والتوبة الى ربكم من الذنب ولو كان فى ذلك حزّ الرقاب وقتلُ الأولاد واستيفاء الأموال وهلاك العشائر ماضرّ أهلَ عذراء الذين قُتلوا ألا يكونوا اليوم أحياء وهم عند ربهم يُرزقون شهداء قد لقوا الله صابرين محتسبين فأنابهم ثواب الصابرين يعنى حجرا وأصحابه وماضرّ اخوانكم المُقتلين صبرا والمُصلّبين ظلما والممثول بهم المعتدى عليهم ألا يكونوا أحياء مبتلين بخطاياكم قد خير لهم فلقوا ربهم وافاهم الله ان شاء الله أجرهم فاصبروا رحمكم الله على البأساء والضرّاء وحين البأس وتوبوا الى الله عن قريب فوالله انكم لأحرياء ان لا يكون أحدٌ من اخوانكم صبر على شئ من البلاء ارادة ثوابه إلا صبرتم التماسَ الأجر فيه على مثله ولا يطلب رضاء الله طالبٌ بشئ من الاشياء ولو انه القتلُ الا طلبتم رضاء الله به ان التقوى أفضل الزاد فى الدنيا وماسوى ذلك يبور ويفنى فلتعزف عنها أنفسكم ولتكن رغبتكم فى دار عافيتكم وجهاد عدوّ الله وعدوّكم وعدوّ أهل بيت نبيكم حتى تقدموا على الله تائبين راغبين أحيانا الله وإيّاكم حياة طيّبة وأجارنا وإيّاكم من النار وجعل منايانا قتلا فى سبيله على يدى أبغض خلقه اليه وأشدّهم عداوة له انه القدير على مايشاء والصانع لأوليائه فى الأشياء والسلام عليكم قال وكتب ابن صُرَد الكتاب وبعث به الى سعد ابن حذيفة بن اليمان مع عبد الله بن مالك الطائىّ فبعث به سعد حين قرأ كتابه الى من كان بالمدائن من الشيعة وكان بها أقوامٌ من أهل الكوفة قد أعجبتهم فأوطنوها وهم يقدمون الكوفة فى كل حين عطاء ورزق فيأخذون حقوقهم وينصرفون الى أوطانهم فقرأ عليهم سعد كتاب سليمان بن صرد ثم انه حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانكم قد كنتم مجتمعين مُزمعين على نصر الحسين وقتال عدوّه فلم يفجأكم أوّلُ من قتله والله مثيبكم على حُسن النية وما أجمعتم عليه من النصر أحسنَ المثوبة وقد بعث اليكم اخوانكم يستنجدونكم

ويستمدونكم

ويستمدونكم ويدعونكم الى الحق والى ماترجون لكم به عند الله أفضل الأجر والحظّ فماذا ترون وماذا تقولون فقال القوم بأجمعهم نجيبهم ونقاتل معهم ورأينا فى ذلك مثل رأيهم فقام عبد الله بن الخنظل الطائى ثم الحزمرىّ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنا قد أجبنا اخواننا الى مادعونا اليه وقد رأينا مثل الذى قد رأوا فسرّحنى اليهم فى الخيل فقال له رويدا لاتعجل استعدّوا للعدوّ وأعدّوا له الحرب ثم نسير وتسيرون وكتب سعد بن حذيفة ابن اليمان الى سليمان بن صرد مع عبد الله بن مالك الطائىّ بسم الله الرحمن الرحيم الى سليمان ابن صرد من سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين سلام عليكم أما بعد فقد قرأنا كتابك وفهمنا الذى دعوتنا اليه من الأمر الذى عليه رأىُ الملأ من اخوانك فقد هديت لحظّك ويُسّرت لرشدك ونحن جادّون مُجدّون مُعدّون مُسرّجون مُلجّمون ننتظر الأمر ونستمع الداعى فاذا جاء الصريخ أقبلنا ولم نُعرّج ان شاء الله والسلام فلما قرأ كتابه سليمان ابن صرد قرأه على أصحابه فسُروا بذلك قال وكتب الى المثنى بن مخرّبة العبدىّ نسخة الكتاب الذى كان كتب به الى سعد بن حذيفة بن اليمان وبعث به مع ظَبيان بن عُمارة التميمىّ من بنى سعد فكتب اليه المثنى أما بعد فقد قرأت كتابك وأقرأته اخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك فنحن موافوك ان شاء الله للأجل الذى ضربت وفى الموطن الذى ذكرت والسلام عليك وكتب فى أسفل كتابه

تبصّر كانى قد أتيتك مُعلما * على أتلع الهادى أجشّ هزيم
طويل القرى نهد الشواء مقلّص * مُلِحّ على فأس اللجام أزُوم
بكل فتى لايملأ الروعُ نحره * مُحسّ لعضّ الحرب غير سؤوم
أخى ثقة ينوى الإله بسعيه * ضروب بنصل السيف غير أثيم

(قال أبو مخنف) لوط بن يحيى عن الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن سعد بن نفيل قال كان أوّل ماابتدعوا به من أمرهم سنة ٦١ وهى السنة التى قُتل فيها الحسين رضى الله عنه فلم يزل القوم فى جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس فى السرّ من الشيعة وغيرها الى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر فلم يزالوا كذلك وفى ذلك حتى مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاوّل سنة ٦٤ وكان بين قتل الحسين وهلاك يزيد بن معاوية ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام وهلك يزيد وأمير العراق عبيد الله بن زياد وهو بالبصرة وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث المخزومىّ فجاء الى سليمان أصحابه من الشيعة فقالوا قد مات هذا الطاغية والامر الآن ضعيف فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث فأخرجناه من القصر ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس الى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم

فقالوا فى ذلك فأكثروا فقال لهم سليمان بن صُرَد رُوَيدًا لا تعجلوا انى قد نظرت فيما تذكرون فرأيت ان قتلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه ومنى علموا ما تريدون وعلموا انهم المطلوبون كانوا أشد عليكم ونظرت فيمن تبعنى منكم فعلمت انهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا أنفسهم ولم ينكوا فى عدوهم وكانوا لهم جزرًا ولكن بثوا دعاتكم فى المصر فادعوا الى أمركم هذا شيعتكم وغير شيعتكم فانى أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع الى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه ففعلوا وخرجت طائفة منهم دعاة يدعون الناس فاستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد ابن معاوية أضعاف من كان استجاب لهم قبل ذلك (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثنا الحصين بن يزيد عن رجل من مزينة قال ما رأيت من هذه الأمة أحدًا كان أبلغ من عبيد الله بن عبد الله المرّى فى منطق ولا عظة وكان من دعاة أهل المصر زمان سليمان بن صرد وكان اذا اجتمعت اليه جماعة من الناس فوعظهم بدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول أما بعد فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوته وخصه بالفضل كله وأعزكم باتباعه وأكرمكم بالايمان به فحقن به دماءكم المسفوكة وآمن به سُبلكم المخوفة وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يُبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون فهل خلق ربكم فى الاولين والآخرين أعظم حقًا على هذه الأمة من نبيها وهل ذرية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقا على هذه الامة من ذرية رسولها والله ما كان ولا يكون لله أنتم ألم تروا ويبلغكم ما اجترم الى ابن بنت نبيكم أما رأيتم الى انتهاك القوم حرمته واستضعافهم وحدته وترميلهم اياه بالدم وتجرارهموه على الأرض لم يرقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذوه للنبل غرضا وغادروه للضباع جزر افلله عينا من رأى مثله ولله حسين بن على ماذا غادروا به ذا صدق وصبر وذا امانة ونجدة وحزم ابن أول المسلمين اسلاما وابن بنت رسول رب العالمين قلت حماته وكثرت عداته حوله فقتله عدوه وخذله وليه فويل للقاتل وملامة للخاذل ان الله لم يجعل لقاتله حجة ولا لخاذله معذرة إلا أن يناصح لله فى التوبة فيجاهد القاتلين وينابذ القاسطين فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ويقيل العثرة انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدمائه أهل بيته والى جهاد المحلين والمارقين فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار وان ظهروا رددنا هذا الأمر الى أهل بيت نبينا قال وكان يعيد هذا الكلام علينا فى كل يوم حتى حفظه عامتنا قال ووثب الناس على عمرو ابن حريث عند هلاك يزيد بن معاوية فاخرجوه من القصر واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحى وهو دُحروجة الجعل الذى قال له ابن همام

السلولى

السلولى

أشدد يديك بزيد إن ظفرت به * واشف الارامل من دحروجة الجعل

وكان كانه ابهام قصر اوزيد مولاه وخازنه فكان يصلى بالناس ويبايع لابن الزبير ولم يزل أصحاب سليمان بن صرد يدعون شيعتهم وغيرهم من أهل مصرهم حتى كثر تبعهم وكان الناس الى اتباعهم بعد هلاك يزيد بن معاوية أسرع منهم قبل ذلك فلما مضت ستة أشهر من هلاك يزيد بن معاوية قدم المختار بن أبى عبيد الكوفة فقدم فى النصف من شهر رمضان يوم الجمعة قال وقدم عبد الله بن يزيد الانصارى ثم الخطمى من قبل عبد الله ابن الزبير أميرا على الكوفة على حربها وثغرها وقدم معه من قبل ابن الزبير ابراهيم بن محمد ابن طلحة بن عبيد الله الأعرج أميرا على خراج الكوفة وكان قدوم عبد الله بن يزيد الأنصارى ثم الخطمى يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٦٤ قال وقدم المختار قبل عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بثمانية أيام ودخل المختار الكوفة وقد اجتمعت رؤس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صرد فليس يعدلونه به فكان المختار اذا دعاهم الى نفسه والى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة قد انقادوا له واجتمعوا عليه فأخذ يقول للشيعة انى قد جئتكم من قبل المهدى محمد بن على ابن الحنفية مؤتمنا مأمونا منجبا ووزيرا فوالله مازال بالشيعة حتى انشعبت اليه طائفة تعظمه وتجيبه وتنتظر أمره وعظم الشيعة مع سليمان بن صرد فسليمان أثقل خلق الله على المختار وكان المختار يقول لأصحابه أتدرون ما يريد هذا يعنى سليمان بن صرد انما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ليس له بصر بالحروب ولا له علم بها قال وأتى يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيبانى عبد الله بن يزيد الأنصارى فقال ان الناس يتحدثون ان هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن صرد ومنهم طائفة أخرى مع المختار وهى أقل الطائفتين عددا والمختار فيما يذكرون الناس لا يريد أن يخرج حتى ينظر الى ما يصير اليه أمر سليمان بن صرد وقد اجتمع له أمره وهو خارج من أيامه هذه فان رأيت أن تجمع الشرط والمقاتلة ووجوه الناس ثم تنهض اليهم وتنهض معك فإذا دفعت الى منزله دعوته فان أجابك حسبه وان قاتلك قاتلته وقد جمعت له وعبأت وهو مغتر فانى أخاف عليك ان هو بدأك وأقررته حتى يخرج عليك ان تشتد شوكته وأن يتفاقم أمره فقال عبد الله بن يزيد الله بيننا وبينهم ان هم قاتلونا قاتلناهم وان تركونا لم نطلبهم حدثنى ما يريدون الناس قال يذكر الناس انهم يطلبون بدم الحسين ابن على قال فأنا قتلت الحسين لعن الله قاتل الحسين قال وكان سليمان بن صرد وأصحابه يريدون أن يثبوا بالكوفة فخرج عبد الله بن يزيد حتى صعد المنبر ثم قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فقد بلغنى ان طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا

فسألت عن الذى دعاهم الى ذلك ماهو فقيل لى زعموا انهم يطلبون بدم الحسين ابن علىّ فرحم الله هؤلاء القوم قد والله دللت على أماكنهم وأمرت بأخذهم وقيل أبدأهم قبل ان يبدؤك فأبيت ذلك فقلت ان قاتلونى قاتلتهم وان تركونى لم أطلبهم وعلام يقاتلونى فوالله ما أنا قتلت حسينا ولا أنا ممن قاتله ولقد أصبت بمقتله رحمة الله عليه فإن هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا الى من قاتل الحسين فقد أقبل اليهم وأنا لهم على قاتله ظهير هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل خياركم وأماثلكم قد توجه اليكم عهده العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبج فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من ان تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضا ويسفك بعضكم دماء بعض فيلقاكم ذلك العدو غدا وقد رقتم وتلك والله أمنية عدوكم وانه قد أقبل اليكم أعدى خلق الله لكم من ولى عليكم هو وأبوه سبع سنين لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذى قتلكم ومن قبله أوتيتم والذى قتل من تثأرون بدمه قد جاءكم فاستقبلوه بحدكم وشوكتكم واجعلوها به ولا تجعلوها بأنفسكم انى لم آلكم نصحا جمع الله لنا كلمتنا وأصلح لنا أئمتنا قال فقال ابراهيم بن محمد ابن طلحة أيها الناس لا يغرنكم من السيف والغشم مقالة هذا المداهن المواديع والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنه ولئن استيقنا ان قوما يريدون الخروج علينا لنأخذن الوالد بولده والمولود بوالده ولنأخذن الحميم بالحميم والعريف بما فى عرافته حتى يدينوا للحق ويذلوا للطاعة فوثب اليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال يا ابن الناكثين أنت تهددنا بسيفك وغشمك أنت والله أذل من ذلك انا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك والله انى لأرجو ان لا يخرجك الله من بين ظهرانى أهل هذا المصر حتى يثلثوا بك جدك وأباك وأما أنت أيها الامير فقد قلت قولا سديدا وانى والله لأظن من يريد هذا الأمر مستنصحا لك وقابلا قولك فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة أى والله ليقتلن وقد أذهن ثم أعلن فقام اليه عبد الله بن وال التيمى فقال ما اعتراضك يا أخا بنى تيم بن مرة فيما بيننا وبين أميرنا فوالله ما أنت علينا بأمير ولا لك علينا سلطان انما أنت أمير الجزية فأقبل على خراجك فلعمر الله لئن كنت مفسدا أما أفسد أمر هذه الأمة الا والدك وجدك الناكثان فكانت بهما اليدان وكانت عليهما دائرة السوء قال ثم أقبل مسيب بن نجبة وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا ما رأيك أيها الأمير فوالله انا لنرجو أن تكون به عند العامة محمودا وان تكون عند الذى عنيت واعتريت مقبولا فغضب أناس من عمال ابراهيم بن محمد بن طلحة وجماعة ممن كان معه فتشاتموا دونه فشتمهم الناس وخصموهم * فلما سمع ذلك عبد الله بن يزيد نزل ودخل وانطلق ابراهيم بن محمد وهو يقول قد داهن عبد الله بن يزيد أهل الكوفة والله لأكتبن بذلك الى عبد الله بن الزبير فأتى شبث بن ربعى التيمى

عبد

عبد الله بن يزيد فأخبره بذلك فركب به وبيزيد بن الحارث بن رويم حتى دخل على ابراهيم بن محمد بن طلحة فحلف له بالله ما أردت بالقول الذى سمعت الا العافية وصلاح ذات البين انما أتانى يزيد بن الحارث بكذا وكذا فرأيت ان أقوم فيهم بما سمعت ارادة أن لا تختلف الكلمة ولا تتفرق الإلفة وألا تقع بأس هؤلاء القوم بينهم فعذره وقبل منه قال ثم ان أصحاب سليمان بن صرد حرجوا ينشرون السلاح ظاهرين ويتجهزون يجاهرون بجهازهم وما يصلحهم ﴿وفى هذه السنة﴾ فارق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين كانوا قدموا عليه مكة فقاتلوا معه حصين بن نمير السكونى فصاروا الى البصرة ثم افترقت كلمتهم فصاروا احزابا

﴿ذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذى من أجله فارقوه والذى من أجله افترقت كلمتهم﴾

حدثت عن هشام بن محمد الكلبى عن أبى مخنف لوط بن يحيى قال حدثنى أبو المخارق الراسبى قال لما ركب ابن زياد من الخوارج بعد قتل أبى بلال ما ركب وقد كان قبل ذلك لا يكف عنهم ولا يستبقيهم غير انه بعد قتل أبى بلال تجرد لاستئصالهم وهلاكهم واجتمعت الخوارج حين ثاروا بابن الزبير بمكة وسار اليه أهل الشأم فتذاكروا ما أتى اليهم فقال لهم نافع ابن الأزرق ان الله قد أنزل عليكم الكتاب وفرض عليكم فيه الجهاد واحتج عليكم بالبيان وقد جردّ فيكم السيوف أهل الظلم وأولو العدى والغشم وهذا من قد ثار بمكة فاخرجوا بنا نأت البيت ونلق هذا الرجل فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو وان يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ونظرنا بعد ذلك فى أمورنا فخرجوا حتى قدموا على عبد الله بن الزبير فسرّ بمقدمهم ونبأهم انه على رأيهم وأعطاهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف أهل الشأم عن مكة ثم ان القوم لقى بعضهم بعضا فقالوا ان هذا الذى صنعتم أمس بغير رأى ولا صواب من الامر تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على رأيكم انما كان أمس يقاتلكم هو وأبوه ينادى يال ثارات عثمان فأتوه وسلوه عن عثمان فإن برئ منه كان وليكم وان أبى كان عدوكم فشوا نحوه فقالوا له أيها الإنسان انا قد قاتلنا معك ولم نفتش عن رأيك حتى نعلم أمنا أنت أم من عدونا حبرنا ما مقالتك فى عثمان فنظر فاذا من حوله من أصحابه قليل فقال لهم انكم أتيتمونى فصاد فتمونى حين أردت القيام ولكن روحوا الى العشية حتى أعلمكم من ذلك الذى تريدون فانصرفوا وبعث الى أصحابه فقال البسوا السلاح واحضرونى بأجمعكم العشية ففعلوا وجاءت الخوارج وقد أقام أصحابه حوله متلطمين عليهم السلاح وقامت جماعة منهم عظيمة على رأسه بأيديهم الاعمدة فقال ابن الازرق لاصحابه خشى الرجل غائلتكم وقد أزمع بخلافكم واستعد لكم

ماترون فدنامنه ابن الازرق فقال له يا ابن الزبير اتق الله ربك وابغض الخائن المستأثر وعاد أول من سن الضلالة وأحدث الاحداث وخالف حكم الكتاب فانك ان تفعل ذلك تُرض ربك وتُنج من العذاب الأليم نفسك وان تركت ذلك فأنت من الذين استمتعوا بخلاقهم واذهبوا فى الحياة الدنيا طيباتهم يا عبيدة بن هلال صف لهذا الانسان ومن معه أمرنا الذى نحن عليه والذى ندعو الناس اليه فتقدم عبيدة بن هلال (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثنى أبو علقمة الخثعمى عن أبى قبيصة بن عبد الرحمن القحافى من خثعم قال أنا والله شاهد عبيدة بن هلال اذ تقدم فتكلم فما سمعت ناطقا قط ينطق كان أبلغ ولا أصوب قولا منه وكان يرى رأى الخوارج قال وان كان ليجمع القول الكثير فى المعنى الخطير فى اللفظ اليسير قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الى عبادة الله وإخلاص الدين فدعا الى ذلك فأجابه المسلمون فعمل فيهم بكتاب الله وأمره حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه واستخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر فكلاهما عملا بالكتاب وسنة رسول الله فالحمد لله رب العالمين ثم ان الناس استخلفوا عثمان ابن عفان فحمى الاحماء فاثر القربى واستعمل الفتى ورفع الدرة ووضع السوط ومزق الكتاب وحقر المسلم وضرب منكرى الجور وآوى طريد الرسول صلى الله عليه وضرب السابقين بالفضل وسيرهم وحرمهم ثم أحدث فى فىء الله الذى أفاءه عليهم فقسمه بين فساق قريش ونجان العرب فسارت اليه طائفة من المسلمين أحداث الله ميثاقهم على طاعته لا يبالون فى الله لومة لائم فقتلوه فنحن لهم أولياء ومن ابن عفان وأوليائه برآء فما تقول أنت يا ابن الزبير قال فحمد الله ابن الزبير وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقد فهمت الذى ذكرتم وذكرت به النبى صلى الله عليه وسلم فهو كما قلت صلى الله عليه وفوق ما وصفته وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وفقت وأصبت وقد فهمت الذى ذكرت به عثمان بن عفان رحمة الله عليه وانى لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره منى كنت معه حيث نقم القوم عليه واستعتبوه فلم يدع شيأ استعتبه القوم فيه الا أعتبهم منه ثم انهم رجعوا اليه بكتاب له يزعمون انه كتبه فيهم يأمر فيه بقتلهم فقال لهم ما كتبته فان شئتم فهاتوا بينتكم فان لم تكن حلفت لكم فوالله ما جاؤه ببينة ولا استحلفوه ولوثبوا عليه فقتلوه وقد سمعت ما عبته به فليس كذلك بل هو لكل خير أهل وأنا أشهدكم ومن حضرانى ولى لابن عفان فى الدنيا والآخرة وولى أوليائه وعدو أعدائه قالوا فبرئ الله منك يا عدو الله قال فبرئ الله منكم يا أعداء الله وتفرق القوم فأقبل نافع بن الازرق الحنظلى وعبد الله بن صفار السعدى من بنى صريم بن مقاعس وعبد الله بن اباض أيضا من بنى صريم وحنظلة بن بيهس وبنو الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت من

بنى زمان بن مالك بن صعب بن على بن مالك بن بكر بن وائل وعبد الله بن ثور أبو فديك من بنى قيس بن ثعلبة وعطية بن الاسود الشكرى الى اليمامة فوثبوا باليمامة مع أبى طالوت ثم أجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفى فأما البصريون منهم فانهم قدموا البصرة وهم مجمعون على رأى أبى بلال (قال هشام) قال أبو مخنف لوط بن يحيى فحدثنى أبو المثنى عن رجل من اخوانه من أهل البصرة انهم اجتمعوا فقالت العامة منهم لو خرج منا خارجون فى سبيل الله فقد كانت منا فترة منذ خرج أصحابنا فيقوم علماؤنا فى الارض فيكونون مصابيح الناس يدعونهم الى الدين ويخرج أهل الورع والاجتهاد فيلحقون بالرب فيكونون شهداء مرزوقين عند الله أحياء فانتدب لهما نافع بن الازرق فاعتقد على ثلثمائة رجل فخرج وذلك عند وثوب الناس بعبيد الله بن زياد وكسر الخوارج أبواب السجون وخروجهم منها واشتغل الناس بقتال الازد وربيعة وبنى تميم وقيس فى دم مسعود بن عمرو فاغتنمت الخوارج اشتغال الناس بعضهم ببعض فتهيؤا واجتمعوا فلما خرج نافع بن الازرق تبعوه واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يصلى بهم وخرج ابن زياد الى الشأم واصطلحت الازد وبنو تميم فتجرد الناس للخوارج فأتبعوهم وأخافوهم حتى خرج من بقى منهم بالبصرة فلحق بابن الازرق الا قليلا منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك منهم عبد الله بن صفار وعبد الله بن أباض ورجال معهما على رأيهما ونظر نافع بن الازرق ورأى ان ولاية من تخلف عنه لا تنبغى وأن من تخلف عنه لا نجاة له فقال لاصحابه ان الله قد أكرمكم بمخرجكم بصركم ما عمى عنه غيركم ألستم تعلمون انكم انما خرجتم تطلبون شريعته وأمره فأمركم قائد والكتاب امامكم وانما تتبعون سنته وأثره فقالوا بلى فقال أليس حكمكم فى وليكم حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى وليه وحكمكم فى عدوكم حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى عدوه وعدوكم اليوم عدو الله وعدو النبى صلى الله عليه وسلم كما ان عدو النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ هو عدو الله وعدوكم اليوم فقالوا نعم قال فقد أنزل الله تبارك وتعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وقال لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فقد حرم الله ولايتهم والمقام بين أظهرهم وإجازة شهادتهم وأكل ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم ومناكحتهم وموارثهم وقد احتج الله علينا بمعرفة هذا وحق علينا أن نعلم هذا الدين الذين خرجنا من عندهم ولا نكتم ما أنزل الله والله عز وجل يقول ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فاستجاب له الى هذا الرأى جميع أصحابه فكتب من عبد الله نافع بن الازرق الى عبد الله بن صفار وعبد الله بن اباض ومن قبلهما من الناس سلام على أهل طاعة الله من عباد الله فان من الامر كيت وكيت فقص هذه القصة ووصف

هذه الصفة ثم بعث بالكتاب اليهما فأتيا به فقرأه عبد الله بن صفار فأخذه فوضعه خلفه فلم يقرأه على الناس حشية أن يتفرقوا ويختلفوا فقال له عبد الله بن اباض مالك لله أبوك أيّ شيء أصبت ان قد أصبت احواننا أو أسر بعضهم فدفع الكتاب اليه فقرأه فقال قاتله الله أيّ رأي رأى صدق نافع بن الازرق لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به وكانت سيرته كسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المشركين ولكنه قد كذب وكذب بما فيما يقول ان القوم كفار بالنعم والاحكام وهم برآء من الشرك ولا يحل لنا الا دماؤهم وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام فقال له ابن صفار برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الازرق فقد غلا برئ الله منكما جميعا وقال الآخر فبرئ الله منك ومنه وتفرق القوم واشتدت شوكة ابن الازرق وكثرت جموعه وأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عُبَيس بن كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف في أهل البصرة ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي النصف من شهر رمضان من هذه السنة كان مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة

﴿ذكر الخبر عن سبب مقدمه اليها﴾

(قال هشام بن محمد الكلبي) قال أبو مخنف قال النضر بن صالح كانت الشيعة تشتم المختار وتعتبه لما كان منه في أمر الحسن بن علي يوم طعن في مظلم ساباط فحمل الى أبيض المدائن حتى اذا كان زمن الحسين وبعث الحسين مسلم بن عقيل الى الكوفة نزل دار المختار وهي اليوم دار سلم ابن المسيب فبايعه المختار بن أبي عبيد فيمن بايعه من أهل الكوفة وناصحه ودعا اليه من أطاعه حتى خرج ابن عقيل يوم خرج والمختار في قرية له يُخطر نَبِيَة تدعى لقفا فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر انه قد ظهر بالكوفة فلم يكن خروجه يوم خرج على ميعاد من أصحابه انما خرج حين قيل له ان هانئ بن عروة المرادي قد ضُرب وحُبس فأقبل المختار في موالٍ له حتى انتهى الى باب الفيل بعد المغرب وقد عقد عبيد الله بن زياد لعمرو بن حُريث راية على جميع الناس وأمره أن يقعد لهم في المسجد فلما كان المختار فوقف على باب الفيل مرّ به هانئ بن أبي حيّة الوادعي فقال للمختار ما وقوفك ههنا لا أنت مع الناس ولا أنت في رحلك قال أصبح رأي مرنجّا العظم خطيئتكم فقال له أظنك والله قاتلا نفسك ثم دخل على عمرو بن حريث فأخبره بما قال للمختار وما ردّ عليه المختار (قال أبو مخنف) فأخبرني النضر بن صالح عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي قال كنت جالسا عند عمرو بن حريث حين بلّغه هانئ بن أبي حية عن المختار هذه المقالة فقال لي قم الى ابن عمك فأخبره ان صاحبه لا يدري أين هو فلا يجعلن على نفسه سبيلا فقمت لآتيه ووثب اليه زائدة بن قدامة بن مسعود فقال له يأتيك على انه آمن فقال له عمرو بن حريث امامني فهو آمن وان رُقي الى الامير عبيد الله بن زياد شيء

من

من أمره أقت له بمحضر الشهادة وشفعت له أحسن الشفاعة فقال له زائدة بن قدامة لا يكونن مع هذا ان شاء الله الا خيرا * قال عبد الرحمن فخرجت وخرج معي زائدة الى المختار فأخبرناه بمقالة ابن أبي حية وبمقالة عمرو بن حريث وناشدناه بالله أن لا يجعل على نفسه سبيلا فنزل الى ابن حريث فسلم عليه وجلس تحت رايته حتى أصبح وتذاكر الناس أمر المختار وفعله فمشى عُمارة بن عقبة بن أبي مُعيط بذلك الى عبيد الله بن زياد فذكر له فلما ارتفع النهار فُتح باب عبيد الله بن زياد وأذن للناس فدخل المختار فيمن دخل فدعاه عبيد الله فقال له أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل فقال له لم أفعل ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث وبتُّ معه وأصبحت فقال له عمرو صدق أصلحك الله قال فرفع القضيب فاعترض به وجه المختار فخبط به عينه فشترها وقال أولى لك أم والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك انطلقوا به الى السجن فانطلقوا به الى السجن فحُبس فيه فلم يزل في السجن حتى قُتل الحسين ثم ان المختار بعث الى زائدة بن قدامة فسأله أن يسير الى عبد الله بن عمر بالمدينة فيسأله أن يكتب له الى يزيد بن معاوية فيكتب الى عبيد الله بن زياد بتخلية سبيله فركب زائدة الى عبد الله بن عمر فقدم عليه فبلغه رسالة المختار وعلمت صفية أخت المختار بمجلس أخيها وهي تحت عبد الله بن عمر فبكت وجزعت فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب مع زائدة الى يزيد بن معاوية أما بعد فان عبيد الله بن زياد حبس المختار وهو صهري وأنا أحب أن يعافى ويُصلح من حاله فان رأيت رحمنا الله واياك أن تكتب الى ابن زياد فتأمره بتخليته فعلت والسلام عليك فمضى زائدة على رواحله بالكتاب حتى قدم به على يزيد بالشام فلما قرأه ضحك ثم قال يشفع أبو عبد الرحمن وأهل ذلك هو فكتب له الى ابن زياد أما بعد فخلّ سبيل المختار بن أبي عبيد حين تنظر في كتابي والسلام عليك فأقبل به زائدة حتى دفعه فدعا ابن زياد بالمختار فأخرجه ثم قال له قد أجّلتك ثلاثا فان أدركتك بالكوفة بعدها فقد برئت منك الذمة فخرج الى رحله وقال ابن زياد والله لقد اجترأ عليّ زائدة حين يرحل الى أمير المؤمنين حتى يأتيني بالكتاب في تخلية رجل قد كان من شأني ان أطيل حبسه عليّ به فمرّ به عمرو بن نافع أبو عثمان كاتب لابن زياد وهو يُطلب وقال له النجاء بنفسك واذكرها يدا الى عندك * قال فخرج زائدة فتواري يومه ذلك ثم انه خرج في أناس من قومه حتى أتى القعقاع بن شَور الذهلي ومسلم بن عمرو الباهلي فأخذا له من ابن زياد الأمان (قال هشام) قال أبو مخنف ولما كان اليوم الثالث خرج المختار الى الحجاز قال فحدثني الصقعب بن زهير عن ابن العرق مولى لثقيف قال أقبلت من الحجاز حتى اذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة استقبلت المختار بن أبي عبيد خارجا يريد الحجاز حين خلى سبيله ابن زياد فلما استقبلته رحبت به وعطفت اليه * فلما رأيت شترعينه استرجعت له وقلت له بعد ما توجعت له

مابال عينك صرف الله عنك السوء فقال خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت الى ماترى فقلت له ماله سُلّت أنا مِلْهُ فقال المختار قتلني الله ان لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إربًا إربًا قال فعجبت لمقالته فقلت له ماعلمك بذلك رحمك الله فقال لي ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه قال ثم طفق يسألني عن عبد الله بن الزبير فقلت له لجأ الى البيت فقال انما أنا عائذ بربّ هذه البنية والناس يتحدّثون انه يبايع سرًا ولا أراه إلا لوقد اشتدّت شوكته واستكثف من الرجال الا سيُظهر الخلاف قال أجل لاشك في ذلك أما إنه رجل العرب اليوم أما إنه ان يخطُط في أثري ويسمع قولي أكفه أمر الناس والا يفعل فوالله ما أنا بدون أحد من العرب يا ابن العرق ان الفتنة قد أرعدت وأبرقت وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقيل ان المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيّد المسلمين وابن سيّدها الحسين بن علي فوربك لا قتلن بقتله عدّة القتلى التي قُتلت على دم يحيى بن زكرياء عليه السلام قال فقلت له سبحان الله وهذه أعجوبة مع الأحدوثة الأولى فقال هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه ثم حرّك راحلته فمضى ومضيت معه ساعة أدعو الله له بالسلامة وحسن الصحابة قال ثم انه وقف فاقسم عليّ لما انصرفت فأخذت بيده فودّعته وسلمت عليه وانصرفت عنه فقلت في نفسي هذا الذي يذكر لي هذا الانسان يعني المختار مما يزعم انه كائن أشيء حدّث به نفسه فوالله ما أطلع الله على الغيب أحدًا وانما هو شيء يتمناه فيرى انه كائن فهو يوجب رأيه فهذا والله الرأي الشعاع فوالله ما كل ما يرى الإنسان انه كائن يكون قال فوالله ما مُت حتى رأيتُ كل ما قاله قال فوالله لئن كان ذلك من علم ألقى اليه لقد أنبئ له ولئن كان ذلك رأيا رآه وشيأ تمنّاه لقد كان (قال أبو مخنف) فحدّثني الصقعب ابن زهير عن ابن العرق قال فحدّثت بهذا الحديث للحجاج بن يوسف فضحك ثم قال لي انه كان يقول أيضا

وَدافعة ذَيلها * وَداعية وَيلها * بِدجلة أو حولها

فقلت له أترى هذا شيأ كان يخترعه ويتخرّصه يتخرّصه أم هو من علم كان أوتيه فقال والله ما أدري ما هذا الذي تسألني عنه ولكن لله درّه أيّ رجل دينا ومِسْعَر حرب ومقارع أعداء كان (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يوسف الأنصاري من بني الخزرج عن عبّاس بن سهل بن سعد قال قدم المختار علينا مكة فجاء الى عبد الله بن الزبير وأنا جالس عنده فسلم عليه فردّ عليه ابن الزبير ورحّب به وأوسع له ثم قال حدّثني عن حال الناس بالكوفة يا أبا اسحاق قال هم لسلطانهم في العلانية أولياء وفي السرّ أعداء فقال له ابن الزبير هذه صفة عبيد السوء اذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم فإذا غابوا عنهم شتموهم ولعنوهم قال فجلس معنا

ساعة

ساعة ثم انه قال الى ابن الزبير كأنه يُسارّه فقال له ما تنتظر ابسُط يدك أبايعك وأعطنا ما يُرضينا وثب على الحجاز فإن أهل الحجاز كلهم معك وقام المختار فخرج فلم يَرُح ولا ثم اني بينا أنا جالس مع ابن الزبير اذ قال لي ابن الزبير متى عهدك بالمختار بن أبي عبيد فقلت له ما لي به عهد منذ رأيته عندك عاما اوّل فقال أين تراه ذهب لو كان بمكة لقد رُؤي بها بعد فقلت له اني انصرفت الى المدينة بعد اذ رأيته عندك بشهر أو شهرين فلبثت بالمدينة أشهرًا ثم اني قدمت عليك فسمعت نفرًا من أهل الطائف جاؤا معتمرين يزعمون انه قدم عليهم الطائف وهو يزعم انه صاحب الغضب ومُبير الجبّارين قال فقال الله لقد انبعث كذّابا متكهّنًا ان الله ان يهلك الجبارين يكن المختار أحدهم فوالله ما كان الا ريث فراغنا من منطقنا حتى عنّ لنا في جانب المسجد فقال ابن الزبير اذكر غائبا تَرَهُ أين تظنّه يهوى فقلت أظنه يريد البيت فأتى البيت فاستقبل الحجر ثم طاف بالبيت أسبوعا ثم صلى ركعتين عند الحجر ثم جلس فالبث ان مر به رجال من معارفه من أهل الطائف وغيرهم من أهل الحجاز فجلسوا اليه واستبطأ ابن الزبير قيامه اليه فقال ما ترى شأنه لا يأتينا قلت لا أدري وسأعلم لك علمه وقال ماشئت وكان ذلك أعجبه قال فقمت فمررتُ به كأني أريد الخروج من المسجد ثم التفتُّ اليه فأقبلت نحوه ثم سلمت عليه ثم جلست اليه وأخذت بيده فقلت له أين كنت وأين بلغت بعدي أبالطائف كنت فقال لي كنتُ بالطائف وغير الطائف وعمس عليّ أمرَه فلتُ اليه فنا جيته فقلت له مثلك يغيب عن مثل ما قد اجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب من قريش والأنصار وثقيف لم يبق أهل بيت ولا قبيلة الا وقد جاء زعيمهم وعميدهم فبايع هذا الرجل فعجبًا لك ولرأيك ألا تكون أتيته فبايعته وأخذت بحظّك من هذا الأمر وقال لي وما رأيتني أتيته العام الماضي فأشرت عليه بالرأي فطوى أمره دوني واني لما رأيته استغنى عني أحببت ان أريه اني مستغن عنه انه والله لهو أحوج الى مني اليه فقلت له انك كلمته بالذي كلمته وهو ظاهر في المسجد وهذا الكلام لا ينبغي أن يكون الا والستور دونه مرخاة والابواب دونه مغلقة القه الليلة ان شئت وأنا معك فقال لي فانى فاعل اذا صلينا العتمة أتيناه واتعدنا الحجر قال فنهضتُ من عنده فخرجت ثم رجعت الى ابن الزبير فأخبرته بما كان من قولي وقوله فسر بذلك * فلما صلينا العتمة التقينا بالحجر ثم خرجنا حتى أتينا منزل ابن الزبير فاستأذنّا عليه فأذن لنا فقلت أخليكما فقالا جميعا لا سرّ دونك فجلست فإذا ابن الزبير قد أخذ بيده فصافحه ورحب به فسأله عن حاله وأهل بيته وسكتا جميعا غير طويل فقال له المختار وأنا أسمع بعد ان تبدّأ في أول منطقه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه لا خير في الإكثار من المنطق ولا في التقصير عن الحاجة اني قد جئتك لابايعك على ان لا تقضي الأمور دوني وعلى ان أكون في أوّل من تأذن له وإذا ظهرت

استعنت بي على أفضل عملك فقال له ابن الزبير أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال وشر غلمانى أنت مبايعه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مالى فى هذا الامر من الحظ ماليس لأقصى الخلق منك لا والله لا أبايعك أبدا الا على هذه الخصال قال عباس بن سهل فالتفت اذن ابن الزبير فقلت له اشترط منه دينه حتى ترى من رأيك فقال له ابن الزبير فإن لك ما سألته فبسط يده فبايعه ومكث معه حتى شاهد الحصار الاول حين قدم الحصين بن نمير السكونى مكة فقاتل فى ذلك اليوم فكان من أحسن الناس يومئذ بلاء وأعظمهم غناء * فلما قتل المنذر بن الزبير والمسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى نادى المختار يا أهل الاسلام الى أنا ابن أبى عبيد بن مسعود وأنا ابن الكرار لا الفرار أنا ابن المقدمين غير المحجمين الى يا أهل الحفاظ وحماة الأوتار فحمى الناس يومئذ وأبلى وقاتل قتالا حسنا ثم أقام مع ابن الزبير فى ذلك الحصار حتى كان يوم أحرق البيت فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ فقاتل المختار يومئذ فى عصابة معه نحو من ثلثمائة أحسن قتال فاتله أحد من الناس ان كان ليقاتل حتى يتبلد ثم يجلس ويحيط به أصحابه فاذا استراح نهض فقاتل فما كان يتوجه نحو طائفة من أهل الشأم الا ضاربهم حتى يكشفهم (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو يوسف محمد ابن ثابط عن عباس بن سهل بن سعد قال تولى قتال أهل الشأم يوم تحريق الكعبة عبد الله ابن مطيع وأنا والمختار قال فما كان فينا يومئذ رجل أحسن بلاء من المختار قال وقاتل قبل أن يطلع أهل الشأم على موت يزيد بن معاوية بيوم قتالا شديدا وذلك يوم الأحد لخمس عشرة ليلة مضت من ربيع الآخر سنة ٦٤ وكان أهل الشأم قد رجوا أن يظفروا بنا وأخذوا علينا سكك مكة قال وخرج ابن الزبير فبايعه رجال كثير على الموت قال فخرجت فى عصابة معى أقاتل فى جانب والمختار فى عصابة أخرى يقاتل فى جمعية من أهل اليمامة فى جانب وهم خوارج وانما قاتلوا ليدفعوا عن البيت فهم فى جانب وعبد الله بن المطيع فى جانب قال فشد أهل الشأم علينا فحازونى فى أصحابى حتى اجتمعت أنا والمختار وأصحابه فى مكان واحد فلم أكن أصنع شيأ الا صنع مثله ولا يصنع شيأ الا تكلفت أن أصنع مثله فما رأيت أشد منه قط قال فإنا لنقاتل اذ شدت علينا رجال وخيل من خيل أهل الشأم فاضطرونى واياه فى نحو من سبعين رجلا من أهل الصبر الى جانب دار من دور أهل مكة فقاتلهم المختار يومئذ وأحذ يقول رجل لرجل ولا وألت نفس امرئ يفر قال فخرج المختار وخرجت معه فقلت ليخرج منكم الى رجل فخرج الى رجل واليه رجل آخر فمشيت الى صاحبى فأقتله ومشى المختار الى صاحبه فقتله ثم صحنا بأصحابنا وشددنا عليهم فوالله لضربناهم حتى أخرجناهم من السكك كلها ثم رجعنا الى صاحبينا اللذين

قتلنا

قتلنا قال فاذا الذى قتلت رجل أحمر شديد الحمرة كأنه رومى واذا الذى قتل المختار رجل أسود شديد السواد فقال لى المختار تعلم والله انى لأظن قتيلينا هذين عبدين ولو أن هذين قتلانا لفجع بنا عشائرنا ومن يرجونا وما هذان وكلبان من الكلاب عندى إلا سواء ولا أخرج بعد يومى هذا الرجل أبدا إلا رجل أعرفه فقلت له وأنا والله لا أخرج إلا الرجل أعرفه وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يزيد بن معاوية وانقضى الحصار ورجع أهل الشأم الى الشأم واصطلح أهل الكوفة على عامر بن مسعود بعد ما هلك يزيد يصلى بهم حتى يجتمع الناس على امام يرضونه فلم يلبث عامر الا شهرا حتى بعث ببيعته وبيعة أهل الكوفة الى ابن الزبير وأقام المختار مع ابن الزبير خمسة أشهر بعد مهلك يزيد وأياما (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال والله انى لمع عبد الله بن الزبير ومعه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف ونحن نطوف بالبيت اذ نظر ابن الزبير فاذا هو بالمختار فقال لابن صفوان انظر اليه فوالله لهو أحذر من ذئب قد أطافت به السباع قال فمضى ومضينا معه فلما قضينا طوافنا وصلينا الركعتين بعد الطواف لحقنا المختار فقال لابن صفوان ما الذى ذكرنى به ابن الزبير قال قال فكتمه وقال لم يذكرك الا بخير قال بلى ورب هذه البنية ان كنت لمن شأنكما أما والله ليخطن فى أثرى أولا قدنها عليه سعرا فأقام معه خمسة أشهر فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد من الكوفة الا سأله عن حال الناس وهيئتهم (قال أبو مخنف) فحدثنى عطية بن الحارث أبو روق الهمدانى ان هانئ بن أبى حية الوادعى قدم مكة يريد عمرة رمضان فسأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة وهيئتهم فأخبره عنهم بصلاح واتساق على طاعة ابن الزبير الا ان طائفة من الناس اليهم عدد أهل مصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض الى يوم ما فقال له المختار أنا أبو اسحاق أنا والله لهم أنا أجمعهم على مر الحق وأنفى بهم ركبان الباطل وأقتل بهم كل جبار عنيد فقال له هانئ بن أبى حية ويحك يا ابن أبى عبيد ان استطعت ألا توضع فى الضلال ليكن صاحبهم غيرك فان صاحب الفتنة أقرب شىء أجلا وأسوأ الناس عملا فقال له المختار انى لا أدعو الى الفتنة انما أدعو الى الهدى والجماعة ثم وثب فخرج وركب راحلته فأقبل نحو الكوفة حتى اذا كان بالقرعاء لقيه سلمة بن مرثد أخو بنت مرثد القابضى من همدان وكان من أشجع العرب وكان ناسكا فلما التقيا تصافحا وتساءلا فخبره المختار خبر الحجاز ثم قال لسلمة بن مرثد حدثنى عن الناس بالكوفة قال هم كغنم ضل راعيها فقال المختار بن أبى عبيد أنا الذى أحسن رعايتها وأبلغ نهايتها فقال له سلمة اتق الله واعلم انك ميت ومبعوث ومحاسب ومجزى بعملك ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم افترقا وأقبل المختار حتى انتهى الى بحر الحيرة

يوم الجمعة فنزل فاغتسل فيه وادّهن دُهنا يسيرا ولبس ثيابه واعتمّ وتقلد سيفه ثم ركب راحلته فمرّ بمسجد السَّكُون وجبّانة كندة لايمر بمجلس الا سلم على أهله وقال ابشروا بالنصر والفلج أتاكم ماتحبون وأقبل حتى مر بمسجد بني ذُهل وبني حُجر فلم يجد ثمّ أحدا ووجد الناس قد راحوا الى الجمعة فأقبل حتى مر ببني بدّاء فوجد عبيدة بن عمرو البدّي من كندة فسلم عليه ثم قال ابشر بالنصر واليُسر والفلج انك أبا عمرو على رأي حسن لن يدع الله لك معه مأثما الا غفره ولا ذنبا الا ستره قال وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم حبا لعلي رضى الله عنه وكان لايصبر عن الشراب فلما قال له المختار هذا القول قال له عبيدة بشّرك الله بخير انك قد بشرتنا فهل أنت مفسّر لنا قال نعم فالقني في الرحل الليلة ثم مضى (قال أبو مخنف) فحدثني فضيل بن حُدَيج عن عبيدة بن عمرو قال قال لي المختار هذه المقالة ثم قال لي القني في الرحل وبلغ أهل مسجدكم هذا أعني انهم قومٌ أخذ الله ميثاقهم على طاعته يقتلون المُحلين ويطلبون بدماء أولاد النبيين ويهديهم للنُّور المبين ثم مضى فقال لي كيف الطريق الى بني هند فقلت له انظرني أدلك فدعوت بفرسي وقد أسرج لي فركبته قال ومضيت معه الى بني هند فقال دلني على منزل اسماعيل بن كثير قال فمضيت به الى منزله فاستخرجته فحيّاه ورحّب به وصافحه وبشّره وقال له القني أنت وأخوك الليلة وأبو عمرو فاني قد أتيتكم بكل ماتحبون قال ثم مضى ومضينا معه حتى مر بمسجد جُهَينة الباطنة ثم مضى الى باب الفيل فأناخ راحلته ثم دخل المسجد واستشرف له الناس وقالوا هذا المختار قد قدم فقام المختار الى جنب سارية من سواري المسجد فصلى عندها حتى أقيمت الصلاة فصلى مع الناس ثم ركد الى سارية أخرى فصلى مابين الجمعة والعصر فلما صلى العصر مع الناس انصرف (قال أبو مخنف) فحدثني المجالد بن سعيد عن عامر الشعبي ان المختار مرّ على حلقة همدان وعليه ثياب السفر فقال ابشروا فاني قد قدمت عليكم بما يسركم ومضى حتى نزل داره وهي الدار التي تُدعى دار سلْم بن المسيب وكانت الشيعة تختلف اليها واليه فيها (قال أبو مخنف) فحدثني فضيل بن حديج عن عبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير من بني هند قالا أتيناه من الليل كما وعدنا فلما دخلنا عليه وجلسنا ساءلنا عن أمر الناس وعن حال الشيعة فقلنا له ان الشيعة قد اجتمعت لسليمان ابن صرد الخزاعي وانه لن يلبث الا يسيرا حتى يخرج قال فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان المهدي ابن الوصي محمد بن علي بعثني اليكم أمينا ووزيرا ومنتخبا وأميرا وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء (قال أبو مخنف) قال فضيل بن حديج فحدثني عبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير انهما كانا أول خلق الله اجابة وضربا على يده وبايعاه قال وأقبل المختار يبعث الى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد فيقول لهم اني قد جئتكم من قِبل ولي الامر ومعدن الفضل ووصي

الوصي والامام المهدي بأمر فيه الشفاء وكشف الغطاء وقتل الاعداء وتمام النّعماء ان سليمان ابن صرد يرحمنا الله واياه انما هو عشمة من العشم وحِفْشٌ بال ليس بذي تجربة للامور ولا له علمٌ بالحروب انما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم اني انما أعمل على مثال قد مُثّل لي وأمر قد بُيّن لي فيه عزّ وليكم وقتل عدوكم وشفاء صدوركم فاسمعوا مني قولي وأطيعوا أمري ثم ابشروا وتباشروا فاني لكم بكل ماتأملون خير زعيم قال فوالله مازال بهذا القول ونحوه حتى استمال طائفةً من الشيعة وكانوا يختلفون اليه ويعظمونه وينظرون أمره وعُظْمُ الشيعة يومئذ ورؤساؤهم مع سليمان بن صرد وهو شيخ الشيعة وأسنّهم فليس يعدلون به أحدا الا أن المختار قد استمال منهم طائفة ليسوا بالكثير فسليمان بن صرد أثقل خلق الله على المختار وقد اجتمع لابن صرد يومئذ أمره وهو يريد الخروج والمختار لايريد أن يتحرك ولا أن يهيّج أمرا رجاء أن ينظر الى مايصير اليه أمر سليمان رجاء أن يستجمع له أمر الشيعة فيكون أقوى له على درك مايطلب فلما خرج سليمان بن صرد ومضى نحو الجزيرة قال عمر بن سعد ابن أبي وقّاص وشَبَث بن ربعيّ ويزيد بن الحارث بن رُوَيم لعبد الله بن يزيد الخطميّ وابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله ان المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد انّ سليمان انما خرج يقاتل عدوّكم ويذلّ لهم لكم وقد خرج عن بلادكم وان المختار انما يريد أن يثب عليكم في مصركم فسيروا اليه فأوثقوه في الحديد واحملوه في السجن حتى يستقيم أمرُ الناس فخرجوا اليه في الناس فما شعر بشيء حتى أحاطوا به وبداره فاستخرجوه فلما رأى جماعتهم قال مالكم فوالله بُعدَ ما ظفرتْ أكفكم قال فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيد الله لعبد الله بن يزيد شُدّه كتافا ومشّه حافيا فقال له عبد الله بن يزيد سبحان الله ما كنت لأمشيه ولا لأحفيه ولا كنت لافعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوةً ولا حرابا وانما أخذناه على الظن فقال له ابراهيم بن محمد ليس بعُشّك فادرُجي ماأنت ومايبلغنا عنك يا ابن أبي عبيد فقال له ما الذي بلغك عني الاباطلُ وأعوذ بالله من غشّ كغشّ أبيك وجدّك قال قال فضيل فوالله اني لأنظر اليه حين أخرج وأسمع هذا القول حين قال له غيرانى لاأدري أسمعه منه ابراهيم أم لم يسمعه فسكت حين تكلم به قال وأتى المختار ببغلة دهماء يركبها فقال ابراهيم لعبد الله بن يزيد ألا نشد عليه القيود فقال كفى له بالسجن قيدا (قال أبو مخنف) وأما يحيى بن أبي عيسى فحدثني انه قال دخلت اليه مع حميد بن مسلم الازدي نزوره ونتعاهده فرأيته مقيّدا قال فسمعته يقول أما ورب البحار والنخيل والاشجار والمهامه والقفار والملائكة الابرار والمصطفين الاخيار لأقتلنّ كلّ جبار بكل لدن خطّار ومهنّد بتار في جموع من الانصار ليسوا بميل أغمار ولا بعزل أشرار - ني اذا أقتُ عمود الدين ورأيتُ شعب صدع المسلمين وشفيتُ غليل صدور المؤمنين وأدركتُ بثأر

النبيين لم يكبُر عليّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت اذا أتى قال فكان اذا أتيناه وهو في السجن ردّد علينا هذا القول حتى خرج منه قال وكان يتشجّع لاصحابه بعد ما خرج ابن صرد

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة وكانت قد مال حيطانها بما رُميَت به من حجارة المجانيق فذكر محمد بن عمر الواقدي ان ابراهيم بن موسى حدثه عن عكرمة بن خالد قال هدم ابن الزبير البيت حتى سوّاه بالارض وحفر أساسه وأدخل الحجر فيه وكان الناس يطوفون من وراء الاساس ويصلّون الى موضعه وجعل الركن الاسود عنده في تابوت في سَرَقة من حرير وجعل ما كان من حُلىّ البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحجبة في خزانة البيت حتى أعادها لمّا أعاد بناءه * قال محمد بن عمر وحدثني معقل ابن عبد الله عن عطاء قال رأيت ابن الزبير هدم البيت كله حتى وضعه بالارض ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على مدينة فيها أخوه عبيدة بن الزبير وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وعلى قضائها سعد بن نمران وأبى شريح أن يقضي فيها وقال فيما ذُكر عنه انا لا أقضي في الفتنة وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليلة﴾

فمن ذلك ما كان من أمر التوّابين وشخوصهم للطلب بدم الحسين بن علىّ الى عبيد الله بن زياد (قال هشام) قال أبو مخنف حدثني أبو يوسف عن عبد الله بن عوف الاحمري قال بعث سليمان بن صرد الى وجوه أصحابه حين أراد الشخوص وذلك في سنة ٦٥ فأتوه فلما استهل الهلال هلال شهر ربيع الآخر خرج في وجوه أصحابه وقد كان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنخيلة فخرج حتى أتى عسكره فدار في الناس ووجوه أصحابه فلم يعجبه عدّة الناس فبعث حكيم بن مُنقذ الكندي في خيل وبعث الوليد بن عُضَين الكناني في خيل وقال اذهبا حتى تدخلا الكوفة فناديا بالثأرات الحسين وابلُغا المسجد الاعظم فناديا بذلك فخرجا وكانا أول خلق الله دعوا بالثأرات الحسين قال فأقبل حكيم بن منقذ الكندي في خيل والوليد بن عضين في خيل حتى مرّا ببني كثير وان رجلا من بني كثير من الازد يقال له عبد الله بن خازم مع امرأته سهلة بنت سبرة بن عمرو من بني كثير وكانت من أجمل الناس وأحبهم اليه سمع الصوت بالثأرات الحسين وما هو ممن كان يأتيهم ولا استجاب لهم فوثب الى ثيابه فلبسها ودعا بسلاحه وأمر بإسراج فرسه فقالت له امرأته ويحك أجُنَنتَ قال لا والله ولكني سمعت داعي الله فأنا مُجيبه أنا طالبٌ بدم هذا الرجل حتى أموت أو يقضي الله من أمري ما هو أحب اليه فقالت له الى من تدع بُنَيّك هذا قال الى الله وحده لا شريك له

اللهم

اللهم اني أستودعك أهلي وولدي اللهم احفظني فيهم وكان ابنه ذلك يُدعى عَزْرة فبقي حتى قتل بعدُ مع مصعب بن الزبير وخرج حتى لحق بهم فقعدت امرأته تبكيه واجتمع اليها نساؤها ومضى مع القوم وطافت تلك الليلة الخيل بالكوفة حتى جاؤا المسجد بعد العتمة وفيه ناسٌ كثيرٌ يصلون فنادَوا يا لثأرات الحسين وفيهم أبو عزّة القابضي وكرب بن نِمران يصلي فقال يا لثأرات الحسين أين جماعة القوم قيل بالنخيلة فخرج حتى أتى أهله فأخذ سلاحه ودعا بفرسه ليركبه فجاءته ابنته الرُواع وكانت تحت ثُبيت بن مرثد القابضي فقالت يا أبت مالي أراك قد تقلدت سيفك ولبست سلاحك فقال لها يا بنيّة ان أباك يفرّ من ذنبه الى ربه فأخذت تنتحب وتبكي وجاءه اصهارُه وبنو عمه فودّعهم ثم خرج فلحق بالقوم قال فلم يصبح سليمان بن صرد حتى أتاه نحوٌ ممن كان في عسكره حين دخله قال ثم دعا بديوانه لينظر فيه الى عدّة من بايعه حين أصبح فوجدهم ستة عشر ألفا فقال سبحان الله ما وافانا الا أربعة آلاف من ستة عشر ألفا (قال أبو مخنف) عن عطية بن الحارث عن حميد بن مسلم قال قلت لسليمان ابن صرد ان المختار والله يثبّط الناس عنك انى كنت عنده أوّل ثلاث فسمعتُ نفرا من أصحابه يقولون قد كُملنا ألفَي رجل فقال وهَبْ انّ ذلك كان فأقام عنا عشرة آلاف أما هؤلاء بمؤمنين أما يخافون الله أما يذكرون الله وما أعطَونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليُجاهدنّ ولينصرنّ فأقام بالنخيلة ثلاثا يبعث ثقاته من أصحابه الى مَن تخلف عنه يذكّرهم الله وما أعطَوه من أنفسهم فخرج اليه نحو من ألف رجل فقام المسيَّب بن نجَبة الى سليمان ابن صرد فقال رحمك الله انه لا ينفعك الكارهُ ولا يقاتل معك الا من أخرجته النية فلا تنتظرنّ أحدا واكمُش في أمرك قال فانك والله لنعمّا رأيتَ فقام سليمان بن صرد في الناس متوكئا على قوس له عربيّة فقال أيها الناس من كان انما أخرجته ارادةُ وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حيا ومينا ومن كان انما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما أتى فيأ نستفيئه ولا غنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله رب العالمين وما معنا من ذهب ولا فضة ولا خزّ ولا حرير وما هو الا سيوفنا في عواتقنا ورماحنا في أكفنا وزاد قدر البلغة الى لقاء عدوّنا فمن كان غير هذا ينوي فلا يصحبنا فقام صخير بن حذيفة بن هلال ابن مالك المُزني فقال أتاك الله رشدك ولقاك حُجّتك والله الذي لا اله غيره ما الناخيرُ في صحبة من الدنيا همّتُه ونيّتُه أيها الناس انما أخرجتنا التوبةُ من ذنبنا والطلب بدم ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم ليس معنا دينارٌ ولا درهمٌ انما نقدَم على حدّ السيوف وأطراف الرماح فتنادى الناسُ من كلّ جانب انّا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا (قال أبو مخنف) عن اسماعيل بن يزيد الازدي عن السري بن كعب الازدي قال أتينا صاحبنا عبد الله بن سعد بن نفيل نودّعه قال فقام فقمنا معه فدخل على سليمان ودخلنا معه وقد

أجمع سليمان بالمسير فأشار عليه عبد الله بن سعد بن نفيل أن يسير الى عبيد الله بن زياد فقال هو ورؤس أصحابه الرأى ما أشار به عبد الله بن سعد بن نفيل أن نسير الى عبيد الله بن زياد قاتل صاحبنا ومن قبله أتينا فقال له عبد الله بن سعد وعنده رؤس أصحابه جلوس حوله انى قد رأيت رأيا ان يكن صوابا فالله وفق وان يكن ليس بصواب فمن قبلى فانى ما آلوكم ونفسى نصحا خطأ كان أم صوابا انما خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلة الحسين كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد بن أبى وقاص ورؤس الارباع وأشراف القبائل فأنى نذهب ههنا وندع الاقتال والاوتار فقال سليمان بن صرد فاذا ترون فقالوا والله لقد جاء برأى وان ما ذكر لكما ذكر والله ما نلقى من قتلة الحسين ان نحن مضينا نحو الشأم غير ابن زياد وما طلبتنا الا ههنا بالمصر فقال سليمان بن صرد لكن أنا ما أرى ذلك لكم ان الذى قتل صاحبكم وعبى الجنود اليه وقال لا أمان له عندى دون أن يستسلم فأمضى فيه حكمى هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مرجانة عبيد الله بن زياد فسيروا الى عدوكم على اسم الله فان يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون شوكة منه ورجونا أن يدين لكم من وراءكم من أهل مصركم فى عافية فتنظرون الى كل من شرك فى دم الحسين فتقاتلونه ولا تغشموا وان تستشهدوا فانما قاتلتم المحلين وما عند الله خير للأبرار والصديقين انى لأحب أن تجعلوا حدكم وشوكتكم بأول المحلين القاسطين والله لو قاتلتم غدا أهل مصركم ما عدم رجل أن يرى رجلا قد قتل أخاه وأباه وحميمه أو رجلا لم يكن يريد قتله فاستحيوا والله وسيروا فتهيأ الناس للشخوص قال وبلغ عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صرد وأصحابه فنظرا فى أمرهما فرأيا أن يأتياهم فيعرضا عليهم الاقامة وأن تكون أيديهم واحدة فان أبوا الا الشخوص سألوهم النظرة حتى يعبوا معهم جيشا فيقاتلوا عدوهم بكثف وحد فبعث عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة سويد بن عبد الرحمن الى سليمان بن صرد فقال له ان عبد الله وابراهيم يقولان انا نريد أن نجيئك الآن لامر عسى الله أن يجعل لنا ولك فيه صلاحا فقال قل لهما فليأتيانا وقال سليمان لرفاعة بن شداد البجلى قم أنت فأحسن تعبية الناس فان هذين الرجلين قد بعثا بكيت وكيت فدعا رؤس أصحابه فجلسوا حوله فلم يمكثوا الا ساعة حتى جاء عبد الله بن يزيد فى أشراف أهل الكوفة والشرط وكثير من المقاتلة وابراهيم بن محمد بن طلحة فى جماعة من أصحابه فقال عبد الله بن يزيد لكل رجل معروف قد علم انه قد شرك فى دم الحسين لا تصحبنى اليهم مخافة أن ينظروا اليه فيعدوا عليه وكان عمر بن سعد تلك الايام التى كان سليمان معسكرا فيها بالنخيلة لا يبيت الا فى قصر الامارة مع عبد الله بن يزيد مخافة أن يأتيه القوم فى داره ويذمروا عليه فى بيته وهو غافل لا يعلم فيقتل وقال عبد الله بن يزيد يا عمرو بن حريث ان أنا أبطأت عنك فصل بالناس

الظهر

الظهر فلما انتهى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد الى سليمان بن صرد دخلا عليه فحمد الله عبد الله بن يزيد وأثنى عليه ثم قال ان المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشه وأنتم اخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصر خلقه الله الينا فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تستبدوا علينا برأيكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى نتيسر ونتهيأ فاذا علمنا ان عدونا قد شارف بلدنا خرجنا اليهم بجماعتنا فقاتلناهم وتكلم ابراهيم بن محمد بنحو من هذا الكلام قال فحمد الله سليمان بن صرد وأثنى عليه ثم قال لهما انى قد علمت انكما قد محضتما فى النصيحة واجتهدتما فى المشورة فنحن بالله وله وقد خرجنا لأمر ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد والتسديد لأصوبه ولا ترانا الا شاخصين ان شاء الله ذلك فقال عبد الله بن يزيد فأقيموا حتى نعبى معكم جيشا كثيفا فتلقوا عدوكم بكثف وجمع وحد فقال له سليمان تنصرفون ونرى فيما بيننا وسيأتيكم ان شاء الله رأى (قال أبو مخنف) عن عبد الجبار يعنى ابن عباس الهمدانى عن عون بن أبى جحيفة السوائى قال ثم ان عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة عرضا على سليمان أن يقيم معهما حتى يلقوا جموع أهل الشأم على أن يخصاه وأصحابه بخراج جوخى خاصة لهم دون الناس فقال لهما سليمان انا ليس للدنيا خرجنا وانما فعلا ذلك لما قد كان بلغهما من اقبال عبيد الله بن زياد نحو العراق وانصرف ابراهيم بن محمد وعبد الله بن يزيد الى الكوفة وأجمع القوم على الشخوص واستقبال ابن زياد ونظروا فاذا شيعتهم من أهل البصرة لم يوافوهم لميعادهم ولا أهل المدائن فأقبل ناس من أصحابه يلومونهم فقال سليمان لا تلوموهم فانى لا أراهم الا سيسرعون اليكم لو قد انتهى اليهم خبركم وحين مسيركم ولا أراهم خلفهم ولا أقعدهم الا قلة النفقة وسوء العدة فأقيموا ليتيسروا ويتجهزوا ويلحقوا بكم وبهم قوة وما أسرع القوم فى آثاركم قال ثم ان سليمان بن صرد قام فى الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله قد علم ما تنوون وما خرجتم تطلبون وان الدنيا تجارا وللآخرة تجارا فأما تاجر الآخرة فساع اليها متنصب بتطلابها لا يشترى بها ثمنا لا يرى الا قائما وقاعدا وراكعا وساجدا لا يطلب ذهبا ولا فضة ولا دنيا ولا لذة وأما تاجر الدنيا فمكب عليها راتع فيها لا يبتغى بها بدلا فعليكم يرحمكم الله فى وجهكم هذا بطول الصلاة فى جوف الليل وبذكر الله كثيرا على كل حال وتقربوا الى الله جل ذكره بكل خير قدرتم عليه حتى تلقوا هذا العدو والمحل القاسط فتجاهدوه فانكم لن تتوسلوا الى ربكم بشىء هو أعظم عنده ثوابا من الجهاد والصلاة فان الجهاد سنام العمل جعلنا الله وإياكم من العباد الصالحين المجاهدين الصابرين على اللأواء وانا مدلجون الليلة من منزلنا هذا ان شاء الله فادلجوا فادلج عشية الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥ للهجرة قال فلما خرج

سليمان وأصحابه من النخيلة دعا سليمان بن صرد حكيم بن مُنقذ فنادى في الناس ألا لا يبيتنّ رجلٌ منكم دون دير الأعور فبات الناس بدير الاعور وتخلف عنه ناسٌ كثيرٌ ثم سار حتى نزل الأقساس أقساس مالك على شاطئ الفرات فعرض الناس فسقط منهم نحوٌ من ألف رجل فقال ابن صُرَد ما أحبّ أنّ من تخلف عنكم معكم ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خبالاً ان الله عز وجل كره انبعاثهم فثبّطهم وخصّكم بفضل ذلك فاحمدوا ربكم ثم خرج من منزله ذلك دُلجةً فصبّحوا قبر الحسين فأقاموا به ليلةً ويوماً يصلون عليه ويستغفرون له قال فلما انتهى الناس الى قبر الحسين صاحوا صيحةً واحدةً وبكوا فما رئي يومٌ كان أكثر باكياً منه (قال أبو مخنف) وقد حدّث عبد الرحمن بن جندب عن عبد الرحمن بن غزيّة قال لما انتهينا الى قبر الحسين عليه السلام بكى الناس بأجمعهم وسمعت جُلّ الناس يتمنّون انهم كانوا أصيبوا معه فقال سليمان اللهمّ ارحم حسينا الشهيد بن الشهيد المهديّ بن المهديّ الصدّيق بن الصدّيق اللهم انا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبّيهم ثم انصرف ونزل ونزل أصحابه (قال أبو مخنف) حدثنا الاعمش قال حدثنا سلمة بن كُهيل عن أبي صادق قال لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه الى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة يا ربّ انا قد خذلنا ابن بنت نبيّنا فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصدّيقين وإنا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قُتلوا عليه فان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين قال فأقاموا عنده يوما وليلة يصلون عليه ويبكون ويتضرّعون فما انفكّ الناس من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى أصحابه حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره وزاهم ذلك حنقاً ثم ركبوا فأمر سليمان الناس بالمسير فجعل الرجل لا يمضي حتى يأتي قبر الحسين فيقوم عليه فيترحم عليه ويستغفر له قال فوالله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود قال ووقف سليمان عند قبره فكلما مادعاله قوم وترحموا عليه قال لهم المسيّب بن نجبة وسليمان بن صرد الحقوا باخوانكم رحمكم الله فما زال كذلك حتى بقي نحوٌ من ثلاثين من أصحابه فأحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه فقال سليمان الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين اللهمّ اذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيما بعده وقال عبد الله بن وال أما والله اني لأظنّ حسينا وأباه وأخاه أفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسيلةً عند الله يوم القيامة أفما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم انهم قتلوا اثنين وأشفوا بالثالث على القتل قال يقول المسيب بن نجبة فأنا من قتلتهم ومن كان على رأيهم برئ اياهم أعادي وأقاتل قال فأحسن الرؤس كلهم المنطق وكان المثنّى بن مُجزّية صاحب أحد الرؤس والأشراف فسائني حيث لم أسمعه تكلم مع القوم بنحو ما تكلموا به قال فوالله ما لبث ان تكلم بكلمات ما كنّ بدون كلام أحد من القوم فقال ان الله جعل

هؤلاء

هؤلاء الذين ذكرتم بمكانهم من نبيهم صلى الله عليه وسلم أفضل ممن هو دون نبيهم وقد قتلهم قومٌ نحن لهم أعداء ومنهم براء وقد خرجنا من الديار والأهلين والأموال ارادة استئصال من قتلهم فوالله لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يحُق علينا طلبُه حتى نناله فان ذلك هو الغنم وهي الشهادة التي ثوابها الجنة فقلنا له صدقت وأصبت ووُفقت قال ثم إن سليمان بن صرد سار من موضع قبر الحسين وسرنا معه فأخذنا على الحصاصة ثم على الأنبار ثم على الصدود ثم على القيّارة (قال أبو مخنف) عن الحارث بن حصيرة وغيره ان سليمان بعث على مقدّمته كُريب بن يزيد الحميريّ (قال أبو مخنف) حدّثني الحصين بن يزيد عن السريّ بن كعب قال خرجنا مع رجال الحيّ نشيّعهم فلما انتهينا الى قبر الحسين وانصرف سليمان بن صرد وأصحابه عن القبر ولزموا الطريق استقدمهم عبد الله بن عوف ابن الأحمر على فرس له مهلوب كُميت مربوع يتأكل تأكلا وهو يرتجز ويقول

خرجن يُلمعن بنا أرسالا * عوابساً يحملننا أبطالا
نُريد أن نلقى به الأقتالا * القاسطين الغدرَ الضُلّالا
وقد رفضنا الأهل والأموالا * والخفرات البيض والحجالا
نُرضي به ذا النعم المفضالا

(قال أبو مخنف) عن سعد بن مجاهد الطائيّ عن المحلّ بن خليفة الطائي ان عبد الله بن يزيد كتب الى سليمان بن صرد أحسبه قال بعثني به فلحقته بالقيارة واستقدم أصحابه حتى ظنّ ان قد سبقهم قال فوقف وأشار الى الناس فوقفوا عليه ثم أقرأهم كتابه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن يزيد الى سليمان بن صرد ومن معه من المسلمين سلام عليكم أما بعد فإن كتابي هذا اليكم كتاب ناصح ذي ارعاء وكم من ناصح مستغشّ وكم من غاشّ مستنصح مُحبّ انه بلغني انكم تريدون المسير بالعدد اليسير الى الجمع الكثير وإنه من يُرِدْ ان ينقل الجبال عن مراتبها تكلّ معاوله وينزع وهو مذموم العقل والفعل يا قومنا لا تطمعوا عدوّكم في أهل بلادكم فإنكم خيار كلكم ومتى ما يصبكم عدوّكم يعلموا انكم أعلام مصركم فيُطمعهم ذلك فيمن وراءكم يا قومنا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يُعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذاً أبداً يا قوم ان أيدينا وأيديكم اليوم واحدة وان عدوّنا وعدوّكم واحد ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدوّنا ومتى تختلف نهن شوكتنا على من خالفنا يا قوم نالا تستغشوا نصحي ولا تخالفوا أمري وأقبلوا حين يُقرأ عليكم كتابي أقبل الله بكم الى طاعته وأدبر بكم عن معصيته والسلام قال فلما قرئ الكتاب على ابن صرد وأصحابه قال للناس ما ترون قالوا ما ذا ترى قد أبينا هذا عليكم وعليهم ونحن في مصرنا وأهلنا فالآن حين خرجنا ووطنا أنفسنا على الجهاد دونوا من أرض عدوّنا ما هذا برأي ثم نادوه

ان أخبرنا برأيك قال رأيي والله انكم لم تكونوا قط أقرب من احدى الحسنيين منكم يومكم هذا الشهادة والفتح ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعكم الله عليه من الحق وأردتم به من الفضل انا وهؤلاء مختلفون ان هؤلاء لو ظهروا دعونا الى الجهاد مع ابن الزبير ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً وانا ان نحن ظهرنا رددناهذا الأمر الى أهله وإن أصبنا فعلى نياتنا تائبين من ذنوبنا ان لنا شكلاً وإن لابن الزبير شكلاً انا وإياهم كما قال أخو بني كنانة

أرى لكِ شكلاً غيرَ شكلي فأقصِري * عنِ اللومِ إذ بُدِّلتِ واختلفَ الشكلُ

قال فانصرف الناس معه حتى نزل هيت فكتب سليمان بسم الله الرحمن الرحيم للأمير عبد الله بن يزيد من سليمان بن صرد ومن معه من المؤمنين سلامٌ عليك أما بعد فقد قرأنا كتابك وفهمنا ما نويت فنعم والله الوالي ونعم الأمير ونعم أخو العشيرة أنت والله من نأمنه بالغيب ونستنصحه في المشورة ونحمده على كل حال انا سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المؤمنينَ أنفُسَهُمْ وأموالَهُمْ بأنَّ لَهُمُ الجنةَ الى قوله وبشر المؤمنينَ ان القوم قد استبشروا ببيعتهم التي بايعوا اليهم قد تابوا من عظيم جرمهم وقد توجهوا الى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله ربنا علينا لك توكلنا واليك أنبنا واليك المصيرُ والسلام عليك فلما أتاه هذا الكتاب قال استمات القومُ أوَّلُ خبرٍ يأتيكم عنهم قتلهم وايم الله ليُقتلنَّ كراما مسلمين ولا والذي هو ربهم لا يقتلهم عدوهم حتى تشتد شوكتهم وتكثر القتلى فيما بينهم (قال أبو مخنف) فحدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر وعبد الرحمن بن جندب عن عبد الرحمن بن غزية قال خرجنا من هيت حتى انتهينا الى قرقيسيا فلما دنونا منها وقف سليمان بن صرد فعبّانا تعبية حسنة حتى مررنا بجانب قرقيسيا فنزلنا قريبا منها وبها زُفر بن الحارث الكلابي قد تحصن بها من القوم ولم يخرج اليهم فبعث سليمان المسيب بن نجبة فقال ائت ابن عمك هذا فقل له فليخرج الينا سوقا فإنا لسنا اياه نريد انما صمدنا لهؤلاء المحلين فخرج المسيب بن نجبة حتى انتهى الى باب قرقيسيا فقال افتحوا ممن تحصنون فقالوا من أنت قال انا المسيب بن نجبة فأتى الهذيل بن زفر أباه فقال هذا رجلٌ حسنُ الهيئة يستأذن عليك وسألناه من هو فقال المسيب بن نجبة قال وأنا اذ ذاك لا علم لي بالناس ولا أعلم أيَّ الناس هو فقال لي أبي ما تدري أي بُنيَّ من هذا هذا فارس مُضَر الحمراء كلها وإذا عُدَّ من أشرافها عشرة كان أحدهم وهو بعد رجلٌ ناسكٌ له دينٌ ائذن له فأذنت له فأجلسه أبي الى جانبه وسائله وألطفه في المسألة فقال المسيب بن نجبة ممن تحصن انا والله ما اياكم نريد وما اعترينا الى شيء الا أن تُعيننا على هؤلاء القوم الظلمة المحلين فأخرج لنا سوقا فإنا لا نقيم بساحتكم الا يوما أو بعض يوم فقال له زفر بن الحارث انا لم

نغلق أبواب هذه المدينة الا لنعلم ايانا اعتريتم أم غيرنا انا والله ما بنا عجزٌ عن اللقاء ما لم تدهمنا حيلةٌ وما نحبّ انا بلينا بقتالكم وقد بلغنا عنكم صلاحٌ وسيرةٌ حسنةٌ جميلةٌ ثم دعا ابنه فأمره أن يضع لهم سوقا وأمر للمسيب بألف درهم وفرس فقال له المسيب اما المال فلا حاجة لي فيه والله ماله خرجنا ولا اياه طلبنا وأما الفرس فإني أقبله لعلي أحتاج اليه إن ظلع فرسي أو عَمَرَ تحتي فخرج به حتى أتى أصحابه وأخرجت لهم السوق فتسوّقوا وبعث زفر ابن الحارث الى المسيب بن نجبة بعد احراج الأسواق والأعلاف والطعام الكثير بعشرين جزورا وبعث الى سليمان بن صرد مثل ذلك وقد كان زفر أمر ابنه ان يسأل عن وجوه أهل العسكر فسُمّي له عبد الله بن سعد بن نفيل وعبد الله بن وال ورفاعة بن شدّاد وسمى له أمراء الأرباع فبعث الى هؤلاء الرؤس الثلاثة بعشر جزائر عشر جزائر وعلف كثير وطعام وأخرج للعسكر عيرا عظيمة وشعيرا كثيرا فقال غلمان زفر هذه عيرٌ فاجتزروا منها ما أحببتم وهذا شعيرٌ فاحتملوا منه ما أردتم وهذا دقيقٌ فتزوّدوا منه ما أطقتم فظلّ القومُ يومهم ذلك مُخصبين لم يحتاجوا الى شرى شيء من هذه الأسواق التي وضعت وقد كفوا اللحم والدقيق والشعير إلا أن يشتري الرجل ثوبا أو سوطا ثم ارتحلوا من الغد وبعث اليهم زفر اني خارجٌ اليكم فشيّعكم فأتاهم وقد خرجوا على تعبية حسنة فسايرهم فقال زفر لسليمان انه قد بعث خمسة أمراء قد فصلوا من الرقة فيهم الحصين بن نمير السكوني وشُرَحبيل بن ذي الكلاع وأدهم بن محرز الباهليّ وأبو مالك بن أدهم وربيعة بن المخارق الغنويّ وجبلة ابن عبد الله الخثعميّ وقد جاؤكم في مثل الشوك والشجر أتاكم عددٌ كثير وحدٌّ حديد وايم الله لقلّ ما رأيت رجالاً هم أحسن هيئةً ولا عُدّةً ولا أخلق لكل خير من رجال أراهم معك ولكنه قد بلغني انه قد أقبلت اليكم عدّةٌ لا تحصى فقال ابن صرد على الله توكلنا وعليه فليتوكل المتوكلون * ثم قال له زفر فهل لكم في أمر أعرضه عليكم لعلّ الله أن يجعل لنا ولكم فيه خيرا ان شئتم فتحالفوا لنا ولكم مدينتنا فدخلتموها فكان أمرنا واحدا وأيدينا واحدةً وان شئتم نزلتم على باب مدينتنا وخرجنا فعسكرنا الى جانبكم فاذا جاءنا هذا العدوّ قاتلناهم جميعا فقال سليمان لزُفر قد أردنا أهلَ مصرنا على مثل ما أردتنا عليه وذكر وامثل الذي ذكرت وكتبوا اليه بعد ما فصلنا فلم يوافقنا ذلك فلسنا فاعلين فقال زفر فانظروا ما أشير به عليكم فاقبلوه وخذوا به فإني للقوم عدوٌّ وأحبّ أن يجعل الله عليهم الدائرة وأنا لكم وادٌّ أحبّ أن يحوطكم الله بالعافية ان القوم قد فصلوا من الرقة فبادروهم الى عين الوردة فاجعلوا المدينة في ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادّة في أيديكم وما بين مدينتنا ومدينتكم فأنتم له آمنون والله لو أن خيولي كرجالي لامددتكم اطووا المنازل الساعة الى عين الوردة فان القوم يسيرون سير العساكر وأنتم على خيول والله لقلّ ما رأيت

جماعة خيل قطّ أكرم منها تأهبوا لها من يومكم هذا فإني أرجو ان تسبقوهم اليها وان بدرتموهم الى عين الوردة فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم فانهم أكثر منكم فلا آمن أن يحيطوا بكم فلا تقفوا لهم ترامونهم وتطاعنونهم فإنه ليس لكم مثل عددهم فإن استهدفتم لهم لم يلبثوكم أن يصرعوكم ولا تصفوا لهم حين تلقونهم فاني لا أرى معكم رجالة ولا أراكم كلكم الا فرسانا والقوم لا قوكم بالرجال والفرسان فالفرسان يحمي رجالها والرجال يحمي فرسانها وأنتم ليس لكم رجال يحمي فرسانكم فالقوهم في الكتائب والمقانب ثم بثوها ما بين ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة كتيبة الى جانبها فان حمل على احدى الكتيبتين ترجلت الأخرى فنفست عنها الخيل والرجال ومتى ما شاءت كتيبة ارتفعت ومتى ما شاءت كتيبة انحطت ولو كنتم في صف واحد فزحفت اليكم الرجال فدفعتم عن الصف انتقض وكانت الهزيمة ثم وقف فودّعهم وسأل الله أن يصحبهم وينصرهم فأثنى الناس عليه ودعوا له فقال له سليمان بن صرد نعم المنزول به أنت أكرمت النزول وأحسنت الضيافة ونصحت في المشورة ثم إن القوم جدّوا في المسير فجعلوا يجعلون كل مرحلتين مرحلة قال فررنا بالمدن حتى بلغنا ساعتئذ ان سليمان بن صرد نعى الكتائب كما أمره زفر ثم أقبل حتى انتهى الى عين الوردة فنزل في غربيّها وسبق القوم اليها فعسكروا وأقاموا بها خمسا لا يبرح واستراحوا واطمأنوا وأراحوا خيلهم (قال هشام) قال أبو مخنف عن عطيّة بن الحارث عن عبد الله بن غزيّة قال أقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة قال عبد الله بن غزيّة فقام فينا سليمان فحمد الله فأطال وأثنى عليه فأطنب ثم ذكر السماء والأرض والجبال والبحار وما فيهن من الآيات وذكر آلاء الله ونعمه وذكر الدنيا فزهّد فيها وذكر الآخرة فرغّب فيها فذكر من هذا ما لم أحصه ولم أقدر على حفظه ثم قال أما بعد فقد أتاكم الله بعدوّكم الذي دأبتم في المسير اليه آناء الليل والنهار تريدون فيما تظهرون التوبة النصوح ولقاء الله معذرين فقد جاؤكم بل جئتموهم أنتم في دارهم وحيزهم فإذا لقيتموهم فاصدقوهم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا يولينهم امرؤ دبره الا متحرّفا لقتال أو متحيزا الى فئة لا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم الا أن يقاتلكم بعد ان تأسروه أو يكون من قتلة اخواننا بالطف رحمة الله عليهم فإن هذه كانت سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أهل هذه الدعوة ثم قال سليمان إن أنا قتلت فأمير الناس المسيب بن نجبة فإن أصيب المسيب فأمير الناس عبد الله بن سعد بن نفيل فإن قتل عبد الله بن سعد فأمير الناس عبد الله بن وال فان قتل عبد الله بن وال فأمير الناس رفاعة بن شدّاد رحم الله امرءا صدق ما عاهد الله عليه ثم بعث المسيب بن نجبة في أربعمائة فارس ثم قال سر حتى تلقى أوّل عسكر من عساكرهم

فشن

فشنّ فيهم الغارة فإذا رأيت ما تحبّه والا انصرفت الي فإني أخاف عليك وإياك أن تنزل أو تدع أحدا من أصحابك أن ينزل أو يستقبل آخر ذلك حتى لا تجد منه بدّا (قال أبو مخنف) فحدثني أبي عن حميد بن مسلم انه قال أشهد أني في خيل المسيب بن نجبة تلك اذ أقبلنا نسير آخر يومنا كله وليلتنا حتى اذا كان في آخر السحر نزلنا فعلقنا على دوابنا مخالينا ثم هوّمنا تهويمة بمقدار تكون مقدار قضمها ثم ركبناها حتى اذا انبلج لنا الصبح نزلنا فصلينا ثم ركب فركبنا فبعث أبا الجويرية العبدي بن الاحمر في مائة من أصحابه وعبد الله بن عوف بن الأحمر في مائة وعشرين وحنش بن ربيعة أبا المعتمر الكناني في مثلها وبقي هو في مائة ثم قال انظروا أوّل من تلقون فأتوني به فكان أوّل من لقينا اعرابيّ يطرد أحمرة وهو يقول

يا مال لا تعجل الى صحبي * واسرح فإنك آمن السرب

قال يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر يا حميد بن مسلم أبشر بشرى ورب الكعبة فقال له ابن عوف بن الأحمر ممن أنت يا اعرابيّ قال أنا من بني تغلب قال غلبتم ورب الكعبة ان شاء الله فانتهى الينا المسيب بن نجبة فأخبرناه بالذي سمعنا من الأعرابيّ وأتيناه به فقال المسيب ابن نجبة أما لقد سررت بقولك أبشر وبقولك يا حميد بن مسلم واني لأرجو ان تبشروا بما يسرّكم وانما سرّكم أن تحمدوا أمركم وأن تسلموا من عدوّكم وان هذا الفأل هو الفأل الحسن وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل ثم قال المسيب بن نجبة للأعرابيّ كم بيننا وبين أدنى هؤلاء القوم منا قال أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكر ابن ذي الكلاع وكان بينه وبين الحصين اختلاف ادّعى الحصين انه على جماعة الناس وقال ابن ذي الكلاع ما كنت لتولى علي وقد تكاتبا الى عبيد الله بن زياد فهما ينتظران أمره فهذا عسكر ابن ذي الكلاع منكم على رأس ميل قال فتركنا الرجل فخرجنا نحوهم مسرعين فوالله ما شعروا حتى أثرنا عليهم وهم غارّون فحملنا في جانب عسكرهم فوالله ما قاتلوا كثير قتال حتى انهزموا فأصبنا منهم رجالا وجرحنا فيهم فأكثرنا الجراح وأصبنا لهم دوابّ وخرجوا عن عسكرهم وخلّوه لنا فأخذنا منه ما خف علينا فصاح المسيب فينا الرجعة انكم قد نصرتم وغنمتم وسلمتم فانصرفوا فانصرفنا حتى أتينا سليمان قال فأتى الخبر عبيد الله بن زياد فسرّح الينا الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل في اثني عشر ألفا فخرجنا اليهم يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى فجعل سليمان بن صرد عبد الله بن سعد بن نفيل على ميمنته وعلى ميسرته المسيب بن نجبة ووقف هو في القلب وجاء حصين بن نمير وقد عبّأ لنا جنده فجعل على ميمنته جبلة بن عبد الله وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوي ثم زحفوا الينا فلما دنوا دعونا الى الجماعة على عبد الملك بن مروان وإلى الدخول في طاعته ودعوناهم

الى أن يدفعوا الينا عبيد الله بن زياد فنقتله ببعض من قتل من اخواننا وان يخلعوا عبد الملك بن مروان وإلى أن يُخرَج مَن ببلادنا من آل ابن الزبير ثم نردّ هذا الأمر الى أهل بيت نبينا الذين آتانا الله من قِبَلهم بالنعمة والكرامة فأبى القوم وأبينا قال حميد بن مسلم فحملتُ ميمنتنا على ميسرتهم وهزمتهم وحملت ميسرتنا على ميمنتهم وحمل سليمان فى القلب على جماعتهم فهزمناهم حتى اضطررناهم الى عسكرهم فما زال الظفر لنا عليهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم ثم انصرفنا عنهم وقد أحجزناهم فى عسكرهم فلما كان الغد صبّحهم ابن ذى الكلاع فى ثمانية آلاف أمدهم بهم عبيد الله بن زياد وبعث اليه يشقه ويقع فيه ويقول انما عملتَ عمل الأغمار تُضيع عسكرك ومسالحك سر الى الحصين بن نمير حتى توافيه وهو على الناس فجاءه فغدَوا علينا وغادَيناهم فقاتلناهم قتالا لم ير الشيبُ والمُردُ مثله قط يومنا كله لا يحجز بيننا وبين القتال إلا الصلاة حتى أمسَينا فتحاجزنا وقد والله أكثر وافينا الجراحَ وأفشيناها فيهم قال وكان فينا قُصاص ثلاثة رفاعة بن شدّاد البجلى وصُحَير بن حذيفة بن هلال بن مالك المرّى وأبو الجويرية العبدى فكان رفاعة يقص ويُحضّض الناس في الميمنة لا يبرُحها وجُرح أبو الجويرية اليوم الثانى في أوّل النهار فلزم الرحال وكان صحيرا ليلته كلها يدور فينا ويقول ابشروا عباد الله بكرامة الله ورضوانه فحق والله لمَن ليس بينه وبين لقاء الأحبّة ودخول الجنة والراحة من ابرام الدنيا واذاها إلا فراقُ هذه النفس الأمارة بالسوء أن يكون بفراقها سَخيًا وبلقاء ربه مسرورا فمكثنا كذلك حتى أصبحنا وأصبح ابن نمير وأدهم بن محرز الباهلى فى نحو من عشرة آلاف فخرجوا الينا فاقتتلنا اليوم الثالث يوم الجمعة قتالا شديدا الى ارتفاع الضحى ثم ان أهل الشأم كثرونا وتعطّفوا علينا من كل جانب ورأى سليمان بن صرد ما لقى أصحابه فنزل فنادى عباد الله من أراد البُكور الى ربه والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فالىّ ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناسٌ كثير فكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه وانزوت خيلهم حتى اختلطت مع الرجال فقاتلوهم حتى نزلت الرجال تشتدّ مصلتةً بالسيوف وقد كسروا الجفون فحمل الفرسان على الخيل ولا يثبتون فقاتلوهم وقتلوا من أهل الشأم مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح فلما رأى الحصين بن نمير صَبْر القوم وبأسهم بعث الرجال ترميهم بالنبل واكتنفتهم الخيل والرجال فقُتل سليمان بن صرد رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع قال فلما قتل سليمان بن صرد أخذ الراية المسيب بن نجبة وقال لسليمان بن صرد رحمك الله يا أخى فقد صدقتَ ووفيتَ بما عليك وبقى ما علينا ثم أخذ الراية فشدّ بها فقاتل ساعةً ثم رجع ثم شدّ بها فقاتل ثم رجع ففعل ذلك مرارا يشدّ ثم يرجع ثم قتل رحمه الله (قال أبو مخنف) وحدّثنا فروة بن لقيط عن مولى للمسيب بن نجبة الفزارى قال لقيته

بالمدائن وهو مع شبيب بن يزيد الخارجىّ فجرى الحديث حتى ذكرنا أهل عين الوردة * قال هشام عن أبى مخنف قال حدثنا هذا الشيخ عن المسيب بن نجبة قال والله ما رأيت أشجعَ منه انسانا ناقط ولا من العصابة التى كان فيهم ولقد رأيتُه يوم عين الوردة يقاتل قتالا شديدا ما ظننت ان رجلا واحدا يقدر ان يبلى مثل ما أبلى ولا ينكأ فى عدوّه مثل ما نكأ لقد قتل رجالا قال وسمعته يقول قبل أن يقتَل وهو يقاتلهم

قد علمتْ ميّالةُ الذوائب * واضحةُ اللبّات والترائب
أنى غداةَ الروع والتغالب * أشجعُ من ذى لبدٍ مُواثب
قطّاعُ أقرانٍ مَخوفُ الجانب

قال أبو مخنف حدثنى أبى وخالى عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزيّة قال أبو مخنف وحدّثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف قال لما قتل المسيب بن نجبة أخذ الراية عبدُ الله بن سعد بن نُفَيل ثم قال رحمه الله اخوىً منهم مَن قضى نحبَه ومنهم مَن ينتظر وما بدّلوا تبديلا وأقبل بمن كان معه من الأزد فحفوا برايته فوالله انا لكذلك اذ جاءنا فرسان ثلاثة عبد الله ابن الخضل الطائىّ وكثير بن عمر والمُزنى وسعر بن أبى سعر الحنفىّ كانوا خرجوا مع سعد ابن حذيفة بن اليمان فى سبعين ومائة من أهل المدائن فسرحهم يوم خرج فى آثارنا على خُيول مُقلمة مُقدّحة فقال لهم اطووا المنازل حتى تلحقوا باخواننا فتبشروهم بخروجنا اليهم لتشتدّ بذلك ظهورُهم وتخبر وهم بمجىء أهل البصرة أيضا كان المثنى بن مُخرّبة العبدى أقبل فى ثلاثمائة من أهل البصرة فجاء حتى نزل مدينة بَهُرسير بعد خروج سعد ابن حذيفة من المدائن لخمس ليال وكان خروجه من البصرة قبل ذلك قد بلغ سعد بن حذيفة قبل أن يخرج من المدائن فلما انتهوا الينا قالوا ابشروا فقد جاءكم اخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة فقال عبد الله بن سعد بن نفيل ذلك لو جاؤنا ونحن أحياء قال فنظروا الينا فلما رأوا مصارع اخوانهم وما بنا من الجراح بكى القوم وقالوا وقد بُلغ منكم ما نرى انا لله وإنا اليه راجعون قال فنظروا والله الى ما ساء أعينهم فقال لهم عبد الله بن نفيل انا لهذا خرجنا ثم اقتتلنا فما اضطربنا الا ساعةً حتى قتل المزنى وطُعن الحنفى فوقع بين القتلى ثم ارتُثّ بعد ذلك فنجا وطعن الطائىّ فجزم أنفه فقاتل قتالا شديدا وكان فارسا شاعرا فأخذ يقول

قد علمتْ ذاتُ القوام الرود * أنْ لستُ بالوانى ولا الرِعديد
يوما ولا بالفَرِق الحيود

قال فحمل علينا ربيعة بن المخارق حملة منكرة فاقتتلنا قتالا شديدا ثم انه اختلف هو

وعبد الله بن سعد بن نفيل ضربتين فلم يصنع سيفاهما شيأ واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا الى الأرض ثم قاما فاضطربا ويحمل ابن أخى ربيعة بن المخارق على عبد الله بن سعد فطعنه فى ثغرة نحره فقتله ويحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر على ربيعة بن المخارق فطعنه فصرعه فلم يصب مقتلا فقام فكر عليه الثانية فطعنه أصحاب ربيعة فصرعوه ثم ان أصحابه استنقذوه وقال خالد بن سعد بن نفيل أرونى قاتل أخى فأريناه ابن أخى ربيعة بن المخارق فحمل عليه فقنّعه بالسيف واعتنقه الآخر فخرا الى الارض فحمل أصحابه وحملنا وكانوا أكثر منا فاستنقذوا صاحبهم وقتلوا صاحبنا وبقيت الراية ليس عندها أحد قال فنادينا عبد الله ابن وال بعد قتلهم فرساننا فاذا هو قد استلحم فى عصابة معه الى جانبنا فحمل عليه رفاعة بن شداد فكشفهم عنه ثم أقبل الى رايته وقد أمسكها عبد الله بن خازم الكندى فقال لابن وال امسك عنى رايتك قال امسكها عنى رحمك الله فانى بى مثل حالك فقال له امسك عنى رايتك فانى أريد أن أجاهد قال فان هذا الذى أنت فيه جهاد وأجر قال فصحنا يا أباعزة أطع أميرك يرحمك الله قال فأمسكها قليلا ثم ان ابن وال أخذها منه (قال أبو مخنف) قال أبو الصلت التيمى الاعور حدثنى شيخ للحى كان معه يومئذ قال قال لنا ابن وال من أراد الحياة التى ليس بعدها موت والراحة التى ليس بعدها نصب والسرور الذى ليس بعده حزن فليتقرب الى ربه بجهاد هؤلاء المحلين والرواح الى الجنة رحمكم الله وذلك عند العصر فشد علينا وشددنا معه فأصبنا والله منهم رجالا وكشفناهم طويلا ثم انهم بعد ذلك تعطفوا علينا من كل جانب فحازونا حتى بلغوا بنا المكان الذى كنا فيه وكنا بمكان لا يقدرون أن يأتونا فيه الا من وجه واحد وولى قتالنا عند المساء أدهم بن محرز الباهلى فشد علينا فى خيله ورجاله فقتل عبد الله بن وال التيمى (قال أبو مخنف) عن فروة بن لقيط قال سمعت أدهم بن محرز الباهلى فى امارة الحجاج بن يوسف وهو يحدث ناسا من أهل الشأم قال دفعت الى أحد أمراء العراق رجل منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين الآيات الثلاث قال فغاظنى فقلت فى نفسى هؤلاء يعدوننا بمنزلة أهل الشرك يرون أن من قتلنا منهم كان شهيدا فحملت عليه فأصرب يده اليسرى فاطنتها وتنحيت قريبا فقلت له أما انى أراك ودِدتَ انك فى أهلك فقال بئسما رأيت أم والله ما أحب انها يدك الآن الا ان يكون لى فيها من الاجر مثل ما فى يدى قال فقلت له لم قال لكيما يجعل الله عليك وزرها ويعظم لى أجرها قال فغاظنى فجمعت خيلى ورجالى ثم حملنا عليه وعلى أصحابه فدفعت اليه فطعنته فقتلته وانه لمقبل الى مايزول فزعموا بعد انه كان من فقهاء أهل العراق الذين كانوا يكثرون الصوم والصلاة ويفتون الناس (قال أبو مخنف) وحدثنى الثقة عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزية قال لما هلك عبد الله بن وال نظرنا فاذا عبد الله بن خازم

قتيلا

قتيلا الى جنبه ونحن نرى أنه رفاعة بن شداد البجلى فقال رجل من بنى كنانة يقال له الوليد ابن غضين امسك رايتك قال لا أريدها فقلت له انا لله مالك فقال ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا ليوم شرلهم فوثب عبد الله بن عوف بن الاحمر اليه فقال أهلكتنا والله لئن انصرفت ليركبن أكتافنا فلا نبلغ فرسخا حتى نهلك من عند آخرنا فان نجا منا ناج أخذه الأعراب وأهل القرى فتقربوا اليهم به فيقتل صبرا أنشدك الله أن تفعل هذه الشمس قد طفلت للمغيب وهذا الليل قد غشينا فنقاتلهم على خيلنا هذه فانا الآن ممتنعون فاذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل فرمينا بها فكان ذلك الشأن حتى نصبح ونسير ونحن على مهل فيحمل الرجل منا جريحه وينتظر صاحبه وتسير العشرة والعشرون معا ويعرف الناس الوجه الذى يأخذون فيتبع فيه بعضهم بعضا ولو كان الذى ذكرت لم تقف أم على ولدها ولم يعرف رجل وجهه ولا أين يسقط ولا أين يذهب ولم نصبح الا ونحن بين مقتول ومأسور فقال له رفاعة بن شداد فانك نعم ما رأيت قال ثم أقبل رفاعة على الكنانى فقال له أتمسكها أم آخذها منك فقال له الكنانى انى لا أريد ما تريد انى أريد لقاء ربى واللحاق بإخوانى والخروج من الدنيا الى الآخرة وأنت تريد ورَق الدنيا وتهوى البقاء وتكره فراق الدنيا أم والله انى لا أحب لك أن ترشد ثم دفع اليه الراية وذهب ليستقدم فقال له ابن أحمر قاتل معنا ساعة رحمك الله ولا تلق بيدك الى التهلكة فما زال به يناشده حتى احتبس عليه وأخذ أهل الشام ينادون ان الله قد أهلكهم فاقدموا عليهم فافرغوا منهم قبل الليل فاخذوا يقدمون عليهم فيقدمون على شوكة شديدة ويقاتلون فرسانا شجعانا ليس فيهم سقط رجل وليسوا لهم بمضجرين فيتمكنوا منهم فقاتلوهم حتى العشاء قتالا شديدا وقتل الكنانى قبل المساء وخرج عبد الله بن عزيز الكندى ومعه ابنه محمد غلام صغير فقال يا أهل الشأم هل فيكم أحد من كندة فخرج اليهم منهم رجال فقالوا نعم نحن هؤلاء فقال لهم دونكم أخيكم فابعثوا به الى قومكم بالكوفة فأنا عبد الله بن عزيز الكندى فقالوا له أنت ابن عمنا فانك آمن فقال لهم والله لا أرغب عن مصارع اخوانى الذين كانوا للبلاد نورا وللارض أوتادا وبمثلهم كان الله يذكر فقال فأخذ ابنه يبكى فى أثر أبيه فقال يا بنى لو أن شيأ كان آثر عندى من طاعة ربى اذا لكنت أنت وناشدته قومه الشأميون لما رأوا من جزع ابنه وبكائه فى أثره وأروا الشأميون له ولابنه رقة شديدة حتى جزعوا وبكوا ثم اعتزل الجانب الذى خرج اليه منه قومه فشد على صفهم عند المساء فقاتل حتى قتل (قال أبو مخنف) حدثنى فضيل بن خديج قال حدثنى مسلم بن زحر الخولانى ان كريب بن زيد الحميرى مشى اليهم عند المساء ومعه راية بلقاء فى جماعة قلما تنقص من مائة رجل ان نقصت وقد كانوا تحدثوا بما يريد رفاعة أن يصنع اذا أمسى فقال لهم الحميرى وجمع اليه رجالا من حمير وهمدان فقال عباد الله رُوحوا الى ربكم والله ما فى شىء من

الدنيا خلف من رضاء الله والتوبة اليه انه قد بلغني ان طائفة منكم يريدون أن يرجعوا الى ما خرجوا منه الى دنياهم وان هم ركنوا الى دنياهم رجعوا الى خطاياهم فأما أنا فوالله لا أولّى هذا العدو ظهري حتى أرِدَ موارد اخواني فأجابوه وقالوا رأينا مثل رأيك ومضى برايته حتى دنا من القوم فقال ابن ذي الكلاع والله اني لأرى هذه الراية حميريّة أو همدانيّة فدنا منهم فسألهم فأخبروه فقال لهم انكم آمنون فقال له صاحبهم انا قد كنا آمنين في الدنيا وانما خرجنا نطلب أمان الآخرة فقاتلوا القوم حتى قُتلوا ومشى صحير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني في ثلاثين من مُزَينة فقال لهم لا تهابوا الموت في الله فانه لاقيكم ولا ترجعوا الى الدنيا التي خرجتم منها الى الله فانها لا تبقى لكم ولا تزهدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فان ما عند الله خيرٌ لكم ثم مضوا فقاتلوا حتى قتلوا فلما أمسى الناس ورجع أهل الشأم الى معسكرهم نظر رفاعة الى كل رجل قد عُقِر به والى كل جريح لا يعين على نفسه فدفعه الى قومه ثم سار بالناس ليلته كلها حتى أصبح بالتنيّنير فعبر الخابُور وقطع المعابر ثم مضى لا يمرّ بمعبر الا قطعه وأصبح الحصين ابن نمير فبعث فوجدهم قد ذهبوا فلم يبعث في آثارهم أحدا وسار بالناس فأسرع وخلف رفاعة وراءهم أبا الجويرية العبدي في سبعين فارسا يسترون الناس فاذا مر برجل قد سقط حمله أو بمتاع قد سقط قبضه حتى يعرفه فان طُلب أو ابتُغي بعث اليه فأعلمه فلم يزالوا كذلك حتى مر وابقرقيسيا من جانب البرّ فبعث اليهم زُفَر من الطعام والعلف مثل ما كان بعث اليهم في المرة الاولى وأرسل اليهم الاطبّاء وقال أقيموا عندنا ما أحببتم فان لكم الكرامة والمواساة فاقاموا ثلاثا ثم زوّد كل امرئ منهم ما أحب من الطعام والعلف قال وجاء سعد بن حذيفة ابن اليمان حتى انتهى الى هيت فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس فانصرف فتلقّى المثنّى بن مخرّبة العبدي بصندَوْداء فأخبره فأقاموا حتى جاءهم الخبر ان رفاعة قد أظلّكم فخرجوا حين دنا من القرية فاستقبلوه فسلم الناس بعضهم على بعض وبكى بعضهم الى بعض وتناعوا اخوانهم فاقاموا بها يوما وليلة فانصرف أهل المدائن الى المدائن وأهل البصرة الى البصرة وأقبل أهل الكوفة الى الكوفة فاذا المختار محبوسٌ (قال هشام) قال أبو مخنف عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أدهم بن محرز الباهلي انه أتى عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح قال فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله قد أهلك من رؤس أهل العراق مُلقِح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وان السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاريف ألا وقد قتل الله من رؤسهم رأسين عظيمين ضالين مضلين عبد الله بن سعد أخا الازد وعبد الله بن والٍ أخا بكر بن وائل فلم يبق بعد هؤلاء أحدٌ عنده دفاعٌ ولا امتناعٌ (قال هشام) عن أبي مخنف وحدثت ان المختار مكث نحوا من خمس عشرة ليلة ثم قال لاصحابه عدّوا لغازيكم هذا أكثر من عشرة ودون الشهر ثم يجيئكم نبأ هتر من طعن نتر وضرب هبر

وقتل

وقتل جمّ وأمر رجم فمن لها أنا لها الا تكذبن أنا لها (قال أبو مخنف) حدثنا الحصين بن يزيد عن ابان بن الوليد قال كتب المختار وهو في السجن الى رفاعة بن شداد حين قدم من عين الوردة أما بعد فمرحبا بالعصب الذين عظم الله لهم الاجر حين انصرفوا وارضى انصرافهم حين قفلوا أما ورب البنية التي بنا ما خطا خاط منكم خطوةً ولا رتارتوةً الا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا ان سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذي به تُنصرون اني أنا الأمير المأمور والامين المأمون وأمير الجيش وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين والمقيد من الاوتار فأعدّوا واستعدّوا وأبشروا واستبشروا وأدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه والى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام (قال أبو مخنف) وحدثني أبو زهير العبسي ان الناس تحدثوا بهذا من أمر المختار فبلغ ذلك عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد فخرجا في الناس حتى أتيا المختار فأخذاه (قال أبو مخنف) فحدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال لما تهيأنا للانصراف قال عبد الله بن غزيّة ووقف على القتلى فقال يرحمكم الله فقد صدقتم وصبرتم وكذبنا وفررنا قال فلما سرنا وأصبحنا اذا عبد الله بن غزيّة في نحو من عشرين قد أرادوا الرجوع الى العدو والاستقتال فجاء رفاعة وعبد الله بن عوف بن الاحمر وجماعة الناس فقالوا لهم نشدكم الله أن تزيدونا فُلولا ونقصانا فانا لا نزال بخير ما كان فينا مثلكم من ذوي النيّات فلم يزالوا بهم كذلك يناشدونهم حتى ردّوهم غير رجل من مزينة يقال له عبيدة بن سفيان رحل مع الناس حتى اذا أغفل عنه انصرف حتى لقي أهل الشأم فشد بسيفه يضاربهم حتى قُتل (قال أبو مخنف) فحدثني الحصين بن يزيد الازدي عن حميد بن مسلم الازدي قال كان ذلك المزني صديقا لي فلما ذهب لينصرف ناشدته الله فقال أما انك لم تكن لتسألني شيأ من الدنيا الا رأيت لك من الحق عليّ ايتاءه وهذا الذي تسألني أريد الله به قال ففارقني حتى لقي القوم فقتل قال فوالله ما كان شيء بأحب اليّ من أن ألقى انسانا يحدثني عنه كيف صنع حين لقي القوم قال فلقيت عبد الملك بن جزء بن الحدرجان الازدي بمكة فجرى حديثٌ بيننا جرى ذكر ذلك اليوم فقال أعجب ما رأيت يوم عين الوردة بعد هلاك القوم أن رجلا أقبل حتى شد عليّ بسيفه فخرجنا نحوه قال فانتهى اليه وقد عقر به وهو يقول

انى من الله الى الله أفر * رضوانك اللهم أبدي وأسر

قال فقلنا له ممن أنت قال من بني آدم قال فقلنا ممن قال لا أحب أن أعرفكم ولا أن تعرفوني يا مخربي البيت الحرام قال فنزل اليه سليمان بن عمرو بن محصن الازدي من بني الخيار قال وهو يومئذ من أشد الناس قال فكلاهما أثخن صاحبه قال وشد الناس عليه من كل جانب فقتلوه قال فوالله ما رأيت واحدا قط هو أشد منه قال فلما ذكر لي وكنت أحب أن

أعلم علمه دمعت عيناى فقال أبينك وبينه قرابة فقلت له لا ذلك رجل من مضر كان لى وُدًّا وأخا فقال لى لا أرقأ الله دمعك أتبكى على رجل من مضر قتل على ضلالة قال قلت لا والله ما قتل على ضلالة ولكنه قتل على بينة من ربه وهُدًى فقال لى أدخلك الله مدخله قلت آمين وأدخلك الله مدخل حصين بن نمير ثم لا أرقأ الله لك عليه دمعا ثم قمت وقام وكان مما قيل من الشعر فى ذلك قول أعشى همدان وهى احدى المكتمات كنّ يُكتمن فى ذلك الزمان

ألمَّ خيالٌ منكِ يا أمَّ غالبِ * فحُيِّيت عنا من حبيبٍ مُجانبِ
ومازلت لى ثَنْجًا وما زلتُ مُقصدًا * لهمّ عرانى من فراقك ناصبِ
فما أنس لا أنس انفتالك فى الضُّحى * الينا مع البيض الوسام الخراعبِ
تراءتْ لناهيفاء مهضومة الحشا * لطيفة طىّ الكشح ريّا الحقائبِ
مُبتَّلة غرّاء رودٌ شبابُها * كشمس الضُّحى تنكلُّ بين السحائبِ
فلما تغشّاها السحابُ وحولهُ * بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبِ
فتلك الهوى وهى الجوى لى والمنى * فأحببْ بها من خلّة لم تُصاقبِ
ولا يُبعد الله الشباب وذكرهُ * وحبًّا تصافى المعصرات الكواعبِ
ويزدادُ ماأحببتُه من عتابنا * لعابًا وسُقيا للخدين المقاربِ
فانى وان لم أنسهُنَّ لذاكرٌ * رزيئة مخبات كريم المناصبِ
توسَّلَ بالتقوى الى الله صادقا * وتقوى الاله خيرُ نكساب كاسبِ
وخلّى عن الدنيا فلم يلتبس بها * وتابَ الى الله الرَّفيع المراتبِ
تخلى عن الدنيا وقال اطّرحتُها * فلستُ اليها ماحييتُ بآيبِ
وما أنا فيما يُكبرُ الناسُ فقدهُ * ويسعى له الساعون فيها براغبِ
فوجّههُ نحو الثوية سائرًا * الى ابن زيادٍ في الجموع الكبا كبِ
بقومٍ هم أهلُ التقيّة والنُّهى * مصاليتُ أنجادٍ سَراةُ مناجبِ
مضوا تاركى رأى ابن طلحة حسبَهُ * ولم يستجيبوا للامير المُخاطبِ
فساروا وهم من بين مُلتمس التُّقى * وآخر مما جرّ بالامس تائبِ
فلاقوا بعين الوردة الجيشَ فاصلاً * اليهم فخسُّوهم ببيض قواضبِ
يمانيةٍ تذرُ الأكفَّ وتارةً * بخيلٍ عتاقٍ مُقربات سلاهبِ
فجاءهم جمعٌ من الشأم بعده * جُموعٌ كموج البحر من كلّ جانبِ
فما برحوا حتى أُبيدتْ سَراتُهم * فلم ينجُ منهم تمَّ غيرُ عصائبِ

وغودر

وغودرَ أهلُ الصبر صَرعى فأصبحوا * تعاورُهم ريحُ الصبا والجنائبِ
وأضحى الخزاعىُّ الرئيسُ مُجدَّلا * كأن لم يقاتل مرَّةً ويُحاربِ
ورأسُ بنى شَمْخٍ وفارسُ قومه * شَنُوأةَ والتَّيمىُّ هادى الكتائبِ
وعمرو بنُ بِشرٍ والوليدُ وخالدٌ * وزيدُ بنُ بكرٍ والخليسُ بن غالبِ
وضاربُ من همدانَ كلّ مُشيَّعٍ * اذا شدّ لم يَنكل كريمُ المكاسبِ
ومن كل قومٍ قد أصيب زعيمُهم * وذو حسَبٍ في ذروة المجد ثاقبِ
أبَوا غيرَ ضربٍ تفلقُ الهامَ وقعهُ * وطعنٍ بأطراف الاسنَّة صائبِ
وانَّ سعيدًا يوم يَدمُرُ عامرًا * لأشجعُ من ليثٍ بدُرنا مُواثبِ
فياخيرَ جيشٍ للعراق وأهلِه * سُقيتم رَوايا كلّ أسحمَ ساكبِ
فلا يَبعدَنْ فُرساننا وحُماتنا * اذا البيض أبدتْ عن خِدام الكواعبِ
فان يُقتلوا فالقتلُ أكرمُ ميتةٍ * وكلّ فتًى يوما الى حدى الشواعبِ
وما قُتلوا حتى أثاروا عصابةً * مُحلين ثورًا كاللبوث الضوارب

وقتل سليمان بن صرد ومن قتل معه بعين الوردة من التوابين فى شهر ربيع الآخر ﴿وفى هذه السنة﴾ أمر مروان بن الحكم أهل الشأم بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما وليَّى العهد

﴿ذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لهما﴾

(قال هشام) عن عوانة قال لما هزم عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق مصعب بن الزبير حين وجّهه أخوه عبد الله الى فلسطين وانصرف راجعا الى مروان ومروان يومئذ بدمشق قد غلب على الشأم كلها ومصر وبلغ مروان ان عمرا يقول ان هذا الامر لى من بعد مروان ويدّعى انه قد كان وعده وعدا فدعا مروان حسان بن مالك بن بحدل فأخبره انه يريد أن يبايع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه من بعده وأخبره بما بلغه عن عمرو بن سعيد فقال أنا أكفيك عمرا فلما اجتمع الناس عند مروان عشيًّا قام ابن بحدل فقال انه قد بلغنا ان رجالا يتمنّون أمانى قوموا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده فقام الناس فبايعوا من عند آخرهم ﴿وفى هذه السنة﴾ مات مروان بن الحكم بدمشق مستهلّ شهر رمضان

﴿ذكر الخبر عن سبب هلاكه﴾

حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى موسى بن يعقوب عن أبى الحويرث قال لما حضرت معاوية بن يزيد أبا ليلى الوفاة أبى أن يستخلف أحدا وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الامر بعد معاوية بن يزيد لاخيه خالد بن

يزيد بن معاوية وكان صغيرا وهو خال أبيه يزيد بن معاوية فبايع لمروان وهو يريد أن يجعل الامر بعده لخالد بن يزيد فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشأم قيل لمروان تزوّج أم خالد وأمه أم خالد ابنة أبي هشام بن عتبة حتى تُصغِّر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوما على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشي بين الصفين فقال انه والله ما علمت لأحمق تعال يا ابن الرطبة الاست يقصّر به ليُسقطه من أعين أهل الشأم فرجع الى أمه فاخبرها فقالت له أمه لا يعرفن ذلك منك واسكت فاني أكفيكه فدخل عليها مروان فقال لها هل لك خالد في شيأ فقالت وخالد يقول فيك شيأ خالد أشد لك إعظاما من أن يقول فيك شيأ فصدقها ثم مكثت أياما ثم ان مروان نام عندها فغطته بالوسادة حتى قتلته ﴿قال أبو جعفر﴾ وكان هلاك مروان في شهر رمضان بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقدي وأما هشام بن محمد الكلبي فانه قال كان يوم هلك ابن احدى وستين سنة وقيل توفي وهو ابن احدى وسبعين سنة وقيل ابن احدى وثمانين سنة وكان يكنى أبا عبد الملك وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكناني وعاش بعد أن بويع له بالخلافة تسعة أشهر وقيل عاش بعد أن بويع له بالخلافة عشرة أشهر الا ثلاث ليال وكان قبل هلاكه قد بعث بعثين أحدهما الى المدينة عليهم حُبَيش بن دُلجة القيني والآخر منهما الى العراق عليهم عبيد الله بن زياد فأما عبيد الله بن زياد فسار حتى نزل الجزيرة فاتاه الخبر بهلاك مروان وخرج اليه التوابون من أهل الكوفة طالبين بدم الحسين فكان من أمرهم ما قد مضى ذكره وسنذكر ان شاء الله باقي خبره الى أن قُتل ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل حُبيش بن دُلجة وأما حبيش بن دَلجة فانه سار حتى انتهى فيما ذكر عن هشام عن عوانة بن الحكم الى المدينة وعليهم جابر بن الاسود بن عوف ابن أخي عبد الرحمن ابن عوف من قِبَل عبد الله بن الزبير فهرب جابر من حبيش ثم ان الحارث بن أبي ربيعة وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة وجّه جيشا من البصرة وكان عبد الله بن الزبير قد ولاه البصرة عليهم الحُنيف بن السِجف التميمي لحرب حبيش بن دلجة فلما سمع حبيش بن دلجة بهم سار اليهم من المدينة وسرّح عبد الله بن الزبير عيّاش بن سهل بن سعد الانصاري على المدينة وأمره أن يسير في طلب حبيش بن دلجة حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين جاؤا ينصرون ابن الزبير عليهم الحنيف وأقبل عيّاش في آثارهم مسرعا حتى لحقهم بالرَّبَذة وقد قال أصحاب ابن دلجة له دَعْهم لا تعجل الى قتالهم فقال لا أنزل حتى آكل من مقنَّدهم يعني السويق الذي فيه القند فجاءه سهم غَرْب فقتله وقتل معه المنذر بن قيس الجذامي وأبو عقاب مولى أبي سفيان وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم والحجاج بن يوسف وما نجوا يومئذ الا على جَمَل واحد وتحرّز منهم نحو من خمسمائة في عمود المدينة فقال لهم عياش انزلوا على

حكمي

حكمي فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم ورجع فلّ حبيش الى الشأم ﴿حدثني﴾ أحمد ابن زهير عن علي بن محمد انه قال الذي قتل حبيش بن دلجة يوم الرَّبَذة يزيد بن سياه الاسواري رماه بنشابة فقتله فلما دخلوا المدينة وقف يزيد بن سياه على برذون أشهب وعليه ثياب بياض فالبث ان اسودّت ثيابه ورايته مما مسح الناس به ومما صبوا عليه من الطيب ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وقع بالبصرة الطاعون الذي يقال له الطاعون الجارف فهلك به خلق كثير من أهل البصرة ﴿حدثني﴾ عمر بن شبة قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثني أبي عن المصعب بن زيد ان الجارف وقع وعبيد الله بن عبيد الله بن معمر على البصرة فماتت أمه في الجارف فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة علوج فحملوها الى حفرتها وهو الامير يومئذ ﴿وفي هذه السنة﴾ اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة وقتل فيها نافع بن الازرق

﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

﴿حدثني﴾ عمر بن شبة قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي عن محمد بن الزبير ان عبيد الله بن عبيد الله بن معمر بعث أخاه عثمان بن عبيد الله الى نافع ابن الازرق في جيش فلقيهم بدُولاب فقُتل عثمان وهزم جيشه * قال عمر قال زهير قال وهب وحدثنا محمد بن أبي عيينة عن سبرة بن نَخْفان ابن معمر عبيد الله بعث أخاه عثمان الى ابن الازرق فهزم جنده وقتل قال وهب فحدثنا أبي ان أهل البصرة بعثوا جيشا عليهم حارثة بن بدر فلقيهم فقال لاصحابه

كَرُّوا عليهم كَرَّة واحدة * وحيث شئتم فاذهبوا

حدثنا عمر قال حدثنا زهير قال حدثنا وهب قال حدثنا أبي ومحمد بن أبي عيينة قالا حدثنا معاوية بن قرّة قال خرجنا مع ابن عُبيس فلقيناهم فقتل ابن الازرق وابنان أو ثلاثة للماحوز وقتل ابن عبيس ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما هشام بن محمد فانه ذكر عن أبي مخنف عن أبي المخارق الراسبي من قصة ابن الازرق وبني الماحوز قصة هي غير ما ذكره عمر عن زهير بن حرب عن وهب بن جرير والذي ذكر من خبرهم ان نافع بن الازرق اشتدت شوكته باشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذي كان بين الازد وربيعة وتميم بسبب مسعود بن عمرو وكثرت جموعه فأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحارث مُسْلِم بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في أهل البصرة فخرج اليه فأخذ يحوزه عن البصرة ويرفعه عن أرضها حتى بلغ مكانا من أرض الاهواز يقال له دُولاب فتهيأ الناس بعضهم لبعض وتزاحفوا فجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بن باب الحميري وعلى ميسرته حارثة بن بدر التميمي ثم الغُداني وجعل ابن الازرق على ميمنته عَبيدة

ابن هلال اليشكرى وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمى ثم التقوا فاضطربوا فاقتتل الناس قتالا لم يُر قتال قط أشد منه فقتل مسلم بن عبيس أمير أهل البصرة وقتل نافع بن الازرق رأس الخوارج وأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميرى وأمَّرت الأزارقة عليهم عبد الله بن الماحوز ثم عادوا فاقتتلوا أشد قتال فقتل الحجاج بن باب الحميرى أمير أهل البصرة وقتل عبد الله بن الماحوز أمير الأزارقة ثم ان أهل البصرة أمَّروا عليهم ربيعة الأجذم التميمى وأمَّرت الخوارج عليهم عبيد الله بن الماحوز ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا وقد كره بعضهم بعضا وملّوا القتال فانهم لمتواقفون متحاجزون حتى جاءت الخوارج سريّة لهم جامّة لم تكن شهدت القتال فحملت على الناس من قِبَل عبد القيس فانهزم الناس وقاتل أمير البصرة ربيعةُ الأجذام فقتل وأخذ راية أهل البصرة حارثةُ بن بدر فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه فقاتل من وراء الناس فى حماتهم وأهل الصبر منهم ثم أقبل بالناس حتى نزل بهم منزلا بالاهواز ففى ذلك يقول الشاعر من الخوارج

يا كبدا من غير جوع ولا ظمأ * ويا كبدى من حُبّ أمّ حكيم
ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت * طعان امرئ فى الحرب غير لئيم
غداة طفت فى الماء بكر بن وائل * وعُجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول حدّنا * وذلّت شيوخ الأزد وهى تعوم

وبلغ ذلك أهل البصرة فهالهم وأفزعهم وبعث ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشى على تلك الحرّة فقدم وعزل عبد الله بن الحارث فأقبلت الخوارج نحو البصرة وقدم المهلب بن أبى صفرة على تلك من حال الناس من قِبل عبد الله بن الزبير معه عهده على خراسان فقال الاحنف للحارث بن أبى ربيعة وللناس عامة لا والله ما لهذا الامر الا المهلّبُ فخرج أشراف الناس فكلموه أن يتولى قتال الخوارج فقال لا أفعل هذا عهد أمير المؤمنين معى على خراسان فلم أكن لأدع عهده وأمره فدعاه ابن أبى ربيعة فكلمه فى ذلك فقال له مثل ذلك فاتفق رأى ابن أبى ربيعة ورأى أهل البصرة على ان كتبوا على لسان ابن الزبير بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن الزبير الى المهلب بن أبى صُفرة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فان الحارث بن عبد الله كتب الىّ ان الأزارقة المارقة أصابوا جند المسلمين كان عددهم كثيرا وأشرافهم كثيرا وذكرانهم قد أقبلوا نحو البصرة وقد كنتُ وجّهتك الى خراسان وكتبت لك عليها عهدا وقد رأيت حيث ذكر أمر هذه الخوارج أن تكون أنت تلى قتالهم فقد رجوت أن يكون ميمونا طائرك مباركا على أهل مصرك والأجر فى ذلك أفضل من المسير الى خراسان فسِر اليهم راشدا فقاتل عدو الله وعدوك ودافع عن حقك وحقوق أهل مصرك فانه لن يفوتك من سلطاننا خراسانُ ولا غيرُ

خراسان

خراسان ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فأتى بذلك الكتاب فلما قرأه قال فانى والله لا أسير اليهم الا أن تجعلوا لى ما غلبتُ عليه وتُعطونى من بيت المال ما أقوّى به من معى وأنتخب من فرسان الناس ووجوههم وذوى الشرف من أحببت فقال جميع أهل البصرة ذلك لك قال فاكتبوا لى على الاخماس بذلك كتابا ففعلوا الا ما كان من مالك بن مِسْمَع وطائفة من بكر بن وائل فاضطغنها عليهم المهلب وقال الاحنف وعبيد الله بن زياد بن ظَبيان وأشراف أهل البصرة للمهلب وما عليك أن لا يكتب لك مالك بن مسمع ولا من تابعه من أصحابه اذا أعطاك الذى أردت من ذلك جميع أهل البصرة ويستطيع مالك خلاف جماعة الناس أوله ذلك انكمش أيها الرجل واعزم على أمرك وسِر الى عدوك ففعل ذلك المهلب وأمَّر على الاخماس فأمَّر عبيد الله بن زياد بن ظبيان على خمس بكر بن وائل وأمَّر الحريش ابن هلال السعدى على خمس بنى تميم وجاءت الخوارج حتى انتهت الى الجسر الاصغر عليهم عبيد الله بن الماحوز فخرج اليهم فى أشراف الناس وفرسانهم ووجوههم فحازهم عن الجسر ودفعهم عنه فكان أول شىء دفعهم عنه أهل البصرة ولم يكن بقى لهم الا أن يدخلوا فارتفعوا الى الجسر الاكبر ثم انه عنّ لهم فسار اليهم فى الخيل والرجال فلما ان رأوا أن قد أظلّ عليهم وانتهى اليهم ارتفعوا فوق ذلك مرحلة أخرى فلم يزل يحوزهم ويرفعهم مرحلة بعد مرحلة ومنزلة بعد منزلة حتى انتهوا الى منزل من منازل الاهواز يقال له سَلّى وسلّبرى فأقاموا به ولما بلغ حارثةَ بن بدر الغدانى ان المهلب قد أمّر على قتال الأزارقة قال لمن معه من الناس

كرّبوا ودولبوا * وحيث شئتم فاذهبوا * قد أمّر المهلّبُ

فأقبل من كان معه نحو البصرة فصرفهم الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الى المهلب ولما نزل المهلب بالقوم خندق عليه ووضع المسالح وأذكى العيون وأقام الأحراس ولم يزل الجندُ على مصافهم والناس على راياتهم وأخماسهم وأبواب الخنادق عليها رجال موكلون بها فكانت الخوارج اذا أرادوا بيات المهلب وجدوا أمرا محكما فرجعوا فلم يقاتلهم انسان قط كان أشد عليهم ولا أغيظ لقلوبهم منه (قال أبو مخنف) فحدثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر ان رجلا كان فى تلك الخوارج حدثه ان الخوارج بعثت عَبيدة بن هلال والزبير بن الماحوز فى خيلين عظيمين ليلا الى عسكر المهلب فجاء الزبير من جانبه الايمن وجاء عَبيدة من جانبه الايسر ثم كبّروا وصاحوا بالناس فوجدوهم على تعبيتهم ومصافهم حذرين معدّين فلم يصيبوا القوم غرّة ولم يظفروا منهم بشىء فلما ذهبوا اليرجعوا ناداهم عبيد الله بن زياد ابن ظبيان فقال

وجدتمونا وُقرا أنجادا * لا كُشُفا خُورا ولا أوغادا

هيهات انّا اذا صيح بنا يا أبينا يا أهل النار الا بكروا اليها غدافانها مأواكم ومثواكم قالوا يا فاسق

وهل تُذَّخر النار الا لك ولأشباهك انها أعدت للكافرين وأنت منهم قال أتسمعون كلَّ مملوك لى حرّ ان دخلتم أنتم الجنة ان بقى فيما بين سفوان الى أقصى حجر من أرض خراسان مجوسىٌّ ينكح أمه وابنته وأخته الا دخلها قال له عَبيدة اسكت يا فاسق فانما أنت عبد للجبار العنيد ووزير للظالم الكفور قال يا فاسق وأنت عدو المؤمن التقى ووزير الشيطان الرجيم فقال الناس لابن ظبيان وفقك الله يا ابن ظَبيان فقد والله أجبت الفاسق بجوابه وصدقته فلما أصبح الناس أخرجهم المهلب على تعبيتهم وأخماسهم ومواقفهم الازدُ وتميم ميمنة الناس وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة الناس وأهل العالية في القلب وسط الناس وخرجت الخوارج على ميمنتهم عَبيدة بن هلال اليشكرى وعلى ميسرتهم الزبير بن الماحوز وجاؤا وهم أحسن عُدّة وأكرم خيولا وأكثر سلاحا من أهل البصرة وذلك لانهم مخروا الارض وجرّدوها وأكلوا ما بين كرمان الى الاهواز فجاؤا عليهم مغافر تضرب الى صدورهم وعليهم دروع يسحبونها وسوق من زرد يشدونها بكلاليب الحديد الى مناطقهم فالتقى الناس فاقتتلوا كأشد القتال فصبر بعضهم لبعض عامة النهار ثم ان الخوارج شدت على الناس بأجمعها شدة منكرة فأجفل الناس وانصاعوا منهزمين لا تلوى أمٌّ على ولد حتى بلغ البصرة هزيمة الناس وخافوا السباء وأسرع المهلب حتى سبقهم الى مكان يفاع في جانب عن سنن المنهزمين ثم انه نادى الناس الى الى عباد الله فثاب اليه جماعة من قومه وثابت اليه سريّة عمان فاجتمع اليه منهم نحو من ثلاثة آلاف فلما نظر الى من قد اجتمع رضى جماعتهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله ربما يكل الجمع الكثير الى أنفسهم فيُهزمون وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ولعمرى ما بكم الآن من قلة انى لجماعتكم لراضٍ وانكم لأنتم أهل الصبر وفرسان أهل المصر وما أحبُّ ان أحدا منكم انهزم معكم فانهم لو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا عزمت على كل امرئ منكم لما أخذ عشرة أحجار معه ثم امشوا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم في طلب اخوانكم فوالله انى لأرجو أن لا ترجع اليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا أميرهم ففعلوا ثم أقبل بهم راجعا فلا والله ما شعرت الخوارج الا بالمهلب يضاربهم بالمسلمين في جانب عسكرهم ثم استقبلوا عبيد الله بن الماحوز وأصحابه وعليهم الدروع والسلاح كاملا فأخذ الرجل من أصحاب المهلب يستقبل الرجل منهم فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يثخنه ثم يطعنه بعد ذلك برمحه أو يضربه بسيفه فلم يقاتلهم الا ساعة حتى قتل عبيد الله بن الماحوز وضرب الله وجوه أصحابه وأخذ المهلب عسكر القوم وما فيه وقتل الأزارقة قتلا ذريعا وأقبل من كان في طلب أهل البصرة منهم راجعا وقد وضع لهم المهلب خيلا ورجالا في الطريق تختطفهم وتقتلهم فانكفؤا راجعين مفلولين مقتولين محروبين مغلوبين فارتفعوا الى كرمان وجانب أصفهان وأقام

المهلب

المهلب بالاهواز ففى ذلك اليوم يقول الصَّلتان العَبدى

بسلّى وسلّبرى مصارعُ فتيةٍ * كرام وقتلى لم تُوسَّد خدودُها

وانصرفت الخوارج حين انصرفت وان أصحاب النيران الخمس والستّ ليجتمعون على النار الواحدة من الفلول وقلة العدد حتى جاءتهم مادّةٌ لهم من قِبل البحرين فخرجوا نحو كرمان واصبهان فأقام المهلب بالاهواز فلم يزل ذلك مكانه حتى جاء مصعب البصرةَ وعزل الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة عنها ولما ظهر المهلب على الأزارقة كتب بسم الله الرحمن الرحيم للامير الحارث بن عبد الله من المهلب بن أبى صفرة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فالحمد لله الذى نصر أمير المؤمنين وهزم الفاسقين وأنزل بهم نقمته وقتلهم كل قتلة وشرّدهم كل مشرَّد أخبر الامير أصلحه الله انّا لقينا الأزارقة بأرض من أرض الاهواز يقال لها سلى وسلّبرى فزحفنا اليهم ثم ناهضناهم فاقتتلنا كأشد القتال مليّا من النهار ثم ان كتائب الأزارقة اجتمع بعضها الى بعض ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم وكانت فى المسلمين جولة قد كنت أشفقت أن تكون هى الاصرّى منهم فلما رأيت ذلك عمدت الى مكان يفاع فعلوته ثم دعوت الى عشيرتى خاصة والمسلمين عامة فثاب الىّ أقوام شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله من أهل الدين والصبر والصدق والوفاء فقصدت بهم الى عسكر القوم وفيه جماعتهم وحدّهم وأميرهم قد أطاف به أولو فضلهم فيهم وذوو النيات منهم فاقتتلنا ساعة رمينا بالنبل وطعنا بالرماح ثم خلص الفريقان الى السيوف فكان الجلاد بها ساعة من النهار مبالطة ومبالدة ثم ان الله عزوجل أنزل نصره على المؤمنين وضرب وجوه الكافرين ونزل طاغيتهم فى رجال كثير من حُماتهم وذوى نيّاتهم فقتلهم الله فى المعركة ثم اتبعت الخيل شرادهم فقتلوا فى الطريق والإخاذ والقرى والحمد لله رب العالمين والسلام عليك ورحمة الله فلما أتى هذا الكتابُ الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة بعث به الى ابن الزبير فقرئ على الناس بمكة وكتب الحارث بن أبى ربيعة الى المهلب أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه نصر الله اياك وظفر المسلمين فهنيئا لك يا أخا الازد بشرف الدنيا وعزّها وثواب الآخرة وفضلها والسلام عليك ورحمة الله فلما قرأ المهلب كتابه ضحك ثم قال أما تظنونه يعرفنى الا بأخى الأزد ما أهل مكة الا اعراب (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو المُخارق الراسبى ان أبا علقمة اليَحْمَدى قاتل يوم سلّى وسلّبرى قتالا لم يقاتله أحدٌ من الناس وأنه أخذ ينادى فى شباب الأزد وفتيان اليَحْمَد أعيرونا جماجمكم ساعة من نهار فأخذ فتيان منهم يكرّون فيقاتلون ثم يرجعون اليه يضحكون ويقولون يا أبا علقمة القدور تُستعار فلما ظهر المهلب ورأى من بلائه ما رأى وفاه مائة ألف * وقد قيل ان أهل البصرة قد كانوا سألوا الاحنف قبل المهلب أن يقاتل الأزارقة وأشار عليهم بالمهلب وقال هو أقوى على حربهم منى

وان المهلب اذا أجابهم الى قتالهم شرط على أهل البصرة ان ما غلب عليه من الارض فهوله ولمن خفّ معه من قومه وغيرهم ثلاث سنين وانه ليس لمن تخلف عنه منه شئ فأجابوه الى ذلك وكتب بذلك عليهم كتابا وأوفدوا بذلك وفدا الى ابن الزبير وان ابن الزبير أمضى تلك الشروط كلها للمهلب وأجازها له وان المهلب لما أجيب الى ما سأل وجّه ابنه حبيبا في ستمائة فارس الى عمر والقنا وهو معسكر خلف الجسر الاصغر في ستمائة فارس فأمر المهلب بعقد الجسر الاصغر فقطع حبيب الجسر الى عمرو ومن معه فقاتلهم حتى نفاهم عما بين الجسر وانهزموا حتى صاروا من ناحية الفرات وتجهز المهلب فيمن خفّ من قومه معه وهم اثنا عشر ألف رجل ومن سائر الناس سبعون رجلا وسار المهلب حتى نزل الجسر الاكبر وعمرو القنا بازائه في ستمائة فبعث المغيرة بن المهلب في الخيل والرّجالة فهزمتهم الرجالة بالنبل واتبعتهم الخيل وأمر المهلب بالجسر فعُقد فعبر هو وأصحابه فلحق عمرو القنا حينئذ بابن الماحوز وأصحابه وهو بالمفتّح فأخبروهم الخبر فسار وا فعسكروا دون الاهواز بثمانية فراسخ وأقام المهلب بقية سنته فجبى كُور دجلة ورَزَق أصحابه وأتاه المدد من أهل البصرة لما بلغهم ذلك فأثبتهم في الديوان وأعطاهم حتى صاروا ثلاثين ألفا ﴿قال أبو جعفر﴾ فعلى قول هؤلاء كانت الوقعة التي كانت فيها هزيمة الأزارقة وارتحالهم عن نواحي البصرة والاهواز الى ناحية اصبهان وكرمان في سنة ٦٦ وقيل انهم ارتحلوا حين ارتحلوا عن الاهواز وهم ثلاثة آلاف وانه قتل منهم في الوقعة التي كانت بينهم وبين المهلب بسلى وسلبرى سبعة آلاف ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وجّه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمدا الى الجزيرة وذلك قبل مسيره الى مصر ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة وولاها عبد الله بن مطيع ونزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير وولاها أخاه مصعب بن الزبير وكان سبب عزله أخاه عبيدة عنها انه فيما ذكر الواقدي خطب الناس فقال لهم قد رأيتم ما صُنع بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم فسُمي مقوّم الناقة وبلغ ذلك ابن الزبير فقال ان هذا لهو التكلف ﴿وفي هذه السنة﴾ بنى عبد الله بن الزبير البيت الحرام فأدخل الحجر فيه أخبرنا اسحاق بن أبي اسرائيل قال حدثني عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد قال حدثني زياد بن جبيل انه كان بمكة يوم غلب ابن الزبير فسمعه يقول ان أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر رددت الكعبة على أساس ابراهيم فأزيد في الكعبة من الحجر فأمر به ابن الزبير فحفر فوجدوا قلاعا أمثال الابل فحركوا منها صخرة فبرقت بارقة فقال أقرّوها على أساسها فبناها ابن الزبير وجعل لها بابين يُدخل من أحدهما ويُخرج من الآخر ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس في هذه السنة عبد الله ابن الزبير وكان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير وعلى الكوفة في آخر السنة عبد الله بن

مطيع

مطيع وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وهو الذي يقال له القباع وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم ﴿وفي هذه السنة﴾ خالف من كان بخراسان من بني تميم عبد الله بن خازم حتى وقعت بينهم حروب

﴿ذكر الخبر عن سبب ذلك﴾

وكان السبب في ذلك فيما ذُكر ان مَنْ كان بخراسان من بني تميم أعانوا عبد الله بن خازم على من كان بها من ربيعة وعلى حرب أوس بن ثعلبة حتى قتل من قتل منهم وظفر به وصفاله خراسان فلما صفاله ولم ينازعه به أحد جفاهم وكان قد ضمّ هَرَاة الى ابنه محمد واستعمله عليها وجعل بكير بن وِشَاح على شرطته وضم اليه ثمّاس بن دِثَار العُطاردي وكانت أم ابنه محمد امرأةً من تميم تدعى صفيّة فلما جفاها ابن خازم بنى تميم أتوا ابنه محمدا بهَرَاة فكتب ابن خازم الى بكير وثماس يأمرهما بمنع بني تميم من دخول هراة فأما ثماس بن دثار فأبى ذلك وخرج من هراة فصار مع بني تميم وأما بكير فمنعهم من الدخول * فذكر علي بن محمد ان زهير بن الهُنَيد حدثه عن أشياخ من قومه ان بكير بن وِشَاح لما منع بني تميم من دخول هراة أقاموا ببلاد هراة وخرج اليهم ثماس بن دثار فأرسل بكير الى ثماس اني أعطيك ثلاثين ألفا وأعطي كل رجل من بني تميم ألفا على أن ينصرفوا فأبوا فدخلوا المدينة وقتلوا محمد بن عبد الله بن خازم قال علي فأخبرنا الحسن بن رُشَيد عن محمد بن عزير الكندي قال خرج محمد بن عبد الله بن خازم يتصيّد بهراة وقد منع بني تميم من دخولها فرصدوه فأخذوه فشدوه وثاقا وشربوا اليلتهم وجعل كلما أراد رجل منهم البول بال عليه فقال لهم ثماس بن دثار أما اذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط قال وقد كان أخذ قُبَيل ذلك رجلين من بني تميم فضربهما بالسياط حتى ماتا قال فقتلوه قال فزعم لنا عمن شهد قتله من شيوخهم ان جَيْهان بن مَشْجَعة الضبي نهاهم عن قتله وألقى نفسه عليه فشكر له ابن خازم ذلك فلم يقتله فيمن قتل يوم فَرْتَنا قال فزعم عامر بن أبي عمرو انه سمع أشياخهم من بني تميم يزعمون ان الذي ولي قتل محمد بن عبد الله بن خازم رجلان من بني مالك بن سعد يقال لاحدهما عجلة وللآخر كُسيب فقال ابن خازم بئس ما اكتسب كسيبٌ لقومه ولقد عجّل عجلة لقومه شرّا قال علي وحدثنا أبو الذيال زهير بن هنيد العدوي قال لما قتل بنو تميم محمد بن عبد الله بن خازم انصرفوا الى مَرْو فطلبهم بُكَير بن وِشَاح فأدرك رجلا من بني عطارد يقال له شُمَيْخ فقتله وأقبل ثماس وأصحابه الى مَرْو فقالوا لبني سعد قد أدركنا لكم بثأركم قتلنا محمد بن عبد الله ابن خازم بالجشمي الذي أصيب بمرو فأجمعوا على قتال ابن خازم وولوا عليهم الحريش بن هلال القُرَيعي قال فأخبرني أبو الفوارس عن طفيل بن مرداس قال أجمع أكثر بني تميم على قتال عبد الله بن خازم قال وكان مع الحريش فرسان لم يدرك مثلهم انما الرجل منهم كتيبة

منهم شماس بن دثار و بحير بن ورقاء الصريمي وشعبة بن ظهير النهشلي وورد بن الفلق العنبري والحجاج بن ناشب العدوي وكان من أرمى الناس وعاصم بن حبيب العدوي فقاتل الحريش بن هلال عبد الله بن خازم سنتين قال فلما طالت الحرب والشر بينهم ضجروا قال فخرج الحريش فنادى ابن خازم فخرج اليه فقال قد طالت الحرب بيننا فعلام نقتل قومي وقومك ابرزلي فأينا قتل صاحبه صارت الارض له فقال ابن خازم وأبيك لقد أنصفتني فبرزله فتصاولا تصاول الفحلين لايقدر أحدهما على مايريد وتغفل ابن خازم غفلة وضربه الحريش على رأسه فرمى بفروة رأسه على وجهه وانقطع ركاب الحريش وانتزع السيف قال فلزم ابن خازم عنق فرسه راجعا الى أصحابه وبه ضربة قد أخذت من رأسه ثم غاداهم القتال فكثوا بذلك بعد الضربة أياما ثم مل الفريقان فتفرقوا ثلاث فرق فمضى بحير بن ورقاء الى أبرشهر في جماعة وتوجه شماس بن دثار العطاردي ناحية أخرى وقيل أتى سجستان وأخذ عثمان بن بشر بن المحتفز الى فرتنا فنزل قصرا بها ومضى الحريش الى ناحية مرو الروذ فاتبعه ابن خازم فلحقه بقرية من قراها يقال لها قرية الملحمة أو قصر الملحمة والحريش بن هلال في اثني عشر رجلا وقد تفرق عنه أصحابه فهم في خربة وقد نصب رماحا كانت معه وترسة قال وانتهى اليه ابن خازم فخرج اليه في أصحابه ومع ابن خازم مولى له شديد البأس فحمل على الحريش فضربه فلم يصنع شيأ فقال رجل من بني ضبة للحريش أما ترى مايصنع العبد فقال له الحريش عليه سلاح كثير وسيفي لايعمل في سلاحه ولكن انظر لي خشبة ثقيلة فقطع له عودا ثقيلا من عناب ويقال أصابه في القصر فأعطاه اياه فحمل به على مولى ابن خازم فضربه فسقط وقيذا ثم أقبل على ابن خازم فقال ماتريد الى وقد خليتك والبلاد قال انك تعود اليها قال فاني لاأعود فصالحه على أن يخرج له من خراسان ولا يعود الى قتاله فوصله ابن خازم بأربعين ألفا قال وفتح له الحريش باب القصر فدخل ابن خازم فوصله وضمن له قضاء دينه وتحدثا طويلا قال وطارت قطنة كانت على رأس ابن خازم ملصقة على الضربة التي كان الحريش ضربه فقام الحريش فتناولها فوضعها على رأسه فقال له ابن خازم مسك اليوم ياأبا قدامة ألين من مسك أمس قال معذرة الى الله واليك أما والله لولا ان ركابي انقطعا لخالط السيف أضراسك فضحك ابن خازم وانصرف عنه وتفرق جمع بني تميم فقال بعض شعراء بني تميم

لو كنتم مثل الحريش صبرتم * وكنتم بقصر الملح خير فوارس
اذا لسقيتم بالعوالي ابن خازم * سجال دم يورثن طول وساوس

قال وكان الأشعث بن ذؤيب أخو زهير بن ذؤيب العدوي قتل في تلك الحرب فقال له أخوه زهير وبه رمق من قتلك قال لاأدري طعنني رجل على برذون أصفر قال فكان زهير

لا

لايرى أحدا على برذون أصفر الا حمل عليه فمنهم من يقتله ومنهم من يهرب فتحامى أهل العسكر البراذين الصفر فكانت مخلاة في العسكر لايركبها أحد وقال الحريش في قتاله ابن خازم

أزال عظم يميني عن مركبه * حمل الرديني في الإدلاج والسحر
حولين ما اغتمضت عيني بمترلة * إلا وكفي وسادي لي على حجر
بزي الحديد وسربالي اذا هجعت * عني العيون مجال القارح الذكر

ثم دخلت سنة ست وستين

﴿ذكر الخبر عن الكائن كان فيها من الأمور الجليلة﴾

فما كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبي عبيد بالكوفة طالبا بدم الحسين بن علي بن أبي طالب وإخراجه منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع العدوي

﴿ذكر الخبر عما كان من أمرهما في ذلك وظهور المختار للدعوة الى مادعا اليه الشيعة بالكوفه﴾

﴿ذكر هشام بن محمد﴾ عن أبي مخنف ان فضيل بن خديج حدثه عن عبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير من بني هند ان أصحاب سليمان بن صرد لما قدموا كتب اليهم المختار اما بعد فإن الله أعظم لكم الأجر وحظ عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهادا لمحلين انكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة الا رفع الله لكم بها درجة وكتب لكم بها حسنة الى مالا يحصيه الا الله من التضعيف فابشروا فاني لو قد خرجت اليكم قد جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف باذن الله فجعلتهم باذن الله رکاما وقتلتهم فذا وتؤاما فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ولا يبعد الله الا من عصى وأبى والسلام ياأهل الهدى فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمر ومن بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة فأتى بالكتاب رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدي وسعد ابن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط الأحمسي وعبد الله بن شداد البجلي وعبد الله بن كامل فقرأ عليهم الكتاب فبعثوا اليه ابن كامل فقالوا قل له قد قرأنا الكتاب ونحن حيث يسرك فإن شئت ان نأتيك حتى نخرجك فعلنا فأتاه فدخل عليه السجن فأخبره بما أرسل اليه به فسر باجتماع الشيعة له وقال لهم لاتريدوا هذا فاني أخرج في أيامي هذه قال وكان المختار قد بعث غلاما يدعى زربيا الى عبد الله بن عمر بن الخطاب وكتب اليه أما بعد فاني قد حبست مظلوما وظن بي الولاة ظنونا كاذبة فاكتب في يرحمك الله الى هذين الظالمين كتابا لطيفا عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك وبمنك والسلام عليك فكتب اليهما عبد الله بن عمر أما بعد فقد علمتما الذي بيني وبين المختار

ابن أبي عبيد من الصهر والذي بيني وبينكما من الودّ فأقسمت عليكما بحق ما بيني وبينكما لما خلّيتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا والسلام عليكما ورحمة الله فلما أتى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة كتاب عبد الله بن عمر دعوا للمختار بكفلاء يضمنونه بنفسه فأتاه أناس من أصحابه كثير فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيم لعبد الله بن يزيد ما تصنع بضمان هؤلاء كلهم ضمّنه عشرة منهم أشرافا معروفين ودعْ سائرهم ففعل ذلك فلما ضمنوه دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلفاه بالله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان فإن هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة ومماليكه كلهم ذكرهم وأنثاهم أحرار فحلف لهما بذلك ثم خرج فجاء داره فنزلها (قال أبو مخنف) فحدثني يحيى ابن أبي عيسى عن حميد بن مسلم قال سمعت المختار بعد ذلك يقول قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون اني أفي لهم بأيمانهم هذه أما حلفي لهم بالله فانه ينبغي لي اذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها ان ادع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير واكفّر يميني وخروجي عليهم خير من كفي عنهم واكفر يميني وأما هذي ألف بدنة فهو أهون عليّ من بصقة وما ثمن ألف بدنة فهو لني وأما عتق مماليكي فوالله لوددت انه قد استتب لي أمري ثم لم أملك مملوكا أبدا قال ولما نزل المختار داره عند خروجه من السجن اختلف اليه الشيعة واجتمعت عليه واتفق رأيها على الرضى به وكان الذي يبايع له الناس وهو في السجن خمسة نفر السائب بن مالك الأشعري ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط ورفاعة بن شدّاد البجلي وعبد الله بن شداد الجشمي قال فلم تزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى ويشتدّ حتى عزل ابن الزبير عبد الله ابن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما الى الكوفة (قال أبو مخنف) فحدثني الصقعب بن زهير عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال دعا ابن الزبير عبد الله بن مطيع أخا بني عدي بن كعب والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي فبعث عبد الله بن مطيع على الكوفة وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة قال فبلغ ذلك بحير بن ريسان الحميري فلقيهما فقال لهما يا هذان إن القمر الليلة بالناطح فلا تسيرا فأما ابن أبي ربيعة فأطاعه فأقام يسيرا ثم شخص الى عمله فسلم وأما عبد الله ابن مطيع فقال له وهل نطلب الا النطح قال فلقي والله نطحا وبطحا قال يقول عمر والبلاء موكل بالقول قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بلغ عبد الملك بن مروان ان ابن الزبير بعث عمالا على البلاد فقال من بعث على البصرة فقيل بعث عليها الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة قال لا حرّ بوادي عوف بعث عوفا وجلس ثم قال من بعث على الكوفة قالوا عبد الله بن مطيع قال حازم وكثيرا ما يسقط وشجاع وما يكره أن يفرّ قال من بعث على

المدينة

المدينة فالوا بعث أخاه مصعب بن الزبير قال ذاك الليث الهدو هو رجل أهل بيته (قال هشام) قال أبو مخنف وقدم عبد الله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة ٦٥ يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان فقال لعبد الله بن يزيد إنْ أحببت أن تقيم معي أحسنتُ صحبتك وأكرمت مثواك وان لحقت بأمير المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة وعلى مَن قبله من المسلمين وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة الحق بأمير المؤمنين فخرج ابراهيم حتى قدم المدينة وكسر على ابن الزبير الخراج وقال انما كانت فتنة فكف عنه ابن الزبير قال وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصلاة والخراج وبعث على شرطته اياس بن مضارب العجلي وأمره أن يحسن السيرة والشدّة على المريب (قال أبو مخنف) فحدثني حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدي وكان قد أدرك ذلك الزمان وشهد قتل مصعب بن الزبير قال إني لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم الا برضى منكم ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته وبسيرة عثمان بن عفان التي سار بها في المسلمين فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدي سفهائكم والا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني فوالله لا وقعنّ بالسقيم العاصي ولأقيمنّ درأ الأصعر المرتاب فقام اليه السائب بن مالك الأشعري فقال أما أمر ابن الزبير اياك أن لا تحمل فضل فيئنا عنا الا برضانا فإنا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فضل فيئنا عنا وان لا يقسم الا فينا وان لا يسار فينا الا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا فإنها انما كانت اثرة وهوى ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا وان كانت أهون السيرتين علينا ضرّا وقد كان لا يألو الناس خيرا فقال يزيد بن أنس صدق السائب بن مالك وبرّ رأينا مثل رأيه وقولنا مثل قوله فقال ابن مطيع نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وهو يقومها ثم نزل فقال يزيد بن أنس الأسدي ذهبت بفضلها يا سائب لا بعدمك المسلمون أما والله لقد قمت وانى لأريد أن أقوم فأقول له نحوا من مقالتك وما أحب ان الله ولى الردّ عليه رجلا من أهل المصر ليس من شيعتنا وجاء إياس بن مضارب الى ابن مطيع فقال له ان السائب بن مالك من رؤس أصحاب المختار ولست آمن المختار فابعث اليه فليأتك فاذا جاءك فاحبسه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس فإن عيوني قد أتتني فخبرتني ان أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر قال فبعث اليه ابن مطيع زائدة بن قدامة وحصين بن عبد الله البرسمي من همدان فدخلا عليه فقالا أجب الأمير فدعا بثيابه وأمر باسراج دابته وتخشخش للذهاب معهما فلما رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ففهمها المختار فجلس ثم ألقى ثيابه عنه ثم قال ألقوا على القطيفة ما أراني الا قد وعكت اني لأجد قفقفة شديدة ثم تمثل قول عبد العزّى بن صُهَل الأزدى

اذا ما معشرٌ تركوا نداهم * ولم يأتوا الكريهة لم يهابوا

إرجعا الى ابن مطيع فأعلماه حالى التى أنا عليها فقال له زائدة بن قدامة اما أنا ففاعل وأنت يا أخا همدان فاعذرنى عنده فانه خير لك (قال أبو مخنف) فحدثنى اسماعيل بن نعيم الهمدانى عن حسين بن عبد الله قال قلت فى نفسى والله ان أنا لم أبلغ عن هذا ما يُرضيه ما أنا بآمن من ان يظهر غدا فيهلكنى قال فقلت له نعم أنا أصنع عندا ابن مطيع عذرك وأبلغه كل ما تحب فخرجنا من عنده فاذا أصحابه على بابه وفي داره منهم جماعة كثيرة قال فأقبلنا نحو ابن مطيع فقلت لزائدة بن قدامة اما انى قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية وعلمت ما أردت بها وقد علمت انها هى ثبطته عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه وأسرج دابته وعلمت حين تمثل البيت الذى تمثل انما أراد يخبرك انه قد فهم عنك ما أردت أن تُفهمه وأنه لن يأتيه قال فجاحدنى أن يكون أراد شيأ من ذلك فقلت له لا تحلف فوالله ما كنت لا بلغ عنك ولا عنه شيأ تكرهانه ولقد علمت انك مشفق عليه تجد له ما يجد المرء لابن عمه فأقبلنا الى ابن مطيع فأخبرناه بعلته وشكواه فصدّقنا ولهى عنه قال وبعث المختار الى أصحابه فأخذ يجمعهم فى الدور حوله وأراد أن يثب بالكوفة فى المحرّم فجاء رجل من أصحابه من شِبام وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شُريح فلقى سعيد بن منقذ الثورى وسِعر بن أبى سعر الحنفى والأسود بن جَراد الكندى وقُدامة بن مالك الجشمى فاجتمعوا فى منزل سعر الحنفى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندرى أرسله الينا ابن الحنفية أم لا فانهضوا بنا الى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به وبما دعانا اليه فان رخص لنا فى اتباعه اتبعناه وان نهانا عنه اجتنبناه فوالله ما ينبغى أن يكون شئ من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا فقالوا له أرشدك الله فقد أصبت ووفقت اخرج بنا اذا شئت فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيامهم فخرجوا فلحقوا ابن الحنفية وكان امامهم عبد الرحمن بن شريح فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فخبّروه عن حالهم وما هم عليه (قال أبو مخنف) فحدثنى خليفة بن ورقاء عن الأسود بن جراد الكندى قال قلنا لابن الحنفية إن لنا اليك حاجة قال فسرٌّ هى أم علانية قال قلنا لا بل سرٌّ قال فروّيدا اذًا قال فمكث قليلا ثم تنحى جانبا فدعانا فقمنا اليه فبدأ عبد الرحمن ابن شريح فتكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنكم أهل بيت حضّكم الله بالفضيلة وشرّفكم بالنبوّة وعظم حقكم على هذه الأمة فلا يجهل حقكم الا مغبون الرأى مخسوس

النصيب قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه عظمت مصيبة ما قد خصكم بها فقد عمّ بها المسلمون وقد قدم علينا المختار بن أبى عبيد يزعم لنا انه قد جاءنا من تلقائكم وقد دعانا الى كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء فبايعناه على ذلك ثم انا رأينا ان نأتيك فنذكر لك ما دعانا اليه وندبنا له فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه وان نهيتنا عنه اجتنبناه ثم تكلمنا واحدا واحدا بنحو مما تكلم به صاحبنا وهو يسمع حتى اذا فرغنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه ثم قال أما بعد فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله به من فضل فإن الله يُؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلله الحمد وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين فإن ذلك كان في الذكر الحكيم وهى ملحمة كتبت عليه وكرامة اهداها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين وكان أمر الله مفعولا وكان أمر الله قدرا مقدورا وأما ما ذكرتم من دعائى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم قال فخرجنا من عنده ونحن نقول قد أذن لنا قد قال لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ولو كره لقال لا تفعلوا قال فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون لقدومنا ممن كنا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ممن كان على رأينا من اخواننا وقد كان بلغ المختار مخرجنا فشق ذلك عليه وخشى ان نأتيه بأمر يخذل الشيعة عنه فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا فلم يتهيأ ذلك له فكان المختار يقول ان نفيرا منكم ارتابوا وتحيّروا وخابوا فان هم أصابوا أقبلوا وأنابوا وان هم كبوا وهابوا واعترضوا وانجابوا فقد ثبروا وخابوا فلم يكن الا شهرا وزيادة شئ حتى أقبل القوم على رواحلهم حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم الى رحالهم فقال لهم ما وراءكم فقد فتنتم وارتبتم فقالوا له قد أمرنا بنصرتك فقال الله أكبر أتاكم أبو اسحاق أجمعوا الى الشيعة فجمع له منهم من كان منه قريبا فقال يا معشر الشيعة إن نفرا منكم أحبّوا ان يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا الى امام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى حاشا النبى المجتبى فسألوه عما قدمت به عليكم فنبأهم انى وزيره وظهيره ورسوله وخليله وأمركم بأتباعى وطاعتى فيما دعوتكم اليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيّكم المصطفين فقام عبد الرحمن بن شريح فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا معشر الشيعة فإنا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع اخواننا عامة فقدمنا على المهدى ابن على فسألناه عن حربنا هذه وعن ما دعانا اليه المختار منها فأمرنا بمظاهرته ومواززته واجابته الى ما دعانا اليه فأقبلنا طيّبة أنفسنا منشرحة صدورنا قد أذهب الله منها الشك والغل والريب واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا فليبلغ ذلك شاهدكم غائبكم واستعدّوا وتأهبوا ثم جلس وقمنا رجلا فرجلا

فتكلمنا بنحو من كلامه فاستجمعت له الشيعة وحدبت عليه (قال أبو مخنف) فحدّثني نمير ابن وعلة والمثنى عن عامر الشعبيّ قال كنت أنا وأبي أوّل من أجاب المختار قال فلما تهيّأ أمره ودنا خروجه قال له أحمر بن شميط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله ابن شدّاد أشراف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع فإن جامعنا على أمرنا ابراهيم بن الاشتر رجونا بإذن الله القوة على عدوّنا وأن لا يضرّنا خلاف من خالفنا فإنه فتى بئيس وابن رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عزّ وعدد قال لهم المختار فالقوه فادعوه وأعلموه الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين وأهل بيته قال الشعبيّ فخرجوا اليه وأنا فيهم وأبي فتكلم يزيد بن أنس فقال له انا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك وندعوك اليه فإن قبلته كان خيرا لك وإن تركته فقد أدّينا اليك فيه النصيحة ونحن نحبّ أن يكون عندك مستورا فقال لهم ابراهيم بن الأشتر وإنّ مثلي لا تُخاف غائلته ولا سعايته ولا التقرّب الى سلطانه باغتياب الناس انما أولئك الصغار الأخطار الدقاق هما فقال له انما ندعوك الى أمر قد أجمع عليه رأي الملإ من الشيعة الى كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه والطلب بدماء أهل البيت وقتال المحلين والدفع عن الضعفاء قال ثم تكلم أحمر بن شميط فقال له انى لك ناصح ولحظك محبّ وان أباك قد هلك وهو سيّد وفيك منه ان رعيت حقّ الله خلف قد دعوناك الى أمر ان أجبتنا اليه عادت لك منزلة أبيك في الناس وأحييت من ذلك أمرا قد مات انما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها انه قد بني لك أولك فتحرّى وأقبل القوم كلهم عليه يدعونه الى أمرهم ويرغبونه فيه فقال لهم ابراهيم ابن الأشتر فإني قد أجبتكم الى ما دعوتموني اليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على ان تولوني الأمر فقالوا أنت لذلك أهل ولكن ليس الى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من قِبَل المهديّ وهو الرسول والمأمور بالقتال وقد أمرنا بطاعته فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجبهم فانصرفنا من عنده الى المختار فأخبرناه بمارد علينا قال ففبر ثلاثا ثم إنّ المختار دعا بضعة عشر رجلا من وجوه أصحابه قال الشعبيّ أنا وأبي فيهم قال فسار بنا ومضى أمامنا يقدّنا بيوت الكوفة قدّا لا ندري أين يريد حتى وقف على باب ابراهيم بن الأشتر فاستأذنا عليه فأذن لنا وألقيت لنا وسائد فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال المختار الحمد لله وأشهد أن لا إله الا الله وصلى الله على محمد والسلام عليه أما بعد فإنّ هذا كتاب اليك من المهديّ محمد ابن أمير المؤمنين الوصيّ وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله وهو يسئلك أن تنصرنا وتوازرنا فان فعلت اغتبطت وان لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك وسيغني الله المهديّ محمدا وأولياءه عنك قال الشعبيّ وكان المختار قد دفع الكتاب الى حين خرج من منزله فلما قضى كلامه قال لي

ادفع

كتابخانه مجلس شورای ملی

ادفع الكتاب اليه فدفعته اليه فدعا بالمصباح وفضّ خاتمه وقرأه فإذا هو بسم الله الرحمن الرحيم من محمد المهدي الى ابراهيم بن مالك الأشتر سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو أما بعد فإني قد بعثت اليكم بوزيري وأميني ونجيبي الذي ارتضيته لنفسي وقد أمرته بقتال عدوّي والطلب بدماء أهل بيتي فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فإنك ان نصرتني وأجبت دعوتي وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة ولك بذلك أعنّة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشأم على الوفاء بذلك على عهد الله فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة وان أبيت هلكت هلاكا لا تستقيله أبدا والسلام عليك فلما قضى ابراهيم قراءة الكتاب قال قد كتب الى ابن الحنفية وقد كتبت اليه قبل اليوم فما كان يكتب الى الا باسمه واسم أبيه قال له المختار ان ذلك زمان وهذا زمان قال ابراهيم فمن يعلم ان هذا كتاب ابن الحنفية الى فقال له يزيد بن أنس وأحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم قال الشعبيّ الا أنا وأبي فقالوا نشهد ان هذا كتاب محمد بن علي الينا فتأخر ابراهيم عند ذلك عن صدر الفراش فأجلس المختار عليه فقال ابسط يدك أبايعك فبسط المختار يده فبايعه ابراهيم ودعا النابفاكهة فأصبنا منها ودعا النا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا وخرج معنا ابن الأشتر فركب مع المختار حتى دخل رحله فلما رجع ابراهيم منصرفا أخذ بيدي فقال انصرف بنا ياشعبيّ قال فانصرفت معه ومضى بي حتى دخل بي رحله فقال ياشعبيّ انى قد حفظت انك لم تشهد أنت ولا أبوك أفترى هؤلاء شهدوا على حق قال قلت له قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا أرى مثل هؤلاء يقولون الا حقا قال فقلت له هذه المقالة وأنا والله لهم على شهادتهم متهم غير أني يعجبني الخروج وأنا أرى رأي القوم وأحبّ تمام ذلك الأمر فلم أطلعه على ما في نفسي من ذلك فقال لي ابن الاشتر اكتب لي أسماءهم فاني ليس كلهم أعرف ودعا بصحيفة ودواة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعريّ ويزيد بن أنس الأسديّ وأحمر بن شميط الأحمسيّ ومالك بن عمرو النهديّ حتى أتى على أسماء القوم ثم كتب شهدوا ان محمد بن عليّ كتب الى ابراهيم بن الأشتر يأمره بموازرة المختار ومظاهرته على قتال المحلين والطلب بدماء أهل البيت وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شراحيل بن عبد وهو أبو عامر الشعبيّ الفقيه وعبد الرحمن بن عبد الله النخعيّ وعامر بن شراحيل الشعبيّ فقلت له ما تصنع بهذا رحمك الله فقال دعه يكون قال ودعا ابراهيم عشيرته واخوانه ومن أطاعه وأقبل يختلف الى المختار (قال هشام بن محمد) قال أبو مخنف حدّثني يحيى بن أبي عيسى الأزديّ قال كان حميد بن مسلم الأسديّ صديقا

لابراهيم بن الأشتر وكان يختلف اليه ويذهب به معه وكان ابراهيم يروح فى كل عشية عند المساء فيأتى المختار فيمكث عنده حتى تصوب النجوم ثم ينصرف فمكثوا بذلك يدبرون أمورهم حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ٦٦ ووطّن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم * فلما كان عند غروب الشمس قام ابراهيم ابن الأشتر فأذن ثم انه استقدم فصلى بنا المغرب ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت أخوك أو الذئب وهو يريد المختار فأقبلنا علينا السلاح وقد أتى اياس بن مضارب عبد الله بن مطيع فقال ان المختار خارج عليك احدى الليلتين قال فخرج اياس فى الشرط فبعث ابنه راشدا الى الكناسة وأقبل يسير حول السوق فى الشرط ثم ان اياس بن مضارب دخل على ابن مطيع فقال له انى قد بعثت ابنى الى الكناسة فلو بعثت فى كل جبّانة بالكوفة عظيمة رجلا من أصحابك فى جماعة من أهل الطاعة هاب المريب الخروج عليك قال فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الى جبانة السَّبِيع وقال اكفنى قومك لأوتين من قبلك وأحكم أمر الجبانة التى وجّهتك اليها لا يحدثن بها حدث فأولئك العجز والوهن وبعث كعب بن أبى كعب الخثعمى الى جبانة بشر وبعث زحر بن قيس الى جبانة كندة وبعث شمر بن ذى الجوشن الى جبانة سالم وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سُليم الى جبانة الصائديين وبعث يزيد بن الحارث ابن رُؤيم أبا حوشب الى جبانة مراد وأوصى كل رجل ان يكفيه قومه وان لا يؤتى من قبله وان يحكم الوجه الذى وجهه فيه وبعث شَبَث بن رِبْعِى الى السَّبَخة وقال اذا سمعت صوت القوم فوجّه نحوهم فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين فنزلوا هذه الجبابين وخرج ابراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد اتيان المختار وقد بلغه ان الجبابين قد حُشيت رجالا وان الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر (قال أبو مخنف) فحدّثنى يحيى بن أبى عيسى عن حميد بن مسلم قال خرجت مع ابراهيم من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حُريث ونحن مع ابن الأشتر كتيبة نحو من مائة علينا الدروع قد كفرنا عليها بالأقبية ونحن متقلدو السيوف ليس معنا سلاح الا السيوف فى عواتقنا والدروع قد سترناها بأقبيتنا فلما مررنا بدار سعيد بن قيس حُجزناها الى دار أسامة قلنا مُرَّ بنا على دار خالد بن عُرْفُطة ثم امض بنا الى بَجيلة فلنمرّ فى دورهم حتى نخرج الى دار المختار وكان ابراهيم فتى حدثا شجاعا فكان لا يكره أن يلقاهم فقال والله لأمرّن على دار عمرو بن حريث الى جانب القصر وسط السوق ولأرعبنّ به عدوّنا ولأرينّهم هوانهم علينا قال فأخذنا على باب الفيل على دار هبّار ثم أخذات اليمين على دار عمرو بن حريث حتى اذا جاوزها ألفينا اياس بن مضارب فى الشرط مظهرين السلاح فقال لنا من أنتم ما أنتم فقال له ابراهيم أنا ابراهيم بن الأشتر فقال له ابن مضارب

ماهذا

ماهذا الجمع معك وماتريد والله ان أمرك لمريب وقد بلغنى انك تمر كل عشيّة ههنا وما أنا بتاركك حتى آتى بك الأمير فيرى فيك رأيه فقال ابراهيم لا أبا لغيرك خلّ سبيلنا فقال كلا والله لا أفعل ومع اياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن كان يكون مع أمرة الشرطة فهم يكرمونه ويؤثرونه وكان لابن الأشتر صديقا فقال له ابن الأشتر يا أبا قطن ادنُ منّى ومع أبى قطن رمح له طويل فدنا منه أبو قطن ومعه الرمح وهو يرى ان ابن الأشتر يطلب اليه ان يشفع له الى ابن مضارب ليخلى سبيله فقال ابراهيم وتناول الرمح من يده ان رمحك هذا الطويل فحمل به ابراهيم على ابن مضارب فطعنه فى ثُغرة نحره فصرعه وقال لرجل من قومه انزل فاحتز رأسه فنزل اليه فاحتز رأسه وتفرق أصحابه ورجعوا الى ابن مطيع فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن اياس مكان أبيه على الشرطة وبعث مكان راشد بن اياس الى الكناسة تلك الليلة سويد بن عبد الرحمن المُنقرىّ أبا القعقاع بن سويد وأقبل ابراهيم بن الاشتر الى المختار ليلة الأربعاء فدخل عليه فقال له ابراهيم انا اتعدنا للخروج للقابلة ليلة الخميس وقد حدث أمر لا بد من الخروج الليلة قال المختار وما هو قال عرض لى إياس بن مضارب فى الطريق ليحبسنى بزعمه فقتلته وهذا رأسه مع أصحابى على الباب فقال المختار فبشرك الله بخير فهذا طير صالح وهذا أول الفتح ان شاء الله فقال المختار قم يا سعيد بن منقذ فاشعل فى الهرادى النيران ثم ارفعها للمسلمين وقم أنت يا عبد الله بن شداد فنادِ يا منصور أمِتْ وقم أنت يا سفيان بن ليل وأنت يا قدامة بن مالك فنادِ يا ثارات الحسين ثم قال المختار علىّ بدرعى وسلاحى فأتى به فأخذ يلبس سلاحه ويقول

قَدْ عَلِمَتْ بَيْضاءُ حَسناءُ الطَّلَلْ * وَاضِحَةُ الخَدَّيْنِ مِجزاءُ الكَفَلْ

أنى غداةَ الرَّوْعِ مِقْدامٌ بَطَلْ

ثم إن ابراهيم قال للمختار إن هؤلاء الرؤس الذين وضعهم ابن مطيع فى الجبابين يمنعون اخواننا ان يأتونا ويضيقون عليهم فلو أنى خرجت بمن معى من أصحابى حتى آتى قومى فيأتينى كلّ من قد بايعنى من قومى ثم سرت بهم فى نواحى الكوفة ودعوت بشعارنا فخرج الى من أراد الخروج الينا ومن قدر على اتياننا من الناس فمن أتاك حبسته عندك الى من معك ولم تفرقهم فإن عوجلت فأتيت كان معك من تمتنع به وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت اليك فى الخيل والرجال قال له إمالا فاعجل وإيّاك ان تسير الى أمير هم تقاتله ولا تقاتل أحدا وأنت تستطيع ان لا تقاتل واحفظ ما أوصيتك به الا ان يبدأك أحد بقتال فخرج ابراهيم بن الأشتر من عنده فى الكتيبة التى اقبل فيها حتى أتى قومه واجتمع اليه جلّ من كان بايعه وأجابه ثم انه سار بهم فى سكك الكوفة طويلا من الليل وهو فى ذلك يتجنب السكك التى فيها الأمراء فجاء الى الذين معهم الجماعات الذين وضع ابن مطيع فى الجبابين وأفواه الطرق

العظام حتى انتهى الى مسجد السكون وعجلت اليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عليهم أمير فشد عليهم ابراهيم بن الأشتر وأصحابه فكشفوهم حتى دخلوا جبانة كندة فقال ابراهيم من صاحب الخيل فى جبانة كندة فشد ابراهيم وأصحابه عليهم وهو يقول اللهم انك تعلم انا غضبنا لأهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا عليهم وتمم لنا دعوتنا حتى انتهى اليهم هو وأصحابه فخالطوهم وكشفوهم فقيل له زحر بن قيس فقال انصرفوا بنا عنهم فركب بعضهم بعضا كلما لقيهم زقاق دخل منهم طائفة فانصرفوا يسيرون ثم خرج ابراهيم يسير حتى انتهى الى جبانة أثير فوقف فيها طويلا ونادى أصحابه بشعارهم فبلغ سويد بن عبد الرحمن المنقرى مكانهم فى جبانة أثير فرجا ان يصيبهم فيحظى بذلك عند ابن مطيع فلم يشعر ابن الأشتر الا وهم معه في الجبانة فلما رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه ياشرطة الله انزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا ثم شد عليهم ابراهيم فضربهم حتى أخرجهم من الصحراء وولوا منهزمين يركب بعضهم بعضا وهم يتلاومون فقال قائل منهم ان هذا الأمر يراد ما يلقون لنا جماعة الا هزموهم فلم يزل يهزمهم حتى أدخلهم الكناسة وقال أصحاب ابراهيم لابراهيم أتبعهم واغتنم ما قد دخلهم من الرعب فقد علم الله الى من ندعو وما نطلب والى من يدعون وما يطلبون قال لا ولكن سيروا بنا الى صاحبنا حتى يؤمن الله بنا وحشته ونكون من أمره على علم ويعلم هو أيضا ما كان من عنائنا فيزداد هو وأصحابه قوة وبصيرة الى قواهم وبصيرتهم مع أنى لا آمن ان يكون قد أتى فأقبل ابراهيم فى أصحابه حتى مر بمسجد الأشعث فوقف به ساعة ثم مضى حتى أتى دار المختار فوجد الأصوات عالية والقوم يقتتلون وقد جاء شبث بن ربعي من قبل السبخة فعلى له المختار يزيد بن أنس وجاء حجار بن أبجر العجلى فجعل المختار فى وجهه أحمر بن شميط فالناس يقتتلون وجاء ابراهيم من قبل القصر فبلغ حجارا وأصحابه ان ابراهيم قد جاءهم من ورائهم فتفرقوا قبل ان يأتيهم ابراهيم وذهبوا في الأزقة والسكك وجاء قيس بن طهفة فى قريب من مائة رجل من بني نهد من أصحاب المختار فحمل على شبث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا جميعا ثم ان شبث بن ربعي ترك لهم السكة وأقبل حتى لقى ابن مطيع فقال ابعث الى امراء الجبابين فرهم فليأتوك فاجمع اليك جميع الناس ثم انهد الى هؤلاء القوم فقاتلهم وابعث اليهم من تثق به فليكفك قتالهم فإن أمر القوم قد قوى وقد خرج المختار وظهر واجتمع له أمره فلما بلغ ذلك المختار من مشورة شبث بن ربعي على ابن مطيع خرج المختار فى جماعة من أصحابه حتى نزل فى ظهر دير هند مما يلى بستان زائدة في السبخة قال وخرج أبو عثمان النهدى فنادى فى شاكريهم مجتمعون فى دورهم يخافون ان يظهر وا فى الميدان لقرب كعب بن أبى كعب الخثعمى منهم وكان كعب فى جبانة بشر فلما بلغه

ان

ان شاكريخرج جاء يسير حتى نزل بالميدان وأخذ عليهم بأفواه سككهم وطرقهم قال فلما أتاهم أبو عثمان النهدى فى عصابة من أصحابه نادى يالثأرات الحسين يامنصور امت يا أيها الحى المهتدون ألا ان أمير آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند وبعثنى اليكم داعيا ومبشرا فاخرجوا اليه رحمكم الله قال فخرجوا من الدور يتداعون يالثأرات الحسين ثم ضاربوا كعب بن أبى كعب حتى خلى لهم الطريق فأقبلوا الى المختار حتى نزلوا معه فى عسكره وخرج عبد الله بن قراد الخثعمى فى جماعة من خثعم نحو المائتين حتى لحق بالمختار فنزلوا معه فى عسكره وقد كان عرض له كعب بن أبى كعب فصافه فلما عرفهم ورأى انهم قومه خلى عنهم ولم يقاتلهم وخرجت شبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا الى جبانة مراد فلما بلغ ذلك عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بعث اليهم إن كنتم تريدون اللحاق بالمختار فلا تمروا على جبانة السبيع فلحقوا بالمختار فتوافى الى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثنى عشر ألفا كانوا بايعوه فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر فأصبح قد فرغ من تعبيته (قال أبو مخنف) فحدثنى الوالبى قال خرجت أنا وحميد بن مسلم والنعمان بن أبى الجعد الى المختار ليلة خرج فأتيناه فى داره وخرجنا معه الى معسكره قال فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ من تعبيته فلما أصبح استقدم فصلى بنا الغداة بغلس ثم قرأ والنازعات وعبس وتولى قال فما سمعنا اماما أم قوما أفصح لهجة منه (قال أبو مخنف) حدثنى حصيرة بن عبد الله ان ابن مطيع بعث الى أهل الجبابين فأمرهم ان ينضموا الى المسجد وقال لراشد بن اياس بن مضارب نادفى الناس فليأتوا المسجد فنادى المنادى ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة فتوافى الناس في المسجد فلما اجتمعوا بعث ابن مطيع شبث بن ربعي فى نحو من ثلاثة آلاف الى المختار وبعث راشد بن اياس في أربعة آلاف من الشبرط (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو الصلب التيمى عن أبى سعيد الصيقل قال لما صلى المختار الغداة ثم انصرف سمعنا أصواتا مرتفعة فيما بين بنى سليم وسكة البريد فقال المختار من يعلم لنا علم هؤلاء ما هم فقلت له أنا أصلحك الله فقال المختار اما لا فألق سلاحك وانطلق حتى تدخل فيهم كأنك نظار ثم تأتينى بخبرهم قال ففعلت فلما دنوت منهم اذا مؤذنهم يقيم فجئت حتى دنوت منهم فاذا شبث بن ربعي معه خيل عظيمة وعلى خيله شيبان بن حريث الضبي وهو فى الرجالة معه منهم كثرة فلما أقام مؤذنهم تقدم فصلى بأصحابه فقرأ اذا زلزلت الأرض زلزالها فقلت فى نفسى أما والله انى لأرجو أن يزلزل الله بكم وقرأ والعاديات ضبحا فقال له اناس من أصحابه لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين شيأ فقال شبث ترون الديلم قد نزلت بساحتكم وأنتم تقولون لو قرأت سورة البقرة وآل عمران قال وكانوا ثلاثة آلاف قال فأقبلت سريعا حتى أتيت المختار فأخبرته بخبر شبث وأصحابه وأتاه معى ساعة أتيته سعر بن أبى سعر الحنفى يركض من قبل مراد وكان ممن بايع المختار فلم يقدر

على الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس فلما أصبح أقبل على فرسه فر بجبانة مراد وفيها راشد بن اياس فقالوا كما أنت ومن أنت فراكضهم حتى جاء المختار فأخبره خبر راشد وأخبرته أنا خبر شبث قال فسرح ابراهيم بن الأشتر قبل راشد بن اياس في تسعمائة ويقال ستمائة فارس وستمائة راجل وبعث نعيم بن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة في ثلثمائة فارس وستمائة راجل وقال لهما امضيا حتى تلقيا عدوكما فاذا لقيتماهم فانزلا في الرجال وعجلا الفراغ وابدآهم بالاقدام ولا تستهد فالهم فانهم أكثر منكم ولا ترجعا الى حتى تظهرا أو تقتلا فتوجه ابراهيم الى راشد وقدم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شبث في تسعمائة أمامه وتوجه نعيم بن هبيرة قبل شبث (قال أبو مخنف) قال أبو سعيد الصيقل كنت أنا فيمن توجه مع نعيم بن هبيرة الى شبث ومعي مر بن أبي سعر الحنفي فلما انتهينا اليه قاتلناه قتالا شديدا فجعل نعيم بن هبيرة سعر بن أبي سعر الحنفي على الخيل ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت فضربناهم حتى أدخلناهم البيوت ثم ان شبث بن ربعي ناداهم يا حماة السوء بئس فرسان الحقائق أنتم أمن عبيدكم تهربون قال فثابت اليه منهم جماعة فشد علينا وقد تفرقنا فهزمنا وصبر نعيم بن هبيرة فقتل ونزل معه سعر فأسر وأسرت أنا وخليد مولى حسان ابن يخدج فقال شبث لخليد وكان وسيما جسيما من أنت فقال خليد مولى حسان بن يخدج الذهلي فقال له شبث يا ابن المتكاء تركت بيع الصيحناة بالكناسة وكان جزاء من أعتقك ان تعدو عليه بسيفك تضرب رقابه اضربوا عنقه فقتل ورأى سعرا الحنفي فعرفه فقال أخو بني حنيفة فقال له نعم فقال ويحك ما أردت الى اتباع هذه السبابة قبح الله رأيك دعوا ذا فقلت في نفسي قتل المولى وترك العربي ان علم والله اني مولى قتلني فلما عرضت عليه قال من أنت فقلت من بني تيم الله قال أعربي أنت أو مولى فقلت لا بل عربي أنا من آل زياد بن خصفة فقال بخ بخ ذكرت الشريف المعروف الحق بأهلك قال فأقبلت حتى انتهيت الى الحمراء وكانت لي في قتال القوم بصيرة فجئت حتى انتهيت الى المختار وقلت في نفسي والله لآتين أصحابي فلأواسينهم بنفسي فقبح الله العيش بعدهم قال فأتيتهم وقد سبقني اليهم سعر الحنفي وأقبلت اليه خيل شبث وجاءه قتل نعيم بن هبيرة فدخل من ذلك أصحاب المختار أمر كبير قال فدنوت من المختار فأخبرته بالذي كان من أمري فقال لي اسكت فليس هذا بمكان الحديث وجاء شبث حتى أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث ابن رؤيم في ألفين من قبل سكة الحمام جرير فوقفوا في أفواه تلك السكك وولى المختار يزيد ابن أنس خيله وخرج هو في الرجالة (قال أبو مخنف) فحدثني الحارث بن كعب الوالبي والبة الأزد قال حملت علينا خيل شبث بن ربعي حملتين فما يزول منا رجل من مكانه فقال يزيد بن أنس لنا يا معشر الشيعة قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم

وترفعون

وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم ان ظهروا عليكم اليوم اذا والله لا يدعون منكم عينا تطرف وليقتلنكم صبرا ولترون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه والله لا ينجيكم منه الا الصدق والصبر والطعن الصائب في أعينهم والضرب الدراك على هامهم فتيسر والشدة وتهيأوا للحملة فاذا حركت رايتي مرتين فاحملوا قال الحارث فتهيأنا وتيسرنا وجثونا على الركب وانتظرنا أمره (قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج الكندي ان ابراهيم بن الأشتر كان حين توجه الى راشد بن اياس مضى حتى لقيه في مراد فاذا معه أربعة آلاف فقال ابراهيم لأصحابه لا يهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لرب رجل خير من عشرة ولرب فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم قال يا خزيمة بن نصر سر اليهم في الخيل ونزل هو يمشي في الرجال ورايته مع مزاحم بن طفيل فأخذ ابراهيم يقول له ازدلف برايتك امض بها قدما قدما واقتتل الناس فاشتد قتالهم وبصر خزيمة بن نصر العبسي براشد بن اياس فحمل عليه فطعنه فقتله ثم نادى قتلت راشدا ورب الكعبة وانهزم أصحاب راشد واقبل ابراهيم بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار وبعث النعمان بن أبي الجعد يبشر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد فلما ان جاءهم البشير بذاك كبروا واشتدت أنفسهم ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل وسرح ابن مطيع حسان بن فائد بن بكير العبسي في جيش كثيف نحو من ألفين فاعترض ابراهيم بن الاشتر فويق الحمراء ليرده عن من في السبخة من أصحاب ابن مطيع فقدم ابراهيم خزيمة بن نصر الى حسان بن فائد في الخيل ومشى ابراهيم نحوه في الرجال فقال والله ما اطعنا برمح ولا اضطربنا بسيف حتى انهزموا وتخلف حسان ابن فائد في اخريات الناس يحميهم وحمل عليه خزيمة بن نصر فلما رآه عرفه فقال له يا حسان ابن فائد أما والله لولا القرابة لعرفت اني سألتمس قتلك بجهدي ولكن النجاء فعثر بحسان فرسه فوقع فقال تعسالك أبا عبد الله وابتدره الناس فأحاطوا به فضاربهم ساعة بسيفه فناداه خزيمة بن نصر قال انك آمن يا أبا عبد الله لا تقتل نفسك وجاء حتى وقف عليه ونهنه الناس عنه ومر به ابراهيم فقال له خزيمة هذا ابن عمي وقد آمنته فقال له ابراهيم أحسنت فأمر خزيمة بطلب فرسه حتى أتي به فحمله عليه وقال الحق بأهلك قال وأقبل ابراهيم نحو المختار وشبث محيط بالمختار ويزيد بن أنس فلما رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سكك الكوفة التي تلي السبخة وابراهيم مقبل نحو شبث أقبل نحوه ليصده عن شبث وأصحابه فبعث ابراهيم طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر فقال أغن عنا يزيد بن الحارث وصمد هو في بقية أصحابه نحو شبث بن ربعي (قال أبو مخنف) فحدثني الحارث بن كعب ان ابراهيم لما أقبل نحونا رأينا شبثا وأصحابه ينكصون وراءهم رويدا رويدا فلما دنا ابراهيم من شبث وأصحابه حمل

عليهم وأمر نايزيد بن أنس بالحملة عليهم فحملنا عليهم فانكشفوا حتى انتهوا الى أبيات الكوفة وحمل خزيمة بن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه وازدحموا على أفواه السكك وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت وأقبل المختار فى جماعة الناس الى يزيد بن الحارث فلما انتهى أصحاب المختار الى أفواه السكك رمتهم تلك الرامية بالنبل فصدوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ورجع الناس من السبخة منهزمين الى ابن مطيع وجاءه قتل راشد بن اياس فأسقط في يده (قال أبو مخنف) فحدثنى يحيى بن هانئ قال قال عمرو بن الحجاج الزبيدى لابن مطيع أيها الرجل لايسقط فى خلدك ولا تلق بيدك أخرج الى الناس فاندبهم الى عدوك فاغزهم فإن الناس كثير عددهم وكلهم معك الا هذه الطاغية التى خرجت على الناس والله مخزيها ومهلكها وأنا أول منتدب فاندب معى طائفة ومع غيرى طائفة قال فخرج ابن مطيع فقام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن من أعجب العجب عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها خبيث دينها ضالة مضلة اخرجوا اليهم فامنعوا منهم حريمكم وقاتلوهم عن مصركم وامنعوا منهم فيئكم والا والله ليشاركنكم في فيئكم من لاحق له فيه والله لقد بلغنى ان فيهم خمسمائة رجل من محرريكم عليهم أمير منهم وإنما ذهاب عزكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون ثم نزل قال ومنعهم يزيد بن الحارث ان يدخلوا الكوفة قال ومضى المختار من السبخة حتى ظهر على الجبانة ثم ارتفع الى البيوت بيوت مزينة وأحمس وبارق فنزل عند مسجدهم وبيوتهم وبيوتهم شاذة منفردة من بيوت أهل الكوفة فاستقبلوه بالماء فسقى أصحابه وأبى المختار ان يشرب قال فظن أصحابه انه صائم وقال أحمر بن هديج من همدان لابن كامل أترى الأمير صائما فقال له نعم هو صائم فقال له فلو انه كان في هذا اليوم مفطرا كان أقوى له فقال له انه معصوم وهو أعلم بما يصنع فقال له صدقت أستغفر الله وقال المختار نعم مكان المقاتل هذا فقال له ابراهيم بن الأشتر قد هزمهم الله وفلهم وأدخل الرعب قلوبهم وتنزل ههنا سربنا فوالله مادون القصر أحد يمنع ولا يمتنع كبير امتناع فقال المختار ليقم ههنا كل شيخ ضعيف وذى علة وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتى تسيروا الى عدونا ففعلوا فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدى وقدم ابراهيم بن الاشتر أمامه وعبى أصحابه على الحال التى كانوا عليها فى السبخة قال وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفى رجل فخرج عليهم من سكة الثوريين فبعث المختار الى ابراهيم أن اطوه ولا تقم عليه فطواه ابراهيم ودعا المختار يزيد بن أنس فأمره ان يصمد لعمرو بن الحجاج فمضى نحوه وذهب المختار فى أثر ابراهيم فمضوا جميعا حتى اذا انتهى المختار الى موضع مصلى خالد بن عبد الله وقف وأمر ابراهيم ان يمضى على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبل الكناسة فمضى فخرج اليه من سكة ابن مخرز وأقبل شمر بن ذى

الجوشن فى ألفين فسرح المختار اليه سعيد بن منقذ الهمدانى فواقعه وبعث الى ابراهيم ان اطوه وامض على وجهك فمضى حتى انتهى الى سكة شبث واذا نوفل بن مساحق بن عبد الله ابن مخرمة في نحو من ألفين أو قال خمسة آلاف وهو الصحيح وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى فى الناس أن الحقوا بابن مساحق قال واستخلف شبث بن ربعى على القصر وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسة (قال أبو مخنف) حدثنى حصيرة بن عبد الله قال انى لأنظر الى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه حتى اذا دانا منهم قال لهم انزلوا فنزلوا فقال قرّبوا خيولكم بعضها الى بعض ثم امشوا اليهم مصلتين بالسيوف ولا يهولنكم ان يقال جاءكم شبث بن ربعى وآل عتيبة بن النهاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث قال فسمى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ثم قال ان هؤلاء لو قد وجدوا لهم حر السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب قال حصيرة فإنى لأنظر اليه والى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائه فرفعه فأدخله فى منطقة له حمراء من حواشى البرود وقد شد بها على القباء وقد كفر بالقباء على الدرع ثم قال لأصحابه شدوا عليهم فدى لكم عمى وخالى قال فوالله ما لبثهم ان هزمهم فركب بعضهم بعضا على فم السكة وازدحموا وانتهى ابن الأشتر الى ابن مساحق فأخذ بلجام دابته ورفع السيف عليه فقال له ابن مساحق يا ابن الأشتر أنشدك الله أتطلبنى بثأرهل بينى وبينك من إحنة فخلى ابن الأشتر سبيله وقال له اذكرها فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر وأقبلوا يسيرون حتى دخلوا الكناسة فى آثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد وحصروا ابن مطيع ثلاثا (قال أبو مخنف) وحدثنى النضر بن صالح ان ابن مطيع مكث ثلاثا يرزق أصحابه فى القصر حيث حصر الدقيق ومعه أشراف الناس الا ما كان من عمرو بن حريث فإنه أتى داره ولم يلزم نفسه الحصار ثم خرج حتى نزل البر وجاء المختار حتى نزل جانب السوق وولى حصار القصر ابراهيم بن الاشتر ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط فكان ابن الأشتر مما يلى المسجد وباب القصر ويزيد بن أنس مما يلى بنى حذيفة وسكة دار الرومى وأحمر بن شميط مما يلى دار عمارة ودار أبى موسى فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلمه الأشراف فقام اليه شبث فقال له أصلح الله الأمير أنظر لنفسك ولمن معك فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم قال ابن مطيع هاتوا أشيروا على برأيكم قال شبث الرأى ان تأخذ لنفسك من هذا الرجل أمانا ولنا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك قال ابن مطيع والله إنى لأكره ان آخذ منه أمانا والأمور مستقيمة لأمير المؤمنين بالحجاز كله وبأرض البصرة قال فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلا بالكوفة عندمن تستنصحه وتثق به ولا يعلم بمكانك حتى تخرج فتلحق بصاحبك فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن مخنف وعبد الرحمن بن

سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة ماترون في هذا الرأى الذى أشار به على شَبَث فقالوا ما نرى الرأى الا ما أشار به عليك قال فرويدًا حتى أمسى (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو المغلّس الليثى ان عبد الله بن عبد الله الليثى أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشىّ يشتمهم وينتحى له مالك بن عمر وأبو نمر النهدى بسهم فيمرّ بحلقه فقطع جلدة من حلقه فمال فوقع قال ثم انه قام وبرأ بعدُ وقال النهدى حين أصابه خذها من مالك من فاعل كذا (قال أبو مخنف) وحدثنى النضر بن صالح عن حسان بن فائد بن بكير قال لما أمسينا في القصر فى اليوم الثالث دعانا ابن مطيع فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال أما بعد فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم وقد علمت انما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغامكم وأحساؤكم ماعدا الرجل أو الرجلين وان أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين وأنا مبلغ ذلك صاحبى ومُعلمه طاعتكم وجهادكم عدوّه حتى كان الله الغالب على أمره وقد كان من رأيكم وما أشرتم به علىّ ما قد علمتم وقد رأيت ان أخرج الساعة فقال له شبث جزاك الله من أمير خيرا فقد والله عففت عن أموالنا وأكرمت أشرافنا ونصحت لصاحبك وقضيت الذى عليك والله ما كنا لنفارقك أبدا الا ونحن منك فى إذن فقال جزاكم الله خيرا أحد امرؤ حيث أحب ثم خرج من نحو درب الروميين حتى أتى دار أبى موسى وخلى القصر وفتح أصحابه الباب فقالوا يا ابن الأشتر آمنون نحن قال أنتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار (قال أبو مخنف) فحدثنى موسى بن عامر العدوى من عدى جهينة وهو أبو الاشعر ان المختار جاء حتى دخل القصر فبات به وأصبح أشراف الناس فى المسجد وعلى باب القصر وخرج المختار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال الحمد لله الذى وعد وليّه النصر وعدوّه الخسر وجعله فيه الى آخر الدهر وعدا مفعولا وقضاء مقضيًا وقد خاب من افترى أيها الناس انه رُفعت لنا راية ومُدّت لنا غاية فقيل لنا فى الراية أن ارفعوها ولا تضعوها وفى الغاية أن اجروا اليها ولا تعدُوها فسمعنا دعوة الداعى ومقالة الواعى فكم من ناع وناعيه لقتلى فى الواعيه وبُعدا لمن طغى وأدبر وعصى وكذب وتولى ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى فلا والذى جعل السماء سقفا مكفوفا والأرض فجاجًا سُبلا ما يتم بعد بيعة علىّ بن أبى طالب وآل علىّ أهدى منها ثم نزل فدخل ودخلنا عليه وأشراف الناس فبسط يده وابتدره الناس فبايعوه وجعل يقول تبايعونى على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولا نستقيلكم فإذا قال الرجل نعم بايعه قال فكأنى والله أنظر الى المنذر بن حسان بن ضرار الضبىّ اذ أتاه حتى سلم عليه بالإمرة ثم بايعه وانصرف عنه فلما خرج من القصر استقبل

سعيد بن منقذ الثورىّ فى عصابة من الشيعة واقفا عند المصطبة فلما رأوه ومعه ابنه حيّان ابن المنذر قال رجل من سفهائهم هذا والله من رؤس الجبّارين فشدّوا عليه وعلى ابنه فقتلوهما فصاح بهم سعيد بن منقذ لا تعجلوا لا تعجلوا حتى ننظر ما رأى أميركم فيه قال وبلغ المختار ذلك فكرهه حتى رُؤىَ ذلك فى وجهه وأقبل المختار يمنّى الناس ويستجرّ مودّتهم ومودّة الأشراف ويُحسن السيرة جُهده قال وجاءه ابن كامل فقال للمختار أعلمت ان ابن مطيع في دار أبى موسى فلم يُجبه بشئ فأعادها عليه ثلاث مرات فلم يجبه ثم أعادها فلم يجبه فظنّ ابن كامل ان ذلك لا يوافقه وكان ابن مطيع قبل للمختار صديقا فلما أمسى بعث الى ابن مطيع بمائة ألف درهم فقال له تجهّز بهذه واخرج فانى قد شعرت بمكانك وقد ظننت انه لم يمنعك من الخروج الا انه ليس فى يديك ما يقوّيك على الخروج وأصاب المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل كلّ رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتى دخل القصر مائتين مائتين واستقبل الناس بخير ومنّاهم العدل وحسن السيرة وأدنى الاشراف فكانوا جلساءه وحُدّاثه واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكرىّ وعلى حرسه كيسان أبا عَمْرة مولى عُرَينة فقام ذات يوم على رأسه فرأى الأشراف يحدّثونه ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم فقال لأبى عَمْرة بعض أصحابه من الموالى أما ترى أبا اسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر الينا فدعاه المختار فقال له ما يقول لك أولئك الذين رأيتهم يكلمونك فقال له وأسرّ اليه شق عليهم أصلحك الله صرفك وجهك عنهم الى العرب فقال له قُل لهم لا يشقن ذلك عليكم فأنتم منّى وأنا منكم ثم سكت طويلا ثم قرأ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ قال فحدثنى أبو الأشعر موسى بن عامر قال ما هو الا ان سمعها الموالى منه فقال بعضهم لبعض ابشروا كأنكم والله به قد قتلهم (قال أبو مخنف) حدثنى حُصيرة بن عبد الله الأزدىّ وفُضيل بن خديج الكندىّ والنضر بن صالح العبسىّ قالوا أوّل رجل عقد له المختار رايةً عبد الله بن الحارث أخو الأشتر عقد له على أرمينية وبعث محمد بن عُمير بن عُطارد على آذربيجان وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل وبعث اسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخى وبعث قُدامة بن أبى عيسى بن ربيعة النصرىّ وهو حليف لثقيف على بهقباذ الأعلى وبعث محمد بن كعب بن قرَظة على بهقباذ الأوسط وبعث حبيب بن منقذ الثورىّ على بهقباذ الأسفل وبعث سعد ابن حُذيفة بن اليمان على حُلوان وكان مع سعد بن حذيفة ألفا فارس بحُلوان قال ورزقه ألف درهم فى كل شهر وأمره بقتال الأكراد وباقامة الطرق وكتب الى عماله على الجبال

يأمرهم أن يحملوا أموال كورهم الى سعد بن حذيفة بحلوان وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله الا بأمر ابن الزبير وكان قبل ذلك فى امارة عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد منقطعا بامارة الموصل لا يكاتب أحدا دون ابن الزبير * فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبل المختار أميرا تنحى له عن الموصل وأقبل حتى نزل تكريت وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس والى ما يصير أمرهم ثم شخص الى المختار فبايع له ودخل فيما دخل فيه أهل بلده (قال أبو مخنف) وحدثنى صلة بن زهير النهدى عن مسلم بن عبد الله الضبابى قال لما ظهر المختار واستمكن ونفى ابن مطيع وبعث عماله أقبل يجلس للناس غدوة وعشية فيقضى بين الخصمين ثم قال والله ان لى فيما أزاول وأحاول لشغلا عن القضاء بين الناس قال فأجلس للناس شريحا وقضى بين الناس ثم انه خافهم فتمارض وكانوا يقولون انه عثمانى وانه ممن شهد على حجر ابن عدى وانه لم يبلغ عن هانئ بن عروة ما أرسله به وقد كان على بن أبى طالب عزله عن القضاء فلما ان سمع بذلك ورآهم يذمونه ويسندون اليه مثل هذا القول تمارض وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم ان عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائى قاضيا قال مسلم بن عبد الله وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان فقنعه بالسوط فلما ظهر المختار كان معتزلا حتى استأمن له عبد الله ابن شداد فجاء الى المختار ذات يوم فقال

ألا انتسأت بالودّ عنك وأدبرت * معالنة بالهجر أمّ سريع
وحمّلها واشٍ سعى غير مؤتل * فأبت بهم فى الفؤد جميع
فخفض عليك الشأن لا يردك الهوى * فليس انتقال خلة ببديع
وفى ليلة المختار ما يذهل الفتى * ويلهيه عن رؤد الشباب شموع
دعا بالثارات الحسين فأقبلت * كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك * يقود جموعا عبيت بجموع
ومن أسد وافى يزيد لنصره * بكل فتى حامى الذمار منيع
وجاء نعيم حبر شيبان كلها * بأمر لدى الهيجا أحد جميع
وما ابن شميط إذ يحرض قومه * هناك بمخذول ولا بمضيع
ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازن * وكل أخو إحباته وخشوع
وسار أبو النعمان لله سعيه * الى ابن إياس مصحرا لوقوع

بخيل عليها يوم هيجا دروعها * وأخرى حسورا غير ذات دروع
فكرّ الخيول كرة ثقفتهم * وشدّ بأولاها على ابن مطيع
فولى بضرب يشدخ الهام وقعه * وطعن غداة السكتين وجيع
فخوصر فى دار الإمارة بائسا * بذلّ وارغام له وخضوع
فمنّ وزير ابن الوصى عليهم * وكان لهم فى الناس خير شفيع
وآب الهدى حقا الى مستقره * بخير اياب آبه ورجوع
الى الهاشمى المهتدى المهتدى به * فنحن له من سامع ومطيع

قال فلما أنشدها المختار قال المختار لأصحابه قد أثنى عليكم كما تسمعون وقد أحسن الثناء عليكم فأحسنوا له الجزاء ثم قام المختار فدخل وقال لأصحابه لا تبرحوا حتى أخرج اليكم قال وقال عبد الله بن شداد الجشمى يا ابن همام ان لك عندى فرسا ومطرفا وقال قيس بن طهفة النهدى وكانت عنده الرباب بنت الأشعث فان لك عندى فرسا ومطرفا واستحيا أن يعطيه صاحبه شيأ لا يعطى مثله فقال ليزيد بن أنس فما تعطيه فقال يزيدان كان ثواب الله أراد بقوله فما عند الله خير له وان كان انما اعترى بهذا القول أموالنا فوالله ما فى أموالنا ما يسعه قد كانت بقيت من عطائى بقية فقويت بها اخوانى فقال أحمر بن شميط مبادر الهم قبل أن يكلموه يا ابن همام ان كنت أردت بهذا القول وجه الله فاطلب ثوابك من الله وإن كنت انما اعتريت به رضى الناس وطلب أموالهم فاكدم الجندل فوالله ما من قال قولا لغير الله وفى غير ذات الله بأهل ان ينحل ولا يوصل فقال له عضضت بأير أبيك فرفع يزيد ابن أنس السوط وقال لابن شميط تقول هذا القول يا فاسق وقال لابن شميط اضربه بالسيف فرفع ابن شميط عليه السيف ووثب ووثب أصحابهما يتقلتون على ابن همام وأخذ بيده ابراهيم بن الاشتر فألقاه وراءه وقال أنا له جار لم تأتون اليه ما أرى فوالله انه لواصل الولاية راض بما نحن عليه حسن الثناء فان أنتم لم تكافؤه بحسن ثنائه فلا تشتموا عرضه ولا تسفكوا دمه ووثبت مذحج فحالت دونه وقالوا أجاره ابن الاشتر لا والله لا يوصل اليه قال وسمع لغطهم المختار فخرج اليهم وأومأ بيده اليهم أن اجلسوا فجلسوا فقال لهم اذا قيل لكم خير فاقبلوه وان قدرتم على مكافأة فافعلوا وان لم تقدروا على مكافأة فتنصلوا واتقوا السان الشاعر فان شره حاضر وقوله فاجر وسعيه بائر وهو بكم غدا غادر فقالوا أفلا نقتله قال لا انا قد آمناه وأجرناه وقد أجاره أخوكم ابراهيم بن الأشتر فجلس مع الناس قال ثم ان ابراهيم قام فانصرف الى منزله فأعطاه ألفا وفرسا ومطرفا فرجع بها وقال لا والله لا جاورت هؤلاء أبدا وأقبلت هوازن وغضبت واجتمعت فى المسجد غضبا لابن همام فبعث اليهم المختار فسألهم

أن يصفحوا عما اجتمعوا له ففعلوا وقال ابن همام لابن الاشتر يمدحه

أطفأ عنّى نارَ كلبيى ألبًا * على الكلاب ذو الفعال ابنُ مالك
فتى حين يلقى الخيلَ يَفرقُ بينها * بطعن دراكٍ أو بضرب مُواشك
وقد غضبت لى من هوازن عُصبةٌ * طوالُ الذرى فيها عراض المبارك
اذا ابنُ شميط أو يزيد تعرّضا * لها وقعاتي مُستحار المهالك
وثبتم علينا يا موالىَ طيّئٍ * مع ابن شميط شرّ ماشٍ ورائك
وأعظم ديّارٍ على الله فريةً * وما مُفتَرٍ طاغٍ كآخر ناسك
فيا عجبا من أحمسَ ابنة أحمسٍ * توثّبُ حولى بالقنا والنبازك
كأنكمُ فى العزّ قيسٌ وخثعمٌ * وهل أنتمُ إلّا لئامُ عوارك

وأقبل عبد الله بن شدّاد من الغد فجلس في المسجد يقول علينا توثب بنو أسد وأحمس والله لا نرضى بهذا أبدا فبلغ ذلك المختار فبعث اليه فدعاه ودعا بيزيد بن أنس وبابن شميط فحمد الله وأثنى عليه وقال يا ابن شدّاد ان الذى فعلت نزغة من نزغات الشيطان فتُب الى الله قال قد تبت وقال ان هذين أخواك فأقبل اليهما واقبل منهما وهب لى هذا الامر قال فهو لك وكان ابن همام قد قال قصيدة أخرى فى أمر المختار فقال

أضحت سُليمَى بعد طول عتاب * وتجرّم ونفادِ غرب شباب
قد أزمعت بصريمتى وتجنّبى * وتهوّك من ذاك فى إعتاب
لما رأيتُ القصرَ أغلقَ بابَهُ * وتوكلت همدانُ بالأسباب
ورأيتُ أصحاب الدّقيق كأنهم * حول البيوت ثعالبُ الأسراب
ورأيتُ أبوابَ الأزقّة حولنا * دربت بكلّ هراوةٍ وذُباب
أيقنتُ أنّ حيولَ شيعةِ راشدٍ * لم يبقَ منها فيشُ أيرِ ذُباب

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وثب المختار بمن كان بالكوفة من قتلة الحسين والمشايعين على قتله فقتل من قدر عليه منهم وهرب من الكوفة بعضهم فلم يقدر عليه

﴿ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية من قتل منهم ومن هرب فلم يقدر عليه منهم﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكره هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم ان مروان بن الحكم لما استوثقت له الشأم بالطاعة بعث جيشين أحدهما الى الحجاز عليه حُبيش بن دُلجة القينىّ وقد ذكرنا أمره وخبر مهلكه قبل والآخر منهما الى العراق عليهم عبيد الله بن زياد وقد

ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوّابين من الشيعة بعين الوردة وكان مروان جعل لعبيد الله بن زياد اذ وجهه الى العراق ما غلب عليه وأمره أن ينهب الكوفة اذا هو ظفر بأهلها ثلاثا قال عوانة فمرّ بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيس عيلان على طاعة ابن الزبير وقد كان مروان أصاب قيسا يوم مرج راهط وهم مع الضحاك بن قيس مخالفين على مروان وعلى ابنه عبد الملك من بعده فلم يزل عبيد الله مشتغلا بهم عن العراق نحوا من سنة ثم انه أقبل الى الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عامل المختار على الموصل الى المختار أما بعد فانى أخبرك أيها الأمير ان عبيد الله بن زياد قد دخل أرض الموصل وقد وجه قِبَلى خيله ورجاله وانى انحزت الى تكريت حتى يأتينى رأيك وأمرك والسلام عليك فكتب اليه المختار أما بعد فقد بلغنى كتابك وفهمت كلّ ما ذكرت فيه فقد أصبت بانحيازك الى تكريت فلا تبرحنّ مكانك الذى أنت به حتى يأتيك أمرى ان شاء الله والسلام عليك (قال هشام) عن أبى مخنف حدّثنى موسى بن عامر ان كتاب عبد الرحمن بن سعيد لما ورد على المختار بعث الى يزيد بن أنس فدعاه فقال له يا يزيد بن أنس ان العالم ليس كالجاهل وان الحق ليس كالباطل وانى أخبرك خبر من لم يكذب ولم يكذَّب ولم يخالف ولم يرتب وانا المؤمنون الميامين الغالبون المسالم وانك صاحب الخيل التى تجرّ جعابها وتضفر أذنابها حتى توردها منابت الزيتون غائرة عيونها لاحقة بطونها اخرج الى الموصل حتى تنزل أدانيها فانى ممدّك بالرجال بعد الرجال فقال له يزيد بن أنس سرّح معى ثلاثة آلاف فارس أنتخبهم وخلنى والفرج الذى توجهنا اليه فان احتجت الى الرجال فسأكتب اليك قال له المختار فاخرج فانتخب على اسم الله من أحببت فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس فجعل على ربع المدينة النعمان بن عوف بن أبى جابر الأزدىّ وعلى ربع تميم وهمدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمدانىّ وعلى مذحج وأسد ورقاء بن عازب الأسدىّ وعلى ربع ربيعة وكندة سعر بن أبى سعر الحنفىّ ثم انه فصل من الكوفة فخرج وخرج معه المختار والناس يشيّعونه فلما بلغ دير أبى موسى ودّعه المختار وانصرف ثم قال له اذا لقيت عدوّك فلا تناظرهم وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخّرها ولكن خبرك فى كلّ يوم عندى وإن احتجت الى مدد فاكتب الىّ مع انى ممدّك ولو لم تستمدد فانه أشدّ لعضدك وأعزّ لجندك وأرعب لعدوّك فقال له يزيد بن أنس لا تمدّنى لا بد عائك فكفى به مددا وقال له الناس صحبك الله وأدّاك وأيدك وودّعوه فقال لهم يزيد سلوا الله لى الشهادة وايم الله لئن لقيتُهم ففاتنى النصرُ لا تفتنى الشهادةُ ان شاء الله فكتب المختار الى عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس أما بعد فخل بين يزيد وبين البلاد ان شاء الله والسلام عليك فخرج يزيد بن أنس بالناس حتى بات بسُورا ثم غدا بهم سائرا حتى بات بهم بالمدائن فشكا الناس اليه ما دخلهم

من شدّة السير عليهم فأقام بها يوما وليلة ثم انه اعترض بهم أرض جُوخى حتى خرج بهم فى الراذانات حتى قطع بهم الى أرض الموصل فنزل بينات تلى وبلغ مكانه ومنزله الذى نزل به عبيد الله بن زياد فسأل عن عدّتهم فأخبرته عيونه انه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس فقال عبيد الله فأنا أبعث الى كل ألف ألفين ودعا ربيعة بن المخارق الغنوىّ وعبد الله ابن حملة الخثعمىّ فبعثهما فى ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف وبعث ربيعة بن المخارق أوّلا ثم مكث يوما ثم بعث خلفه عبد الله بن حملة ثم كتب اليهما أيكما سبق فهو أمير على صاحبه وإن انتهيتما جميعا فأكبرُ كما سنا أميرٌ على صاحبه والجماعة قال فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو ببنات تلى فخرج اليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنًى (قال أبو مخنف) فحدّثنى أبو الصلت عن أبى سعيد الصيقل قال خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشى معه الرجال يمسكونه عن يمينه وعن شماله بفخذيه وعضديه وجنبيه فجعل يقف على الأرباع رُبع ربع ويقول ياشرطة الله اصبروا تؤجروا وصابروا عدوّكم تظفروا وقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفا ان هلكتُ فأميركم ورقاء بن عازب الأسدىّ فان هلك فأميركم عبد الله بن ضَمرة العذرىّ فان هلك فأميركم سِعر بن أبى سعر الحنفىّ قال وأنا والله فيمن يمشى معه ويمسك بعضده ويده وإنى لأعرف فى وجهه ان الموت قد نزل به قال فجعل يزيد بن أنس عبد الله بن ضمرة العذرىّ على ميمنته وسعر بن أبى سعر على ميسرته وجعل ورقاء بن عازب الأسدىّ على الخيل ونزل هو فوُضع بين الرجال على السرير ثم قال لهم ابرزوا لهم بالعراء وقدمونى فى الرجال ثم ان شئتم فقاتلوا عن أميركم وان شئتم ففرّوا عنه قال فأخرجناه فى ذى الحجة يوم عرفة سنة ٦٦ فأحدنا نمسك احيانا بظهره فيقول اصنعوا كذا اصنعوا كذا وافعلوا كذا فيأمر بأمره ثم لا يكون بأسرع من ان يغلبه الوجع فيوضع هُنَيهةً ويقتتل الناس وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس قال فحملت ميسرتهم على ميمنتنا فاشتدّ قتالهم ونحمل ميسرتنا على ميمنتهم فتهزمها ونحمل ورقاء بن عازب الاسدى فى الخيل فهزمهم فلم يرتفع الضحى حتى هزمناهم وحوينا عكرهم (قال أبو مخنف) وحدثنى موسى بن عامر العدوىّ قال انتهينا الى ربيعة بن المخارق صاحبهم وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادى ياأولياء الحق وياأهل السمع والطاعة انّى أنا ابن المخارق قال موسى فأما أنا فكنتُ غلاما حدثا فهبته ووقفت ويحمل عليه عبد الله بن ورقاء الأسدىّ وعبد الله بن ضمرة العذرىّ فقتلاه (قال أبو مخنف) وحدثنى عمرو بن مالك أبو كبشة القينىّ قال كنت غلاما حين راهقتُ مع أحد عمومتى فى ذلك العسكر فلما نزلنا بعسكر الكوفيين عبّانا ربيعة بن المخارق فأحسن التعبية وجعل على ميمنته ابن أخيه وعلى ميسرته عبد ربه السلمىّ وخرج هو فى

الخيل

الخيل والرجال وقال ياأهل الشأم انكم انما تقاتلون العبيد الاباق وقوما قد تركوا الاسلام وخرجوا منه ليست لهم تقيّة ولا ينطقون بالعربية قال فوالله ان كنت لأحسب ان ذلك كذلك حتى قاتلناهم قال فوالله ما هو الا أن اقتتل الناس اذا رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه وهو يقول

بَرِئتُ مِنْ دِينِ المُحَكِّمِينا * وذَاكَ فِينَا شَرُّ دِينٍ دِينَا

ثم إن قتالنا وقتالهم اشتدّ ساعة من النهار ثم انهم هزمونا حين ارتفع الضحى فقتلوا صاحبنا وحووا عسكرنا فخرجنا منهزمين حتى تلقانا عبدُ الله بن حملة على مسيرة ساعة من تلك القرية التى يقال لها بينات تلى فردّنا فأقبلنا معه حتى نزل بيزيد بن أنس فبتنا متحارسين حتى أصبحنا فصلينا الغداة ثم خرجنا على تعبية حسنة فجعل على ميمنته الزبير بن حريمة من خثعم وعلى ميسرته ابن أقيصر القحافىّ من خثعم وتقدّم فى الخيل والرجال وذلك يوم الاضحى فاقتتلنا قتالا شديدا ثم انهم هزمونا هزيمة قبيحة وقتلونا قتلا ذريعا وحوا عسكرنا وأقبلنا حتى انتهينا الى عبيد الله بن زياد فحدثناه بما لقينا (قال أبو مخنف) وحدثنى موسى بن عامر قال أقبل الينا عبد الله بن حملة الخثعمىّ فاستقبل فلّ ربيعة بن المخارق الغنوىّ فردهم ثم جاء حتى نزل ببينات تلى فلما أصبح غادوا وغادينا فتطارت الخيلان من أوّل النهار ثم انصرفوا وانصرفنا حتى اذا صلينا الظهر خرجنا فاقتتلنا ثم هزمناهم قال ونزل عبد الله بن حملة فأخذ ينادى أصحابه الكرّة بعد الفرّة ياأهل السمع والطاعة فحمل عليه عبدُ الله بن قُراد الخثعمىّ فقتله وحوينا عسكرهم ومافيه وأتى يزيد ابن أنس بثلثمائة أسير وهو فى السوق فأخذ يومئ بيده ان اضربوا أعناقهم فقتلوا من عند آخرهم وقال يزيد بن أنس ان هلكتُ فأميركم ورقاء بن عازب الأسدىّ فما أمسى حتى مات فصلى عليه ورقاء بن عازب ودفنه فلما رأى ذلك أصحابه أسقط فى أيديهم وكسرموتُه قلوب أصحابه وأخذوا فى دفنه فقال لهم ورقاء ياقوم ماذا ترون انه قد بلغنى ان عبيد الله بن زياد قد أقبل الينا فى ثمانين ألفا من أهل الشأم فأخذوا يتسلّلون ويرجعون ثم ان ورقاء دعا رؤس الأرباع وفرسان أصحابه فقال لهم ياهؤلاء ماذا ترون فيما أخبرتكم انما أنا رجل منكم ولست بأفضلكم رأيا فأشيروا على فان ابن زياد قد جاءكم فى جند أهل الشأم الأعظم وبجلّتهم وفرسانهم وأشرافهم ولا أرى لنا ولكم بهم طاقة على هذه الحال وقد هلك يزيد بن أنس أميرنا وتفرّقت عنا طائفة منا فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا قبل ان نلقاهم وقبل ان نبلغهم فيعلموا انا انما ردّنا عنهم هلاك صاحبنا فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم ولأنّا انما نعتلّ لانصرافنا بموت صاحبنا وانا ان لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فإن هُزمنا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا اياهم من قبل اليوم فقالوا فإنك نعمّا رأيت انصرف رحمك الله فانصرف فبلغ مُنصَرَفهم ذلك المختارَ وأهل الكوفة

فأرجف النـاس ولم يعلموا كيف كان الأمر ان يزيد بن أنس هلك وان الناس هزموا فبعث الى المختار عامله على المدائن عينًا له من انباط السواد فأخبره الخبر فدعا المختار ابراهيم بن الأشتر فعقد له على سبعة آلاف رجل ثم قال له سر حتى اذا أنت لقيت جيش ابن أنس فاردد هم معك ثم سر حتى تلقى عدوك فتُناجزهم فخرج ابراهيم فوضع عسكره بحمام أعين (قال أبو مخنف) فحدثني أبو زهير النضر بن صالح قال لما مات يزيد بن أنس التقى أشراف الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا قتل يزيد بن أنس ولم يصدقوا انه مات وأخذوا يقولون والله لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضى منا ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم وأطعمهم فيئنا ولقد عصتنا عبيدنا فخرب بذلك أيتامنا وأراملنا فاتعدوا منزل شبث بن ربعي وقالوا نجتمع في منزل شيخنا وكان شبث جاهليًا اسلاميًا فاجتمعوا فأتوا منزله فصلى بأصحابه ثم تذاكروا هذا النحو من الحديث قال ولم يكن فيما أحدث المختار عليهم شيء هو أعظم من ان جعل للموالي من الفيء نصيبا فقال لهم شبث دعوني حتى ألقاه فذهب فلقيه فلم يدع شيأ مما أنكره أصحابه الا وقد ذاكره اياه فأخذ لا يذكر خصلة الا قال له المختار أرضيهم في هذه الخصلة وآتي كل شيء أحبوا قال فذكر المماليك قال فأنا أردّ عليهم عبيدهم فذكر له الموالي فقال عمدت الى موالينا وهم فيء أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعا فأعتقنار قابهم نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا فقال لهم المختار ان أنا تركت لكم مواليكم وجعلت فيأكم فيكم أتقاتلون معي بني أمية وابن الزبير وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه وما أطمئن اليه من الايمان فقال شبث ما أدري حتى أخرج الى أصحابي فأذاكرهم ذلك فخرج فلم يرجع الى المختار قال وأجمع رأي أشراف أهل الكوفة على قتال المختار (قال أبو مخنف) فحدثني قدامة بن حوشب قال جاء شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن ابن سعيد بن قيس حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي فتكلم شبث فحمد الله وأثنى عليه ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار وسأله أن يجيبهم الى ذلك وقال فيما يعتب به المختار انه تأمر علينا بغير رضى منا وزعم ان ابن الحنفية بعثه الينا وقد علمنا ان ابن الحنفية لم يفعل وأطعم موالينا فيئنا وأخذ عبيدنا فخرب بهم يتاما ناوأراملنا وأظهر هو وسبأ يته البراءة من اسلافنا الصالحين قال فرحب بهم كعب بن أبي كعب وأجابهم الى ما دعوه اليه (قال أبو مخنف) حدثني أبي يحيى بن سعيد ان أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف فدعوه الى ان يجيبهم الى قتال المختار فقال لهم يا هؤلاء انكم ان أبيتم الا ان تخرجوا لم أخذ لكم وان أنتم أطعتموني لم تخرجوا فقالوا لم قال لأني أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا وتتخاذلوا ومع الرجل والله شجعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم أليس معه فلان

وفلان

وفلان ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة وعبيدكم ومواليكم أشد حنقا عليكم من عدوكم فهو مقاتلكم بشجاعة العرب وعداوة العجم وان انتظرتموه قليلا كفيتموه بقدوم أهل الشأم أو بمجيء أهل البصرة فتكونوا قد كفيتموه بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم قالوا ننشدك الله أن تخالفنا وان تفسد علينا رأينا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا قال فأنا رجل منكم فإذا شئتم فاخرجوا فسار بعضهم الى بعض وقالوا انتظروا حتى يذهب عنه ابراهيم بن الأشتر قال فأمهلوا حتى اذا بلغ ابن الأشتر ساباط وثبوا بالمختار قال فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمداني في همدان في جبانة السبيع وخرج زحر بن قيس الجعفي واسحاق بن محمد بن الأشعث في جبانة كندة (قال هشام) فحدثني سليمان بن محمد الحضرمي قال خرج اليهما جبير الحضرمي فقال لهما اخرجا عن جبانتنا فانا نكره أن نُعرّى بشرّ فقال له اسحاق بن محمد وجبانتكم هي قال نعم فانصرفوا عنه وخرج كعب بن أبي كعب الخثعمي في جبانة بشر وسار بشير بن جرير بن عبد الله اليهم في بجيلة وخرج عبد الرحمن بن مخنف في جبانة مخنف وسار اسحاق بن محمد وزحر بن قيس الى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بجبانة السبيع وسارت بجيلة وخثعم الى عبد الرحمن بن مخنف وهو بالأزد وبلغ الذين في جبانة السبيع ان المختار قد عمّى لهم خيلا ليسير اليهم فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضا الى الأزد وبجيلة وخثعم يسألونهم بالله والرحم لما عجلوا اليهم فساروا اليهم واجتمعوا جميعا في جبانة السبيع ولما ان بلغ ذلك المختار سرّه اجتماعهم في مكان واحد وخرج شمر بن ذي الجوشن حتى نزل بجبانة بني سلول في قيس ونزل شبث بن ربعي وحسان بن فائد العبسي وربيعة بن ثروان الضبي في مضر بالكناسة ونزل حجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رؤيم في ربيعة فيما بين التمارين والسبخة ونزل عمرو بن الحجاج الزبيدي في جبانة مراد بمن تبعه من مذحج فبعث اليهم أهل اليمن ان ائتنا فأبى أن يأتيهم وقال لهم جدوا فكاني قد أتيتكم قال وبعث المختار رسولا من يومه يقال له عمرو بن نوبة بالركض الى ابراهيم بن الاشتر وهو بساباط أن لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك الي قال وبعث اليهم المختار في ذلك اليوم اخبروني ما تريدون فاني صانع كل ما أحببتم قالوا فانا نريد أن تعتزلنا فانك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك فأرسل اليهم المختار أن ابعثوا اليه من قبلكم وفدا وأبعث اليه من قبلي وفدا ثم انظروا في ذلك حتى تتبينوه وهو يريد أن يريثهم بهذه المقالة ليقدم عليه ابراهيم بن الاشتر وقد أمر أصحابه فكفوا أيديهم وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك فليس شيء يصل الى المختار ولا الى أصحابه من الماء الا القليل الوتح يجيئهم اذا غفلوا عنه قال وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان فقاتله شاكر قتالا شديدا فجاءه عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى ردّ عاديتهم عنه ثم أقبلا على حاميتهما يسيران حتى نزل عقبة بن طارق مع قيس في

جبانة بنى سلول وجاء عبد الله بن سبيع حتى نزل مع أهل اليمن فى جبانة السبيع (قال أبو مخنف) حدثنى يونس بن أبى اسحاق ان شمر بن ذى الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم ان اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنّبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم والا فلا والله لا أقاتل فى مثل هذا المكان فى سكك ضيّقة ونقاتل من غير وجه فانصرف الى جماعة قومه في جبانة بنى سلول قال ولما خرج رسول المختار الى ابن الاشتر بلغه من يومه عشيةً فنادى في الناس أن ارجعوا الى الكوفة فسار بقية عشيته تلك ثم نزل حين أمسى فتعشّى أصحابه وأراحوا الدوابّ شيأ كلا شيء ثم نادى فى الناس فسار ليلته كلها ثم صلى الغداة بسُورا ثم سار من يومه فصلى العصر على باب الجسر من الغد ثم انه جاء حتى بات ليلته فى المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجَلَد حتى اذا كان صبيحة اليوم الثالث من مخرجهم على المختار خرج المختار الى المنبر فصعده (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو جناب الكلبى ان شبث بن ربعى بعث اليه ابنه عبد المؤمن فقال له انما نحن عشيرتك وكفّ يمينك لا والله لا نقاتلك فثق بذلك منا وكان رأيه قتاله ولكنه كاده ولما ان اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلاة فكره كلُّ رأس من رؤس أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف هذا أول الاختلاف قدّموا الرضى فيكم فان فى عشيرتكم سيّد قرّاء أهل المصر فليصل بكم رفاعة بن شداد الفتيانى من بجيلة ففعلوا فلم يزل يصلى بهم حتى كانت الوقعة (قال أبو مخنف) وحدثنى وازع بن السرى ان أنس بن عمرو الأزدى انطلق فدخل فى أهل اليمن وسمعهم وهم يقولون ان سار المختار الى اخواننا من مضر سرنا اليهم وان سار الينا سار وا الينا فسمعها منهم رجل وأقبل جوادا حتى صعد الى المختار على المنبر فأخبره بمقالتهم فقال اما هم فخلقاء لو سرت الى مضر أن يسيروا اليهم وأما أهل اليمن فأشهد لئن سرت اليهم لا تسير اليهم مضر فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويكرمه ثم ان المختار نزل فعبّى أصحابه فى السوق والسوق اذ ذاك ليس فيها هذا البناء فقال لابراهيم بن الاشتر الى أى الفريقين أحب اليك أن تسير فقال الى أى الفريقين أحببت فنظر المختار وكان ذا رأى فكره أن يسير الى قومه فلا يبالغ فى قتالهم فقال سر الى مضر بالكناسة وعليهم شبث بن ربعى ومحمد بن عمير بن عطارد وأنا أسير الى أهل اليمن * قال ولم يزل المختار يُعرف بشدة النفس وقلة البُقيا على أهل اليمن وغيرهم اذا ظفر فسار ابراهيم بن الاشتر الى الكناسة وسار المختار الى جبانة السبيع فوقف المختار عند دار عمر بن سعد بن أبى وقاص وسرّح بين يديه أحمر بن شُميط البجلى ثم الاحمسى وسرّح عبد الله بن كامل الشاكرى وقال لابن شميط الزم هذه السكة حتى تخرج الى أهل جبانة السبيع من بين دور قومك وقال لعبد الله بن كامل الزم هذه السكة حتى تخرج على جبانة السبيع من دار آل الاحنس بن شريق ودعاهما فأسرّ اليهما ان شباما قد بعثت تخبرنى انهم قد أتوا القوم من

ورائهم

ورائهم فضيا فسلكا الطريقين اللذين أمرهما بهما وبلغ أهل اليمن مسيرُ هذين الرجلين اليهم فاقتسموا تينك السكّتين فأما السكة التى في دبر مسجد أحمس فانه وقف فيها عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى واسحاق بن الاشعث وزَحْر بن قيس وأما السكة التى تلى الفرات فانه وقف فيها عبد الرحمن بن مخنف وبشير بن جرير بن عبد الله وكعب بن أبى كعب ثم ان القوم اقتتلوا كاشد قتال اقتتله قوم ثم ان أصحاب أحمر بن شميط انكشفوا وأصحاب عبد الله ابن كامل أيضا فلم يُرَع المختار الا وقد جاءه الفلُّ قد أقبل فقال ما وراءكم قالوا هُزمنا قال فما فعل أحمر بن شميط قالوا تركناه قد نزل عند مسجد القصّاص يعنون مسجد أبى داود فى وادعة وكان يعتاده رجال أهل ذلك الزمان يقصّون فيه وقد نزل معه أناس من أصحابه وقال أصحاب عبد الله ما ندرى ما فعل ابن كامل فصاح بهم أن انصرفوا ثم أقبل بهم حتى انتهى الى دار أبى عبد الله الجدلى وبعث عبد الله بن قُراد الخثعمى وكان على أربعمائة رجل من أصحابه فقال سر فى أصحابك الى ابن كامل فان يكُ هلك فأنت مكانه فقاتل القوم بأصحابك وأصحابه وان تجده حيا صالحا فسر فى مائة من أصحابك كلهم فارس وادفع اليه بقية أصحابك ومُر بالجدّ معه والمناصحة له فانهم انما يناصحوننى ومن ناصحنى فليبشر ثم امض في المائة حتى تأتى أهل جبانة السبيع مما يلى حمام قطن بن عبد الله فمضى فوجد ابن كامل واقفا عند حمّام عمرو بن حُريث معه أناس من أصحابه قد صبروا وهو يقاتل القوم قد دفع اليه ثلثمائة من أصحابه ثم مضى حتى نزل الى جبانة السبيع ثم أخذ فى تلك السكك حتى انتهى الى مسجد عبد القيس فوقف عنده وقال لاصحابه ما ترون قالوا أمرنا لامرك تبع وكل من كان معه من حاشد من قومه وهم مائة فقال لهم والله انى لأحب أن يظهر المختار ووالله انى لكارهٌ أن يهلك أشراف عشيرتى اليوم ووالله لأن أموت أحبُّ الىّ من أن يحلّ بهم الهلاك على يدىّ ولكن قفوا قليلا فانى قد سمعت شباما يزعمون انهم سيأتونهم من ورائهم فلعل شباما تكون هى تفعل ذلك ونعافى نحن منه قال له أصحابه فرأيك فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس وبعث المختار مالك ابن عمرو النهدى فى مائتى رجل وكان من أشد الناس بأسا وبعث عبد الله بن شريك النهدى فى مائتى فارس الى أحمر بن شميط وثبت مكانه فانتهوا اليه وقد علاه القوم وكثروه فاقتتلوا عند ذلك كاشد القتال ومضى ابن الاشتر حتى لقى شبث بن ربعى وأناسا معه من مضر كثيرا وفيهم حسان بن فائد العبسى فقال لهم ابراهيم ويحكم انصرفوا فوالله ما أحب أن يصاب أحد من مضر على يدىّ فلا تُهلكوا أنفسكم فأبوا فقاتلوه فهزمهم واحتمل حسان بن فائد الى أهله فمات حين أدخل اليهم وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق إفاقة فقال أما والله ما كنت أحب أن أعيش من جراحتى هذه وما كنت أحب أن تكون منيّتى الا بطعنة رمح أو بضربة بالسيف فلم يتكلم بعدها كلمة حتى مات وجاءت البشرى الى المختار من قِبَل ابراهيم

بهزيمة مضر فبعث المختار البشرى من قبله الى أحمر بن شميط والى ابن كامل فالناس على أحوالهم كل أهل سكة منهم قد أعنت ما يليها قال فاجتمعت شبام وقدر أسوا عليهم أبا القلوص وقد أجمعوا واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم فقال بعضهم لبعض أما والله لو جعلتم جدكم هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصوب فسيروا الى مضر أو الى ربيعة فقاتلوهم وشيخهم أبو القلوص ساكت لا يتكلم فقالوا يا أبا القلوص ما رأيك فقال قال الله جل ثناؤه قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قوموا فقاموا فمشى بهم قيس رجلين أو ثلاثة ثم قال لهم اجلسوا فجلسوا ثم مشى بهم أنفس من ذلك شيأ ثم قعد بهم ثم قال لهم قوموا ثم مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيأ ثم قعد بهم فقالوا له يا أبا القلوص والله انك عندنا لأشجع العرب فما يحملك على الذى تصنع قال ان المجرب ليس كمن لم يجرب انى أردت أن ترجع اليكم أفئدتكم وأن توطنوا على القتال أنفسكم وكرهت أن أقحمكم على القتال وأنتم على حال دهش قالوا أنت أبصر بما صنعت فلما خرجوا الى جبانة السبيع استقبلهم على فم السكة الاعسر الشاكرى فحمل عليه الجندعى وأبو الزبير بن كريب فصرعاه ودخلا الجبانة ودخل الناس الجبانة فى آثارهم وهم ينادون بالثأرات الحسين فأجابهم أصحاب ابن شميط بالثأرات الحسين فسمعها يزيد بن عمير بن ذى مرّان من همدان فقال بالثأرات عثمان فقال لهم رفاعة بن شداد مالنا ولعثمان لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان فقال له أناس من قومه جئت بنا وأطعناك حتى اذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت انصرفوا ودعوهم فعطف عليهم وهو يقول

أنا ابن شدّاد على دين على * لست لعثمان بن أروى بولى
لأصلينّ اليوم فيمن يصطلى * بحرّ نار الحرب غير مؤتلى

فقاتل حتى قتل وقتل يزيد بن عمير بن ذى مرّان وقتل النعمان بن صهبان الجرمى ثم الراسبى وكان ناسكا ورفاعة بن شداد بن عوسجة الفتيانى عند حمّام المهبذان الذى بالسبخة وكان ناسكا وقتل الفرات بن زحر بن قيس الجعفى وارتثّ زحر بن قيس وقتل عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس وقتل عمر بن مخنف وقاتل عبد الرحمن بن مخنف حتى ارتثّ وحملته الرجال على أيديها وما يشعر وقاتل حوله رجال من الأزد فقال حميد بن مسلم

لأضربنّ عن أبى حكيم * مفارق الأعبد والصميم

وقال شراقة بن مرداس البارقىّ

يا نفس إلا تصبرى تليمى * لا تتولى عن أبى حكيم

واستخرج من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتى بهم المختار مكتفين فأخذ رجل من بنى نهد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له عبد الله بن شريك لا يخلو بعربىّ الا خلى

سبيله فرفع ذلك الى المختار درهم مولى لبنى نهد فقال له المختار اعرضوهم علىّ وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فأعلمونى به فأخذوا لا يمرّ عليه برجل قد شهد قتل الحسين الا قيل له هذا ممن شهد قتله فيقدّمه فيضرب عنقه حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلا وأخذ أصحابه كلما رأوا رجلا قد كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضرّبهم خلوا به فقتلوه حتى قتل ناس كثير منهم ومايشعر بهم المختار فأخبر بذلك المختار بعد فدعى بمن بقى من الأسارى فأعتقهم وأخذ عليهم المواثيق أن لا يجامعوا عليه عدوّا ولا يبغوه ولا أصحابه غائلة الاسُراقة بن مرداس البارقى فانه أمر به أن يساق معه الى المسجد قال ونادى منادى المختار انه من أغلق بابه فهو آمن الا رجلا شرك فى دم آل محمد صلى الله عليه وسلم (قال أبو مخنف) حدثنى المجالد بن سعيد عن عامر الشعبى ان يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجار بن أبجر بعثا رسلا لهما فقالا لهم كونوا من أهل اليمن قريبا فإن رأيتموهم قد ظهروا فأيكم سبق الينا فليقل صرفان وان كانوا هزموا فليقل جُمزان فلما هزم أهل اليمن أتتهم رسلهم فقال لهم أول من انتهى اليهم جُمزان فقام الرجلان فقالا لقومهما انصرفوا الى بيوتكم فانصرفوا وخرج عمرو بن الحجاج الزبيدى وكان ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته ثم ذهب عليها فأخذ طريق شراف وواقصة فلم يزل حتى الساعة ولا يُدرَى أرضٌ بخسته أم سماء حصبته وأما فرات بن زحر بن قيس فانه لما قتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية وكانت امرأة الحسين بن علىّ الى المختار تسأله ان يأذن لها ان توارى جسده ففعل فدفنته وبعث المختار غلاما له يدعى زربيا فى طلب شمر ابن ذى الجوشن (قال أبو مخنف) فحدثنى يونس بن أبى اسحاق عن مسلم بن عبد الله الضبابى قال تبعنا زربىّ غلام المختار فلحقنا وقد خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضمّر فأقبل يتمطر به فرسه فلما دنا منا قال لنا شمر اركضوا وتباعدوا عنى لعل العبد يطمع فى قال فركضنا فأمعنا وطمع العبد فى شمر وأخذ شمر ما يستطرد له حتى اذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمر فدق ظهره وأتى المختار فأخبر بذلك فقال بؤسا لزربىّ أما لو يستشيرنى ما أمرته ان يخرج لأبى السابغة (قال أبو مخنف) حدثنى أبو محمد الهمدانى عن مسلم بن عبد الله الضبابىّ قال لما خرج شمر بن ذى الجوشن وأنا معه حين هزمنا المختار وقتل أهل اليمن بجبانة السبيع ووجه غلامه زربيا فى طلب شمر وكان من قتل شمرا ياه ما كان مضى شمر حتى ينزل ساتيدما ثم مضى حتى ينزل الى جانب قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر الى جانب تل ثم ارسل الى تلك القرية فأخذ منها علجا فضربه ثم قال النجاء بكتابى هذا الى المصعب بن الزبير وكتب عنوانه للأمير المصعب بن الزبير من شمر بن ذى الجوشن قال فمضى العلج حتى يدخل قرية فيها بيوت وفيها أبو عمرة وقد كان المختار بعثه فى تلك الأيام الى

تلك القرية ليكون مسلحة فيما بينه وبين أهل البصرة فلقى ذلك العلج علجا من تلك القرية فأقبل يشكو اليه مالقى من شمر فانه لقائم معه يكلمه اذ مر به رجل من أصحاب أبى عمرة فرأى الكتاب مع العلج وعنوانه لمصعب من شمر فسألوا العلج عن مكانه الذى هو به فأخبرهم فإذا ليس بينهم وبينه الا ثلاثة فراسخ قال فأقبلوا يسيرون اليه (قال أبو مخنف) فحدثنى مسلم ابن عبد الله قال وأنا والله مع شمر تلك الليلة فقلنا له لو انك ارتحلت بنا من هذا المكان فإنا نخوف به فقال أوكلُّ هذا فرقا من الكذاب والله لا أتحول منه ثلاثة أيام ملأ الله قلوبكم رعبا قال وكان بذلك المكان الذى كنا فيه دبى كثير فوالله إنى لبين اليقظان والنائم اذ سمعت وقع حوافر الخيل فقلت في نفسى هذا صوت الدبى ثم انى سمعته أشد من ذلك فانتبهت ومسحت عينى وقلت لا والله ماهذا بالدبى قال وذهبت لأقوم فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التل فكبروا ثم أحاطوا بأبياتنا وخرجنا نشتد على أرجلنا وتركنا خيلنا قال فأمر على شمر وانه لمتزر ببرد محقق وكان أبرص فكأنى أنظر الى بياض كشحيه من فوق البرد فانه ليطاعنهم بالرمح قد أعجلوه ان يلبس سلاحه وثيابه فضيناوتركناه قال فما هو الا ان امعنت ساعة اذ سمعت الله أكبر قتل الله الخبيث (قال أبو مخنف) حدثنى المثنى قى عن عبد الرحمن بن عبيد أبى الكنود قال أنا والله صاحب الكتاب الذى رأيته مع العلج وأتيت به أبا عمرة وأنا قتلت شمرا قال قلت هل سمعته يقول شيأ ليلتئذ قال نعم خرج علينا فطاعننا برمحه ساعة ثم ألقى رمحه ثم دخل بيته فاخذ سيفه ثم خرج علينا وهو يقول

نَبَّهْتُمُ لَيْثَ عَرِينٍ بَاسِلاَ * جَهْمًا مُحَيَّاهُ يَدُقُّ الكَاهِلا
لَمْ يُرَ يَوْمًا عَنْ عَدُوٍّ نَاكِلا * الا كَذَا مُقَاتِلاً أو قَاتِلا
يُبِرُّهُمْ ضَرْبًا وَيُرْوِى العَامِلا

(قال أبو مخنف) عن يونس بن أبى اسحاق ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل الى القصر أخذ سراقة بن مرداس ينادى به بأعلى صوته

أَمِنْ عَلَىَّ اليَوْمَ يَا خَيْرَ مَعَدْ * وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشِعْرٍ وَالجَنَدْ
وَخَيْرَ مَنْ حَيِيَ وَلَّى وَسَجَدْ

فبعث به المختار الى السجن فحبسه ليلة ثم أرسل اليه من الغد فأخرجه فدعا سراقة فأقبل الى المختار وهو يقول

أَلا أَبْلِغْ أَبَا اسْحَاقَ أَنَا * نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَينَا
خَرَجْنَا لاَ نَرَى لِلضَّعْفَاءِ شَيأً * وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطَرًا وَحَيْنَا
نَرَاهُمْ فِى مَصَافِهِمِ قَلِيلاً * وَهُمْ مِثْلُ الدَّبَى حِينَ التَقَينَا

برزنا

بَرَزْنَا اذْ رَأَيْنَاهُمْ فَلَمَّا * رَأَينَا القَوْمَ قَدْ بَرَزُوا الينَا
لَقِينَا مِنْهُمُ ضَرْبًا طِلاَحِفًا * وَطَعْنًا صَائِبًا حَتَّى انْثَنَيْنَا
نُصِرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ كُلَّ يَوْمٍ * بِكُلِّ كَتِيبَةٍ تَنْعَى حُسَيْنَا
كَنَصْرِ مُحَمَّدٍ فِى يَوْمِ بَدْرٍ * وَيَوْمَ الشِّعْبِ اذْ لاَقَى حُنَيْنَا
فَأَبْلِغْ اذْ مَلَكْتَ فَلَوْ مَلَكْنَا * لَجَرْنَا فِى الحُكُومَةِ وَاعْتَدَينَا
تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنِّى فَانِى * سَأَشْكُرُ ان جَعَلْتَ النَّقْدَ دَينَا

فلما انتهى الى المختار قال له أصلحك الله أيها الأمير سراقة بن مرداس يحلف بالله الذى لا اله الا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والارض فقال له المختار فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به المختار فقال انى قد علمت انك لم تر الملائكة وانما أردت ماقد عرفت ان لا أقتلك فاذهب عنى حيث أحببت لا تفسد علىَّ أصحابى (قال أبو مخنف) فحدثنى الحجاج بن علىّ البارقىّ عن سراقة بن مرداس قال ما كنت في أيمان حلفت بها قط أشد اجتهادا ولا مبالغة في الكذب منى في أيمانى هذه التى حلفت لهم بها انى قد رأيت الملائكة معهم تقاتل فخلوا سبيله فهرب فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة وخرج أشراف أهل الكوفة والوجوه فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة وخرج سراقة بن مرداس من الكوفة وهو يقول

أَلا أَبْلِغْ أَبَا اسْحَاقَ أَنِّى * رَأَيْتُ البُلْقَ دُهْمًا مُصْمَتَاتِ
كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا * عَلَىَّ قِتَالَكُمْ حَتَّى المَمَاتِ
أَرَى عَيْنَىَّ مَالَمْ تُبْصِرَاهُ * كَلاَنَا عَالِمٌ بِالتُّرَّهَاتِ
اذَا قَالُوا أَقُولُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ * وَانْ حَرَجُوا لَبِسْتُ لَهُمْ أَدَاتِى

حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة قال حدثنا محمد بن براد من ولد أبى موسى الأشعرى عن شيخ قال لما أسر سراقة البارقىّ قال وأنتم أسرتمونى ما أسرنى الا قوم على دواب بُلق عليهم ثياب بيض قال فقال المختار أولئك الملائكة فأطلقه فقال

ألا أبلغ أبا اسحاق أنى * رأيت البلق دهما مصمتات
أرى عينى مالم تر أياه * كلانا عالم بالترهات

(قال أبو مخنف) حدثنى عمير بن زياد ان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانىّ قال يوم جبانة السبيع ويحكم من هؤلاء الذين أتونا من ورائنا قيل له شبام فقال يا عجبا يقاتلنى بقومى من لا قوم له (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو روق ان شرحبيل بن ذى يُقلان من الناعطيين قتل يومئذ وكان من بيوتات همدان فقال يومئذ قبل ان يقتل يالها قتلة ما أفضل مقتولها

قتال مع غير امام وقتال على غير نية وتعجيل فراق الأحبة ولو قتلناهم اذا لم نسلم منهم إنا لله وإنا إليه راجعون أما والله ما خرجت الا مؤاسيا لقومي بنفسي مخافة ان يضطهدوا وايم الله ما نجوت من ذلك ولا أنجوا ولا أغنيت عنهم ولا أغنوا قال ويرميه رجل من الفائشيين من همدان يقال له أحمر بن هديج بسهم فيقتله قال واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفر ثلاثة سعر بن أبي سعر الحنفي وأبو الزبير الشبامي ورجل آخر فقال سعر طعنته طعنة وقال أبو الزبير لكن ضربته أنا عشر ضربات أو أكثر وقال لي ابنه يا أبا الزبير أنقتل عبد الرحمن بن سعيد سيد قومك فقلت لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم فقال المختار كلكم محسن وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من قومه (قال أبو مخنف) حدثني النضر بن صالح ان القتل اذ ذاك كان استحر في أهل اليمن وان مضر أصيب منهم بالكناسة بضعة عشر رجلا ثم مضوا حتى مروا بربيعة فرجع حجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشداد بن المنذر أخو حصين وعكرمة بن ربعي فانصرف جميع هؤلاء الى رحالهم وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالا شديدا ثم انصرف عنهم وقد حرج فجاء حتى دخل منزله فقيل له قد مرت خيل في ناحية الحي فخرج فأراد ان يثب من حائط داره الى دار اخرى الى جانبه فلم يستطع حتى حمله غلام له وكانت وقعة جبانة السبيع يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذي الحجة سنة ٦٦ قال وخرج اشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين فقال ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين بئس ناصر آل محمد انا اذا في الدنيا انا اذا الكذاب كاسموني فإني بالله أستعين عليهم الحمد لله الذي جعلني سيفا ضربهم به ورمحا طعنهم به وطالب وترهم والقائم بحقهم انه كان حقا على الله ان يقتل من قتلهم وان يذل من جهل حقهم فسموهم لي ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم (قال أبو مخنف) فحدثني موسى بن عامر ان المختار قال لهم اطلبوا قتلة الحسين فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم وأنقي المصر منهم (قال أبو مخنف) وحدثني مالك بن أعين الجهني ان عبد الله بن دباس وهو الذي قتل محمد بن عمار بن ياسر الذي قال الشاعر

قتيل ابن دباس أصاب قذاله

هو الذي دل المختار على نفر ممن قتل الحسين منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهني من حرقة ومالك بن النسير البدي وحمل بن مالك المحاربي فبعث اليهم المختار أبا نمر مالك بن عمرو النهدي وكان من رؤساء أصحاب المختار فأتاهم وهم بالقادسية فأخذهم فأقبل بهم حتى أدخلهم عليه عشاء فقال لهم المختار يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله أين الحسين ابن علي أدوا الى الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة فقالوا رحمك الله بعثنا ونحن

كارهون

كارهون فامننا علينا واستبقنا قال المختار فهلا منتم على الحسين ابن بنت نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه ثم قال المختار للبدي أنت صاحب برنسه فقال له عبد الله بن كامل نعم هو هو فقال المختار اقطعوا يدي هذا ورجليه ودعوه فليضطرب حتى يموت ففعل ذلك به وترك فلم يزل ينزف الدم حتى مات وأمر بالآخرين فقدما فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهني وقتل سعر بن أبي سعر حمل بن مالك المحاربي (قال أبو مخنف) وحدثني أبو الصلت التيمي قال حدثني أبو سعيد الصيقل ان المختار دل على رجال من قتلة الحسين دله عليهم سعر الحنفي قال فبعث المختار عبد الله بن كامل فخرجنا معه حتى مر ببني ضبيعة فأخذ منهم رجلا يقال له زياد ابن مالك قال ثم مضى الى عنزة فأخذ منهم رجلا يقال له عمران بن خالد قال ثم بعثني في رجال معه يقال لهم الدبابة الى دار في الحمراء فيها عبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي وعبد الله بن قيس الخولاني فجئناهم حتى أدخلناهم عليه فقال لهم يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة ألا ترون الله قد أفادمنكم اليوم لقد جاءكم الورس بيوم نحس وكانوا قد أصابوا من الورس الذي كان مع الحسين أخرجوهم الى السوق فضربوا رقابهم ففعل ذلك بهم فهؤلاء أربعة نفر (قال أبو مخنف) وحدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال جاءنا السائب بن مالك الأشعري في خيل المختار فخرجت نحو عبد القيس وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخب في أثري وشغلوا بالاحتباس عليهما عني فنجوت وأخذوهما ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عم أعشى همدان من بني عبد فأخذوه فانتهوا بهم الى المختار فأمر بهم فقتلوا في السوق فهؤلاء ثلاثة فقال حميد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم

ألم ترني على دهش * نجوت ولم أكد أنجو
رجاء الله أنقذني * ولم أك غيره أرجو

(قال أبو مخنف) حدثني موسى بن عامر العدوي من جهينة وقد عرف ذلك الحديث شهم ابن عبد الرحمن الجهني قال بعث المختار عبد الله بن كامل الى عثمان بن خالد بن أسير الدهماني من جهينة والى أبي أسماء بشر بن سوط القابضي وكانا ممن شهد قتل الحسين وكانا اشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وفي سلبه فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بني دهمان ثم قال علي مثل خطايا بني دهمان منذ يوم خلقوا الى يوم يبعثون إن لم أوت بعثمان بن خالد بن أسير إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم ففقدوا له أمهلنا نطلبه فخرجوا مع الخيل في طلبه فوجدوهما جالسين في الجبانة وكانا يريدان ان يخرجا الى الجزيرة فأتى بهما عبد الله بن كامل فقال الحمد لله الذي كفى المؤمنين القتال لم يجدوا هذا مع هذا عنانا الى منزله في طلبه فالحمد لله الذي حينك حتى أمكن منك فخرج بهما حتى اذا كان في موضع بئر الجعد ضرب أعناقهما ثم رجع فأخبر المختار خبرهما فأمره ان يرجع اليهما

فحرقهما بالنار وقال لا يدفنان حتى يحرقا فهذان رجلان فقال أعشى همدان يرثى عثمان الجهني

يا عَيْنِ بكّي فتى الفِتيان عثمانا * لا يبعَدَنّ الفتى من آل دُهْمانا
واذْكُرْ فتًى ماجِدًا حُلْوًا شمائلُهُ * مامثلُهُ فارسٌ في آل هَمْدانا

قال موسى بن عامر وبعث معاذ بن هانئ بن عدي الكندي ابن أخي حجر وبعث أبا عمرة صاحب حرسه فساروا حتى أحاطوا بدار خَوَلِيّ بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين الذي جاء به فاختبأ في مخرجه فأمر معاذ أبا عمرة ان يطلبه في الدار فخرجت امرأته اليهم فقالوا لها أين زوجك فقالت لا أدري أين هو وأشارت بيدها الى المخرج فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرّة فأخرجوه وكان المختار يسير بالكوفة ثم انه أقبل في أثر أصحابه وقد بعث أبو عمرة اليه رسولا فاستقبل المختار الرسول عند دار أبي بلال ومعه ابن كامل فاخبره الخبر فأقبل المختار نحوهم فاستقبل به فردّده حتى قتله الى جانب أهله ثم دعا بنار فحرّقه ثم لم يبرح حتى غادر ما دائم انصرف عنه وكانت امرأته من حضرموت يقال لها العَيُوف بنت مالك بن نهار بن عَقْرَب وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين (قال أبو مخنف) وحدثني موسى بن عامر أبو الاشعران المختار قال ذات يوم وهو يحدث جلساءه لا قتلنّ غدارجلا عظيم القدمين غائر العينين مُشرف الحاجبين يسرّ مقتله المؤمنين والملائكة المقربين قال وكان الهيثم بن الاسود النخعي عند المختار حين سمع هذه المقالة فوقع في نفسه ان الذي يريد عمر بن سعد بن أبي وقاص فلما رجع الى منزله دعا ابنه العُريان فقال الق ابن سعد الليلة فخبّره بكذا وكذا وقل له خذ حذرك فانه لا يريد غيرك قال فأتاه فاستخلاه ثم حدثه الحديث فقال له عمر بن سعد جزى الله أباك والإخاء خيرا كيف يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق وكان المختار أول ما ظهر أحسن شيء سيرة وتألف الناس وكان عبد الله بن جَعْدة بن هبيرة أكرم خلق الله على المختار لقرابته بعليّ فكلم عمر بن سعد عبد الله بن جعدة وقال له اني لا آمن هذا الرجل يعني المختار فخُذْ لي منه أمانا ففعل قال فأنا رأيت أمانه وقرأته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمر بن سعد بن أبي وقاص انك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك لا تؤاخذ بحدث كان منك قديما ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك ومصرك فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد ومن غيرهم من الناس فلا يعرض له الا بخير شهد السائب بن مالك وأحمر بن شميط وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليفين لعمر بن سعد بما أعطاه من الامان الا أن يحدث حدثا وأشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيدا قال فكان أبو جعفر محمد بن عليّ

يقول

يقول أما أمان المختار لعمر بن سعد الا أن يحدث حدثا فانه كان يريد به اذا دخل الخلاء فأحدث قال فلما جاءه العُريان بهذا خرج من تحت ليلته حتى أتى حمّامه ثم قال في نفسه أنزل داري فرجع فعبر الرَّوْحاء ثم أتى داره غدوة وقد أتى حمّامه فأخبر مولى له بما كان من أمانه وبما أريد به فقال له مولاه وأي حدث أعظم مما صنعت انك تركت رحلك وأهلك وأقبلت الى ههنا ارجع الى رحلك لا تجعلن للرجل عليك سبيلا فرجع الى منزله وأتى المختار بانطلاقه فقال كلا ان في عنقه سلسلة تردُّه لوجهد أن ينطلق ما استطاع قال وأصبح المختار فبعث اليه أبا عمرة وأمره أن يأتيه به فجاءه حتى دخل عليه فقال أجب الامير فقام عمر فعثر في جبّة له ويضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده أتعرف هذا الرأس فاسترجع وقال نعم ولا خير في العيش بعده قال له المختار صدقت فانك لا تعيش بعده فأمر به فقتل واذا رأسه مع رأس أبيه ثم ان المختار قال هذا بحسين وهذا بعليّ ابن حسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تبكي أباها

لو كان غيرُ أخي قسيٍّ غرَّهُ * أو غيرُ ذي يَمَنٍ وغيرُ الاعجم
سمّى بنفسي ذاك شيأ فاعلموا * عنه وما البَطَريقُ مثلَ الألأم
أعطى ابن سعد في الصحيفة وابنَهُ * عهدا يلين له جَناحُ الارقم

فلما قتل المختار عمر بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي وظَبْيان بن عمارة التميمي حتى قدما بهما على محمد بن الحنفية وكتب الى ابن الحنفية في ذلك بكتاب (قال أبو مخنف) وحدثني موسى بن عامر قال انما كان هيج المختار على قتل عمر بن سعد ان يزيد بن شراحيل الانصاري أتى محمد بن الحنفية فسلم عليه فجرى الحديث الى أن تذاكروا المختار وخروجه ومايدعو اليه من الطلب بدماء أهل البيت فقال محمد بن الحنفية على أهون رسله يزعم انه لناشيعة وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسي يحدثونه قال فوعاها الآخر منه فلما قدم الكوفة أتاه فسلم عليه فسأله المختار هل لقيت المهدي فقال له نعم فقال ما قال لك وماذا كرك قال فخبّره الخبر قال فالبث المختار عمر بن سعد وابنه ان قتلهما ثم بعث برؤوسهما الى ابن الحنفية مع الرسولين اللذين سمّينا وكتب معهما الى ابن الحنفية بسم الله الرحمن الرحيم للمهدي محمد بن عليّ من المختار بن أبي عبيد سلام عليك يا أيها المهدي فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان الله بعثني نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد فالحمد لله الذي قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم وقد بعثت اليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته رحمة الله

عليهم كل من قدرنا عليه ولن يعجز الله من بقي ولست بمُنْجم عنهم حتى لا يبلغني ان على أديم الارض منهم ارميا فاكتب الىّ أيها المهدى برأيك اتبعه وأكون عليه والسلام عليك أيها المهدى ورحمة الله وبركاته ثم ان المختار بعث عبد الله بن كامل الى حكيم بن طفيل الطائى السِّنْبِسى وقد كان أصاب سلب العباس بن علىّ ورمى حسينا بسهم فكان يقول تعلق سهمى بسرباله وماضرّه فأتاه عبد الله بن كامل فأخذه ثم أقبل به وذهب أهله فاستغاثوا بعدىّ بن حاتم فلحقهم في الطريق فكلم عبد الله بن كامل فيه فقال ما الىّ من أمره شئ انما ذلك الى الامير المختار قال فانى آتيه قال فأته راشدا فمضى عدى نحو المختار وكان المختار قد شفّعه فى نفر من قومه أصابهم يوم جبّانة السبيع لم يكونوا نطقوا بشئ من أمر الحسين ولا أهل بيته فقالت الشيعة لابن كامل انّا نخاف أن يشفّع الامير عدىّ بن حاتم فى هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت فدعنا نقتله قال شأنكم به فلما انتهوا به الى دار العنزيين وهو مكتوف نصبوه غرضا ثم قالوا له سلبت ابن علىّ ثيابه والله لنسلبنّ ثيابك وأنت حىّ تنظر فنزعوا ثيابه ثم قالوا له رميت حسينا واتخذته غرضا لنبلك وقلت تعلق سهمى بسرباله ولم يضره وايم الله لنرمينّك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزاك قال فرموه رشقا واحدا فوقعت به منهم نبال كثيرة فخر ميتا (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو الجارود عمن رآه قتيلا كانه قنفذ لما فيه من كثرة النبل ودخل عدى بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه فأخبره عدىّ عما جاء له فقال له المختار أتستحل يا أباطَريف أن تطلب في قَتَلة الحسين قال انه مكذوب عليه أصلحك الله قال اذا ندعه لك قال فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار ما فعل الرجل قال قتلته الشيعةُ قال وما أعجلك الى قتله قبل أن تأتيني به وهو لا يسرّه انه لم يقتله وهذا عدىّ قد جاء فيه وهو أهل أن يُشفَّع ويؤتى ما سرّه قال غلبتنى والله الشيعة قال له عدىّ كذبت يا عدوّ الله ولكن ظننت ان من هو خير منك سيشفّعنى فيه فبادرتنى فقتلته ولم يكن خطر ببالك فعلت عما صنعت قال فاسخنفر اليه ابن كامل بالشتيمة فوضع المختار أصبعه على فيه يأمر ابن كامل بالسكوت والكف عن عدىّ فقام عدىّ راضيا عن المختار ساخطا على ابن كامل يشكوه عند من لقى من قومه وبعث المختار الى قاتل علىّ بن الحسين عبد الله بن كامل وهو رجل من عبد القيس يقال له مُرَّة بن مُنْقذ بن النعمان العبدى وكان شجاعا فأتاه ابن كامل فأحاط بداره فخرج اليهم وبيده الرمح وهو على فرس جواد فطعن عبيد الله بن ناجية الشبامىّ فصرعه ولم يضره قال ويضربه ابن كامل بالسيف فيتقيه بيده اليسرى فأسرع فيها السيف وتمطرت به الفرس فأفلت ولحق بمصعب وشُلت يده بعد ذلك قال وبعث المختار أيضا عبد الله الشاكرى الى رجل من جنب يقال له زيد بن رُقاد كان يقول لقد رميت فى منهم بسهم وانه لواضع كفه على

جبهته

جبهته يتقى النبل فأثبت كفه في جبهته فما استطاع أن يزيل كفه عن جبهته (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو عبد الاعلى الزبيدى ان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عَقيل وانه قال حيث أثبت كفه فى جبهته اللهم انهم استقلونا واستذلونا اللهم فاقتلهم كما قتلونا وأذلهم كما استذلونا ثم انه رمى الغلام بسهم آخر فقتله فكان يقول جئته ميتا فنزعت سهمى الذى قتلته به من جوفه فلم أزل أنضنض السهم من جبهته حتى نزعته وبقى النصل في جبهته مثبتا ما قدرت على نزعه قال فلما أتى ابن كامل داره أحاط بها واقتحم الرجال عليه فخرج مصلتا بسيفه وكان شجاعا فقال ابن كامل لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن ارموه بالنبل وارجموه بالحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فقال ابن كامل ان كان به رمق فأخرجوه فأخرجوه وبه رمق فدعا بنار فحرّقه بها وهو حىّ لم تخرج روحه وطلب المختار سنان بن أنس الذى كان يدّعى قتل الحسين فوجده قد هرب الى البصرة فهدم داره وطلب المختار عبد الله بن عقبة الغنوى فوجده قد هرب ولحق بالجزيرة فهدم داره وكان ذلك الغنوى قد قتل منهم غلاما وقتل رجلٌ آخر من بنى أسد يقال له حرملة بن كاهل رجلا من آل الحسين ففيهما يقول ابن أبى عقب الليثى

وعند غنىّ قطرةٌ من دمائنا * وفي أسد أخرى تُعدُّ وتُذكَرُ

وطلب رجلا من خثعم يقال له عبد الله بن عروة الخثعمى كان يقول رميت فيهم باثنى عشر سهما ضَيْعَةً ففاته ولحق بمصعب فهدم داره وطلب رجلا من ضُداء يقال له عمرو بن صبيح وكان يقول لقد طعنت بعضهم وجرحت فيهم وما قتلت منهم أحدا فأتى ليلا وهو على سطحه وهو لا يشعر بعد ما هدأت العيون وسيفه تحت رأسه فأخذوه أخذا وأخذوا سيفه فقال قبحك الله سيفا ما أقربك وأبعدك فجيء به الى المختار فحبسه معه في القصر فلما ان أصبح أذن لاصحابه وقيل ليدخل من شاء أن يدخل ودخل الناس وجيء به مقيّدا فقال أما والله يا معشر الكفرة الفجرة ان لو بيدى سيفى لعلمتم أنى بنصل السيف غير رَعِش ولا رعديد ما يسرّنى اذ كانت منيّتى قتلا انه قتلنى من الخلق أحد غيركم لقد علمت انكم شرار خلق الله غير انى وددت ان بيدى سيفا أضرب به فيكم ساعة ثم رفع يده فلطم عين ابن كامل وهو الى جنبه فضحك ابن كامل ثم أخذ بيده وأمسكها ثم قال انه يزعم أنه قد جرح فى آل محمد وطعن فمُرْنا بأمرك فيه فقال المختار علىّ بالرماح فأتى بها فقال اطعنوه حتى يموت فطعن بالرماح حتى مات (قال أبو مخنف) حدثنى هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام ان أصحاب المختار مرّوا بدار بنى أبى زُرعة بن مسعود فرموهم من فوقها فأقبلوا حتى دخلوا الدار فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبى زرعة الثقفى وعبد الرحمن بن عثمان بن أبى زرعة الثقفى وأفلتهم عبد الملك بن أبى زرعة بضربة فى رأسه فجاء يشتد حتى دخل على المختار فأمر امرأته أمّ ثابت ابنة سَمُرة بن جندب فداوت شجّته ثم دعاه فقال لا ذنب لى انكم رميتم القوم

فاغضبتهم وهم وكان محمد بن الاشعث بن قيس فى قرية الاشعث الى جنب القادسية فبعث المختار اليه حوشبا سادن الكرسى فى مائة فقال انطلق اليه فانك تجده لاهيا متصيدا أو قائما متلبدا أو خائفا متلددا أو كامنا متغمدا فان قدرت عليه فأتنى برأسه فخرج حتى أتى قصره فأحاط به وخرج منه محمد بن الاشعث فلحق بمصعب وأقاموا على القصر وهم يرون انه فيه ثم انهم دخلوا فعلموا انه قد فاتهم فانصرفوا الى المختار فبعث الى داره فهدمها وبنى بلبنها وطينها دار حُجر بن عدى الكندى وكان زياد بن سُمية قد هدمها ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة دعى المثنى بن مخربة العبدى الى البيعة للمختار بالبصرة أهلها ❁ حدثنى أحمد بن زهير عن على بن محمد عن عبد الله بن عطية الليثى وعامر بن الاسودان المثنى بن مخربة العبدى كان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع مع من رجع ممن بقى من التوابين الى الكوفة والمختار محبوس فأقام حتى خرج المختار من السجن فبايعه المثنى سرا وقال له المختار الحق ببلدك بالبصرة فادع الناس وأسر أمرك فقدم البصرة فدعا فأجابه رجال من قومه وغيرهم فلما أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة ومنع عمر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من الكوفة خرج المثنى بن مخربة فاتخذ مسجدا واجتمع اليه قومه ودعا الى المختار ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها وجمعوا الطعام فى المدينة ونحروا الجزر فوجه اليهم القباع عباد بن حصين وهو على شرطته وقيس بن الهيثم فى الشرط والمقاتلة فأخذوا فى سكة الموالى حتى خرجوا الى السبخة فوقفوا ولزم الناس دورهم فلم يخرج أحد فجعل عباد ينظر هل يرى أحدا يسأله فلم ير أحدا فقال أما ههنا رجل من بنى تميم فقال خليفة الأعور مولى بنى عدى عدى الرباب هذه دار ورّاد مولى بنى عبد شمس قال دُق الباب فدقه فخرج اليه وراد فشتمه عباد وقال ويحك أناواقف ههنا لم تخرج الىّ قال لم أدر ما يوافقك قال شد عليك سلاحك واركب ففعل ووقفوا وأقبل أصحاب المثنى فواقفوهم فقال عباد لوراد قف مكانك مع قيس فوقف قيس بن الهيثم ووراد ورجع عباد فأخذ فى طريق الذباحين والناس وقوف فى السبخة حتى أتى الكلاء ولمدينة الرزق أربعة أبواب باب مما يلى البصرة وباب الى الخلالين وباب الى المسجد وباب الى مهب الشمال فأتى الباب الذى يلى النهر مما يلى أصحاب السقط وهو باب صغير فوقف ودعا بسلم فوضعه مع حائط المدينة فصعد ثلاثون رجلا وقال لهم الزموا السطح فإذا سمعتم التكبير فكبروا على السطوح ورجع عباد الى قيس بن الهيثم وقال لوراد حرّش القوم فطاردهم ورّاد ثم التبس القتال فقتل أربعون رجلا من أصحاب المثنى وقتل رجل من أصحاب عباد وسمع الذين على السطوح فى دار الرزق الضجة والتكبير فكبروا فهرب من كان فى المدينة وسمع المثنى وأصحابه التكبير من ورائهم فانهزموا وأمر عباد وقيس بن الهيثم الناس بالكف عن اتباعهم وأخذوا

مدينة

مدينة الرزق وما كان فيها وأتى المثنى وأصحابه عبد القيس ورجع عباد وقيس ومن معهم الى القُباع فوجههما الى عبد القيس فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر وأتاهم عباد من طريق المِربد فالتقوا فأقبل زياد بن عمر والعَتَكى الى القباع وهو فى المسجد جالس على المنبر فدخل زياد المسجد على فرسه فقال أيها الرجل لتردّن خيلك عن اخواننا أو لنقاتلنها فأرسل القباع الأحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومى ليُصلحا أمر الناس فأتيا عبد القيس فقال الأحنف لبكر والأزد والعامة ألستم على بيعة ابن الزبير قالوا بلى ولكنا لا نسلم اخواننا قال فمروهم فليخرجوا الى أىّ بلاد أحبوا ولا يفسدوا هذا المصر على أهله وهم آمنون فليخرجوا حيث شاؤا فمشى مالك بن مِسْمع وزياد بن عمرو ووجوه أصحابهم الى المثنى فقالوا له ولأصحابه انا والله ما نحن على رأيكم ولكنا كرهنا أن تضاموا فالحقوا بصاحبكم فان مَن أجابكم الى رأيكم قليل وأنتم آمنون فقبل المثنى قولهما وما أشارا به وانصرف ورجع الأحنف وقال ما غبنت رأيى الا يومى هذا انى أتيت هؤلاء القوم وخلفت بكرا والأزد ورائى ورجع عباد وقيس الى القباع ونهض المثنى الى المختار بالكوفة فى نفر يسير من أصحابه وأصيب فى تلك الحرب سُوَيد بن رئاب الشَّنّى وعقبة بن عشيرة الشنى قتله رجل من بنى تميم وقُتل التميمى فولغ أخوه عقبة بن عشيرة فى دم التميمى وقال ثأرى وأخبر المثنى المختار حين قدم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع وزياد بن عمرو ومسيرهما اليه وذبّهما عنه حتى نهض عن البصرة فطمع المختار فيهما فكتب اليهما أما بعد فاسمعا وأطيعا أوتكما من الدنيا ما شئتما وأضمن لكما الجنة فقال مالك لزياد يا أبا المغيرة قد أكثر لنا أبو اسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة فقال زياد مازحا لمالك يا أبا غسان أما أنا فلا أقاتل نسيئة من أعطانا الدراهم قاتلنا معه وكتب المختار الى الأحنف بن قيس من المختار الى الأحنف ومن قبله فسلم أنتم أما بعد فويل امّ ربيعة من مضر فإنى الأحنف مُوردٌ قومه سقر حيث لا يستطيع لهم الصدر وانى لأملك ما حطّ فى القدر وقد بلغنى انكم تسمونى كذابا وقد كُذّب الأنبياء من قبلى ولست بخير من كثير منهم وكتب الى الأحنف

اذا اشتريتَ فرسا من مالكا * ثم أخذت الجُوبَ فى شمالكا

فاجعل مصاعا حذما من بالكا

❁ حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة قال حدثنا الحسن بن حماد عن حيان بن على عن المجالد عن الشعبى قال دخلت البصرة فقعدت الى حلقة فيها الأحنف بن قيس فقال لى بعض القوم من أنت قلت رجل من أهل الكوفة قال أنتم موالٍ لنا قلت وكيف قال قد أنقذناكم من أيدى عبيدكم من أصحاب المختار قلت تدرى ما قال شيخ همدان فينا وفيكم فقال الأحنف بن قيس وما قال قلت قال

أفخرتم إن قتلتم أعبدا * وهزمتم مرة آل عزل
واذا فاخرتمونا فاذكروا * ما فعلنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عثنونه * وفتى أبيض وضاح رفل
جاءنا يهدج فى سابغة * فدبحناه ضحى ذبح الجمل
وعفونا فنسيتم عفونا * وكفرتم نعمة الله الأجل
وقتلتم خشبيين بهم * بدلا من قومكم شر بدل

فغضب الأحنف فقال ياغلام هات تلك الصحيفة فأتى بصحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبى عبيد الى الأحنف بن قيس أما بعد فويل أم ربيعة ومضر فإنى الأحنف مورد قومه سقر حيث لا يقدرون على الصدر وقد بلغنى انكم تكذبونى وان كذبت فقد كذب رسل من قبلى ولست أنا خيرا منهم فقال هذا منا أو منكم (وقال هشام) بن محمد عن أبى مخنف قال حدثنى منيع بن العلاء السعدى ان مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس كان فيمن قاتل المختار فلما هزم الناس لحق بآذربيجان بمحمد ابن عمير بن عطارد وقال

عجبت دختنوس لما رأتنى * قد علانى من المشيب خمار
فأهلت بصوتها وأرنت * لا تهالى قد شاب منى العذار
إن تريني قد بان غرب شبابى * وأتى دون مولدى أعصار
فابن عامين وابن خمسين عاما * أى دهر إلا له أدهار
ليت سيفى لها وجوبة هالى * يوم قالت الا كريم يغار
ليتناقبل ذلك اليوم متنا * أو فعلنا ما تفعل الأحرار
فعل قوم تقاذف الخير عنهم * لم تقاتل وقاتل العيزار
وتوليت عنهم وأصيبوا * ونفانى عنهم شنار وعار
لهف نفسى على شهاب قريش * يوم يؤتى برأسه المختار

وقال المتوكل

قتلوا حسينا ثم هم ينعونه * إن الزمان بأهله أطوار
لا تبعدن بالطف قتلى ضيعت * وسقى مساكنها مها الامطار
ما شرطة الدجال تحت لوائه * بأضل ممن غره المختار
أبنى قسى أوثقوا دجالكم * يجلى الغبار وأنتم أحرار
لو كان علم الغيب عند أخيكم * لتوطأت لكم به الأحبار

ولكان

ولكان أمر ابيتنا فيما مضى * تأتى به الأنباء والأخبار
انى لأرجو أن يكذب وحيكم * طعن يشق عصاكم وحصار
ويجيئكم قوم كأن سيوفهم * بأكفهم تحت العجاجة نار
لا ينثنون إذا هم لاقوكم * الا وهام كما تكم أعشار

﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة بعث المختار جيشا الى المدينة لمكر بابن الزبير وهو مظهر له انه وجههم معونة له لحرب الجيش الذى كان عبد الملك بن مروان وجهه اليه لحربه فنزلوا وادى القرى

﴿ذكر الخبر عن السبب الداعى كان للمختار الى توجيه ذلك الجيش والى ما صار أمرهم﴾

(قال هشام بن محمد) قال أبو مخنف حدثنى موسى بن عامر قال لما أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة لحق بالبصرة وكره ان يقدم على ابن الزبير بمكة وهو مهزوم مفلول فكان بالبصرة مقيما حتى قدم عليه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فصارا جميعا بالبصرة وكان سبب قدوم عمر البصرة أن المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشيعة انما يدعو الى ابن الحنفية والطلب بدماء أهل البيت أخذ يخادع ابن الزبير ويكتب اليه فكتب اليه أما بعد فقد عرفت مناصحتى اياك وجهدى على أهل عداوتك وما كنت أعطيتنى اذا أنا فعلت ذلك من نفسك فلما وفيت لك وقضيت الذى كان لك على حسن بى ولم تف بما عاهدتنى عليه ورأيت منى ما قد رأيت فإن تردم راجعتى أراجعك وان ترد مناصحتى انصح لك وهو يريد بذلك كفه عنه حتى يستجمع له الأمر وهو لا يطلع الشيعة على شىء من هذا الأمر وإذا بلغهم شىء منه أراهم انه أبعد الناس عن ذلك قال فأراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى فقال له تجهز الى الكوفة فقد ولينا كها فقال كيف وبها المختار قال انه يزعم أنه سامع مطيع قال فتجهز بما بين الثلاثين الالف درهم الى الأربعين ألفا ثم خرج مقبلا الى الكوفة قال ويجىء عين المختار من مكة حتى أخبره الخبر فقال له بكم تجهز قال بما بين الثلاثين ألفا الى الأربعين ألفا قال فدعا المختار زائدة بن قدامة وقال له احمل معك سبعين ألف درهم ضعف ما أنفق هذا فى مسيره الينا وتلقه فى المفاوز وأخرج معك بمسافر بن سعيد بن نمران الناعطى فى خمسمائة فارس دارع رامح عليهم البيض ثم قل له خذ هذه النفقة فإنها ضعف نفقتك فإنه قد بلغنا انك تجهزت وتكلفت قدر ذلك فكر هنا ان تغرم فخذها وانصرف فان فعل والا فأره الخيل وقل له ان وراءه ؤلاء مثلهم مائة كتيبة قال فأخذ زائدة المال وأخرج معه الخيل وتلقاه بالمفاوز وعرض عليه المال وأمره بالانصراف فقال له ان أمير المؤمنين قد ولانى الكوفة ولا بد من انفاذ أمره فدعا زائدة بالخيل وقد أكمنها فى جانب فلما رآها

قد أقبلت قال هذا الآن اعذر لى وأجمل بى هات المال فقال له زائدة أما انه لم يبعث به اليك الا لما بينك وبينه فدفعه اليه فأخذه ثم مضى راجعا نحو البصرة فاجتمع بها هو وابن مطيع فى امارة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة وذلك قبل وثوب المثنى بن مخربة العبدى بالبصرة (قال أبو مخنف) فحدثنى اسماعيل بن نعيم ان المختار أخبر ان أهل الشأم قد أقبلوا نحو العراق فعرف انه به يبدأ فخشى أن يأتيه أهل الشأم من قبل المغرب ويأتيه مصعب بن الزبير من قبل البصرة فودع ابن الزبير وداراه وكايده وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك ابن الحارث بن الحكم بن أبى العاص الى وادى القرى والمختار لابن الزبير مكايد موادع فكتب المختار الى ابن الزبير أما بعد فقد بلغنى ان عبد الملك بن مروان قد بعث اليك جيشا فإن أحببت ان أمدك بمدد أمددتك فكتب اليه عبد الله بن الزبير أما بعد فان كنت على طاعتى فلست أكرهك ان تبعث الجيش الى بلادى وتبايع لى الناس قبلك فإذا أتتنى بيعتك صدقت مقالتك وكففت جنودى عن بلادك وعجل على بتسريح الجيش الذى أنت باعثه ومرهم فليسيروا الى من بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم والسلام فدعا المختار شرحبيل بن ورس من همدان فسرحه فى ثلاثة آلاف أكثرهم الموالى ليس فيهم من العرب الا سبعمائة رجل فقال له سر حتى تدخل المدينة فاذا دخلتها فاكتب الى بذلك حتى يأتيك أمرى وهو يريد اذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميرا من قبله ويأمر ابن ورس أن يمضى الى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقاتله بمكة فخرج الآخر يسير قبل المدينة وخشى ابن الزبير أن يكون المختار انما يكيده فبعث من مكة الى المدينة عباس بن سهل بن سعد فى ألفين وأمره أن يستنفر الأعراب وقال له ابن الزبير ان رأيت القوم فى طاعتى فاقبل منهم والا فكايدهم حتى تهلكهم ففعلوا وأقبل عباس بن سهل حتى لقى ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه فجعل على ميمنته سلمان بن حمير الثورى من همدان وعلى ميسرته عياش بن جعدة الجدلى وكانت خيله كلها فى الميمنة والميسرة فدنا فسلم عليه ونزل هو يمشى فى الرجالة وجاء عباس فى أصحابه وهم منقطعون على غير تعبية فيجد ابن ورس على الماء قد عبى أصحابه تعبية القتال فدنا منهم فسلم عليهم ثم قال اخل معى ههنا فخلا به فقال له رحمك الله ألست فى طاعة ابن الزبير فقال له ابن ورس بلى قال فسر بنا الى عدوه هذا الذى بوادى القرى فان ابن الزبير حدثنى انه انما أشخصكم صاحبكم اليهم قال ابن ورس ما أمرت بطاعتك انما أمرت أن أسير حتى آتى المدينة فاذا نزلتها رأيت رأيى قال له عباس بن سهل فان كنت فى طاعة ابن الزبير فقد أمرنى أن أسير بك وبأصحابك الى عدونا الذين بوادى القرى فقال له ابن ورس ما أمرت بطاعتك وما أنا بمتبعك دون ان أدخل المدينة ثم اكتب الى صاحبى فيأمرنى بأمره فلما رأى عباس بن

سهل

سهل لجاجته عرف خلافه فكره أن يعلمه انه قد فطن له فقال فرأيك أفضل اعمل بما بدا لك فأما انا فانى سائر الى وادى القرى ثم جاء عباس بن سهل فنزل بالماء وبعث الى ابن ورس بجزائر كانت معه فأهداها له وبعث اليه بدقيق وغنم مسلخة وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعا فبعث عباس بن سهل الى كل عشرة منهم شاة فذبحوها واشتغلوا بها واختلطوا على الماء وترك القوم تعبيتهم وأمن بعضهم بعضا فلما رأى عباس بن سهل ما هم فيه من الشغل جمع من أصحابه نحوا من ألف رجل من ذوى البأس والنجدة ثم أقبل نحو فسطاط شرحبيل بن ورس فلما رآهم ابن ورس مقبلين اليه نادى فى أصحابه فلم يتوافى اليه مائة رجل حتى انتهى اليه عباس بن سهل وهو يقول ياشرطة الله الى الى قاتلوا الملحدين أولياء الشيطان الرجيم فإنكم على الحق والهدى وقد غدروا وفجروا (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو يوسف ان عباسا انتهى اليهم وهو يقول

أنا ابن سهل فارس غير وكل * أروع مقدام اذا الكبش نكل

وأعتلى رأس الطرماح البطل * بالسيف يوم الروع حتى ينخزل

قال فوالله ما اقتتلنا الا شيأ ليس بشئ حتى قتل ابن ورس فى سبعين من أهل الحفاظ ورفع عباس بن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس فأتوها الا نحوا من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سلمان بن حمير الهمدانى وعياش بن جعدة الجدلى فلما وقعوا فى يد عباس بن سهل أمر بهم فقتلوا الا نحوا من مائتى رجل كره ناس من الناس ممن دفعوا اليهم قتلهم فخلوا سبيلهم فرجعوا فمات أكثرهم فى الطريق * فلما بلغ المختار أمرهم ورجع من رجع منهم قام خطيبا فقال ألا إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار ألا انه كان أمرا مأتيا وقضاء مقضيا وكتب المختار الى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمى بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى كنت بعثت اليك جندا ليدلوا لك الأعداء وليحوز والك البلاد فساروا اليك حتى اذا أظلوا على طيبة لقيهم جند الملحد فخدعوهم بالله وغروهم بعهد الله فلما اطمأنوا اليهم ووثقوا بذلك منهم وثبوا عليهم فقتلوهم فان رأيت ان أبعث الى أهل المدينة من قبلى جيشا كثيفا وتبعث اليهم من قبلك رسلا حتى يعلم أهل المدينة انى فى طاعتك وانما بعثت الجند اليهم عن أمرك فافعل فإنك ستجد عظمهم بحقكم أعرف وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين والسلام عليك فكتب اليه ابن الحنفية أما بعد فإن كتابك لما بلغنى قرأته وفهمت تعظيمك لحقى وما تنوى به من سرورى وان أحب الأمور كلها الى ما أطيع الله فيه فأطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسررت واعلم انى لو أردت القتال لوجدت الناس الى سراعا والأعوان لى كثيرا ولكنى أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لى وهو خير الحاكمين فأقبل صالح بن مسعود الى ابن الحنفية فودعه وسلم عليه وأعطاه الكتاب وقال له قل للمختار فليتق

الله وليكفف عن الدماء قال فقلت له أصلحك الله أولم تكتب بهذا اليه قال ابن الحنفية قد أمرته بطاعة الله وطاعة الله تجمع الخير كله وتنهى عن الشرّ كله فلمّا قدم كتابه على المختار أظهر للناس انى قد أمرت بأمر يجمع البرّ واليسر ويضرح الكفر والغدر ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة قدمت الخشبيّة مكة ووافوا الحج وأميرهم أبو عبد الله الجدلىّ

﴿ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة﴾

وكان السبب في ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف وعلىّ بن محمد عن مَسْلمة بن محارب ان عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومَن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة بزمزم وكرهوا البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة وهربوا الى الحرم وتوعّدهم بالقتل والإحراق وأعطى الله عهدا إن لم يبايعوا أن يُنفذ فيهم ما توعّدهم به وضرب لهم في ذلك أجلا فأشار بعض من كان مع ابن الحنفيّة عليه ان يبعث الى المختار والى مَن بالكوفة رسولا يُعلمهم حالهم وحال من معهم وما توعّدهم به ابن الزبير فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم وكتب معهم الى المختار وأهل الكوفة يُعلمهم حاله وحال من معه وما توعّدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنار ويسألهم أن لا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته فقدموا على المختار فدفعوا اليه الكتاب فنادى فى الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال هذا كتاب مهديّكم وصريح أهل بيت نبيّكم وقد تركوا محظورا عليهم كما يُحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار ولستُ أبا اسحاق ان لم أنصرهم نصرا مؤزّرا وان لم أشرّب اليهم الخيل في أثر الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحلّ بابن الكاهلية الويل ووجه أبا عبد الله الجدلىّ فى سبعين راكبا من أهل القوّة ووجه ظبيان بن عثمان أخا بنى تميم ومعه أربعمائة وأبا المعتمر فى مائة وهانئ بن قيس فى مائة وعمير بن طارق فى أربعين ويونس بن عمران فى أربعين وكتب الى محمد بن علىّ مع الطفيل بن عامر ومحمد بن قيس بتوجيه الجنود اليه فخرج الناس بعضهم فى أثر بعض وجاء أبو عبد الله حتى نزل ذات عِرْق في سبعين راكبا ثم لحقه عمير بن طارق في أربعين راكبا ويونس بن عمران في أربعين راكبا فتمّوا خمسين ومائة فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الكافر كوبات وهم ينادون يالثأرات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعدّ ابن الزبير الحطب ليحرّقهم وكان قد بقى من الأجل يومان فطردوا الحرس وكسروا أعواد زمزم ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا له خلّ بيننا وبين عدوّ الله ابن الزبير فقال لهم انى لا أستحلّ القتال فى حرم الله فقال ابن الزبير أتحسبون انى مخلّ سبيلهم دون ان يبايع ويبايعوا فقال أبو عبد الله الجدلىّ أى وربّ الركن والمقام وربّ الحلّ والحرام لتخلينّ سبيله أو لنجالدنك بأسيافنا جلادا يرتاب منه المبطلون فقال ابن الزبير والله ما هؤلاء الا أكلة

رأس والله لو أذنت لأصحابى ما مضت ساعة حتى تُقطف رؤسهم فقال له قيس بن مالك أما والله انى لا رجو ان رمت ذلك ان يوصل اليك قبل ان ترى فينا ما تحبّ فكفّ ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ثم قدم أبو المعتمر فى مائة وهانئ بن قيس فى مائة وظبيان بن عمارة في مائتين ومعه المال حتى دخلوا المسجد فكبروا ياثأرات الحسين فلما رآهم ابن الزبير خافهم فخرج محمد ابن الحنفية ومَن معه الى شِعْب علىّ وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون ابن الحنفية فيه فيأبى عليهم فاجتمع مع محمد بن علىّ فى الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم ذلك المال ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم مَن كان بخراسان من رجال بنى تميم بسبب قتل مَن قتل منهم ابنه محمدا قال على بن محمد حدثنا الحسين بن رُشيد الجوزجانىّ عن الطُفيل بن مرداس العمّىّ قال لما نفرّقت بنو تميم بخراسان أيام ابن خازم أتى قصر فَرْتَنا عدّةٌ من فرسانهم ما بين السبعين الى الثمانين فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المزنىّ ومعه شُعْبة بن ظهير النهشلىّ وورد بن الفلق العنبرىّ وزُهير بن ذؤيب العدوىّ وجَيْهان بن مَشْجَعة الضبّىّ والحجاج بن ناشب العدوىّ ورقبة بن الحرّ فى فرسان بنى تميم قال فأتاهم ابن خازم فحصرهم وخندق خندقا حصينا قال وكانوا يخرجون اليه فيقاتلونه ثم يرجعون الى القصر قال فخرج ابن خازم يوما على تعبية من خندقه في ستة آلاف وخرج أهل القصر اليه فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز انصرفوا اليوم عن ابن خازم فلا أظنّ لكم به طاقة فقال زهير بن ذؤيب العدوىّ امرأته طالقٌ ان رجع حتى ينقض صفوفهم والى جنبهم نهر يدخله الماء فى الشتاء ولم يكن يومئذ فيه ماء فاستبطنه زهير فسار فيه فلم يشعر به أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم فحطم أوّلهم على آخرهم واستداروا وكرّ راجعا وأتبعوه على جنبتى النهر يصيحون به لا ينزل اليه أحد حتى انتهى الى الموضع الذى انحدر فيه فخرج فحمل عليهم فأفرجوا له حتى رجع قال فقال ابن خازم لأصحابه اذا طاعنتم زهيرا فاجعلوا فى رماحكم كلاليب فأعلقوها فى أداته ان قدرتم عليه فخرج اليهم يوما وفى رماحهم كلاليب قد هيّؤها له فطاعنوه فأعلقوا فى درعه أربعة أرماح فالتفت اليهم ليحمل عليهم فاضطربت أيديهم فخلوا رماحهم فجاء بجرّ أربعة أرماح حتى دخل القصر قال فأرسل ابن خازم غروان بن جزء العدوىّ الى زهير فقال قل له أرأيتك ان آمنتك وأعطيتك مائة ألف وجعلت لك باسان طعمة تناصحنى فقال زهير لغروان ويحك كيف أناصح قوما قتلوا الأشعث بن ذؤيب فأسقط بها غروان عند موسى بن عبد الله ابن خازم قال فلما طال عليهم الحصار أرسلوا الى ابن خازم أن خلّ لنا نخرج فنتفرّق فقال لا الا أن تنزلوا على حكمى قالوا فإنا ننزل على حكمك فقال لهم زهير ثكلتكم أمهاتكم والله ليقتلنكم عن آخركم فإن طبتم بالموت أنفسا فموتوا كراما أحرجوا بنا جميعا فإما ان تموتوا

جميعا وإما ان ينجو بعضكم و يهلك بعضكم وايم الله لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم عن مثل طريق المربد فان شئتم كنت أمامكم وان شئتم كنت خلفكم قال فأبوا عليه فقال أما إنى سأريكم ثم خرج هو ورقبة بن الحر ومع رقبة غلام له تركى وشعبة بن ظهير قال فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم فمضوا فأمازهير فرجع الى أصحابه حتى دخل القصر فقال لأصحابه قد رأيتم فأطيعونى ومضى رقبة وغلامه وشعبة قالوا إن فينا من يضعف عن هذا و يطمع فى الحياة قال أبعدكم الله أتخلون عن أصحابكم والله لا أكون أجزعكم عند الموت قال ففتحوا القصر ونزلوا فأرسل اليهم فقيدهم ثم حملوا اليه رجلا رجلا فأراد أن يمن عليهم فأبى ابنه موسى وقال والله لئن عفوت عنهم لأتكئن على سيفى حتى يخرج من ظهرى فقال له عبد الله أما والله ابى لأعلم ان الغى فيما تأمرنى به ثم قتلهم جميعا الا ثلاثة قال أحدهم الحجاج بن ناشب العدوى وكان رمى ابن خازم وهو محاصرهم فكسر ضرسه فحلف لئن ظفر به ليقتلنه أوليقطعن يده وكان حدثا فكلمه فيه رجال من بنى تميم كانوا معتزلين من عمرو بن حنظلة فقال رجل منهم ابن عمى وهو غلام حدث جاهل هبه لى قال فوهبه له وقال النجاء لا أرينك قال وجيهان بن مشجعة الضبى الذى ألقى نفسه على ابنه محمد يوم قتل فقال ابن خازم خلوا عن هذا البغل الدارج ورجل من بنى سعد وهو الذى قال يوم لحقوا ابن خازم انصر فوا عن فارس مضر قال وجاؤا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حمله وهو مقيد فأبى وأقبل يحجل حتى جلس بين يديه فقال له ابن خازم كيف شكرك ان أطلقتك وجعلت لك باسان طعمة قال لو لم تصنع بى الا حقن دمى لشكرتك فقام ابنه موسى فقال تقتل الضبع وتترك الذيخ تقتل اللبوة وتترك الليث قال ويحك نقتل مثل زهير من لقتال عدو المسلمين من لنساء العرب قال والله لوشركت فى دم أخى أنت لقتلتك فقام رجل من بنى سليم الى ابن خازم فقال أذكرك الله فى زهير فقال له موسى اتخذه خلا لبناتك فغضب ابن خازم فأمر بقتله فقال له زهير إن لى حاجة قال وما هى قال تقتلنى على حدة ولا تخلط دمى بدماء هؤلاء اللئام فقد نهيتهم عما صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراما وان يخرجوا عليكم مصلتين وايم الله ان لو فعلوا الذعروا بنيك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب الثأر بأخيه فأبوا ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجالا فأمر به فنحى ناحية فقتل قال مسلمة بن محارب فكان الأحنف بن قيس اذا ذكرهم قال قبح الله ابن خازم قتل رجالا من بنى تميم بابنه صبى وغد أحمق لا يساوى علقا ولو قتل منهم رجلا به لكان وفى قال وزعمت بنو عدى انهم لما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب أبى واعتمد على رمحه وجمع رجليه فوثب الخندق فلما بلغ الحريش بن هلال قتلهم قال

أعاذل انى لم ألم فى قتالهم * وقد عض سيفى كبشهم ثم صمما

أعاذل ما وليت حتى تبددت * رجال وحتى لم أجد متقدما
أعاذل أفنانى السلاح ومن يطل * مقارعة الأبطال يرجع مكلما
أعينى ان أنزفتما الدمع فاسكبا * دما لازمانى دون ان تسكبا الدما
أبعد زهير وابن بنر تتابعا * وورد أرجى فى خراسان مغنما
أعاذل كم من يوم حرب شهدته * أكر اذا ما فارس السوء أحجما

يعنى بقوله أبعد زهير زهير بن ذؤيب وابن بشر عثمان بن بشر بن المحتفز المازنى وورد ابن الفلق العنبرى قتلوا يومئذ وقتل سليمان بن المحتفز أخو بشر ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على المدينة مصعب بن الزبير من قبل أخيه عبد الله وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة وعلى قضائها هشام بن هبيرة وكانت الكوفة بها المختار غالبا عليها و بخراسان عبد الله بن خازم ﴿وفى هذه السنة﴾ شخص ابراهيم بن الأشتر متوجها الى عبيد الله بن زياد لحربه وذلك لثمان بقين من ذى الحجة (قال هشام بن محمد) حدثنى أبو مخنف قال حدثنى النضر بن صالح وكان قد أدرك ذلك قال حدثنى فضيل بن خديج وكان قد شهد ذلك وغيرهما قالوا ما هو الا ان فرغ المختار من أهل السبيع وأهل الكناسة فانزل ابراهيم بن الأشتر الا يومين حتى أشخصه الى الوجه الذى كان وجهه له لقتال أهل الشأم فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذى الحجة سنة ٦٦ وأخرج المختار معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوى البصائر منهم ممن قد شهد الحرب وجربها وخرج معه قيس بن طهفة النهدى على ربع أهل المدينة وأمر عبد الله بن حية الأسدى على ربع مذحج وأسد وبعث الأسود بن جراد الكندى على ربع كندة وربيعة وبعث حبيب بن منقذ الثورى من همدان على ربع تميم وهمدان وخرج معه المختار يشيعه حتى اذا بلغ دير عبد الرحمن ابن أم الحكم اذا أصحاب المختار قد استقبلوه قد حملوا الكرسى على بغل أشهب كانوا يحملونه عليه فوقفوا به على القنطرة وصاحب أمر الكرسى حوشب البرسمى وهو يقول يارب عمرنا فى طاعتك وانصرنا على الأعداء واذكرنا ولا تنسنا واسترنا قال وأصحابه يقولون آمين آمين قال فضيل فأما سمعت ابن نوف الهمدانى يقول قال المختار

اما ورب المرسلات عرفا * لنقتلن بعد صف صفا
وبعد ألف قاسطين ألفا

قال فلما انتهى اليهم المختار وابن الأشتر ازدحموا ازدحاما شديدا على القنطرة ومضى المختار مع ابراهيم الى قناطر رأس الجالوت وهى الى جنب دير عبد الرحمن فاذا أصحاب الكرسى قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون فلما صار المختار بين قنطرة دير عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف وذلك حين أراد ان

ينصرف فقال لابن الاشتر خذ عني ثلاثا خف الله في سر أمرك وعلانيته وعجل السير واذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم وان لقيتهم ليلا فاستطعت أن لا تصبح حتى تناجزهم وان لقيتهم نهارا فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم الى الله ثم قال هل حفظت ما أوصيتك به قال نعم قال صحبك الله ثم انصرف وكان موضع عسكر ابراهيم بموضع حمام أعين ومنه شخص بعسكره (قال أبو مخنف) فحدثني فضيل بن خديج قال لما انصرف المختار مضى ابراهيم ومعه أصحابه حتى انتهى الى أصحاب الكرسي وقد عكفوا حوله وهم رافعو أيديهم الى السماء يستنصرون فقال ابراهيم اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء سنة بني اسرائيل والذي نفسي بيده اذ عكفوا على عجلهم فلما جاز الفنطرة ابراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسي

﴿ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذي يستنصر به هو وأصحابه﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ وكان بدء سببه ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شبّويه قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني عبد الله بن المبارك عن اسحاق بن يحيى بن طلحة قال حدثني معبد بن خالد قال حدثني طفيل بن جعدة بن هبيرة قال أعدمت مرة من الورق فاني لكذلك اذ خرجت يوما فاذا زيات جار لي له كرسي قد ركبه وسخ شديد فخطر على بالي أن لو قلت للمختار في هذا فرجعت فأرسلت الى الزيات أرسل الي بالكرسي فأرسل الي به فأتيت المختار فقلت اني كنت أكتمك شيأ لم استحل ذلك فقد بدا لي أن أذكره لك قال وما هو قلت كرسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كأنه يرى ان فيه أثرة من علم قال سبحان الله فأخرت هذا الى اليوم ابعث اليه ابعث اليه قال وقد غسل وخرج عود نضار وقد تشرب الزيت فخرج بعض فجيء به وقد غشي فأمر لي باثني عشر ألفا ثم دعا الصلاة جامعة

حدثني معبد بن خالد الجدلي قال انطلق بي وباسماعيل بن طلحة بن عبيد الله وشبث بن ربعي والناس يجرون الى المسجد فقال المختار انه لم يكن في الأمم الخالية أمر الا وهو كائن في هذه الامة مثله وانه كان في بني اسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وان هذا فينا مثل التابوت اكشفوا عنه فكشفوا عنه أثوابه وقامت السبائية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثا فقام شبث بن ربعي وقال يا معشر مضر لا تكفرن ففحوه فذبوه وصدوه وأخرجوه قال اسحاق فوالله اني لأرجو أنها الشبث ثم لم يلبث ان قيل هذا عبيد الله بن زياد قد نزل بأهل الشأم بجمير فخرج بالكرسي على بغل وقد غشي يمسكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة فقتل أهل الشأم مقتلة لم يقتلوا مثلها فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا فيه حتى تعاطوا الكفر فقلت انا لله وندمت على ما صنعت فتكلم الناس في ذلك فغيب فلم أره بعد

حدثني عبد الله قال حدثني أبي قال قال أبو صالح فقال في ذلك أعشى همدان كما حدثني غير عبد الله

شهدت

شهدت عليكم أنكم سبائية * وانى بكم يا شرطة الشرك عارف
وأقسم ما كرسيكم بسكينة * وان كان قد لفت عليه اللفائف
وأن ليس كالتابوت فينا وان سعت * شبام حواليه ونهد وخارف
وانى امرؤ أحببت آل محمد * وتابعت وحيا ضمنته المصاحف
وتابعت عبد الله لما تتابعت * عليه قريش شمطها والغطارف

وقال المتوكل الليثي

أبلغ أبا اسحاق ان جئته * انى بكرسيكم كافر
تنزو شبام حول أعواده * وتحمل الوحى له شاكر
محمرة أعينهم حوله * كأنهن الحمص الحادر

(فاما أبو مخنف) فانه ذكر عن بعض شيوخه قصة هذا الكرسي غير الذي ذكره عبد الله بن أحمد بالاسناد الذي حدثنا به عن طفيل بن جعدة والذي ذكر من ذلك ما حدثنا به عن هشام بن محمد عنه قال حدثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام ان المختار قال لآل جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي وكانت أم جعدة أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي ابن أبي طالب عليه السلام لابيه وأمه ائتوني بكرسي علي بن أبي طالب فقالوا والله ما هو عندنا وما ندري من أين نجيء به قال لا تكونن حمق اذهبوا فأتوني به قال فظن القوم عند ذلك أنهم لا يأتون بكرسي فيقولون هو هذا الا قبله منهم فجاؤا بكرسي فقالوا هو هذا فقبله قال فخرجت شبام وشاكر ورؤس أصحاب المختار وقد عصبوه بالحرير والديباج (قال أبو مخنف) عن موسى بن عامر أبي الاشعر الجهني ان الكرسي لما بلغ ابن الزبير أمره قال أين بعض جنادبة الأزد عنه (قال أبو الاشعر) لما جيء بالكرسي كان أول من سدنه موسى بن أبي موسى الاشعري وكان يأتي المختار أول ما جاء ويحف به لأن أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب ثم انه بعد ذلك عتب عليه فاستحيا منه فدفعه الى حوشب البرسمي فكان صاحبه حتى هلك المختار قال وكان أحد عمومة الاعشى رجلا يكنى أبا امامة يأتي مجلس أصحابه فيقول قد وضع لنا اليوم وحي ما سمع الناس بمثله فيه نبأ ما يكون من شيء (قال أبو مخنف) حدثنا موسى بن عامر انه انما كان يصنع ذلك لهم عبد الله بن نوف ويقول المختار أمرني به ويتبرأ المختار منه

﴿ثم دخلت سنة سبع وستين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فما كان فيها من ذلك مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشأم

﴿ذكر الخبر عن صفة مقتله﴾

*ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني أبو الصلت عن أبي سعيد الصَيْقَل قال مضينا مع ابراهيم بن الاشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشأم فخرجنا مُسْرعين لا نثني نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق قال فسبقناه الى تخوم أرض العراق سبقا بعيدا ووغلنا في أرض الموصل فتعجّلنا اليه وأسرعنا السير فنلقاه بحَازِر الى جنب قرية يقال لها بار بيثا بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ وقد كان ابن الاشتر جعل على مقدّمته الطفيل بن لقيط من وَهبيل من النَخَع رجلا من قومه وكان شجاعا بئيسا فلما ان دنا من ابن زياد ضم حميد بن حريث اليه وأخذ ابن الاشتر لا يسير الا على تعبية وضم أصحابه كلهم اليه بخيله ورجاله فأخذ يسير بهم جميعا لا يفرّقهم الا انه يبعث الطفيل بن لَقيط في الطلائع حتى نزل تلك القرية قال وجاء عبيد الله بن زياد حتى نزل قريبا منهم على شاطئ حازر وأرسل عمير ابن الحُباب السلمي الى ابن الاشتر اني معك وأنا أريد الليلة لقاءك فأرسل اليه ابن الاشتر أن القَني اذا شئت وكانت قيس كلها بالجزيرة فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان وجند مروان يومئذ كلب وصاحبهم ابن بَحْدل فأتاه عمير ليلا فبايعه وأخبره انه على ميسرة صاحبه وواعده أن ينهزم بالناس وقال ابن الاشتر ما رأيك أخندق على وأتلوّم يومين أو ثلاثة قال عمير بن الحُباب لا تفعل انّ الله هل يريد القوم الا هذه ان طاولوك وما طاولوك فهو خير لهم هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليلُ الكثيرَ في المطاولة ولكن ناجز القوم فانهم قد ملؤا منكم رعبا فأتهم فانهم ان شامّوا أصحابك وفاثلوهم يوما بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترؤا عليهم قال ابراهيم الآن علمت انك لي مناصح صدقت الرأي ما رأيت أما ان صاحبي بهذا أوصاني وبهذا الرأي أمرني قال عمير فلا تعدونّ رأيه فان الشيخ قد ضرّسته الحروب وفاسى منها ما لم تُقاس أصبح فناهض الرجل ثم ان عميرا انصرف وأذكى ابن الاشتر حرسه تلك الليلة الليلَ كله ولم يدخل عينه غُمْض حتى اذا كان في السحر الاول عبّى أصحابه وكتّب كتائبه وأمّر أمراءه فبعث سفيان بن يزيد بن المُغفّل الأزدي على ميمنته وعليّ بن مالك الجُشمي على ميسرته وهو أخو أبي الاحوص وبعث عبد الرحمن بن عبد الله وهو أخو ابراهيم بن الاشتر لامه على الخيل وكانت خيله قليلة فضمها اليه وكانت في الميمنة والقلب وجعل على رجالته الطفيل بن لقيط وكانت رايته مع مزاحم بن مالك قال فلما انفجر الفجر صلى بهم الغداة بغلس ثم خرج بهم فصفهم ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم وألحق أمير الميمنة بالميمنة وأمير الميسرة بالميسرة وأمر الرجالة بالرجالة وضم الخيل اليه وعليها أخوه لامه عبد الرحمن بن عبد الله فكانت وسطا من الناس ونزل ابراهيم يمشي وقال للناس ازحفوا فزحف الناس معه على رسلهم رويدا رويدا حتى أشرف على تلّ عظيم مشرف على القوم فجلس عليه

واذا

واذا أولئك لم يتحرك منهم أحدٌ بعدُ فسرّح عبد الله بن زهير السَلولي وهو على فرس له يتأكل تأكلا فقال قرّب علي فرسك حتى تأتيني بخبر هؤلاء فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء فقال قد خرج القوم على دهش وفشل لقيني رجل منهم فما كان له هجّيرى الا ياشيعة أبي تُراب ياشيعة المختار الكذاب فقلت ما بيننا وبينكم أجلٌ من الشتم فقال لي ياعدوّ الله الى ماتدعونا أنتم تقاتلونا مع غير امام فقلت له بل يالثأرات الحسين ابن رسول الله ادفعوا الينا عبيد الله بن زياد فانه قتل ابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلهم مع الحسين فانا لا نراه للحسين ندّا فنرضى أن يكون منه قَوَدا واذا دفعتموه الينا فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله أو أيّ صالح من المسلمين شئتم حكما فقال لي قد جربنا كم مرة أخرى في مثل هذا يعني الحكمَيْن فغدرتم فقلت له وما هو فقال قد جعلنا بيننا وبينكم حكمين فلم ترضوا بحكمهما فقلت له ما جئت بحجة انما كان صلحنا على انهما اذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما ورضينا به وبايعناه فلم يجتمعا على واحد وتفرّقا فكلاهما لم يوفّقه الله لخير ولم يسدده فقال من أنت فأخبرته فقلت له من أنت فقال عدس لبَغْلته يزجرها فقلت له ما أنصفتني هذا أول غدرك قال ودعا ابن الاشتر بفرس له فركبه ثم مرّ بأصحاب الرايات كلها فكلما مرّ على راية وقف عليها ثم قال ياأنصار الدين وشيعة الحق وشرطة الله هذا عبيد الله بن مَرْجانة قاتل الحسين بن عليّ ابن فاطمة بنت رسول الله حال بينه وبين بنائه ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن ينمر بوا منه وهم ينظرون اليه ومنعه أن يأتي ابن عمه فيصالحه ومنعه أن ينصرف الى رحله وأهله ومنعه الذهاب في الارض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته فوالله ما عمل فرعون بنجباء بني اسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا قد جاءكم الله به وجاء به بكم فوالله اني لأرجو أن لا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه الا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم فقد علم الله انكم خرجتم غضبا لاهل بيت نبيكم فسار فيما بين الميمنة والميسرة وسار في الناس كلهم فرغّبهم في الجهاد وحرّضهم على القتال ثم رجع حتى نزل تحت رايته وزحف القوم اليه وقد جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السَكوني وعلى ميسرته عمير بن الحُباب السُلمي وشرحبيل بن ذي الكلاع على الخيل وهو يمشي في الرجال فلما دانى الصفّان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشأم على ميسرة أهل الكوفة وعليها عليّ بن مالك الجشمي فثبت له هو بنفسه فقتل ثم أخذ رايته قُرّة بن عليّ فقتل أيضا في رجال من أهل الحفاظ قتلوا وانهزمت الميسرة فأخذ راية عليّ بن مالك الجشمي عبد الله بن ورقاء بن جُنادة السلولي ابن أخي حُبْشي بن جنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل أهل الميسرة حين انهزموا فقال الى يا شرطة الله فأقبل اليه جلّهم فقال هذا

أميركم يقاتل سيروا بنا اليه فأقبل حتى أتاه واذا هو كاشف عن رأسه ينادى ياشرطة الله الى أنا ابن الاشتر انّ خيرَ فراركم كرارُكم ليس مُسيئا من أعتبَ فثاب اليه أصحابه وأرسل الى صاحب الميمنة احمل على ميسرتهم وهو يرجو حينئذ ان ينهزم لهم عمير بن الحباب كازعم فحمل عليهم صاحب الميمنة وهو سفيان بن يزيد بن المغفل فثبت له عمير بن الحباب وقاتله قتالا شديدا فلما رأى ابراهيم ذلك قال لأصحابه أمُّواهذا السواد الأعظم فوالله لوقد فضضناه لانجفل من ترون منهم يمنةً ويسرة انجفال طير ذعرته فطارت (قال أبو مخنف) فحدثنى ابراهيم بن عبد الرحمن الأنصارىّ عن ورقاء ابن عازب قال مشينا اليهم حتى اذا دنونا منهم أطعنا بالرماح قليلا ثم صرنا الى السيوف والعمد فاضطربنا بها مليًّا من النهار فوالله ماشبَّهتُ ماسمعتُ بيننا وبينهم من وقع الحديد على الحديد إلا ميَاجِنِ قَصَّارِى دار الوليد بن عقبة بن أبى معيط قال فكان ذلك كذلك ثم ان الله هزمهم ومنحنا أكتافهم (قال أبو مخنف) وحدثنى الحارث بن حصيرة عن أبى صادق ان ابراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم فيقول له انه جُعلت فداك ليس لى متقدَّم فيقول بلى فإن أصحابك يقاتلون وان هؤلاء لايهربون ان شاء الله فإذا تقدّم صاحب رايته برايته شد ابراهيم بسيفه فلايضرب به رجلا الا صرعه وكر ابراهيم الرجال من بين يديه كأنهم الحملان وإذا حمل برايته شد أصحابه شدة رجل واحد (قال أبو مخنف) حدثنى المشرقىّ انه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدةٌ لاتليق شيأ مرت به وانه لما هزم أصحابه حمل عُيَيْنَةُ بن أسماء أخته هند بنت أسماء وكانت امرأة عبيد الله بن زياد فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول

إن تَصْرِمِى حِبالَنَا فَرُبَّمَا * أرْدَيْتُ فى الهيجا الكمِىَّ المُعْلَمَا

(قال أبو مخنف) وحدثنى فضيل بن خديج ان ابراهيم لما شد على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلى كثيرة بين الفريقين وان عمير بن الحباب لما رأى أصحاب ابراهيم قد هزموا أصحاب عبيد الله بعث اليه أجيئك الآن فقال لا تأتينى حتى تسكن فورة شرطة الله فإنى أخاف عليك عاديتهم وقال ابن الأشتر قتلت رجلا وجدت منه رائحة المسك شرقت يداه وغرّبت رجلاه تحت راية منفردة على شاطئ نهر خازر فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلا ضربه فقده بنصفين فذهبت رجلاه في المشرق ويداه في المغرب وحمل شريك بن جدير التغلبى على الحصين بن نمير السكونىّ وهو يحسبه عبيد الله بن زياد فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ونادى التغلبى اقتلونى وابن الزانية فقتل ابن نمير ﷺ وحدثنى عبد الله ابن أحمد قال حدثنى أبى قال حدثنى سليمان قال حدثنى عبد الله بن المبارك قال حدثنى الحسن بن كثير قال كان شريك بن جدير التغلبى مع علىّ السلام أصيبت عينه

معه

معه فلما انقضت حرب علىّ لحق ببيت المقدس فكان به فلما جاءه قتل الحسين قال أعاهد الله ان قدرت على كذا وكذا يطلب بدم الحسين لأقتلن ابن مرجانة أولأموتن دونه فلما بلغه ان المختار خرج يطلب بدم الحسين أقبل اليه قال فكان وجهه مع ابراهيم بن الأشتر وجعل على خيل ربيعة فقال لأصحابه انى عاهدت الله على كذا وكذا فبايعه ثلثمائة على الموت فلما التقوا حمل فجعل يهتكها صفا صفا مع أصحابه حتى وصلوا اليه وثار الرهج فلا يسمع الا وقع الحديد والسيوف فانفرجت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد التغلبى وعبيد الله ابن زياد قال وهو الذى يقول

كلُّ عيش قد أراهُ قَذِرًا * غيْرَ كزالرمح فى ظل الفَرَسْ

(قال هشام) قال أبو مخنف حدثنى فضيل بن خديج قال قتل شرحبيل بن ذى الكلاع فادعى قتله ثلاثة سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدى وورقاء بن عازب الأسدى وعبيد الله ابن زهير السلمى قال ولما هزم أصحاب عبيد الله تبعهم أصحاب ابراهيم بن الأشتر فكان من غرق أكثر ممن قتل وأصابوا عسكرهم فيه من كل شئ وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه يأتيكم الفتح أحد اليومين ان شاء الله من قبل ابراهيم بن الأشتر وأصحابه قد هزموا أصحاب عبيد الله ابن مرجانة قال فخرج المختار من الكوفة واستخلف عليها السائب بن مالك الأشعرى وخرج بالناس ونزل ساباط (قال أبو مخنف) حدثنى المشرقىّ عن الشعبى قال كنت أنا وأبى ممن خرج معه قال فلما جزنا ساباط قال للناس ابشروا فان شرطة الله قد حسوهم بالسيوف يوما الى الليل بنصيبين أو قريبا من نصيبين ودون منازلهم الا ان جلهم محصور بنصيبين قال ودخلنا المدائن واجتمعنا اليه فصعد المنبر فوالله انه ليخطبنا ويأمرنا بالجد وحسن الرأى والاجتهاد والثبات على الطاعة والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام اذ جاءته البشرى تترى يتبع بعضها بعضا بقتل عبيد الله بن زياد وهزيمة أصحابه وأخذ عسكره وقتل أشراف أهل الشأم فقال المختار ياشرطة الله ألم أبشركم بهذا قبل ان يكون قالوا بلى والله لقد قلت ذلك قال فيقول لى رجل من بعض جيراننا من الهمدانيين أتؤمن الآن ياشعبىُّ قال قلت بأى شئ أومن أومن بأن المختار يعلم الغيب لا أومن بذلك أبدا قال أولم يقل لنا انهم قد هزموا فقلت له انما زعم لنا انهم هزموا بنصيبين من أرض الجزيرة وانما هو بخازر من أرض الموصل فقال والله لا تؤمن ياشعبىُّ حتى ترى العذاب الأليم فقلت له من هذا الهمدانى الذى يقول لك هذا فقال رجل لعمرى كان شجاعا قتل مع المختار بعد ذلك يوم حَرُوراء يقال له سلمان بن جرير من الثوريين من همدان قال وانصرف المختار الى الكوفة ومضى ابن الأشتر من عسكره الى الموصل وبعث عماله عليها فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين وغلب على سنجار ودارا وما والاها من أرض الجزيرة وخرج أهل الكوفة الذين

كان المختار قاتلهم فهزمهم فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة وكان فيمن قدم على مصعب شبث بن ربعي فقال سراقة بن مرداس البارقي يمدح ابراهيم بن الأشتر وأصحابه في قتل عبيد الله بن زياد

أتاكم غلام من عرانين مذحج * جرى على الأعداء غير نكول
فيا ابن زياد بؤ بأعظم مالك * وذق حد ماضي الشفرتين صقيل
ضربناك بالعضب الحسام بجدة * إذا ما أبأنا قاتلا بقتيل
جزى الله خيرا شرطة الله إنهم * شفوا من عبيد الله أمس غليل

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الله بن الزبير القباع عن البصرة وبعث عليها أخاه مصعب بن الزبير ﴿ذكر﴾ خبر عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال حدثنا الشعبي قال حدثني وافد بن أبي ياسر قال كان عمرو بن سرح مولى الزبير يأتينا فيحدثنا قال كنت والله في الرهط الذين قدموا مع المصعب بن الزبير من مكة الى البصرة قال فقدم متلثما حتى أناخ على باب المسجد ثم دخل فصعد المنبر فقال الناس أمير أمير قال وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وهو أمير هاقبله فسفر المصعب فعرفوه وقالوا مصعب بن الزبير فقال للحارث اظهر اظهر فصعد حتى جلس تحته من المنبر درجة قال ثم قام المصعب فحمد الله وأثنى عليه قال فوالله ما أكثر الكلام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى الى قوله إنه كان من المفسدين وأشار بيده نحو الشام ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وأشار بيده نحو الحجاز ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأشار بيده نحو الشام ﴿ذكر﴾ خبر عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد عن عوانة قال لما قدم مصعب البصرة خطبهم فقال يا أهل البصرة بلغني انكم تلقبون امراءكم وقد سميت نفسي الجزار ﴿وفي هذه السنة﴾ سار مصعب بن الزبير الى المختار فقتله

﴿ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب اليه والخبر عن مقتل المختار﴾

قال هشام بن محمد عن أبي مخنف حدثني حبيب بن بديل قال لما قدم شبث على مصعب بن الزبير البصرة وتحته بغلة له قد قطع ذنبها وقطع طرف أذنها وشق قباءه وهو ينادي يا غوثاه يا غوثاه فأتى مصعب فقيل له ان بالباب رجلا ينادي يا غوثاه يا غوثاه مشقوق القباء من صفته كذا وكذا فقال لهم نعم هذا شبث بن ربعي لم يكن ليفعل هذا غيره فأدخلوه فأدخل عليه وجاءه اشراف الناس من أهل الكوفة فدخلوا عليه فأخبروه بما اجتمعوا له وبما أصيبوا به ووثوب عبيدهم وموالهم عليهم وشكوا اليه وسألوه النصر لهم والمسير الى المختار معهم وقدم عليهم محمد ابن الاشعث بن قيس ولم يكن شهد وقعة الكوفة كان في قصر له مما يلي القادسية بطيزناباذ فلما

بلغه

بلغه هزيمة الناس تهيأ للشخوص وسأل عنه المختار فأخبر بمكانه فسرح اليه عبد الله بن قراد الخثعمي في مائة فلما سار والبه وبلغه أن قد دنوا منه خرج في البرية نحو المصعب حتى لحق به فلما قدم على المصعب استحثه بالخروج وأدناه مصعب وأكرمه لشرفه قال وبعث المختار الى دار محمد بن الأشعث فهدمها (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يوسف بن يزيد ان المصعب لما أراد المسير الى الكوفة حين أكثر الناس عليه قال لمحمد بن الاشعث اني لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة فكتب المصعب الى المهلب وهو عامله على فارس أن أقبل الينا لتشهد أمرنا فانا نريد المسير الى الكوفة فأبطأ عليه المهلب وأصحابه واعتل بشيء من الخراج لكراهة الخروج فأمر مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما يستحثه ان يأتي المهلب فيقبل به وأعلمه انه لا يشخص دون ان يأتي المهلب فذهب محمد بن الأشعث بكتاب المصعب الى المهلب فلما قرأه قال له مثلك يا محمد يأتي بريدا أما وجد المصعب بريدا غيرك قال محمد إني والله ما أنا ببريد أحد غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبنا عليهم عبدانا وموالينا فخرج المهلب وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه فرفع المهلب يده فكسر أنفه فدخل الى المصعب وأنفه يسيل دما فقال له مالك فقال ضربني رجل ما أعرفه ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال هو ذا قال له المصعب عد الى مكانك وأمر المصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له ائت الكوفة فأخرج الى جميع من قدرت عليه ان تخرجه وادعهم الى بيعتي سرا وخذل أصحاب المختار فانسل من عنده حتى جلس في بيته مستترا لا يظهر وخرج المصعب فقدم امامه عباد بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدمته وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرته وجعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس والأحنف بن قيس على خمس تميم وزياد ابن عمرو الأزدي على خمس الأزد وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية وبلغ ذلك المختار فقام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة يا أهل الدين وأعوان الحق وأنصار الضعيف وشيعة الرسول وآل الرسول ان فراركم الذين بغوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغووهم عليكم ليصح الحق وينتعش الباطل ويقتل أولياء الله والله لو تهلكون ما عبد الله في الأرض الا بالفرى على الله واللعن لأهل بيت نبيه انتدبوا مع أحمر بن شميط فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم ان شاء الله قتل عاد وإرم فخرج أحمر بن شميط فعسكر بحمام أعين ودعا المختار رؤس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع أحمر بن شميط كما كانوا مع ابن الأشتر فإنهم انما فارقوا ابن الأشتر لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار فانصرفوا عنه

وبعثهم المختار مع ابن شميط وبعث معه جيشا كثيفا فخرج ابن شميط فبعث على مقدمته ابن كامل الشاكرى وسار أحمر بن شميط حتى ورد المذار وجاء المصعب حتى عسكر منه قريبا ثم ان كل واحد منهما عبى جنده ثم تزاحفا فجعل أحمر بن شميط على ميمنته عبد الله بن كامل الشاكرى وعلى ميسرته عبد الله بن وهب بن نضلة الجشمى وعلى الخيل رزين عبد السلولى وعلى الرجالة كثير بن اسماعيل الكندى وكان يوم خازر مع ابن الأشتر وجعل كيسان أبا عمرة وكان مولى لعرينة على الموالى فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمى الى ابن شميط وقد جعله على ميسرته فقال له ان الموالى والعبيد آل خور عند المصدوقة وإن معهم رجالا كثيرا على الخيل وأنت تمشى فرهم فلينزلوا معك فإن لهم بك اسوة فإنى أتخوف إن طوردوا ساعة وطوعنوا وضوربوا أن يطيروا على متونها ويسلموك وانك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بدا وانما كان هذا منه غشا للموالى والعبيد لما كانوا القوا منهم بالكوفة فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالا لا ينجو منهم أحد ولم يتهمه ابن شميط وظن انه انما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا فقال يا معشر الموالى انزلوا معى فقاتلوا فنزلوا معه ثم مشوا بين يديه وبين يدى رايته وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فجاء عباد حتى دنا من ابن شميط وأصحابه فقال انما ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وقال الآخرون انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة الأمير المختار والى ان نجعل هذا الأمر شورى فى آل الرسول فمن زعم من الناس أن أحدا ينبغى له ان يتولى عليهم برأينا منه وجاهدناه فانصرف عباد الى المصعب فأخبره فقال له ارجع فاحمل عليهم فرجع فحمل على ابن شميط وأصحابه فلم يزل منهم أحد ثم انصرف الى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل فجال أصحابه بعضهم فى بعض فنزل ابن كامل ثم انصرف عنه المهلب فقام مكانه فوقفوا ساعة ثم قال المهلب لأصحابه كروا كرة صادقة فإن القوم قد أطمعوكم وذلك بجولتهم التى جالوا فحمل عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل فى رجال من همدان فأخذ المهلب يسمع شعار القوم أنا الغلام الشاكرى أنا الغلام الشبامى أنا الغلام الثورى فما كان الا ساعة حتى هزموا وحمل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الله بن أنس فقاتل ساعة ثم انصرف وحمل الناس جميعا على ابن شميط فقاتل حتى قتل وتنادوا يا معشر بجيلة وخثعم الصبر الصبر فناداهم المهلب الفرار الفرار اليوم أنجى لكم علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبدان أضل الله سعيكم ثم نظر الى أصحابه فقال والله ما أرى استمرار القتل اليوم الا فى قومى ومالت الخيل على رجالة ابن شميط فافترقت فانهزمت وأخذت الصحراء فبعث المصعب عباد بن الحصين على الخيل فقال أيما أسير أخذته فاضرب عنقه وسرح محمد بن الأشعث فى خيل عظيمة من خيل أهل الكوفة ممن كان المختار طردهم فقال دونكم ثأركم

فكانوا

فكانوا حيث انهزموا أشد عليهم من أهل البصرة لا يدركون منهزما الا قتلوه ولا يأخذون أسيرا فيعفون عنه قال فلم ينج من ذلك الجيش الا طائفة من أصحاب الخيل وأما رجالهم فأبيدوا الا قليلا (قال أبو مخنف) حدثنى ابن عياش المنتوف عن معاوية بن قرة المزنى قال انتهيت الى رجل منهم فأدخلت سنان الرمح فى عينه فأخذت أخضخض عينه بسنان رمحى فقلت له وفعلت به هذا قال نعم إنهم كانوا أحلوا عندنا دماء من الترك والديلم وكان معاوية بن قرة قاضيا لأهل البصرة ففى ذلك يقول الأعشى

ألا هل أتاك والأنباء تنمى * بما لاقت بجيلة بالمذار
أتيح لهم بها ضرب طلخف * وطعن صائب وجه النهار
كأن سحابة صعقت عليهم * فعممتهم هنالك بالدمار
فبشر شيعة المختار إما * مررت على الكوفة بالصغار
أقر العين صرعاهم وفل * لهم جم يقتل بالصحارى
وما ان سرنى إهلاك قومى * وان كانوا وجدك فى خيار
ولكنى سررت بما يلاقى * أبو اسحاق من خزى وعار

وأقبل المصعب حتى قطع من تلقاء واسط القصب ولم تكن واسط هذه بنيت حينئذ بعد فأخذ فى كسكر ثم حمل الرجال وأثقالهم وضعفاء الناس فى السفن فأخذوا فى نهر يقال له نهر خرشاذ ثم خرجوا من ذلك النهر الى نهر يقال له قوسان ثم أخرجهم من ذلك النهر الى الفرات (قال أبو مخنف) وحدثنى فضيل بن خديج الكندى ان أهل البصرة كانوا يخرجون فيجرون سفنهم ويقولون

عودنا المصعب جر القلس * والزنبريات الطوال القعس

قال فلما بلغ من مع المختار من تلك الأعاجم ما لقى اخوانهم مع ابن شميط قالوا بالفارسية اين باردروغ كفت يقولون هذه المرة كذب (قال أبو مخنف) وحدثنى هشام بن عبد الرحمن الثقفى عن عبد الرحمن بن أبى عمير الثقفى قال والله انى لجالس عند المختار حين أتاه هزيمة القوم وما لقوا قال فأصغى الى فقال قتلت والله العبيد قتلة ما سمعت بمثلها قط ثم قال وقتل ابن شميط وابن كامل وفلان وفلان فسمى رجالا من العرب أصيبوا كان الرجل منهم فى الحرب خيرا من فئام من الناس قال فقلت له فهذه والله مصيبة فقال لى ما من الموت بد وما من ميتة أموتها أحب الى من مثل ميتة ابن شميط هذا مصارع الكرام قال فعلمت ان الرجل قد حدث نفسه ان لم يصب حاجته أن يقاتل حتى يموت * ولما بلغ المختار انهم قد أقبلوا اليه فى البحر وعلى الظهر سار حتى نزل بهم السيلحين ونظر الى مجتمع الأنهار نهر

الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر بُرُسف فسكر الفرات على مجتمع الأنهار فذهب ماء الفرات كله في هذه الأنهار وبقيت سفن أهل البصرة في الطين فلمّا رأوا ذلك خرجوا من السفن يمشون وأقبلت خيلهم تركض حتى أتوا ذلك السكر فكسروه وصمدوا صمد الكوفة * فلما رأى ذلك المختار أقبل اليهم حتى نزل حَرُوراء وحال بينهم وبين الكوفة وقد كان حصّن قصره والمسجد وأدخل في قصره عُدّة الحصار وجاء المصعب يسير اليه وهو بحَرُوراء وقد استعمل على الكوفة عبد الله بن شداد وخرج اليه المختار وقد جعل على ميمنته سُليم بن يزيد الكندي وجعل على ميسرته سعيد بن مُنْقذ الهمداني ثم الثوري وكان على شرطته يومئذ عبد الله بن قُراد الخثعمي وبعث على الخيل عمر بن عبد الله النهدي وعلى الرجال مالك بن عمر والنهدي وجعل مصعب على ميمنته المهلب بن أبي صفرة وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن مَعْمر التيمي وعلى الخيل عباد بن الحصين الحبطي وعلى الرجال مقاتل بن مسمع البكري ونزل هو يمشي متنكبا قوسا له قال وجعل على أهل الكوفة محمد بن الاشعث فجاء محمد حتى نزل بين المصعب والمختار مغرّبا ميامنا قال فلما رأى ذلك المختار بعث الى كل خمس من اخماس أهل البصرة رجلا من أصحابه فبعث الى بكر بن وائل سعيد بن منقذ صاحب ميسرته وعليهم مالك بن مسمع البكري وبعث الى عبد القيس وعليهم مالك بن المنذر عبد الرحمن بن شريح الشبامي وكان على بيت ماله وبعث الى أهل العالية وعليهم قيس بن الهيثم السلمي عبد الله بن جَعْدة القرشي ثم المخزومي وبعث الى الأزد وعليهم زياد بن عمرو العَتَكي مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي وبعث الى بني تميم وعليهم الأحنف بن قيس سُليم بن يزيد الكندي وكان صاحب ميمنته وبعث الى محمد بن الأشعث السائب بن مالك الأشعري ووقف في بقيّة أصحابه وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وتحمل سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح على بكر بن وائل وعبد القيس وهم في الميسرة وعليهم عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتلتهم ربيعة قتالا شديدا وصبروا لهم وأخذ سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح لا يُقلعان اذا حمل واحد فانصرف حمل الآخرون بما حملا جميعا قال فبعث المصعب الى المهلب ما تنتظر ان تحمل على مَن بإزائك ألا ترى ما يلقى هذان الخمسان منذ اليوم احمل بأصحابك فقال أي لعمري ما كنت لأجزر الأزد وتميما خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتي قال وبعث المختار الى عبد الله ابن جعدة أن احمل على مَن بازائك فحمل على أهل العالية فكشفهم حتى انتهوا الى المصعب فجثا المصعب على ركبتيه ولم يكن فرّارا فرمى بأسهمه ونزل الناس عنده فقاتلوا ساعة ثم تحاجزوا قال وبعث المصعب الى المهلب وهو في خمسين جامّين كثيري العدد والفرسان لا أبالك ما تنتظر أن تحمل على القوم فمكث غير بعيد ثم إنه قال لأصحابه قد قاتل الناس منذ

اليوم

اليوم وأنتم وقوف وقد أحسنوا وقد بقي ما عليكم احملوا واستعينوا بالله واصبروا فحمل على من يليه حملة منكرة فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم وقال عبد الله بن عمر والنهدي وكان من أصحاب صفّين اللهمّ اني على ما كنتُ عليه ليلة الخميس بصفّين اللهم اني أبرأ اليك من فعل هؤلاء لأصحابه حين انهزموا وأبرأ اليك من أنفس هؤلاء يعني أصحاب المصعب ثم جالد بسيفه حتى قتل وأتى مالك بن عمر وأبو نمران النهدي وهو على الرّجالة بفرسه فركبه وانقصف أصحاب المختار انقصافة شديدة كأنهم أجمّة فيها حريق فقال مالك حين ركب ما أصنع بالركوب والله لأن أقتل ههنا أحبّ اليّ من أن أقتل في بيتي أين أهل البصائر أين أهل الصبر فثاب اليه نحو من خمسين رجلا وذلك عند المساء فكرّ على أصحاب محمد بن الأشعث فقُتل محمد بن الأشعث الى جانبه هو وعامة أصحابه فبعض الناس يقول هو قتل محمد بن الاشعث ووُجد أبو نمران قتيلا الى جانبه وكندة تزعم ان عبد الملك بن أشاءة الكندي هو الذي قتله فلما مرّ المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلا قال يا معشر الأنصار كُرّوا على الثعالب الروّاغة فحملوا عليهم فقتل فخثعم تزعم ان عبد الله بن قُراد هو الذي قتله (قال أبو مخنف) وسمعت عوف بن عمر والجشمي يزعم ان مولى لهم قتله فادّعى قتله أربعة نفر كلهم يزعم انه قتله وانكشف أصحاب سعيد بن منقذ فقاتل في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلا فقُتلوا وقاتل سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلا من قومه وغيرهم ضارب حتى قتل وقاتل المختار على فم سكة شبث ونزل وهو يريد ان لا يبرح فقاتل عامة ليلته حتى انصرف عنه القوم وقتل معه ليلتئذ رجال من أصحابه من أهل الحفاظ منهم عاصم بن عبد الله الأزدي وعياش بن خازم الهمداني ثم الثوري وأحمر بن هديج الهمداني ثم الفايشي (قال أبو مخنف) حدثنا أبو الزبير ان همدان تنادوا ليلتئذ يا معشر همدان سيفوهم فقاتلوهم أشدّ القتال فلما ان تفرّقوا عن المختار قال له أصحابه أيها الأمير قد ذهب القوم فانصرف الى منزلك الى القصر فقال المختار أما والله ما نزلت وأنا أريد ان آتي القصر فأما اذا انصرفوا فاركبوها بنا على اسم الله فجاء حتى دخل القصر فقال الأعشى في قتل محمد بن الاشعث

تأوّبَ عَيْنَكَ عُوّارُها * وعاد لنفسك تذكارُها
وإحدى ليالِيكَ راجعتها * أرِقتَ ونَوّمَ سُمّارُها
وماذاقتِ العينُ طَعْمَ الرُّقا * د حتى تبلّجَ إسفارُها
وقام نُعاةُ أبي قاسم * فأسبل بالدمع تحدارُها
فحقّ العيون على ابن الأشجّ أن لا يُفترَ تقطارُها
وألاّ تزالَ تُبكّي له * وتبتلُّ بالدمع أشفارُها
عليك محمدُ لما ثويتَ تبكي البلادُ وأشجارُها

ومايذكرونك إلا بكوا * اذا ذمة خانها جارها
وعارية من ليالى الشتا * ء لا يمنح أيسارها
ولا ينبح الكلب فيها العقو * رالا الهرير وتختارها
ولا ينفع الثوب فيها الفتى * ولا ربة الخدر تخدارها
فأنت محمد في مثلها * مهين الجزائر نحارها
تظل جفانك موضوعة * تسيل من الشحم أصبارها
ومافى سقائك مستنطق * اذا الشول روح أغبارها
فياواهب الوصفاء الصبا * ح إن شبرت تم أشبارها
وياواهب الجرد مثل القدا * ح قد يعجب الصف شوارها
وياواهب البكرات الهجا * ن عوذا تجاوب أبكارها
وكنت كدجلة اذ ترتمى * فيقذف في البحر تيارها
وكنت جليدا وذا مرة * اذا يبتغى منك إمرارها
وكنت إذا بلدة أصفقت * وآذن بالحرب جبارها
بعثت عليها ذواكى العيو * ن حتى تواصل أخبارها
باذن من الله والخيل قد * أعد لذلك مضمارها
وقد تطعم الخيل منك الوجيف حتى تنبذ أمهارها
وقد تعلم البازل العيسجو * ر أنك بالخبت حسارها
فياأسفى يوم لاقيتهم * وخانت رجالك فرارها
وأقبلت الخيل مهزومة * عثارا تضرب أدبارها
بشط حرور اء واستجمعت * عليك الموالى وسحارها
فأخطرت نفسك من دونهم * فحاز الرئيسة اخطارها
فلا تبعدن أباقاسم * فقد يبلغ النفس مقدارها
وأفنى الحوادث سادا تنا * ومر الليالى وتكرارها

(قال هشام) قال أبى كان السائب أتى مع مصعب بن الزبير فقتله ورقاء النخعى من وهبيل فقال ورقاء

من مبلغ عنى عبيدا بأننى * علوت أخاه بالحسام المهند
فان كنت تبغى العلم عنه فانه * صريع لدى الدير بن غير مسود

وعمدا

وعمدا علوت الرأس منه بصارم * فأثكلته سفيان بعد محمد

(قال هشام) عن أبى مخنف قال حدثنى حصيرة بن عبد الله ان هند بنت المتكلفة الناعطية كان يجتمع اليها كل غال من الشيعة فيتحدث فى بيتها وفى بيت ليلى بنت قمامة المزنية وكان أخوها رفاعة بن قمامة من شيعة على وكان مقتصدا فكانت لا تحبه فكان أبو عبد الله الجدلى ويزيد بن شراحيل قد أخبرا ابن الحنفية خبرهاتين المرأتين وغلوهما وخبر أبى الأحراس المرادى والبطين الليثى وأبى الحارث الكندى (قال هشام) عن أبى مخنف قال حدثنى يحيى بن أبى عيسى قال فكان ابن الحنفية قد كتب مع يزيد بن شراحيل الى الشيعة بالكوفة يحذرهم هؤلاء فكتب اليهم من محمد بن على الى من بالكوفه من شيعتنا أما بعد فاخرجوا الى المجالس والمساجد فاذكروا الله علانية وسرا ولا تتخذوا من دون المؤمنين بطانة فإن خشيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذابين وأكثروا الصلاة والصيام والدعاء فانه ليس أحد من الخلق يملك لأحد ضرا ولا نفعا الا ماشاء الله وكل نفس بما كسبت رهينة ولا تزر وازرة وزر أخرى والله قائم على كل نفس بما كسبت فاعملوا صالحا وقدموا لأنفسكم حسنا ولا تكونوا من الغافلين والسلام عليكم (قال أبو مخنف) فحدثنى حصيرة بن عبد الله ان عبد الله بن نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة حين خرج الناس الى حرورا وهو يقول يوم الأربعاء رفعت السماونزل القضا بهزيمة الأعدا فاخرجوا على اسم الله الى حرورا فخرج فلما التقى الناس للقتال ضرب على وجهه ضربة ورجع الناس منهزمين ولقيه عبد الله بن شريك النهدى وقد سمع مقالته فقال له ألم تزعم لنا يا ابن نوف اناسنهزمهم قال أوما قرأت فى كتاب الله يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال فلما أصبح المصعب أقبل يسير بمن معه من أهل البصرة ومن خرج اليه من أهل الكوفة فأخذ بهم نحو السبخة فمر بالمهلب فقال له المهلب يا له فتحا ما أهناه لو لم يكن محمد بن الأشعث قتل قال صدقت فرحم الله محمدا ثم سار غير بعيد ثم قال يا مهلب قال لبيك أيها الأمير قال هل علمت ان عبيد الله بن على بن أبى طالب قد قتل قال انا لله وانا اليه راجعون قال المصعب اما انه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح ثم لا نجعل أنفسنا أحق بشىء مما نحن فيه منه أتدرى من قتله قال لا قال انما قتله من يزعم انه لأبيه شيعة اما انهم قد قتلوه وهم يعرفونه قال ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة وبعث عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فنزل الكناسة وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم الى جبانة السبيع وقد كان قال لعبد الرحمن بن مخنف ما كنت صنعت فيما كنت وكلتك به قال أصلحك الله وجدت الناس صنفين اما من كان له فيك هوى فخرج اليك وأما من كان يرى رأى

المختار فلم يكن ليدعه ولا ليؤثر أحدا عليه فلم أبرح بيني حتى قدمت قال صدقت وبعث عباد بن الحصين الى جبانة كندة فكل هؤلاء كان يقطع عن المختار وأصحابه الماء والمادة وهم في قصر المختار وبعث زحر بن قيس الى جبانة مراد وبعث عبيد الله بن الحر الى جبانة الصائديين (قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج قال لقد رأيت عبيد الله بن الحر وانه ليطارد أصحاب خيل المختار يقاتلهم في جبانة الصائديين ولربما رأيت خيلهم تطرد خيله وإنه لوراء خيله يحميها حتى ينتهي الى دار عكرمة ثم يكر راجعا هو وخيله فيطردهم حتى يلحقهم بجبانة الصائديين ولربما رأيت خيل عبيد الله قد أخذت السقاء والسقاءين فيضربون وانما كانوا يأتونهم بالماء أنهم كانوا يعطونهم بالراوية الدينار والدينارين لما أصابهم من الجهد وكان المختار ربما خرج هو وأصحابه فقاتلوا قتالا ضعيفا ولا نكاية لهم وكانت لا تخرج له خيل الا رميت بالحجارة من فوق البيوت ويصب عليهم الماء القذر واجترأ عليهم الناس فكانت معايشهم أفضلها من نسائهم فكانت المرأة تخرج من منزلها معها الطعام واللطف والماء قد التحفت عليه فتخرج كأنما تريد المسجد الأعظم للصلاة وكأنها تأتي أهلها وتزور ذات قرابة لها فاذا دنت من القصر فتح لها فدخلت على زوجها وحميها بطعامه وشرابه ولطفه وان ذلك بلغ المصعب وأصحابه فقال له المهلب وكان مجربا اجعل عليهم دروبا حتى تمنع من يأتيهم من أهليهم وأبنائهم وتدعهم في حصنهم حتى يموتوا فيه وكان القوم اذا اشتد عليهم العطش في قصرهم استقوا من ماء البئر ثم أمر لهم المختار بعسل فصب فيه ليغير طعمه فيشربوا منه فكان ذلك أيضا مما يروى أكثرهم ثم ان مصعبا أمر أصحابه فاقتربوا من القصر فجاء عباد بن الحصين الحبطي حتى نزل عند مسجد جهينة وكان ربما تقدم حتى ينتهي الى مسجد بني مخزوم وحتى يرمي أصحابه من أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر وكان لا يلقى امرأة قريبا من القصر الا قال لها من أنت ومن أين جئت وما تريدين فأخذ في يوم ثلاث نسوة للشباميين وشاكر أتين أزواجهن في القصر فبعث بهن الى مصعب وان الطعام لمعهن فردهن مصعب ولم يعرض لهن وبعث زحر بن قيس فنزل عند الحدادين حيث تكرى الدواب وبعث عبيد الله بن الحر فكان موقفه عند دار بلال وبعث محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفه عند دار أبيه وبعث حوشب بن يزيد فوقف عند زقاق البصريين عند فم سكة بني جذيمة بن مالك من بني أسد بن خزيمة وجاء المهلب يسير حتى نزل جهار سوج خنيس وجاء عبد الرحمن بن مخنف من قبل دار السقاية وابتدر السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة أغمار ليس لهم علم بالحرب فأخذوا يصيحون وليس لهم أمير يا ابن دومة يا ابن دومة فأشرف عليهم المختار فقال أما والله لوان الذي يعيرني بدومة كان من القريتين عظيما ما عيرني بها وبصرهم وبتفرقهم وهيئتهم وانتشارهم فطمع فيهم فقال لطائفة من أصحابه

اخرجوا

اخرجوا معي فخرج معه منهم نحو من مائتي رجل فكر عليهم فشدخ نحوا من مائة وهزمهم فركب بعضهم بعضا وأخذوا على دار فرات بن حيان العجلي ثم ان رجلا من بني ضبة من أهل البصرة يقال له يحيى بن ضمضم كانت رجلاه تكادان تخطان الارض اذا ركب من طوله وكان أقتل شيء للرجال وأهيبه عندهم اذا رأوه فأخذ يحمل على أصحاب المختار فلا يثبت له رجل صمد صمده ويضربه المختار فحمل عليه فضربه ضربة على جبهته فأطار جبهته وقحف رأسه وخر ميتا ثم ان تلك الامراء وتلك الرؤس أقبلوا من كل جانب فلم تكن لاصحابه بهم طاقة فدخلوا القصر فكانوا فيه فاشتد عليهم الحصار فقال لهم المختار ويحكم ان الحصار لا يزيدكم الا ضعفا انزلوا بنا فلنقاتل حتى نقتل كراما ان نحن قتلنا والله ما أنا بآيس ان صدقتموهم أن ينصركم الله فضعفوا وعجزوا فقال لهم المختار أما أنا فوالله لا أعطي بيدي ولا أحكمهم في نفسي ولما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب ما يريد المختار تدلى من القصر بحبل فلحق بأناس من اخوانه فاختبى عندهم ثم ان المختار أزمع بالخروج الى القوم حين رأى من أصحابه الضعف ورأى ما بأصحابه من الفشل فأرسل الى امرأته أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزاري فأرسلت اليه بطيب كثير فاغتسل وتحنط ثم وضع ذلك الطيب على رأسه ولحيته ثم خرج في تسعة عشر رجلا فيهم السائب بن مالك الاشعري وكان خليفته على الكوفة اذا خرج الى المدائن وكانت تحته عمرة بنت أبي موسى الاشعري فولدت له غلاما فسماه محمدا فكان مع أبيه في القصر فلما قتل أبوه وأخذ من في القصر وجد صبيا فترك ولما خرج المختار من القصر قال للسائب ماذا ترى قال الرأي لك فماذا ترى قال أنا أرى أم الله يرى قال بل الله يرى قال ويحك أحمق أنت انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز ورأيت نجدة انتزى على اليمامة ومروان على الشام فلم أكن دون أحد من رجال العرب فأخذت هذه البلاد فكنت كأحدهم الا اني قد طلبت بثأر أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اذ نامت عنه العرب فقتلت من شرك في دمائهم وبالغت في ذلك الى يومي هذا فقاتل على حسبك ان لم تكن لك نية فقال إنا لله وإنا اليه راجعون وما كنت أصنع أن أقاتل على حسبي فقال المختار عند ذلك يتمثل بقول غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي

ولو يراني أبو غيلان اذ حسرت * عني الهموم بأمر ماله طبق
لقال رهبا ورعبا يجمعان معا * غنم الحياة وهول النفس والشفق
إما تسف على مجد ومكرمة * أو إسوة لك فيمن تهلك الورق

فخرج في تسعة عشر رجلا فقال لهم أتؤمنوني وأخرج اليكم فقالوا لا الا على الحكم فقال لا أحكمكم في نفسي أبدا فضارب بسيفه حتى قتل وقد كان قال لاصحابه حين أبوا أن يتابعوه على الخروج معه اذا أنا خرجت اليهم فقتلت لم تزدادوا الا ضعفا وذلا فان نزلتم على حكمهم وثب

أعداؤكم الذين قد وترتموهم فقال كل رجل منهم لبعضكم هذا عنده ثأري فيُقتل وبعضكم ينظر الى مصارع بعض فتقولون ياليتنا أطعنا المختار وعملنا برأيه ولوانكم خرجتم معي كنتم ان أخطأتم الظفر مُنتم كراما وان هرب منكم هارب فدخل في عشيرته اشتملت عليه عشيرته أنتم غدا هذه الساعة أذلُّ من على ظهر الارض فكان كما قال قال وزعم الناس ان المختار قُتل عند موضع الزيّاتين اليوم قتله رجلان من بني حنيفة اخوان يُدعى أحدهما طَرَفة والآخر طرّافا ابنا عبدالله بن دجاجة من بني حنيفة ولما كان من الغد من قتل المختار قال بجير ابن عبدالله المُسلي ياقوم قد كان صاحبكم أمس أشار عليكم بالرأي لو أطعتموه ياقوم انكم ان نزلتم على حكم القوم ذبحتم كما تُذبح الغنم أخرجوا بأسيافكم فقاتلوا حتى تموتوا كراما فعصوه وقالوا لقد أمرنا بهذا من كان أطوع عندنا وأنصح لنا منك فعصيناه أفنحن نطيعك فأمكن القوم من أنفسهم ونزلوا على الحكم فبعث اليهم مصعب عبّاد بن الحصين الحبطي فكان هو يخرجهم مكتفين وأوصى عبدالله بن شداد الجشمي الى عباد بن الحصين وطلب عبدالله بن قراد عصا أو حديدة أو شيأ يقاتل به فلم يجده وذلك ان الندامة أدركته بعد ما دخلوا عليه فأخذوا سيفه وأخرجوه مكتوفا فمرّ به عبدالرحمن وهو يقول

ما كنتُ أخشى أن أرى أسيرا * ان الذين خالفوا الاميرا
قد رغموا وتبّروا تتبيرا

فقال عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث علَيّ بذا قدّموه الى اضرب عنقه فقال له أما انى على دين جدّك الذى آمن ثم كفر ان لم أكن ضربت أباك بسيفي حتى فاظ فنزل ثم قال أدنوه مني فأدنوه منه فقتله ففضب عباد فقال قتلته ولم تؤمر بقتله ومرّ بعبدالله بن شداد الجشمي وكان شريفا فطلب عبدالرحمن الى عباد أن يحبسه حتى يكلم فيه الامير فأتى مصعبا فقال انى أحب أن تدفع الىّ عبدالله بن شداد فأقتله فانه من الثأر فأمر له به فلما جاءه أخذه فضرب عنقه فكان عباد يقول أما والله لو علمت انك انما تريد قتله لدفعته الى غيرك فقتله ولكني حسبت انك تكلمه فيه فتخلي سبيله وأتى بابن عبدالله بن شداد واذا اسمه شداد وهو رجل محتلم وقد اطلى بنورة فقال اكشفوا عنه هل أدرك فقالوا انما هو غلام فخلوا سبيله وكان الاسود بن سعيد قد طلب الى مصعب أن يعرض على أخيه الامان فان نزل تركه له فأتاه فعرض عليه الامان فأبى أن ينزل وقال أموت مع أصحابي أحبّ الىّ من حياة معكم وكان يقال له قيس فأخرج فقتل فيمن قتل وقال بجير بن عبدالله المسلي ويقال كان مولى لهم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناس كثير فقال له المسلي الحمد لله الذى ابتلانا بالإسار وابتلاك بأن تعفو عنا وهما منزلتان احداهما رضى الله والاخرى سخطه من عفا عفا الله عنه وزاده عزّا ومن عاقب لم يأمن القصاص يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم ولسنا تُرك ولا ديلما

فان

فان خالفنا اخواننا من أهل مصر نافإما أن نكون أصبنا وأخطؤا وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقتتلنا كما اقتتل أهل الشأم بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اجتمعوا وكما اقتتل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اصطلحوا واجتمعوا وقد ملكتم فأسجحوا وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول ونحوه حتى رقّ لهم الناس ورقّ لهم مصعب وأراد أن يخلي سبيلهم فقام عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث فقال تخلي سبيلهم اخترنا يا ابن الزبير أو اخترهم ووثب محمد بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني فقال قتل أبي وخمسمائة من همدان وأشراف العشيرة وأهل المصر ثم تخلي سبيلهم ودماؤنا ترقرق في أجوافهم اخترنا أو اخترهم ووثب كل قوم وأهل بيت كان أصيب منهم رجل فقالوا نحوا من هذا القول فلما رأى مصعب ابن الزبير ذلك أمر بقتلهم فنادوه بأجمعهم يا ابن الزبير لا تقتلنا اجعلنا مقدّمتك الى أهل الشأم غدا فوالله ما بك ولا بأصحابك عنا غداغنى اذا القيتم عدوّكم فان قُتلنا لم نُقتل حتى نُرقّهم لكم وان ظفرنا بهم كان ذلك لك ولمن معك فأبى عليهم وتبع رضى العامة فقال بجير المسلي ان حاجتي اليك أن لا أقتل مع هؤلاء انى أمرتهم أن يخرجوا بأسيافهم فيقاتلوا حتى يموتوا كراما فعصوني فقُدّم فقتل (قال أبو مخنف) وحدثني أبي قال حدثني أبو روق ان مسافر بن سعيد بن نمران قال لمصعب بن الزبير يا ابن الزبير ما تقول لله اذا قدمت عليه وقد قتلت أمة من المسلمين صبرا حكموك في دمائهم فكان الحق في دمائهم أن لا تقتل نفسا مسلمة بغير نفس مسلمة فان كنا قتلنا عدة رجال منكم فاقتلوا عدّة مَن قتلنا منكم وخلوا سبيل بقيتنا وفينا الآن رجال كثير لم يشهدوا موطنا من حربنا وحربكم يوما واحدا كانوا في الجبال والسواد يجبون الخراج ويؤمنون السبيل فلم يستمع له فقال قبح الله قوما أمرتهم أن يخرجوا اليلا على حَرَس سكة من هذه السكك فتطردهم ثم نلحق بعشائرنا فعصوني حتى حملوني على ان أعطيت التي هي أنقص وأدنى وأوضع وأبوا أن يموتوا الا ميتة العبيد فأنا أسألك أن لا تخلط دمي بدمائهم فقُدّم فقتل ناحية ثم ان المصعب أمر بكف المختار فقطعت ثم سُمّرت بمسمار حديد الى جنب المسجد فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجاج بن يوسف فنظر اليها فقال ما هذه فقالوا كف المختار فأمر بنزعها وبعث مصعب عمّاله على الجبال والسواد ثم انه كتب الى ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول له ان أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلك الشأم وأعنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان وكتب عبدالملك بن مروان من الشأم اليه يدعوه الى طاعته ويقول ان أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلك العراق فدعا ابراهيم أصحابه فقال ما ترون فقال بعضهم تدخل في طاعة عبدالملك وقال بعضهم تدخل مع ابن الزبير في طاعته فقال ابن الاشتر ذاك لو لم أكن أصبتُ عبيدالله بن زياد ولا رؤساء أهل الشأم تبعتُ عبدالملك مع انى لا أحبّ أن أختار على أهل مصري مصرا ولا على عشيرتي عشيرة فكتب الى مصعب فكتب اليه

مصعبٌ أن أقبل فأقبل اليه بالطاعة (قال أبو مخنف) حدثني أبو جناب الكلبي ان كتاب مصعب قدم على ابن الاشتر وفيه أما بعد فان الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر وكادوا بالسحر وانا ندعوك الى كتاب الله وسنة نبيه والى بيعة أمير المؤمنين فان أجبت الى ذلك فأقبل الىّ فان لك أرض الجزيرة وأرض المغرب كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير لك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد والسلام وكتب اليه عبد الملك بن مروان أما بعد فان آل الزبير انتزعوا على أئمة الهدى ونازعوا الامر أهله وألحدوا في بيت الله الحرام والله ممكن منهم وجاعل دائرة السوء عليهم واني أدعوك الى الله والى سنة نبيه فان قبلت وأجبت فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيت لك على بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه قال فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب واستشارهم في الرأى فقائل يقول عبد الملك وقائل يقول ابن الزبير فقال لهم ورأيي اتباع أهل الشأم كيف لي بذلك ولكن ليس قبيلة تسكن الشأم الا وقد وترتها ولست بتارك عشيرتي وأهل مصري فأقبل الى مصعب فلما بلغ مصعبا إقباله بعث المهلب الى عمله وهي السنة التي نزل المهلب على الفرات (قال أبو مخنف) حدثني أبو علقمة الخثعمي ان المصعب بعث الى أم ثابت بنت سَمُرة بن جندب امرأة المختار والى عَمْرة بنت النعمان بن بشير الانصارى وهي امرأة المختار فقال لهما ما تقولان في المختار فقالت أم ثابت ما عسينا أن نقول ما نقول فيه الا ما تقولون فيه أنتم فقالوا لها اذهبي وأما عمرة فقالت رحمة الله عليه ان كان عبدا من عباد الله الصالحين فرفعها مصعب الى السجن وكتب فيها الى عبد الله بن الزبير انها تزعم انه نبي فكتب اليه أن أخرجها فاقتلها فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة فضربها مطرٌ ثلاث ضربات بالسيف ومطر تابع لآل قفل من بني تيم الله بن ثعلبة كان يكون مع الشرط فقالت يا أبتاه يا أهلاه يا عشيرتاه فسمع بها بعض الانصار وهو أبان بن النعمان بن بشير فأتاه فلطمه وقال له يا ابن الزانية قطعت نفسها قطع الله يمينك فلزمه حتى رفعه الى مصعب فقال ان أمي مسلمة وادّعى شهادة بني قفل فلم يشهد له أحد فقال مصعب خلوا سبيل الفتى فانه رأى أمرا فظيعا فقال عمر بن أبي ربيعة القرشي في قتل مصعب عَمْرة بنت النعمان بن بشير

ان من أعجب العجائب عندى * قتل بيضاء حرة عطبول
قُتلت هكذا على غير جرم * ان لله درها من قتيل
كُتب القتلُ والقتالُ علينا * وعلى المحصنات جرّ الذيول

(قال أبو مخنف) وحدثني محمد بن يوسف ان مصعبا لقي عبد الله بن عمر فسلم عليه وقال له أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر نعم أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة عشٌ ما استطعت فقال مصعب انهم كانوا كفرة سحرة فقال ابن عمر والله لو قتلت

عدتهم

عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك

أتى راكبٌ بالامر ذى النبإ العجبْ * بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسبْ
بقتل فتاة ذات دلّ سَتيرة * مُهذّبة الاخلاق والخيم والنسبْ
مطهّرة من نسل قوم أكارم * من المؤثرين الخير في سالف الحقبْ
خليلُ النبيّ المصطفى ونصيرُهُ * وصاحبه في الحرب والنكب والكُربْ
أتاني بأن الملحدين توافقوا * على قتلها لا جنبُوا القتلَ والسَّلبْ
فلا هنأتْ آلَ الزبير معيشةٌ * وذاقوا لباس الذلّ والخوف والحربْ
كأنهمُ اذ أبرزُوها وقُطّعتْ * بأسيافهم فازوا بمملكة العربْ
ألم تعجب الاقوامُ من قتل حُرّة * من المحصنات الدين محمودة الأدبْ
من الغافلات المؤمنات بريئة * من الذمّ والبهتان والشك والكذبْ
علينا كتابُ القتل والبأس واجبٌ * وهُنّ العفاف في الحجال وفي الحُجُبْ
على دين أجداد لها وأبوّة * كرام مضت لم تخز أهلا ولم تُربْ
من الخفرات لا خروج بذيّة * مُلاعبة تبغي على جارها الجُنُبْ
ولا الجار ذى القربى ولم تدر ما الخنا * ولم تزدلف يوما بسوء ولم تحبْ
عجبتُ لها اذ كُفنتْ وهي حيةٌ * ألا انّ هذا الخطب من أعجب العجبْ

حدثت عن علي بن حرب الموصلي قال حدثني ابراهيم بن سليمان الحنفي ابن أخي أبي الاحوص قال حدثنا محمد بن أبان عن علقمة بن مرثد عن سويد بن غفلة قال بينا أنا أسير بظهر النجف اذ لحقني رجل فطعنني بمخصرة من خلفي فالتفت اليه فقال ما قولك في الشيخ قلت أي الشيوخ قال علي بن أبي طالب قلت إني أشهد انى أحبه بسمعي وبصري وقلبي ولساني قال وأنا أشهدك انى أبغضه بسمعي وبصري وقلبي ولساني فسرنا حتى دخلنا الكوفة فافترقنا فمكث بعد ذلك سنين أو قال زمانا قال ثم انى لفي المسجد الاعظم اذ دخل رجل معتمّ يتصفّح وجوه الخلق فلم يزل ينظر فلم ير لحى أحمق من لحى همدان فجلس اليهم فتحوّلتُ فجلست معهم فقالوا من أين أقبلت قال من عند أهل بيت نبيكم قالوا فاذا جئتنا به قال ليس هذا موضع ذلك فوعدهم من الغد موعدا فغدا وغدوتُ فاذا قد أخرج كتابا معه في أسفله طابع من رصاص فدفعه الى غلام فقال له يا غلام اقرأه وكان أميّا لا يكتب فقال الغلام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب للمختار بن أبي عبيد كتبه له وصيّ آل محمد أما بعد فكذا وكذا فاستفرغ القومُ البكاء فقال يا غلام ارفع كتابك حتى يفيق القومُ قلتُ معاشر همدان أنا أشهد

بالله لقد أدركني هذا بظهر النجف فقصصت عليهم قصته فقالوا أبيت والله الا تثبيطا عن آل محمد وتزيينا لنعثل شقاق المصاحف قال قلت معاشر همدان لا أحدثكم الا ما سمعته بأذناي ووعاه قلبي من علي بن أبي طالب عليه السلام سمعته يقول لا تسموا عثمان شقاق المصاحف فوالله ما شققها الا عن ملإ منا أصحاب محمد ولو وليتها العملت فيها مثل الذي عمل قالوا الله أنت سمعت هذا من علي قلت والله لأنا سمعته منه قال فتفرقوا عنه فعند ذلك مال الى العبيد واستعان بهم وصنع ما صنع ﴿قال أبو جعفر﴾ واقتص الواقدي من خبر المختار بن أبي عبيد بعض ما ذكرنا فخالف فيه من ذكرنا خبره فزعم ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وان مصعبا لما سار اليه فبلغه مسيره اليه بعث اليه أحمر بن شميط البجلي وأمره أن يواقعه بالمذار وقال ان الفتح بالمذار قال وانما قال ذلك المختار لانه قيل ان رجلا من ثقيف يُفتح عليه بالمذار فتح عظيم فظن انه هو وانما كان ذلك للحجاج بن يوسف في قتاله عبد الرحمن بن الاشعث وأمر مصعب صاحب مقدمته عبادا الحبطي أن يسير الى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب ونزل مصعب نهر البصريين على شط الفرات وحفر هنالك نهرا فسمي نهر البصريين من أجل ذلك قال وخرج المختار في عشرين ألفا حتى وقف بإزائهم وزحف مصعب ومن معه فوافوه مع الليل على تعبية فأرسل الى أصحابه حين أمسى لا يبرحن أحد منكم موقفه حتى يسمع مناديا ينادي يا محمد فاذا سمعتموه فاحملوا فقال رجل من القوم من أصحاب المختار هذا والله كذاب على الله وانحاز ومن معه الى المصعب فأمهل المختار حتى اذا طلع القمر أمر مناديا فنادى يا محمد ثم حملوا على مصعب وأصحابه فهزموهم فأدخلوه عسكره فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده أحد واذا أصحابه قد وغلوا في أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزما حتى دخل قصر الكوفة فجاء أصحاب المختار حين أصبحوا فوقفوا مليا فلم يروا المختار فقالوا قد قتل فهرب منهم من أطاق الهرب واختفوا في دور الكوفة وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يجدوا من يقاتل بهم ووجدوا المختار في القصر فدخلوا معه وكان أصحاب المختار قتلوا في تلك الليلة من أصحاب مصعب بشرا كثيرا فيهم محمد بن الاشعث وأقبل مصعب حين أصبح حتى أحاط بالقصر فأقام مصعب يحاصره أربعة أشهر يخرج اليهم المختار في كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة من وجه واحد ولا يقدر عليه حتى قتل المختار فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الامان فأبى مصعب حتى نزلوا على حكمه فلما نزلوا على حكمه قتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم قال فلما خرجوا أراد مصعب أن يقتل العجم ويترك العرب فكلمه من معه فقالوا أي دين هذا وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العجم وتترك العرب ودينهم واحد فقدمهم فضرب أعناقهم ﴿قال أبو جعفر﴾ وحدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد قال

لما قتل المختار شاور مصعب أصحابه في المحصورين الذين نزلوا على حكمه فقال عبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشباههم ممن وترهم المختار اقتلهم وضجت ضبة وقالوا دم منذر بن حسان فقال عبيد الله بن الحر أيها الامير ادفع كل رجل في يديك الى عشيرته تمن عليهم بهم فانهم ان كانوا قتلونا فقد قتلناهم ولا غنى بنا عنهم في ثغورنا وادفع عبيدنا الذين في يديك الى مواليهم فانهم لأيتامنا وأراملنا وضعفائنا يردونهم الى أعمالهم واقتل هؤلاء الموالي فانهم قد بدا كفرهم وعظم كبرهم وقل شكرهم فضحك مصعب وقال للاحنف ما ترى يا أبا بحر قال قد أرادني زياد فعصيته يعرض بهم فأمر مصعب بالقوم جميعا فقتلوا وكانوا ستة آلاف فقال عقبة الاسدي

قتلتم ستة الآلاف صبرا * مع العهد الموثق مكتفينا
جعلتم ذمة الحبطي جسرا * ذلولا ظهره للواطئينا
وما كانوا غداة دعوا فغرّوا * بعهدهم بأول خائنينا
وكنت أمرتهم لوطاوعوني * بضرب في الازقة مصلتينا

وقتل المختار فيما قيل وهو ابن سبع وستين سنة لاربع عشرة خلت من شهر رمضان في سنة ٦٧ فلما فرغ مصعب من أمر المختار وأصحابه وصار اليه ابراهيم بن الاشتر وجه المهلب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وآذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة وبعث بابنه حمزة بن عبد الله اليها فاختلف في سبب عزله اياه عنها وكيف كان الامر في ذلك فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به عمر * قال حدثني علي بن محمد قال لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها الى المختار واستخلف على البصرة عبيد الله بن عبيد الله بن معمر فقتل المختار ثم وفد الى عبد الله بن الزبير فعزله وحبسه عنده واعتذر اليه من عزله وقال والله اني لأعلم انك أحرى وأكفى من حمزة ولكني رأيت فيه رأي عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الاشعري وولاه ﴿وحدثني﴾ عمر قال حدثني علي بن محمد قال قدم حمزة البصرة والياً وكان جواداً سخياً مخلطا يجود أحيانا حتى لا يدع شيأ يملكه ويمنع أحيانا ما لا يمنع مثله فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف فيقال انه ركب يوما الى فيض البصرة فلما رآه قال ان هذا الغدير ان رفقوا به ليكفينهم صيفهم فلما كان بعد ذلك ركب اليه فوافقه جازرا فقال قد رأيت هذا ذات يوم وظننت أن لن يكفيهم فقال له الاحنف ان هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا وشخص الى الاهواز فلما رأى جبلها قال هذا قُعَيقعان لموضع بمكة فسمي الجبل قعيقعان وبعث الى مرداناشاه فاستحثه بالخراج فأبطأ به فقام اليه بسيفه فضربه فقتله فقال الاحنف ما أحدّ سيف الامير ﴿حدثني﴾ عمر قال حدثني علي بن محمد قال لما حلّ حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر وهمّ بعبد العزيز بن بشر أن يضربه

كتب الاحنف الى ابن الزبير بذلك وسأله أن يعيد مصعبا قال وحمزة الذى عقد لعبد الله بن عمير الليثى على قتال النجدية بالبحرين ﴿ حدثنى عمر قال حدثنا على بن محمد قال لما عزل ابن الزبير حمزة احتمل مالا كثيرا من مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع فقال لا ندعك تخرج بأعطياتنا فضمن له عبيد الله بن عبيد بن معمر العطاء فكف وشخص حمزة بالمال فترك أباه وأتى المدينة فأودع ذلك المال رجلا فذهبوا به الا يهوديا كان أودعه فوفى له وعلم ابن الزبير بما صنع فقال أبعده الله أردت أن أباهى به بنى مروان فنكص (وأما هشام) ابن محمد فانه ذكر عن أبى مخنف فى أمر مصعب وعزل أخيه اياه عن البصرة ورده اياه اليها غير هذه القصة والذى ذكر من ذلك عنه فى سياق خبر حدث به عنه عن أبى المخارق الراسبى ان مصعبا لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولا عن البصرة عزله عنها عبد الله وبعث ابنه حمزة فمكث بذلك سنة ثم انه وفد على أخيه عبد الله بمكة فرده على البصرة وقيل ان مصعبا لما فرغ من أمر المختار انصرف الى البصرة وولى الكوفة الحارث بن عبد الله ابن أبى ربيعة قال وقال محمد بن عمر لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على الكوفة مصعب وقد ذكرت اختلاف أهل السير فى العامل على البصرة وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة ابن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وبالشأم عبد الملك بن مروان وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمى

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الامور الجليلة﴾

فمن ذلك ما كان من رد عبد الله أخاه مصعبا الى العراق أميرا وقد ذكرنا السبب فى رد عبد الله أخاه مصعبا الى العراق أميرا بعد عزله اياه ولما رده عليها أميرا بعث مصعب الحارث بن أبى ربيعة على الكوفة أميرا وذلك انه بدأ بالبصرة مرجعه الى العراق أميرا بعد العزل فصار اليها ﴿وفى هذه السنة﴾ كان مرجع الازارقة من فارس الى العراق حتى صاروا الى قرب الكوفة ودخلوا المدائن

﴿ذكر الخبر عن أمرهم ومسيرهم ومرجعهم الى العراق﴾

ذكر هشام عن أبى مخنف قال حدثنى أبو المخارق الراسبى ان مصعبا وجه عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس أميرا وكانت الازارقة لحقت بفارس وكرمان ونواحى اصبهان بعد ما أوقع بهم المهلب بالاهواز فلما تشخص المهلب عن ذلك الوجه ووجه الى الموصل ونواحيها عاملا عليها وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارس انحطت الازارقة مع الزبير بن الماحوز على عمر بن عبيد الله بفارس فلقيهم بسابور فقاتلهم قتالا شديدا ثم انه ظفر بهم ظفرا بينا غير انه لم يكن

بينهم

بينهم كثير قتلى وذهبوا كانهم على حامية وقد تركوا على ذلك المعركة (قال أبو مخنف) فحدثنى شيخ للحى بالبصرة قال انى لاسمع قراءة كتاب عمر بن عبيد الله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى أخبر الامير أصلحه الله انى لقيت الازارقة التى مرقت من الدين واتبعت أهواءها بغير هدى من الله فقاتلتهم بالمسلمين ساعة من النهار أشد القتال ثم ان الله ضرب وجوههم وأدبارهم ومنحنا أكتافهم فقتل الله منهم من خاب وخسر وكل الى خسران فكتبت الى الامير كتابى هذا وأنا على ظهر فرسى فى طلب القوم أرجو أن يجدهم الله ان شاء الله والسلام ثم انه تبعهم ومضوا من فورهم ذلك حتى نزلوا اصطخر فسار اليهم حتى لقيهم على قنطرة طمستان فقاتلهم قتالا شديدا وقتل ابنه ثم انه ظفر بهم فقطعوا قنطرة طمستان وارتفعوا الى نحو من اصبهان وكرمان فأقاموا بها حتى اجتبروا وقووا واستعدوا وكثروا ثم انهم أقبلوا حتى مروا بفارس وبها عمر بن عبيد الله بن معمر فقطعوا أرضه من غير الوجه الذى كان فيه أخذوا على سابور ثم خرجوا على أرجان فلما رأى عمر بن عبيد الله أن قد قطعت الخوارج أرضه متوجهة الى البصرة خشى أن لا يحتملها له مصعب بن الزبير فشمر فى آثارهم مسرعا حتى أتى أرجان فوجدهم حين خرجوا منها متوجهين قبل الاهواز وبلغ مصعبا اقبالهم فخرج فعسكر بالناس بالجسر الاكبر وقال والله ما أدرى ما الذى أغنى عنى أن وضعت عمر بن عبيد الله بفارس وجعلت معه جندا أجرى عليهم أرزاقهم فى كل شهر وأوفيهم أعطياتهم فى كل سنة وآمرهم من المعاون فى كل سنة بمثل الاعطيات تقطع أرضه الخوارج الى وقد قطعت علته فأمددته بالرجال وقويتهم والله لو قاتلهم ثم فر كان أعذر له عندى وان كان الفار غير مقبول العذر ولا كريم الفعل وأقبلت الخوارج وعليهم الزبير بن الماحوز حتى نزلوا الاهواز فأتتهم عيونهم ان عمر بن عبيد الله فى أثرهم وان مصعب بن الزبير قد خرج من البصرة اليهم فقام فيهم الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فإن من سوء الرأى والحيرة وقوعكم فيما بين هاتين الشوكتين انهضوا بنا الى عدونا نلقهم من وجه واحد فسار بهم حتى قطع بهم أرض جوخى ثم أخذ على النهروانات ثم لزم شاطئ دجلة حتى خرج على المدائن وبها كردم بن مرند بن نجبة الفزارى فشنوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الولدان والنساء والرجال ويبقرون الحبالى وهرب كردم فأقبلوا الى ساباط فوضعوا أسيافهم فى الناس فقتلوا أم ولد لربيعة بن ناجد وقتلوا بنانة ابنة أبى يزيد ابن عاصم الأزدى وكانت قد قرأت القرآن وكانت من أجمل الناس فلما غشوها بالسيوف قالت ويحكم هل سمعتم بأن الرجال كانوا يقتلون النساء ويحكم تقتلون من لا يبسط اليكم يدا ولا يريد بكم ضرا ولا يملك لنفسه نفعا أتقتلون من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقال بعضهم اقتلوها وقال رجل منهم لو أنكم تركتموها فقال بعضهم أعجبك جمالها يا عدو

الله قد كفرت وافتتنت فانصرف الآخر عنهم وتركهم فظننا انه فارقهم وحملوا عليها فقتلوها فقالت رَيْطة بنت يزيد سبحان الله أترون الله يرضى بما تصنعون تقتلون النساء والصبيان ومن لم يذنب اليكم ذنبا ثم انصرفت وحملوا عليها وبين يديها الرُّواع بنت اياس بن شُريح الهمدانى وهى ابنة أخيها لأمها فحملوا عليها فضربوها على رأسها بالسيف ويصيب ذبابُ السيف رأس الرواع فسقطتا جميعا الى الأرض وقاتلهم اياس بن شريح ساعة ثم صُرع فوقع بين القتلى فنزعوا عنه وهم يرون انهم قد قتلوه وصرع منهم رجل من بكر بن وائل يقال له رزين بن المتوكل * فلما انصرفوا عنهم لم يمت غيرُ بُنانة بنت أبى يزيد وأمّ ولد ربيعة بن ناجذ وأفاق سائرهم فسقى بعضهم بعضا من الماء وعصبوا جراحاتهم ثم استأجروا دوابّ ثم أقبلوا نحو الكوفة (قال أبو مخنف) فحدثنى الرواع ابنة اياس قالت ما رأيت رجلا قطّ كان أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنته فلما غُشينا ألقاها الينا وهرب عنها وعنا ولا رأينا رجلا قطّ كان أكرم من رجل كان معنا ما نعرفه ولا يعرفنا لما غشينا قاتل دوننا حتى صرع بيننا وهو رزين بن المتوكل البكرىّ وكان بعد ذلك يزورنا ويواصلنا ثم انه هلك فى امارة الحجاج فكانت ورثته الاعراب وكان من العباد الصالحين (قال هشام بن محمد) وذكره عن أبى مخنف قال حدثنى أبى عن عمه ان مصعب بن الزبير كان بعث أبا بكر بن مخنف على إستان العال فلما قدم الحارث بن أبى ربيعة أقصاه ثم أقرّه بعد ذلك على عمله السنة الثانية فلما قدمت الخوارج المدائن سرّحوا اليه عصابة منهم عليها صالح بن مخراق فلقيه بالكرخ فقاتله ساعة ثم تنازلوا فنزل أبو بكر ونزلت الخوارج فقتل أبو بكر ويسارٌ مولاه وعبد الرحمن بن أبى جعال ورجل من قومه وانهزم سائر أصحابه فقال سُراقةُ بن مرداس البارقىّ فى بطن من الأزد

ألا يا لقوم للهموم الطوارق * وللحدث الجائى بإحدى الصفائق
ومقتل غطريف كريم نجارُهُ * من المقدمين الذائدين الأصادق
أتانى دوين الخيف قتل ابن مخنف * وقد غوّرت أولى النجوم الخوافق
فقلت تلقاك الإله برحمة * وصلى عليك اللهُ ربُّ المشارق
لحا اللهُ قوما عرّدوا عنك بكرةً * ولم يصبروا واللامعات البوارق
تولوا فأجلوا بالضحى عن زعيمنا * وسيّدنا فى المأزق المتضايق
فأنت منى ما جئتنا فى بُيوتنا * سمعت عويلا من عوان وعاتق
يُبكين محمودا الضريبة ماجدا * صبورا لدى الهيجاء عند الحقائق
فقد أصبحت نفسى لذاك حزينة * وشابت لما حملت منه مفارقى

قال

(قال أبو مخنف) فحدثنى حَدْرة بن عبد الله الأزدىّ والنَّضْر بن صالح العبسىّ وفضيل بن خديج كلهم أخبرنيه ان الحارث بن أبى ربيعة أتاه أهل الكوفة فصاحوا اليه وقالوا له اخرج فان هذا عدوّ لنا قد أظلّ علينا ليست له بقية فخرج وهو يكدّ كدّا حتى نزل النَّخيلة فأقام بها أياما فوثب اليه ابراهيم ابن الأشتر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه سار الينا عدوٌّ ليست له بقية يقتل الرجل والمرأة والمولود ويخيف السبيل ويخرّب البلاد فانهض بنا اليه فأمر بالرحيل فخرج فنزل دير عبد الرحمن فأقام فيه حتى دخل اليه شَبَث بن ربعىّ فكلمه بنحو مما كلمه به ابن الأشتر فارتحل ولم يكدّ فلما رأى الناس بُطْء سيره رجزوا به فقالوا

سار بنا القباعُ سيرًا نُكرًا * يسير يوما ويُقيم شهرًا

فأشخصوه من ذلك المكان فكلما نزل بهم منزلا أقام بهم حتى يضجّ الناسُ به من ذلك ويصيحوا به حول فسطاطه فلم يبلغ الصَّراة الا فى بضعة عشرة يوما فأتى الصراة وقد انتهى اليها طلائعُ العدوّ وأوائل الخيول فلما أتتهم العيونُ بأنه قد أتاهم جماعة أهل المصر قطعوا الجسر بينهم وبين الناس وأخذ الناس يرتجزون

انّ القباعَ سار سيرا مَلسا * بين دَبيرَى ودَبَاها خمسا

(قال أبو مخنف) وحدثنى يونس بن أبى اسحاق عن أبيه ان رجلا من السبيع كان به لمم وكان بقرية يقال لها جَوْبر عند الحرّارة وكان يدعى سماكَ بن يزيد فأتت الخوارج قريتَه فأخذوه وأخذوا ابنته فقدّموا ابنته فقتلوها وزعم لى أبو الربيع السلولى ان اسم ابنته أمّ يزيد وأنها كانت تقول لهم يا أهل الإسلام انّ أبى مصاب فلا تقتلوه وأما انا فانما أنا جارية والله ما أتيت فاحشة قطّ ولا آذيت جارة لى ولا تطلعت ولا تشرفت قط فقدّموها ليقتلوها فأخذت تنادى ماذنبى ماذنبى ثم سقطت مغشيا عليها أو ميتة ثم قطعوها بأسيافهم قال أبو الربيع حدثتنى بهذا الحديث ظئرٌ لها نصرانية من أهل الخَوَرْنق كانت معها حين قُتلت (قال أبو مخنف) حدثنى يونس بن أبى اسحاق عن أبيه ان الأزارقة جاءت بسماك بن يزيد معهم حتى أشرفوا على الصَّراة قال فاستقبل عسكرنا فرأى جماعة الناس وكثرتهم فأخذ ينادينا ويرفع صوته اعبروا اليهم فانهم قليل خبيث فضربوا عند ذلك عنقه وصلبوه ونحن ننظر اليه قال فلما كان الليل عبرت اليه أنا ورجل من الحىّ فأنزلناه فدفناه (قال أبو مخنف) حدثنى أبى ان ابراهيم بن الأشتر قال للحارث بن أبى ربيعة اندب معى الناس حتى أعبر الى هؤلاء الأكلب فأجيئك برؤسهم الساعة فقال شَبَث بن ربعىّ وأسماء بن خارجة ويزيد بن الحارث ومحمد ابن الحارث ومحمد بن عُمير أصلح الله الأمير دعهم فليذهبوا لا تبدأهم قال وكأنهم حسدوا ابراهيم بن الأشتر (قال أبو مخنف) وحدثنى حصيرة بن عبد الله وأبو زُهير العبسىّ ان الأزارقة لما انتهوا الى جسر الصراة فرأوا ان جماعة أهل المصر قد خرجوا اليهم قطعوا

الجسر واغتنم ذلك الحارث فحبّس ثم انه جلس للناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان أوّل القتال الرّميا بالنبل ثم اشراع الرماح ثم الطعن بها ثم رَاثم السلة آخر ذلك كله قال فقام اليه رجل فقال قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة ولكن حتى ما نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبين عدوّنا مُر بهذا الجسر فليُعَدْ كما كان ثم اعبرْ بنا اليهم فان الله سيُريك فيهم ما تحبه فأمر بالجسر فأعيد ثم عبر الناس اليهم فطاروا حتى انتهوا الى المدائن وجاء المسلمون حتى انتهوا الى المدائن وجاءت خيلٌ لهم فطاردت خيلا للمسلمين طرادا ضعيفا عند الجسر ثم إنهم خرجوا منها فأتبعهم الحارثُ بن أبي ربيعة عبدَ الرحمن بن مخنف في ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة فاذا وقعوا في أرض البصرة خلاهم فأتبعهم حتى اذا خرجوا من أرض الكوفة ووقعوا الى اصبهان انصرف عنهم ولم يقاتلهم ولم يكن بينه وبينهم قتال ومضوا حتى نزلوا بعَتّاب بن ورقاء بحَيّ فأقاموا عليه وحاصروه فخرج اليهم فقاتلهم فلم يُطقهم وشدّوا على أصحابه حتى دخلوا المدينة وكانت اصبهان يومئذ طُعمة لاسماعيل بن طلحة بن مصعب بن الزبير فبعث عليها عتّابا فصبر لهم عتاب وأخذ يخرج اليهم في كل أيام فيقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السور بالنبل والنشاب والحجارة وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة بن شريح فكان يخرج مع عتاب وكان شجاعا فكان يحمل عليهم ويقول

كيف ترَوْن يا كلاب النّارِ * شدّ أبي هريرة الهرّارِ
يهركُمْ بالليل والنهار * يا ابنَ أبي الماحوز والأشرارِ
كيف ترى جَيّ على المضمار

فلما طال ذلك على الخوارج من قوله كمن له رجل من الخوارج يظنون انه عَبيدة بن هلال فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع ويقول كما كان يقول اذ حمل عليه عبيدة بن هلال فضربه بالسيف ضربة على حبل عاتقه فصرعه وحمل أصحابه عليه فاحتملوه فأدخلوه وداووه وأخذت الأزارقة بعد ذلك تناديهم يقولون يا أعداء الله ما فعل أبو هريرة الهرّار فينادونهم يا أعداء الله والله ما عليه من بأس ولم يلبث أبو هريرة ان برئ ثم خرج عليهم بعدُ فأخذوا يقولون يا عدوّ الله أما والله لقد رجونا أن تكون قد أزرَنَاك أمُّك فقال لهم يا فُساق ما ذكركم أمي فأخذوا يقولون انه ليغضب لأمه وهو آتيها عاجلا فقال له أصحابه ويحك انما يعنون النار ففطن فقال يا أعداء الله ما أعفّكم بأمكم حين تنتفون منها إنما تلك أمّكم والبها مصيركم ثم ان الخوارج أقامت عليهم أشهرا حتى هلك كُراعهم ونفدت أطعمتهم واشتدّ عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد فدعاهم عتاب بن ورقاء فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فانه قد أصابكم من الجهد ما قد ترون فوالله إن بقي الا أن يموت أحدكم

على فراشه فيجيء أخوه فيدفنه ان استطاع وبالحري أن يضعف عن ذلك ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلي عليه فاتقوا الله فوالله ما أنتم بالقليل الذين تَهُون شوكتهم على عدوهم وإن فيكم لفرسان أهل المصر وانكم لصلاحاء مَن أنتم منه اخرجوا بنا الى هؤلاء القوم وبكم حياذ وقوة قبل أن لا يستطيع رجل منكم أن يمشي الى عدوّه من الجهد وقبل أن لا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءته فقاتل رجل عن نفسه وصبر وصدق فوالله اني لأرجو ان صدقتموهم أن يُظفركم الله بهم وأن يُظهركم عليهم فناداه الناس من كل جانب ووُفقت وأصبت اخرج بنا اليهم فجمع اليه الناس من الليل فأمر لهم بعشاء كثير فعشّى الناس عنده ثم انه خرج بهم حين أصبح على راياتهم فصبّحهم في عسكرهم وهم آمنون من ان يؤتوا في عسكرهم فشدّوا عليهم في جانبه فضاربوهم فأخلوا لهم عن وجه العسكر حتى انتهوا الى الزبير ابن الماحوز فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل وانحازت الأزارقة الى قَطَريّ فبايعوه وجاء عتاب حتى دخل مدينته وقد أصاب من عسكرهم ما شاء وجاء قطريّ في أثره كأنه يريد أن يقاتله فجاء حتى نزل في عسكر الزبير بن الماحوز فتزعم الخوارج ان عينا لقطريّ جاءه فقال سمعت عتابا يقول ان هؤلاء القوم ان ركبوا بنات شمّاج وقادوا بنات صهال ونزلوا اليوم ارضا وغدا أخرى فبالحري أن يبقوا فلما بلغ ذلك قطريّا خرج فذهب وخلاهم (قال أبو مخنف) قال أبو زهير العبسيّ وكان معهم خرجنا الى قطريّ من الغد مُشاة مُصلتين بالسيوف قال فارتحلوا والله فكان آخر العهد بهم قال ثم ذهب قطريّ حتى أتى ناحية كرمان فأقام بها حتى اجتمعت اليه جموع كثيرة وأكل الأرض واجتبى المال وقوي ثم أقبل حتى أخذ في أرض اصبهان ثم انه خرج من شعب ناشط الى ايذج فأقام بأرض الأهواز والحارث بن أبي ربيعة عامل لمصعب بن الزبير على البصرة فكتب الى مصعب يخبره ان الخوارج قد تحدّرت الى الأهواز وانه ليس لهم الا المهلب فبعث الى المهلب وهو على الموصل والجزيرة فأمره بقتال الخوارج والمسير اليهم وبعث الى عماله ابراهيم ابن الأشتر وجاء المهلب حتى قدم البصرة وانتخب الناس وسار بمن أحبّ ثم توجه نحو الخوارج وأقبلوا اليه حتى التقوا بسُولاف فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشدّ قتال رآه الناس لا ينقع بعضهم لبعض من الطعن والضرب ما يصدّ بعضهم عن بعض ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة كان القحط الشديد بالشأم حتى لم يقدروا من شدّته على الغزو ﴿وفيها﴾ عسكر عبد الملك بن مروان ببُطنان حبيب من أرض قنسرين فمُطروا بها فكثر الوحل فسمّوها بطنان الطين وشتا بها عبد الملك ثم انصرف منها الى دمشق ﴿وفيها﴾ قُتل عبيد الله ابن الحرّ

﴿ ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذي جرّ ذلك عليه ﴾

﴿روى﴾ أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن علي بن مجاهد ان عبيد الله بن الحر كان رجلا من خيار قومه صلاحا وفضلا وصلاة واجتهادا فلما قتل عثمان وهاج الهيج بين علي ومعاوية قال اما ان الله ليعلم اني أحب عثمان ولأنصرنه ميتا فخرج الى الشأم فكان مع معاوية وخرج مالك بن مسمع الى معاوية على مثل ذلك الرأى فى العثمانية فأقام عبيد الله عند معاوية وشهد معه صفين ولم يزل معه حتى قتل علي عليه السلام * فلما قتل علي قدم الكوفة فأتى اخوانه ومن قد خف في الفتنة فقال لهم ياهؤلاء ما أرى أحدا ينفعه اعتزاله كنا بالشأم فكان من أمر معاوية كيت وكيت فقال له القوم وكان من أمر علي كيت وكيت فقال ياهؤلاء ان تمكننا الأشياء فاخلعوا عذركم واملكوا أمركم فالوا سنلتقي فكانوا يلتقون على ذلك * فلما مات معاوية هاج ذلك الهيج فى فتنة ابن الزبير قال ما أرى قريشا تنصف أين ابناء الحرائر فأتاه خليع كل قبيلة فكان معه سبعمائة فارس فقالوا مرنا بأمرك * فلما هرب عبيد الله بن زياد ومات يزيد بن معاوية قال عبيد الله بن الحر لفتيانه قد بين الصبح لذى عينين فاذا شئتم فخرج الى المدائن فلم يدع مالا قدم من الجبل للسلطان الا أخذه فأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه ثم قال ان لكم شركاء بالكوفة في هذا المال قد استوجبوه ولكن تعجلوا عطاءكم قابل سلفا ثم كتب لصاحب المال براءة بما قبض من المال ثم جعل يتقصى الكور على مثل ذلك قال قلت فهل كان يتناول أموال الناس والتجار قال لي انك لغير عالم بأبي الأشرس والله ما كان فى الأرض عربي أغير عند حرة ولا أكف عن قبيح وعن شراب منه ولكن انما وضعه عند الناس شعره وهو من أشعر الفتيان فلم يزل على ذلك من الأمر حتى ظهر المختار وبلغه ما يصنع بالسواد فأمر بامرأته أم سلمة الجعفية فحبست وقال والله لأقتلنه أولا قتلن أصحابه * فلما بلغ ذلك عبيد الله بن الحر أقبل فى فتيانه حتى دخل الكوفة ليلا فكسر باب السجن وأخرج امرأته وكل امرأة ورجل كان فيه فبعث اليه المختار من يقاتله فقاتلهم حتى خرج من المصر فقال حين أخرج امرأته من السجن

ألم تعلمي يا أم توبة أنني * أنا الفارس الحامي حقائق مذحج
واني صبحت السجن فى سورة الضحى * بكل فتى حامي الذمار مدجج
فما إن برحن السجن حتى بدا لنا * جبين كقرن الشمس غير مشنج
وخد أسيل عن فتاة حبيبة * إلينا سقاها كل دان مثجج
فما العيش إلا ان أزورك آمنا * كعادتنا من قبل حربي ومخرجي
وما أنت إلا هم النفس والهوى * عليك السلام من خليط مسحج
ومازلت محبوسا لحبسك واجما * وإني بما تلقين من بعده ثج

فبالله هل أبصرت مثلي فارسا * وقد ولجوا في السجن من كل مولج
ومثلي يحامي دون مثلك إنني * أشد إذا ما غمرة لم تفرج
أضاربهم بالسيف عنك لترجعي * الى الأمن والعيش الرفيع المخرفج
اذا ما أحاطوا بي كررت عليهم * كر أبي شبلين فى الخيس مخرج
دعوت الى الشاكري ابن كامل * فولى حثيثا كضه لم يعرج
وإن هتفوا باسمي عطفت عليهم * خيول كرام الضرب أكثرها الوجي
فلا غرو إلا قول سأمي ظعينتي * أما أنت يا ابن الحر بالمتحرج
دع القوم لا تقتلهم وانج سالما * وشمر هداك الله بالخيل فاخرج
وإني لأرجو يا ابنة الخير ان أرى * على خير أحوال المؤمل فارتجي
ألا حبذا قولي لأحمر طيء * ولابن حبيب قد دنا الصبح فادلج
وقولي لهذا بر وقولي لذا ارتحل * وقولي لذا من بعد ذلك اسرجي

وجعل يعبث بعمال المختار وأصحابه ويثب همدان مع المختار فأحرقوا داره وانتهبوا ضيعته بالجبة والبداة فلما بلغه ذلك سار الى ماه الى ضياع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فأنهبها وأنهب ما كان لهمدان بها ثم أقبل الى السواد فلم يدع هالا لهمدانى الا أخذه ففى ذلك يقول

وما ترك الكذاب من جل مالنا * ولا الزرق من همدان غير شريد
أفي الحق أن ينهب ضيامي شاكر * وتأمن عندي ضيعة ابن سعيد
ألم تعلمي يا أم توبة أنني * على حدثان الدهر غير بليد
أشد حيازيمي لكل كريهة * وإني على ما ناب جد جليد
فإن لم أصبح شاكرا بكتيبة * فعالجت بالكفين غل حديدي
هم هدموا داري وقادوا حليلتي * الى سجنهم والمسلمون شهودي
وهم أعجلوها أن تشد خمارها * فيا عجبا هل الزمان مقيدي
فما أنا ابن الحر إن لم أرعهم * بخيل تعادى بالكماة أسود
وما جبنت خيلي ولكن حملتها * على جحفل ذي عدة وعديد

وهي طويلة قال وكان يأتي المدائن فيمر بعمال جوخى فيأخذ ما معهم من الأموال ثم يميل الى الجبل فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار فلما قتل المختار قال الناس لمصعب فى ولايته الثانية إن ابن الحر شاق ابن زياد والمختار ولا نأمنه ان يثب بالسواد كما كان يفعل فحبسه مصعب فقال ابن الحر

من مبلـــغُ الفتيان أنّ أخاهمُ * أتى دونهُ بابٌ شديدٌ وحاجبُهْ
بمنزلة ما كان يرضى بمثلها * اذا قام غنّته كبولٌ تجاوبُهْ
على الساق فوق الكعب أسودُ صامتٌ * شـــديدٌ يُدانى خطوهُ ويُقاربُهْ
وما كان ذامن عظم جرمٍ جنيتهُ * ولكن سعى الساعى بما هوَ كاذبُهْ
وقد كان في الارض العريضة مسلكٌ * وأىُّ امرئٍ ضاقت عليه مذاهبُهْ
وفي الدهر والأيام للمرءِ عـــبرةٌ * وفيما مضى إن ناب يوماً نوائبُهْ

فكلم عبيد الله قوما من مذحج ان يأتوا مصعبا فى أمره وأرسل الى وجوههم فقال ائتوا مصعبا فكلموه فى أمرى في ذاته فإنه حبسنى على غير جرم سعى بى قومٌ كذبة وخوّفوه مالم أكن لأفعله ومالم يكن من شأنى وأرسل الى فتيان من مذحج وقال البسوا السلاح وخذوا عدة القتال فقد أرسلت قوما الى مصعب يكلمونه فى أمرى فأقيموا بالباب فإن خرج القوم وقد شفعهم فلا تعرضوا لأحد وليكن سلاحكم مكفرا بالثياب فجاء قوم من مذحج فدخلوا على مصعب فكلموه فشفعهم فأطلقه وكان ابن الحر قال لاصحابه ان خرجوا ولم يشفعهم فكابروا السجن فإنى أعينكم من داخل فلما خرج ابن الحرّ قال لهم أظهروا السلاح فأظهروه ومضى لم يعرض له أحد فأتى منزله وندم مصعب على اخراجه فأظهر ابن الحر الخلاف وأتاه الناس يهنئونه فقال هذا الامر لا يصلح الا لمثل خلفائكم الماضين وما ترى لهم فينا نداً ولا شبيها فتلقى اليه أزمتنا ونمحضه نصيحتنا فإن كان انما هو من عزّ بزّ فعلام نعقد لهم فى أعناقنا بيعة وليسوا بأشجع منا لقاء ولا أعظم مناغنى وقد عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ومارأينا بعد الأربعة الماضين اماما صالحا ولا وزيرا تقيا كلهم عاص مخالف قوى الدنيا ضعيف الآخرة فعلام تستحل حرمتنا ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند نلقى الأسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا ثم لا يعرف لنا حقنا وفضلنا فقاتلوا عن حريمكم فأى الامرين ما كان فلكم فيه الفضل وانى قد قلبت ظهر المجن وأظهرت لهم العداوة ولا قوة الا بالله وحاربهم فأغار فأرسل اليه مصعب سيف بن هانئ المرادى فقال له إن مصعبا يعطيك خراج بادوريا على ان تبايع وتدخل فى طاعته قال أوليس لى خراج بادوريا وغيرها لستُ قابلا شيأ ولا آمنهم على شئ ولكنى أراك يافتى وسيفٌ يومئذ حدّث حدثا عاقلا فهل لك ان تتبعنى وأموالك فأبى عليه فقال ابن الحرّ حين خرج من الحبس

لا كوفةُ أمى ولا بصرةُ أبى * ولا أنا يثنينى عن الرّحلة الكسلُ

قال أبو الحسن يُروى هذا البيت لسُحَيم بن وثيل الرياحىّ

فلا تحسبنّى ابن الزُّبَير كناعسٍ * اذا حلّ أغفى أو يقال لهُ ارتحلْ

فإن لم أزرك الخيل تردى عوابسا * بقُرسانها لأدعَ بالحازم البطلْ
وإن لم تر الغارات من كلّ جانب * عليك فتندم عاجلا أيها الرَّجُلْ
فلا وضعتْ عندى حصانٌ قناعها * ولا عشتُ إلا بالأمانىّ والعللْ

وهى طويلة فبعث اليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحىّ فى نفر فقاتله فهزمه ابن الحر وضربه ضربة على وجهه فبعث اليه مصعب حُرَيْث بن زيد أو يزيد فبارزه فقتله عبيد الله بن الحر فبعث اليه مصعب الحجاج بن حارثة الخثعمى ومسلم بن عمرو فلقياه بنهر صرصر فقاتلهم فهزمهم فأرسل اليه مصعب قوما يدعونه الى ان يؤمنه ويصله ويوليه أى بلد شاء فلم يقبل وأتى نَرْسى ففرّ دهقانها ظيزجشنس بمال الفَلُّوجة فتبعه ابن الحرّ حتى مر بعين التمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى فتعوذ بهم الدهقان فخرجوا اليه فقاتلوه وكانت خيل بسطام خمسين ومائة فارس فقال يونس بن هاعان الهمدانى من خيوان ودعاه ابن الحر الى المبارزة شرُّ دهر آخره ما كنتُ أحسبنى أعيش حتى يدعونى انسان الى المبارزة فبارزه فضربه ابن الحر ضربة أثخنته ثم اعتنقا فخرّا جميعا عن فرسيهما وأخذ ابن الحر عمامة يونس وكتفه بها ثم ركب ووافاهم الحجاج بن حارثة الخثعمى فحمل عليه الحجاج فأسره أيضا عبيد الله وبارز بسطامُ بن مصقلة المجشر فاضطربا حتى كره كلُّ واحد منهما صاحبه وعلاه بسطام فلما رأى ذلك ابن الحر حمل على بسطام واعتنقه بسطام فسقطا الى الأرض وسقط ابن الحر على صدر بسطام فأسره وأسر يومئذ ناسا كثيرا فكان الرجل يقول أنا صاحبك يوم كذا ويقول الآخر أنا نازل فيكم ويمُتُّ كلُّ واحد منهم بما يرى انه ينفعه فيخلى سبيله وبعث فوارس من أصحابه عليهم دَلْهَمُ المرادى يطلبون الدهقان فأصابوه فأخذوا المال قبل القتال فقال ابن الحرّ

لو أنّ لى مثل جرير أربعهْ * صبحتُ بيت المال حتى أجمعهْ
ولم يهلنى مُصعَبٌ ومن معهْ * نِعْمَ الفتى ذلكمُ ابن مشجعهْ

ثم ان عبيد الله أتى تكريت فهرب عامل المهلب عن تكريت فأقام عبيد الله يجبى الخراج فوجه اليه مصعبٌ الأبرد بن قرة الرياحىّ والجون بن كعب الهمدانى فى ألف وأمدهما المهلب بيزيد بن المغفّل فى خمسمائة فقال رجل من جُعْفىّ لعبيد الله قد أتاك عدد كثير فلا تقاتلهم فقال

يُخوّفنى بالقتل قومى وإنما * أموتُ اذا جاء الكتابُ المؤجَّلُ
لعلّ القنا تدنى بأطرافها الغنى * فنحيا كراما أو نكرّ فنقتل

فقال للمجشر ودفع اليه رايته وقدم معه دَلْهَما المرادىّ فقاتلهم يومين وهو فى ثلاثمائة فجرح جرير بن كريب وقتل عمرو بن جندب الأزدىّ وفرسان كثير من فرسانه

وتحاجزوا عند المساء وخرج عبيد الله من تكريت فقال لأصحابه انى سائر بكم الى عبد الملك بن مروان فتهيأوا وقال انى أخاف ان أفارق الحياة ولم أذعر مصعبا وأصحابه فارجعوا بنا الى الكوفة قال فسار الى كسكر فنفى عاملها وأخذ بيت مالها ثم أتى الكوفة فنزل لحام جرير فبعث اليه مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتله فخرج الى دير الاعور فبعث اليه مصعب حجار بن أبجر فانهزم حجار فشتمه مصعب وردّه وضمّ اليه الجون بن كعب الهمدانى وعمر بن عبيد الله بن معمر فقاتلوه بأجمعهم وكثرت الجراحات فى أصحاب ابن الحرّ وعقرت خيولهم وجرح المجشّر وكان معه لواء ابن الحرّ فدفعه الى أحمر طيّئ فانهزم حجار بن أبجر ثم كرّ فاقتتلوا قتالا شديدا حتى أمسوا فقال ابن الحرّ

لو أنّ لى مثل الفتى المجشّر * ثلاثة بيّتهم لا أمترى
ساعدنى ليلة دير الأعور * بالطعن والضرب وعند المعبر
لطاح فيها عمر بن معمر

وخرج ابن الحر من الكوفة فكتب مصعب الى يزيد بن الحارث بن رؤيم الشيبانى وهو بالمدائن يأمره بقتال ابن الحرّ فقدم ابنه حوشبا فلقيه بباجسرى فهزمه عبيد الله وقتل فيهم وأقبل ابن الحرّ فدخل المدائن فتحصنوا فخرج عبيد الله فوجّه اليه الجون بن كعب الهمدانىّ وبشر بن عبد الله الأسدىّ فنزل الجون حولا ياوقدم بشر الى تامرّا فلقى ابن الحرّ فقتله ابن الحر وهزم أصحابه ثم لقى الجون بن كعب بحولايا فخرج اليه عبد الرحمن بن عبد الله فحمل عليه ابن الحر فطعنه فقتله وهزم أصحابه وتبعهم فخرج اليه بُشير بن عبد الرحمن بن بشير العجلىّ فالتقوا بسورا فاقتتلوا قتالا شديدا فانحاز بشير عنه فرجع الى عمله وقال قد هزمت ابن الحرّ فبلغ قوله مصعبا فقال هذا من الذين يحبّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا وأقام عبيد الله فى السواد يغير ويجبى الخراج فقال ابن الحرّ فى ذلك

سَلوا ابن رُؤيم عن جلادى وموقفى * بإيوان كسرى لا أولّيهم ظهرى
أكرّ عليهم مُعلَمًا وتراهمُ * كمعزًى تحمّى حشية الذئب بالصخر
وبيّتهم فى حصن كسرى بن هرمز * بمشحوذة بيض وخطّية سُمر
فأجديتهم طعنا وضربا تراهمُ * يلوذون منا موهنا بذرى القصر
يلوذون منى رهبة ومخافة * لواذا كما لاذ الحمائم من صقر

ثم ان عبيد الله بن الحرّ فيما ذكر لحق بعبد الملك بن مروان فلما صار اليه وجّهه فى عشرة نفر نحو الكوفة وأمره بالمسير نحوها حتى تلحقه الجنود فسار بهم فلما بلغ الأنبار وجّه الى الكوفة من يُخبر أصحابه بقدومه ويسألهم أن يخرجوا اليه فبلغ ذلك القيسيّة فأتوا الحارث ابن عبد الله بن أبى ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة فسألوه أن يبعث معهم جيشا فوجّه

معهم

معهم فلما لقوا عبيد الله قاتلهم ساعة ثم غرقت فرسه وركب معبرا فوثب عليه رجل من الأنباط فأخذ بعضديه وضربه الباقون بالمرادى وصاحوا إن هذا طلبة أمير المؤمنين فاعتنقا فغرقا فمات استخرجوه فحزّوا رأسه فبعثوا به الى الكوفة ثم الى البصرة ﴿قال أبو جعفر﴾ وقد قيل فى مقتله غير ذلك من القول قيل كان سبب مقتل عبيد الله بن الحرّ انه كان يغشى بالكوفة مصعبا فرآه يقدم عليه أهل البصرة فكتب الى عبد الله بن الزبير فيما ذكر قصيدة يعاتب بها مصعبا ويخوّفه مسيره الى عبد الملك بن مروان يقول فيها

أبلغ أمير المؤمنين رسالة * فلستُ على رأى قبيح أوارُبهْ
أفى الحق أن أجفى ويجعل مُصعبٌ * وزيريه من قد كنت فيه أحاربهْ
فكيف وقد أبليتكم حق بيعتى * وحقى يُلوَّى عندكم وأطالبهْ
وأبليتكم مالا يُضيّع مثله * وآسيتكم والأمر صعب مراتبهْ
فلما استنار الملكُ وانقادت العدى * وأدرك من مال العراق رغائبهْ
جفا مصعبٌ عنّى ولو كان غيره * لأصبح فيما بيننا لا أعاتبهْ
لقد رابنى من مصعب أنّ مصعبا * أرى كلّ ذى غشّ لنا هو صاحبه
وما أنا إن حالأتمونى بوارد * على كدر قد حصّ بالصفو شاربهْ
وما لامرئ الا الذى الله سائقٌ * إليه وما قد حطّ فى الزبر كاتبهْ
اذا قمتُ عند الباب أدخل مُسلمٌ * ويمنعنى أن أدخل الباب حاجبهْ

وهى طويلة وقال لمصعب وهو فى حبسه وكان قد حُبس معه عطية بن عمرو البكرىّ فخرج عطية فقال عبيد الله

أقول له صبرا عطيّ فانما * هو السجن حتى يجعل الله مخرجا
أرى الدهر لى يومين يوما مطرّدا * شريدا ويوما فى الملوك متوّجا
أتطعن فى دينى غداة أتيتكم * وللدين تدنى الباهلىّ وحشرجا
ألم تر أنّ الملك قد شين وجهه * ونبّع بلاد الله قد صار عوسجا

وهى طويلة وقال أيضا يعاتب مصعبا فى ذلك ويذكر له تقريبه سويد بن منجوف وكان سويد خفيف اللحية

بأىّ بلاء أم بأىّ نعمة * تقدّم قبلى مُسلمٌ والمهلبُ
ويُدعى ابن منجوف أمامى كأنه * حصىّ أتى للماء والعير يسرب
وشيخ تميم كالثغامة رأسه * وعيلان عنا خائف متقرّبُ
جعلتُ قصور الازد ما بين منبج * الى الغاف من وادى عمان تصوّب

بلادنفى عنها العدوّ سيوفنا * وصفرةُ عنها نازحُ الدار أجنبُ

وقال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان يقول فيها

أنا ابنُ بني قيس فإنْ كنتَ سائلاً * بقيس نجدْهم ذروةً في القبائلِ
ألم ترقيساً قيس عيلان برقعت * لحاها وباعت نبلها بالمغازلِ
وما زلتُ أرجو الأزدَ حتى رأيتها * تُقصّرُ عن بُنيانها المتطاول

فكتب زفر بن الحارث الى مصعب قد كفيتُك فقال ابن الزرقاء وابنُ الحرّية هجو قيسا ثم ان نفرا من بني سُليم أخذوا ابن الحر فأسروه فقال انى انما قلت

ألم ترقيساً قيس عيلان أقبلت * إلينا وسارت بالقنا والقنابل

فقتله رجل منهم يقال له عياش فقال زُفر بن الحارث

لما رأيتُ الناسَ أولادَ علة * وأغرقَ فينا نزْغةً كلُّ قائلِ
تكلم عنّا مُشْبِنا بسُيوفنا * الى الموت واستنشاط حبل المراكل
فلو يسألُ ابنُ الحرّ أخبرَ أنها * يمانيةٌ لا تُشترى بالمغازل
وأخبرَ أنادَاتُ علمٍ سُيوفُنا * بأعناقِ مابين الطُّلى والكواهلِ

وقال عبد الله بن همام

ترَحّمْتَ يا ابنَ الحرّ وحدكَ حاليًا * بقولِ امرئٍ نَشوان أوقولِ ساقطِ
أتذكرُ قوما أوجعتْك رماحُهُمْ * وذُبّوا عن الأحساب عند المآقطِ
وتبكي لما لاقت ربيعةُ منهمُ * وما أنتَ في أحساب بكرٍ بواسط
فهلاّ بجُعفيّ طلبْتَ ذُحولها * ورهطكَ دنيًا في السنين الفوارط
تركنا هُمُ يومَ الثريّ أذلةً * يلوذون من أسيافنا بالعَرافط
وخالطكم يومَ النخيل بجمعه * عميرٌ فاستبشرتمُ بالمخالطِ
ويومَ شراحيل جدّعنا أنوفكم * وليس علينا يوم ذاكَ بقاسط
ضربنا بحدّ السيف مفرقَ رأسه * وكان حديثًا عهدُهُ بالمواشط
فإن رَغمت من ذاكَ آنفُ مذحج * فرغمًا وسُخطًا للأنوف السواخط

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وافت عرفات أربعةُ ألوية قال محمد بن عمر حدّثني شرحبيل بن أبي عَون عن أبيه قال وقفت في سنة ٦٨ بعرفات أربعة ألوية ابن الحنفية في أصحابه في لواء قام عند جبل المشاة وابن الزبير في لواء فقام مقام الإمام اليوم ثم تقدّم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير ونجدةُ الحروريّ خلفهما ولواء بني أمية عن يسارهما فكان أوّل لواء انفضّ لواء محمد بن الحنفية ثم تبعه نجدةُ ثم لواء بني أمية ثم لواء ابن

الزبير واتبعه الناس قال محمد حدّثني ابن نافع عن أبيه قال كان ابن عمر لم يدفع تلك العشيّة الا بدفعة ابن الزبير فلما أبطأ ابن الزبير وقد مضى ابن الحنفية ونجدة وبنو أمية قال ابن عمر ينتظر ابنُ الزبير أمر الجاهلية ثم دفع فدفع ابن الزبير على أثره قال محمد حدّثني هشام بن عُمارة عن سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه قال خفت الفتنة فشيت اليهم جميعا فجئتُ محمد بن عليّ في الشِعب فقلت يا أبا القاسم اتق الله فإنّا في مشعر حرام وبلد حرام والناس وفدُ الله الى هذا البيت فلا تفسد عليهم حجهم فقال والله ما أريد ذلك وما أحول بين أحد وبين هذا البيت ولا يُؤتى أحد من الحاج من قِبلي ولكني رجلٌ أدفع عن نفسي من ابن الزبير وما يروم مني وما أطلب هذا الأمر الا ان لا يختلف عليّ فيه اثنان ولكن ائت ابن الزبير فكلمه وعليك بنجدة قال محمد فجئت ابن الزبير فكلمته بنحو ما كلمت به ابن الحنفية فقال أنا رجل قد اجتمع عليّ الناس وبايعوني وهؤلاء أهل خلاف فقلت أرى خيرَ الك الكف قال أفعل ثم جئت نجدة الحروريّ فأجده في أصحابه وأجد عكرمة غلام ابن عباس عنده فقلت له استأذن لي على صاحبك قال فدخل فلم ينشب ان أذن لي فدخلت فعظمت عليه وكلمته كما كلمت الرجلين فقال أما ان أبتدئ أحدا بقتال فلا ولكن من بدأ بقتال قاتلته قلت فانى رأيت الرجلين لا يريدان قتالك ثم جئت شيعة بني أمية فكلمتهم بنحو ما كلمت به القوم فقالوا نحن على أن لا نقابل أحدا الا أن يقاتلنا فلم أر في تلك الألوية قوما أسكن ولا أسلم دفعة من ابن الحنفية ﴿قال أبو جعفر﴾ وكان العامل لابن الزبير في هذه السنة على المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهريّ وعلى البصرة والكوفة أخوه مصعب وعلى قضاء البصرة هشام ابن هبيرة وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عقبة بن مسعود وعلى خراسان عبد الله بن خازم السلميّ وبالشأم عبد الملك بن مروان

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين ﴾

﴿ففيها﴾ كان خروج عبد الملك بن مروان فيما زعم الواقديّ الى عين وردة واستخلف عمرو ابن سعيد بن العاص على دمشق فتحصّن بها فبلغ ذلك عبد الملك فرجع الى دمشق فحاصره قال ويقال خرج معه فلما كان ببُطنان حبيب رجع الى دمشق فتحصن فيها ورجع عبد الملك الى دمشق وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه ان عبد الملك ابن مروان لما رجع من بطنان حبيب الى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله ثم سار يريد قَرقيسياء وفيها زفر بن الحارث الكلابيّ ومعه عمرو بن سعيد حتى اذا كان ببُطنان حبيب فتك عمرو بن سعيد فرجع ليلا ومعه حميد بن حُريث بن بحدل الكلبيّ وزهير بن الأبرد الكلابيّ حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أمّ الحكم الثقفيّ فدا استخلفه عبد الملك فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب وترك عمله ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها وقال

غيرهما كانت هذه القصة في سنة ٧٠ وقال كان مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مصعب بن الزبير فقال له عمرو بن سعيد بن العاص انك تخرج الى العراق وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده وعلى ذلك جاهدت معه وقد كان من بلائي معه مالم يخف عليك فاجعل لي هذا الأمر من بعدك فلم يجبه عبد الملك الى شيء فانصرف عنه عمرو راجعا الى دمشق فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى الى دمشق ﴿رجع الحديث﴾ الى حديث هشام عن عوانة قال ولما غلب عمر وعلى دمشق طلب عبد الرحمن بن أم الحكم فلم يصبه فأمر بداره فهدمت واجتمع الناس وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر الا زعم ان له جنة وناراً يدخل الجنة من أطاعه والنار من عصاه وانى أخبركم ان الجنة والنار بيد الله وانه ليس الى من ذلك شيء غير أن لكم علي حسن المؤاساة والعطية ونزل وأصبح عبد الملك فقد عمرو بن سعيد فسأل عنه فأخبر خبره فرجع عبد الملك الى دمشق فاذا عمرو قد جلل دمشق المسوح فقاتله بها أياما وكان عمرو بن سعيد اذا أخرج حميد بن حريث الكلبي على الخيل أخرج اليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي واذا أخرج عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبي أخرج اليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل الكلبي (قال هشام) حدثني عوانة ان الخيلين تواقفتا ذات يوم وكان مع عمرو بن سعيد رجل من كلب يقال له رجاء بن سراج فقال رجاء ياعبد الرحمن بن سليم ابرز وكان عبد الرحمن مع عبد الملك فقال عبد الرحمن قد أنصف القارة من راماها وبرز له فاطعنا وانقطع ركاب عبد الرحمن فنجا منه ابن سراج فقال عبد الرحمن والله لولا انقطاع الركاب لرميت بما في بطنك من تين وما اصطلح عمرو وعبد الملك أبدا فلما طال قتالهم جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفيان بن الأبرد ولابن بحدل الكلبي علام تقتلون أنفسكم لسلطان قريش فخلف كل واحد منهما أن لا يرجع حتى يرجع صاحبه فلما أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سفيان أكبر من حريث فطلبوا الى حريث فرجع ثم إن عبد الملك وعمرا اصطلحا وكتبا بينهما كتابا وآمنه عبد الملك وذلك عشية الخميس * قال هشام فحدثني عوانة ان عمرو بن سعيد خرج في الخيل متقلدا قوسا سوداء فأقبل حتى أوطأ فرسه اطناب سرادق عبد الملك فانقطعت الأطناب وسقط السرادق ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مغضب فقال لعمرو يا أبا أمية كأنك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس قال لا ولكني أتشبه بمن هو خير منهم العاص بن أمية ثم قام مغضبا والخيل معه حتى دخل دمشق ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فبعث الى عمرو أن أعط الناس أرزاقهم فأرسل اليه عمرو ان هذا ليس لك ببلد فاشخص عنه فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث الى عمرو أن ائتني وهو عند امرأته الكلبية وقد كان عبد

الملك

الملك دعا كريب بن أبرهة بن الصباح الحميري فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد فقال له في هذا هلكت حمير لا أرى لك ذلك لا ناقتي في ذا ولا جملي فلما أتى رسول عبد الملك عمرا يدعوه صادف الرسول عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو فقال عبد الله لعمرو بن سعيد يا أبا أمية والله لأنت أحب الي من سمعي وبصري وقد أرى هذا الرجل قد بعث اليك ان تأتيه وأنا أرى لك أن لا تفعل فقال له عمرو ولم قال لأن تبيع ابن امرأة كعب الأحبار قال ان عظيما من عظماء ولد اسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث أن يقتل فقال له عمرو والله لو كنت نائما ما تخوفت أن ينبهني ابن الزرقاء ولا كان ليجترئ على ذلك مني معان عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه وكان عبد الله بن يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد فقال عمرو للرسول أبلغه السلام وقل له أنا رائح اليك العشية ان شاء الله فلما كان العشي لبس عمرو درعا حصينة بين قباء قوهي وقميص قوهي وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبية وحميد بن حريث بن بحدل الكلبي فلما نهض متوجها عثر بالبساط فقال له حميد أما والله لئن أطعتني لم تأته وقالت له امرأته تلك المقالة فلم يلتفت الى قولهم ومضى في مائة رجل من مواليه وقد بعث عبد الملك الى بني مروان فاجتمعوا عنده فلما بلغ عبد الملك انه بالباب أمر أن يحبس من كان معه وأذن له فدخل ولم تزل أصحابه يحبسون عنه كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار وما معه الا وصيف له فرمى عمرو ببصره نحو عبد الملك فإذا حوله بنو مروان وفيهم حسان بن مالك بن بحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي فلما رأى جماعتهم أحس بالشر فالتفت الى وصيفه فقال انطلق ويحك الى يحيى بن سعيد فقل له يأتيني فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له لبيك فقال له اغرب عني في حرق الله وناره وقال عبد الملك لحسان وقبيصة اذا شئتما فقوما فالتقيا وعمرا في الدار فقال عبد الملك لهما كالمازح ليطمئن عمرو بن سعيد أيكما أطول فقال حسان قبيصة يا أمير المؤمنين أطول مني بالإمرة وكان قبيصة على الخاتم ثم التفت عمرو الى وصيفه فقال انطلق الى يحيى فمره ان يأتيني فقال له لبيك ولم يفهم عنه فقال له عمرو اغرب عني فلما خرج حسان وقبيصة أمر بالابواب فغلقت ودخل عمرو فرحب به عبد الملك وقال ههنا يا أبا أمية يرحمك الله فأجلسه معه على السرير وجعل يحدثه طويلا ثم قال يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو وانا لله يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك أو تطمع أن تجلس معي متقلدا سيفك فأخذ السيف عنه ثم تحدثا ما شاء الله ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية قال لبيك يا أمير المؤمنين فقال انك حيث خلعتني آليت بيمين ان أنا ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة فقال له بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين قال ثم أطلقه وما عسيت أن أصنع بأبي أمية فقال بنو مروان أبر قسم أمير المؤمنين فقال عمرو قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين فأخرج من تحت فراشه

جامعة فطرحها اليه ثم قال ياغلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو أذكرك الله ياأمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤس الناس فقال عبد الملك أمكر ياأبا أمية عند الموت لا ها الله اذا ما كنا لنخرجك فى جامعة على رؤس الناس ولما نخرجها منك الا صعدا ثم اجتبذه اجتباذة أصاب فيه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو أذكرك الله ياأمير المؤمنين أن يدعوك الى كسر عظم منى أن تركب ماهو أعظم من ذلك فقال له عبد الملك والله لو أعلم انك تبقى على إن أبقى عليك وتصلح قريش لأطلقتك ولكن ما اجتمع رجلان قط فى بلدة على مثل ما نحن عليه الا أخرج أحدهما صاحبه فلما رأى عمرو ان ثنيته قد اندقت وعرف الذى يريد عبد الملك قال أغدرا يا ابن الزرقاء وقيل ان عبد الملك لما جذب عمرا فسقطت ثنيته جعل عمرو يمسها فقال عبد الملك له أرى ثنيتك قد وقعت منك موقعا لا تطيب نفسك لى بعدها فأمر به فضرب عنقه ﴿رجع الحديث الى حديث عوانة﴾ وأذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلى بالناس وأمر عبد العزيز بن مروان أن يقتله فقام اليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو أذكرك الله والرحم ان تلى أنت قتلى وليتول ذلك من هو أبعد رحما منك فألقى عبد العزيز السيف وجلس وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الابواب ورأى الناس عبد الملك حيث خرج وليس عمرو معه فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فأقبل فى الناس حتى حل بباب عبد الملك ومعه ألف عبد لعمرو وأناس بعد من أصحابه كثير فجعل من كان معه يصيحون أسمعنا صوتك ياأبا أمية وأقبل مع يحيى بن سعيد حميد بن حريث وزهير بن الابرد فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف وضرب عبد لعمرو بن سعيد يقال له مصقلة الوليد بن عبد الملك ضربة على رأسه واحتمله ابراهيم بن عربى صاحب الديوان فأدخله بيت القراطيس ودخل عبد الملك حين صل فوجد عمرا حيا فقال لعبد العزيز ما منعك من أن تقتله قال منعنى انه ناشدنى الله والرحم فرققت له فقال له عبد الملك أخزى الله أمك البوالة على عقبيها فانك لم تشبه غيرها وأم عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية وكانت أم عبد العزيز ليلى وذلك قول ابن الرقيات

ذاك ابن ليلى عبد العزيز بيا * ب اليون تغدو جفانه رذما

ثم ان عبد الملك قال ياغلام ائتنى بالحربة فأتاه بالحربة فهزها ثم طعنه بها فلم تجز ثم ثنى فلم تجز فضرب بيده الى عضد عمرو فوجد مس الضرع فضحك ثم قال ودارع أيضا ياأبا أمية ان كنت لمعدا ياغلام ائتنى بالصمصامة فأتاه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول

ياعمرو إن لا تدع شتمى ومنقصتى * أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

وانتفض عبد الملك رعدة وكذلك الرجل زعموا يصيبه اذا قتل ذا قرابة له فحمل عبد الملك عن صدره فوضع على سريره فقال ما رأيت مثل هذا قط قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة ودخل يحيى بن سعيد ومن معه على بنى مروان الدار فجرحوهم ومن كان معهم من مواليهم فقاتلوا يحيى وأصحابه وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفى فدفع اليه الرأس فألقاه الى الناس وقام عبد العزيز بن مروان فأخذ المال فى البدور فجعل يلقيها الى الناس فلما نظر الناس الى الاموال ورأوا الرأس انتهبوا الاموال وتفرقوا وقد قيل ان عبد الملك بن مروان لما خرج الى الصلاة أمر غلامه أبا الزعيزعة بقتل عمرو فقتله وألقى رأسه الى الناس والى أصحابه (قال هشام) قال عوانة فحدثت ان عبد الملك أمر بتلك الاموال التى طرحت الى الناس فجبيت حتى عادت كلها الى بيت المال ورمى يحيى بن سعيد يومئذ فى رأسه بصخرة وأمر عبد الملك بسريره فأبرز الى المسجد وخرج فجلس عليه وفقد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول ويحكم أين الوليد وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم فأتاه ابراهيم بن عربى الكنانى فقال هذا الوليد عندى قد أصابته جراحة وليس عليه بأس فأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد فأمر به أن يقتل فقام اليه عبد العزيز فقال جعلنى الله فداك ياأمير المؤمنين أتراك قاتلا بنى أمية فى يوم واحد فأمر بيحيى فحبس ثم أتى بعنبسة بن سعيد فأمر به أن يقتل فقام اليه عبد العزيز فقال أذكرك الله ياأمير المؤمنين فى استئصال بنى أمية وهلاكها فأمر بعنبسة فحبس ثم أتى بعامر بن الاسود الكلبى فضرب رأسه عبد الملك بقضيب خيزران كان معه ثم قال أتقاتلنى مع عمرو وتكون معه على قال نعم لأن عمرا أكرمنى وأهنتنى وأدنانى وأقصيتنى وقربنى وأبعدتنى وأحسن الى وأسأت الى فكنت معه عليك فأمر به عبد الملك أن يقتل فقام عبد العزيز فقال أذكرك الله ياأمير المؤمنين فى خالى فوهبه له وأمر بابنى سعيد فحبسوا ومكث يحيى فى الحبس شهرا أو أكثر ثم ان عبد الملك صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم استشار الناس فى قتله فقام بعض خطباء الناس فقال ياأمير المؤمنين هل تلد الحية الا حية ترى والله أن تقتله فانه منافق عدو ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزارى فقال ياأمير المؤمنين ان يحيى ابن عمك وقرابته ماقد علمت وقد صنعوا ما صنعوا وصنعت بهم ماقد صنعت ولست لهم بآمن ولا أرى لك قتلهم ولكن سيرهم الى عدوك فان هم قتلوا كنت قد كفيت أمرهم بيد غيرك وان هم سلموا ورجعوا رأيت فيهم رأيك فأخذ برأيه وأخرج آل سعيد فألحقهم بمصعب بن الزبير فلما قدموا عليه دخل عليه يحيى بن سعيد فقال له ابن الزبير انفلت وانحص الذنب فقال والله ان الذنب لبهلبه ثم ان عبد الملك بعث الى امرأة عمرو الكلبية ابعثى الى بالصلح الذى كنت كتبته لعمرو فقالت لرسوله ارجع اليه فأعلمه انى قد لففت ذلك الصلح معه فى أ فانه ليخاصمك به عند ربه وكان عمرو بن سعيد وعبد الملك يلتقيان فى النسب

الى أمية وكانت أم عمرو أم البنين ابنة الحكم بن أبى العاص عمّة عبد الملك (قال هشام) فحدثنا عوانة ان الذى كان بين عبد الملك وعمرو كان شرّا قديما وكان ابنا سعيد أمّهما أم البنين وكان عبد الملك ومعاوية ابنى مروان فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أمّ مروان بن الحكم الكنانيّة يتحدثون عندها فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود وكانت أم مروان اذا أتوها هيّأت لهم طعاما ثم تأتيهم به فتضع بين يدى كل رجل صحفة على حدة وكانت لا تزال تؤرّش بين معاوية بن مروان ومحمد بن سعيد وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد فيقتتلون ويتصارمون الحين لا يكلم بعضهم بعضا وكانت تقول ان لم يكن عند هذين عقل فعند هذين فكان ذلك دأبها كلما أتوها حتى أثبتت الشحناء فى صدورهم * وذكر ان عبد الله بن يزيد القسرى أبا خالد كان مع يحيى بن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة فقاتل بنى مروان فلما قتل عمرو وأخرج رأسه الى الناس ركب عبد الله وأخوه خالد فلحقوا بالعراق فأقام مع ولد سعيد وهم مع مصعب حتى اجتمعت الجماعة على عبد الملك وقد كانت عين عبد الله بن يزيد فقئت يوم المرج وكان مع ابن الزبير يقاتل بنى أمية وأنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة فقال كيف أنتم آل يزيد فقال عبد الله حُرباء حُرباء فقال عبد الملك ذلك بما قدّمت أيديكم وما الله بظلّام للعبيد (قال هشام) عن عوانة ان ولد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة أميّة وسعيد واسماعيل ومحمد فلما نظر اليهم عبد الملك قال لهم انكم أهل بيت لم تزالوا تزون لكم على جميع قومكم فضلا لم يجعله الله لكم وان الذى كان بينى وبين أبيكم لم يكن حديثا بل كان قديما فى انفس أوّليكم على أوّلينا فى الجاهليّة فأقطع بأميّة بن عمرو وكان اكبرهم فلم يقدر أن يتكلم وكان أنبلهم وأعقلهم فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال يا أمير المؤمنين ما تنعى علينا أمرا كان فى الجاهلية وقد جاء الله بالاسلام فهدم ذلك فوعد جنة وحذّر نارا وأما الذى كان بينك وبين عمرو فان عمرا ابن عمك وأنت اعلم وما صنعت وقد وصل عمرو الى الله وكفى بالله حسيبا ولعمرى لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من ظهرها فرق لهم عبد الملك رقة شديدة وقال ان اباكم خيّرنى بين أن يقتلنى أو أقتله فاخترت قتله على قتلى وأما أنتم فما أرغبنى فيكم وأوصلنى لقرابتكم وأرعانى لحقكم فأحسن جائزتهم ووصلهم وقربهم * وذكر ان خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته فقتلته فقال عبد الملك

دانيته منى ليسكن روعه * فأصول صولة حازم مستمكن
غضبا وحمية لدينى انه * ليس المسىء سبيله كالمحسن

قال عوانة لقى رجل سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة فقال له ورب هذه البنية ما كان فى القوم

مثل

مثل أبيك ولكنه نازع القوم ما فى أيديهم فعطب * وكان الواقدى يقول انما كان فى سنة ٦٩ بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الحصار وذلك أن عمرو بن سعيد تحصّن بدمشق فرجع عبد الملك اليه من بُطنان حبيب فحاصره فيها واما قتله اياه فانه كان فى سنة ٧٠

﴿وفى هذه السنة﴾ حكم محكّم من الخوارج بالخيف من منى فقتل عند الجمرة ذكر محمد بن عمران يحيى بن سعيد بن دينار حدثه عن أبيه قال رأيته عند الجمرة سلّ سيفه وكانوا جماعة فأمسك الله بأيديهم وبدرهم من بينهم فحكم فمال الناس عليه فقتلوه * وأقام الحج للناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله فيها على المصرين الكوفة والبصرة أخوه مصعب بن الزبير وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم

﴿ثم دخلت سنة سبعين﴾

ففى هذه السنة ثارت الروم واستجاشوا على من بالشأم من المسلمين فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدى اليه فى كل جمعة ألف دينار خوفا منه على المسلمين ﴿وفيها﴾ شخص فيما ذكر محمد بن عمر مصعب بن الزبير الى مكة فقسمها بأموال عظيمة قسمها فى قومه وغيرهم وقدم بدوابّ كثيرة وظهر وأثقال فارسل الى عبد الله بن صفوان وجبير بن شيبة وعبد الله بن مطيع مالا كثيرا ونحر بُدنا كثيرة ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عُمّاله على الأمصار فى هذه السنة عماله فى السنة التى قبلها على المعاون والقضاء

﴿ثم دخلت سنة احدى وسبعين﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك مسير عبد الملك بن مروان فيها الى العراق لحرب مصعب بن الزبير وكان عبد الملك فيما قيل لا يزال يقرب من مصعب حتى يبلغ بُطنان حبيب ويخرج مصعب الى باجُميرا ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما الى موضعه ثم يعودان فقال عدى بن زيد بن عدى بن الرقاع العاملىّ

لعمرى لقد أصحرت خيلنا * بأكناف دُجلة للمصعب
اذا ما نُنافق أهل العرا * ق عوتب ثمّت لم يُعتب
دلفنا إليه بذى تدرإ * قليل التفقّد للغيّب
يهزّون كلّ طويل القنا * ة مُلتئم النصل والثعلب
كأنّ وعاهُمْ اذا ما غدَوْا * ضبيج قطا بلد مُخصب
فقدّمنا واضحٌ وجهُهُ * كريم الضرائب والمنتصب

أعـــينَ بنا ونُصرنا به * ومن ينصُرِ اللهُ لم يُغلَبِ

حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال أقبل عبد الملك من الشأم يريد مصعبا وذلك قبل هذه السنة في سنة ٧٠ ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال خالد لعبد الملك إن وجهتني الى البصرة وأتبعتني خيلا يسيرة رجوتُ ان أغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفيا في مواليه وخاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع الباهليّ قال عمر قال أبو الحسن قال مسلمة بن محارب أجار عمرو بن أصمع خالدا وأرسل الى عباد ابن الحصين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب اذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر ورجا عمرو بن أصمع ان يبايعه عبادُ بن الحصين بأني قد أجرتُ خالدا فأحببت ان تعلم ذلك لتكون لي ظهرا فوافاه رسوله حين نزل عن فرسه فقال له عباد قل له والله لا أضع لبدَ فرسي حتى آتيك في الخيل فقال عمر ولخالد اني لا أغرّك هذا عباد يأتينا الساعة ولا والله ما أقدر على منعك ولكن عليك بمالك بن مسمع قال أبو زيد قال أبو الحسن ويقال انه نزل على عليّ بن أصمع فبلغ ذلك عبادا فأرسل اليه عباد اني سائر اليك

حدثني عمر قال حدثني علي بن محمد عن مسلمة وعوانة ان خالدا خرج من عند ابن أصمع يركض عليه قميص قوهيّ رقيق قد حسر عن فخذيه وأخرج رجليه من الركابين حتى أتى مالكا فقال اني قد اضطررتُ اليك فأجرني قال نعم وخرج هو وابنه وأرسل الى بكر ابن وائل والأزد فكانت أول راية أتته راية بني يشكُر وأقبل عباد في الخيل فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان من الغد غدوا الى جفرة نافع بن الحارث التي نسبت بعدُ الى خالد ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوه منهم صعصعة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومرة بن محكان في عدد منهم وكان أصحاب خالد جفريّة ينسبون الى الجُفرة وأصحاب ابن معمر زُبَيريّة فكان من الجفريّة عبيد الله بن أبي بكرة وحُمران والمغيرة بن المهلب ومن الزبيريّة قيس بن الهيثم السلميّ وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه فتقاضاه رجل اجرةً فقال غدا أعطيكها فقال غطفان بن أنيف أحد بني كعب بن عمرو

لبئس ما حكمتَ ياجلاجلُ * النقدُ دَينٌ والطعانُ عاجلُ
وأنتَ بالباب سميرٌ آجلُ

وكان قيس يعلم في عنق فرسه جلاجل وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن بَرة القحيفي وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كلّ يوم فيعطيهم عشرة عشرة فقيل له

لبئس ما حكمت يا ابنَ بَرَهْ * تُعطي ثلاثينَ وتُعطى عشَرَهْ

ووجه المصعب زُحر بن قيس الجعفيّ مددا لابن معمر في ألف ووجه عبدُ الملك عبيد الله ابن زياد بن ظبيان مددا لخالد فكره ان يدخل البصرة وأرسل مطر بن التوأم فرجع اليه

فأخبره

فأخبره بتفرُّق الناس فلحق بعبد الملك * قال أبو زيد قال أبو الحسن فحدثني شيخ من بني عمرو عن السَّكن بن قتادة قال اقتتلوا أربعة وعشرين يوما وأصيبت عين مالك فضجر من الحرب ومشت السفراء بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص فصالحه على ان يخرج خالدا وهو آمن فأخرج خالدا من البصرة وخاف ان لا يجيز المصعبُ أمانَ عبيد الله فلحق مالك بتأج فقال الفرزدق يذكر مالكا ولحوق التميمية به وبخالد

عجبتُ لأقوامٍ تميمٌ أبوهمُ * وهمُ في بني سعدٍ عظامُ المبارِكِ
وكانوا أعزّ الناس قبل مسيرِهمْ * الى الأزد مُصفرًّا لحاها ومالكِ
فما ظنكم بابن الحواريّ مُصعَبٍ * إذا افترَّ عن أنيابه غيرَ ضاحكِ
ونحنُ نفينا مالكا عن بلادِه * ونحنُ فقأنا عينَهُ بالنَّيازِكِ

قال أبو زيد قال أبو الحسن حدثني مسلمة ان المصعب لما انصرف عبد الملك الى دمشق لم يكن له همة الا البصرة وطمع ان يدرك بها خالدا فوجده قد خرج وآمن ابن معمر الناس فأقام أكثرهم وخاف بعضهم مصعبا فشخص فغضب مصعب على ابن معمر وحلف ان لا يوليه وأرسل الى الجفريّة فسبهم وأنبهم قال أبو زيد فزعم المدائني وغيره من رواة أهل البصرة انه أرسل اليهم فأتى بهم فأقبل على عبيد الله بن أبي بكرة فقال يا ابن مسروح انما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كل كلب بما يشبهه وإنما كان أبوك عبدا نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم أقمتم البينة تدعون ان أبا سفيان زنا بأمكم أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم ثم دعا بحمران فقال يا ابن اليهودية انما أنت علج نبطي سبيت من عين التمر ثم قال للحكم بن المنذر بن الجارود يا ابن الخبيث أتدري من أنت ومن الجارود انما كان الجارود علجا بجزيرة ابن كاوَان فارسيا فقطع الى ساحل البحر فانتمى الى عبد القيس ولا والله ما أعرف حيا أكثر اشتمالا على سوءة منهم ثم انكح أخته المكعبر الفارسيّ فلم يصب شرفا قط أعظم منه فهؤلاء ولدها يا ابن قباذ ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهرانيّ فقال ألستَ من أهل هجر ثم من أهل سابا ما والله لأردّنّك الى نسبك ثم أتى بعليّ بن أصمع فقال أعبدٌ لبني تميم مرةً وعزًى من باهلةَ مرةً ثم أتى بعبد العزيز بن بشر ابن حناط فقال يا ابن المشتور ألم يسرق عمُّك عنزا في عهد عمر فأمر به فسير ليقطعه أما والله ما أعنت الا من ينكح أختك وكانت أخته تحت مقاتل بن مسمع ثم أتى بأبي حاضر الأسدي فقال يا ابن الإصطخرية ما أنت والأشراف وإنما أنت من أهل قطر دعيّ في بني أسد ليس لك فيهم قريب ولا نسيب ثم أتى بزياد بن عمرو فقال يا ابن الكرماني انما أنت علج من أهل كرمان قطعت الى فارس فصرت ملاحا مالك وللحرب لا أنت بحر القلس أحذق ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال أعليَّ تكثر وأنت علج من أهل هجر لحق أبوك بالطائف

وهم يضمون من تأشب اليهم يتعززون به أما والله لأردنك الى أصلك ثم أتى بشيخ بن النعمان فقال يا ابن الخبيث انما أنت علج من أهل زند ورد دهربت أمك وقتل أبوك فتزوج أخته رجل من بني يشكر فجاءت بغلامين فألحقك بنسبهما ثم ضربهم مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وهدم دورهم وصهرهم في الشمس ثلاثا وحملهم على طلاق نسائهم وجمر أولادهم في البعوث وطاف بهم في أقطار البصرة وأحلفهم ان لا ينكحوا الحرائر وبعث مصعب خداش ابن يزيد الاسدي في طلب من هرب من أصحاب خالد فأدرك مرة بن محكان فأخذه فقال مرة

بني أسد إن تقتلوني تحاربوا * تمما اذا الحرب العوان اشمعلت
بني أسد هل فيكم من هوادة * فتعفون إن كانت بي النعل زلت
فلا تحسبوا الأعداء إذ غبت عنهم * وأوريت معنا أن حربي كلت
تمشي خداش في الأسكة آمنا * وقد نهلت مني الرماح وعلت

فقربه خداش فقتله وكان خداش على شرطة مصعب يومئذ وأمر مصعب سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مرثد بدار مالك بن مسمع فهدمها وأخذ مصعب ما كان في دار مالك فكان فيما أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب قال وأقام مصعب بالبصرة حتى نهض الى الكوفة ثم لم يزل بالكوفة حتى خرج لحرب عبد الملك ونزل عبد الملك مسكن وكتب عبد الملك الى المروانية من أهل العراق فأجابه كلهم وشرط عليه ولاية اصبهان فأنعم بها لهم كلهم منهم حجار بن أبجر والغضبان بن القبعثرى وعتاب بن ورقاء وقطن بن عبد الله الحارثي ومحمد ابن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وزحر بن قيس ومحمد بن عمير وعلى مقدمته محمد بن مروان وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية وعلى ميسرته خالد بن يزيد وسار اليه مصعب وقد خذله أهل الكوفة قال عروة بن المغيرة بن شعبة فخرج يسير متكئا على معرفة دابته ثم تصفح الناس يمينا وشمالا فوقعت عينه علي فقال يا عروة الى فدنوت منه فقال أخبرني عن الحسين بن علي كيف صنع بإبائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب فقال

إن الألى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال فعلمت انه لا يريم حتى يقتل وكان عبد الملك فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن أبي قرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن رجاء بن حيوة قال لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه فلما أجمع بالمسير الى مصعب وقد صفت له الشأم وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيؤ الى مصعب فاختلف عليه رؤساء أهل الشأم من غير خلاف لما يريده ولكنهم أحبوا ان يقيم ويقدم الجيوش فإن ظفروا فذاك وإن لم يظفروا

امدهم

أمدهم بالجيوش خشية على الناس ان أصيب في لقائه مصعب لم يكن وراءه ملك فقالوا يا أمير المؤمنين لو أقمت مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك ثم سرحته الى مصعب فقال عبد الملك إنه لا يقوم بهذا الأمر الا قرشي له رأي ولعلي أبعث من له شجاعة ولا رأي له وإني أجد في نفسي أني بصير بالحرب شجاع بالسيف ان ألجئت الى ذلك ومصعب في بيت شجاعة أبوه أشجع قريش وهو شجاع ولا علم له بالحرب يحب الخفض ومعه من يخالفه ومعي من ينصح لي فسار عبد الملك حتى نزل مسكن وسار مصعب الى باجميرا وكتب عبد الملك الى شيعته من أهل العراق فأقبل ابراهيم بن الأشتر بكتاب عبد الملك مختوما لم يقرأه فدفعه الى مصعب فقال ما فيه فقال ما قرأته فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال لمصعب إنه والله ما كان من أحد آيس منه مني ولقد كتب الى أصحابك كلهم بمثل الذي كتب الي فأطعني فيهم فاضرب أعناقهم قال اذا لاتنا صحنا عشائرهم قال فأوقرهم حديدا وابعث بهم الى أبيض كسرى فاحبسهم هنالك ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعناقهم وان غلبت منت بهم على عشائرهم فقال يا ابا النعمان إني لفي شغل عن ذلك يرحم الله أبا بحر إن كان ليعذرني غدر أهل العراق كأنه كان ينظر الى ما نحن فيه ❁ حدثني عمر قال حدثنا محمد بن سلام عن عبد القاهر بن السري قال هم أهل العراق بالغدر بمصعب فقال قيس بن الهيثم ويحكم لا تدخلوا أهل الشأم عليكم فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليصفين عليكم منازلكم والله لقد رأيت سيد أهل الشأم على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة ولقد رأيتنا في الصوائف وأحدنا على ألف بعير وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه قال ولما تداني العسكران بدير الجاثليق من مسكن تقدم ابراهيم بن الأشتر فحمل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه فوجه عبد الملك بن مروان عبد الله بن يزيد بن معاوية فقرب من محمد بن مروان والتقى القوم فقتل مسلم بن عمرو الباهلي وقتل يحيى بن مبشر أحد بني ثعلبة بن يربوع وقتل ابراهيم بن الأشتر فهرب عتاب بن ورقاء وكان على الخيل مع مصعب فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثي أبا عثمان قدم خيلك فقال ما أرى ذلك قال ولم قال أكره ان تقتل مذحج في غير شيء فقال لحجار بن أبجر أبا أسيد قدم رايتك قال الى هذه العذرة قال ما تتأخر اليه والله أنتن وألأم فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس مثل ذلك فقال ما أرى أحدا فعل ذلك فأفعله فقال مصعب يا ابراهيم ولا ابراهيم لي اليوم ❁ حدثني أبو زيد قال حدثني محمد بن سلام قال أخبرا بن خازم بمسير مصعب الى عبد الملك فقال أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر قيل لا استعمله على فارس قال أفمعه المهلب بن أبي صفرة قيل لا استعمله على الموصل قال أفمعه عباد بن الحصين قيل لا استخلفه على البصرة فقال وأنا بخراسان

خُذِينِي فُجَرِّينِي جَعَارٍ وأَبْشِرِي * بِلَحْمِ امرِئٍ لم يَشْهَدِ اليَوْمَ ناصِرُهْ

فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب يا بنيّ اركب أنت ومن معك الى عمك بمكة فأخبره ما صنع أهل العراق ودعني فإني مقتول فقال ابنه والله لا أخبر قريشا عنك أبدا ولكن إن أردت ذلك فالحق بالبصرة فهم على الجماعة أو الحق بأمير المؤمنين قال مصعب والله لا تتحدث قريش أني فررت بما صنعت ربيعة من خذلانها حتى أدخل الحرم منهزما ولكن أقاتل فإن قتلت فلعمري ما السيف بعار وما الفرار لي بعادة ولا خلق ولكن إن أردت ان ترجع فارجع فقاتل فرجع فقاتل حتى قتل * قال علي بن محمد عن يحيى بن اسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه ان عبد الملك أرسل الى مصعب مع أخيه محمد بن مروان إن ابن عمك يعطيك الأمان فقال مصعب إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف الا غالبا أو مغلوبا وقال الهيثم ابن عديّ حدثنا عبد الله بن عياش عن أبيه قال إنا لوقوف مع عبد الملك بن مروان وهو يحارب مصعبا اذ دنا منه زياد بن عمر وفقال يا أمير المؤمنين ان اسماعيل بن طلحة كان لي جارا صدقا قلما أرادني مصعب بسوء الا دفعه عني فإن رأيت ان تؤمنه على جرمه قال هو آمن فمضى زياد وكان ضخما على ضخم حتى صار بين الصفين فصاح أين أبو البختري اسماعيل بن طلحة فخرج اليه فقال اني أريد ان أذكر لك شيأ فدنا حتى اختلفت أعناق دوابهما وكان الناس ينتطفون بالحواشي المحشوّة فوضع زياد يده في منطقة اسماعيل ثم اقتلعه عن سرجه وكان نحيفا فقال أنشدك الله يا أبا المغيرة فإن هذا ليس بالوفاء لمصعب فقال هذا أحبّ اليّ من ان أراك غدا مقتولا ولما أبى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له يا ابن أخي لا تقتل نفسك لك الأمان فقال له مصعب قد آمنك عمك فامض اليه قال لا تتحدث نساء قريش اني أسلمتك للقتل قال فتقدّم بين يدي أحتسبك فقاتل بين يديه حتى قتل وأثخن مصعب بالرمي ونظر اليه زائدة بن قدامة فشد عليه فطعنه وقال بالثأرات المختار فصرعه ونزل اليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاحتز رأسه وقال إنه قتل أخي النابئ بن زياد فأتى به عبد الملك بن مروان فأثابه ألف دينار فأبى ان يأخذها وقال إني لم أقتله على طاعتك انما قتلته على وترصنعه بي ولا آخذ في حمل رأس مالا فتركه عند عبد الملك وكان الوتر الذي ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان انه قتل عليه مصعبا ان مصعبا كان ولي في بعض ولايته شرطه مطرف بن سيدان الباهلي ثم أحد بني جأوة ❦ حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبو الحسن المدائني ومخلد بن يحيى بن حاضران مطرفا أتى بالنابئ بن زياد ابن ظبيان ورجل من بني تميم قد قطعا الطريق فقتل النابئ وضرب التميمي بالسياط فتركه فجمع له عبيد الله بن زياد بن ظبيان جمعا بعد ان عزله مصعب عن البصرة وولاه الأهواز فخرج يريده فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر فعبر مطرف اليه النهر وعاجله ابن ظبيان فطعنه

فقتله

فقتله فبعث مصعب مُكرَم بن مطرّف في طلب ابن ظبيان فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب اليه ولم يلق ابن ظبيان ولحق ابن ظبيان بعبد الملك لما قتل أخوه فقال البعيث اليشكري بعد قتل مصعب يذكر ذلك

ولما رأينا الأمرَ نكسًا صُدورُهُ * وهمّ الهوادي أنْ تكنّ تواليا
صَبَرْنا لأمر الله حتى يُقيمَهُ * ولم نَرْضَ الا من أميّةَ واليا
ونحن قَتَلْنا مُصْعَبًا وابنَ مُصْعَبٍ * أخا أسدٍ والنهشليَّ اليمانيا
ومرتْ عُقابُ الموت منّا بمسلم * فأهْوَتْ له نابًا فأصبح ثاويا
سَقَينا ابن سيدانٍ بكأسٍ رَوِيَّةٍ * كفَتْنا وخيرُ الأمر ما كان كافيا

❦ حدثني أبو زيد قال حدثني عليّ بن محمد قال مر ابن ظبيان بابنة مطرف بالبصرة فقيل لها هذا قاتل أبيك فقالت في سبيل الله أبي فقال ابن ظبيان

فلا في سبيل الله لاقى حِمامَهُ * أبوكِ ولكن في سبيل الدراهم

فلما قتل مصعب دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق الى البيعة فبايعوه وكان مصعب قتل على نهر يقال له الدُجيل عند دير الجاثليق فلما قتل أمر به عبد الملك وبابنه عيسى فدفنا ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد عن أبي بكر بن عمر عن عروة قال قال عبد الملك حين قتل مصعب وارُوهُ فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمة ولكن هذا الملك عقيم قال أبو زيد وحدثني أبو نعيم قال حدثني عبد الله بن الزبير أبو أبي أحمد عن عبد الله بن شريك العامري قال إني لواقف الى جنب مصعب بن الزبير فأخرجت له كتابا من قبائي فقلت له هذا كتاب عبد الملك فقال ما شئتَ قال ثم جاء رجل من أهل الشأم فدخل عسكره فأخرج جارية فصاحت واذا لاه فنظر اليها مصعب ثم أعرض عنها قال وأتى عبد الملك برأس مصعب فنظر اليه فقال مني تغذو قريشٌ مثلك وكانا يتحدّثان الى حُبَّى وهما بالمدينة فقيل لها قتل مصعب فقالت تعس قاتله قيل قتله عبد الملك بن مروان قالت بأبي القاتل والمقتول * قال وحج عبد الملك بعد ذلك فدخلت عليه حبى فقالت أقتلت أخاك مصعبا فقال

من يَذُقِ الحربَ يَجِدْ طعْمَها * مرًّا وتَتْرُكْهُ بجَعْجاع

وقال ابن قيس الرُقيّات

لقد أوْرَثَ المصرَيْنِ خزيًا وذلةً * قتيلُ بدَيْر الجاثليق مُقيمُ
فما نصحت لله بكرُ بنُ وائلٍ * ولا صَبَرَتْ عندَ اللقاء تميمُ
ولو كان بكريًّا تعطّفَ حوْلَهُ * كتائبُ يغلي حَمْيُها ويَدُومُ
ولكنه ضاع الذمامُ ولَمْ يكنْ * بها مُضَرِيٌّ يَوْمَ ذاكَ كريمُ

جزى الله كوفيًا هناك ملامةً * وبصريهم إنّ اللئيم مُلئمُ
وانّ بنى العلّات أخلوا ظهورنا * ونحن صريحٌ بينهم وصميمُ
فإن نُفنَ لا يبقوا أولئك بعدنا * لذى حُرمةٍ فى المسلمين حريم

﴿قال أبو جعفر﴾ وقد قيل ان ماذكرتُ من مقتل مصعب والحرب التى جرت بينه وبين عبد الملك كانت في سنة ٧٢ وأن أمر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره الى البصرة من قبل عبد الملك كان فى سنة ٧١ وقتل مصعب فى جمادى الآخرة ﴿وفى هذه السنة﴾ دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصرين الكوفة والبصرة على عماله فى قول الواقدىّ وأما أبو الحسن فانه ذكر أن ذلك فى سنة ٧٢

وحدثنى عمر قال حدثنى علىّ بن محمد قال قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة ٧٢ ولما أتى عبد الملك الكوفة فيما ذكر نزل النخيلة ثم دعا الناس الى البيعة فجاءت قضاعة فرأى قلةً فقال يامعشر قضاعة كيف سلمتم من مضر مع قلتكم فقال عبد الله بن يعلى النهدى نحن أعزّ منهم وأمنع قال بمن قال بمن معك منا ياأمير المؤمنين ثم جاءت مذحج وهمدان فقال ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيأ ثم جاءت جُعفىٌّ فلما نظر اليهم عبد الملك قال يامعشر جعفىّ اشتملتم على ابن اختكم ووارَيتموه يعنى يحيى بن سعيد بن العاص قالوا نعم قال فهاتوه قالوا وهو آمنٌ قال وتشترطون أيضا فقال رجل منهم إنا والله ما نشترط جهلا بحقك ولكنا نتسحب عليك تسحب الولد على والده فقال أما والله لنعم الحى أنتم ان كنتم لفرسانا فى الجاهلية والاسلام هو آمن فجاؤا به وكان يكنى أبا أيوب فلما نظر اليه عبد الملك قال أباقبيع بأىّ وجه تنظر الى ربك وقد خلعتنى قال بالوجه الذى خلقه فبايع ثم ولى فنظر عبد الملك فى قفاه فقال لله درّه أىّ ابن زوملة هو يعنى غريبة وقال علىّ بن محمد حدثنى القاسم بن معن وغيره ان معبد بن خالد الجدلىّ قال ثم تقدمنا اليه معشر عدوان قال فقدّمنا رجلا وسيما جميلا وتأخرتُ وكان معبد دميما فقال عبد الملك من فقال الكاتب عدوانُ فقال عبد الملك

عذيرَ الحىّ من عدوا * نَ كانوا حيّةَ الأرضِ
بغى بعضُهم بعضًا * فلم يرعوا على بعضِ
ومنهم كانت السادا * تُ والموفونُ بالقرضِ

ثم أقبل على الجميل فقال إيه فقال لا أدرى فقلتُ من خلفه

ومنهم حكمٌ يقضى * فلا يُنقضُ ما يقضى
ومنهم من يُجيزُ الحـ * ـجَّ بالسُنّة والفرضِ
وهُم مُذ وُلدوا شبّوا * بسِرّ النسب المحض

قال

قال فتركنى عبد الملك ثم أقبل على الجميل فقال من هو قال لا أدرى فقلت من خلفه ذو الإصبع قال فأقبل على الجميل فقال ولم سمى ذا الإصبع فقال لا أدرى فقلت من خلفه لان حية عضت اصبعه فقطعتها فأقبل على الجميل فقال ما كان اسمه فقال لا أدرى فقلت من خلفه حُرثان بن الحارث فأقبل على الجميل فقال من أيكم كان قال لا أدرى فقلت من خلفه من بنى ناجٍ فقال

أبعد بنى ناج وسعيك بينهم * فلا تتبعن عينيك ما كان هالكا
اذا قلتُ معروفًا لأصلح بينهم * يقول وهيبٌ لا أصالح ذلكا
فأضحى كظهر العير جبّ سنامُه * تطيف به الولدان أحدب باركا

ثم أقبل على الجميل فقال كم عطاؤك قال سبعمائة فقال لى فى كم أنت قلت فى ثلثمائة فأقبل على الكاتبين فقال حُطّا من عطاء هذا أربعمائة وزيداها فى عطاء هذا فرجعت وأنا فى سبعمائة وهو فى ثلثمائة ثم جاءت كندة فنظر الى عبد الله بن اسحاق بن الأشعث فأوصى به بشرا أخاه وقال اجعله فى صحابتك وأقبل داود بن قحذم فى مائتين من بكر بن وائل عليهم الاقبية الداودية وبه سُميت فجلس مع عبد الملك على سريره فأقبل عليه عبد الملك ثم نهض ونهضوا معه فأتبعهم عبد الملك بصره فقال هؤلاء الفسّاق والله لولا ان صاحبهم جاءنى ما أعطانى أحد منهم طاعة ثم انه ولى فيما قيل قَطَن بن عبد الله الحارثى الكوفة أربعين يوما ثم عزله وولى بشر بن مروان وصعد منبر الكوفة فخطب فقال ان عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فاسّى بنفسه ولم يغرِ زُنبَه فى الحرم ثم قال انى قد استعملت عليكم بشر بن مروان وأمرته بالاحسان الى أهل الطاعة والشدة على أهل المعصية فاسمعوا له وأطيعوا واستعمل محمد بن عمير على همذان ويزيد بن رويم على الرى وفرّق العمّال ولم يفِ لأحد شرط عليه ولاية اصبهان ثم قال علىّ هؤلاء الفساق الذين أنغلوا الشأم وأفسدوا العراق فقيل قد أجارهم رؤساء عشائرهم فقال وهل يجير على أحدٌ وكان عبد الله بن يزيد بن أسد لجأ الى علىّ بن عبد الله بن عباس ولجأ اليه أيضا يحيى بن مَعيُوف الهمدانى ولجأ الهذيل بن زُفر بن الحارث وعمرو بن زيد الحكمى الى خالد بن يزيد بن معاوية فأمّنهم عبد الملك فظهروا ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبى بُكرة وحُمران بن أبان

حدثنى عمر بن شبة قال حدثنى علىّ بن محمد قال لما قتل المصعب وثب حمران بن أبان وعبيد الله بن أبى بكرة فتنازعا فى ولاية البصرة فقال ابن أبى بكرة أنا أعظم غناء منك أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة فقيل لحمران انك لا تقوى على ابن أبى بكرة فاستعن بعبد الله بن الأهتم فانه ان أعانك لم يقو عليك ابن أبى بكرة ففعل وغلب حمران على البصرة وابن الأهتم على شرطها

وكان لحمران منزلة عند بني أمية ❀ حدثني أبو زيد قال حدثني أبو عاصم النبيل قال أخبرني رجل قال قدم شيخ اعرابي فرأى حمران فقال من هذا فقالوا حمران فقال لقد رأيت هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه قال أبو زيد قال أبو عاصم فحدثت بذلك رجلا من ولد عبد الله بن عامر فقال حدثني أبي ان حمران مد رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمزها ﴿وفي هذه السنة﴾ بعث عبد الملك خالد ابن عبد الله على البصرة واليا ❀ حدثني عمر قال حدثني علي بن محمد قال مكث حمران على البصرة يسيرا وخرج ابن أبي بكرة حتى قدم على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مصعب فولى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها فوجه خالد عبيد الله ابن أبي بكرة خليفته على البصرة فلما قدم على حمران قال أقد جئت لا جئت فكان ابن أبي بكرة على البصرة حتى قدم خالد ﴿وفي هذه السنة﴾ رجع عبد الملك فيما زعم الواقدي الى الشأم * قال وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الاسود بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طلحة ابن عبد الله بن عوف قال وهو آخر وال لابن الزبير على المدينة حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارق بالمدينة حتى كتب اليه عبد الملك ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير في قول الواقدي وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد ابن يحيى قال حدثني مصعب بن عثمان قال لما انتهى الى عبد الله بن الزبير قتل مصعب قام في الناس فقال الحمد لله الذي له الخلق والأمر يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ألا وانه لم يذلل الله من كان الحق معه وان كان فردا ولم يعزز من كان وليه الشيطان وحزبه وان كان معه الأنام طرا ألا وانه قد أتانا من العراق خبر حزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه فأما الذي أفرحنا فعلمنا ان قتله له شهادة وأما الذي حزننا فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوي من بعدها ذو الرأي الى جميل الصبر وكريم العزاء ولئن أصبت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله وما أنا من عثمان بخلو مصيبة وما مصعب الا عبد من عبيد الله وعون من أعواني ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق اسلموه وباعوه بأقل الثمن فان يقتل فانا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص والله ما قتل منهم رجل في زعف في الجاهلية ولا الاسلام وما نموت الا قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف ألا انما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تقبل لا آخذها أخذ الأشر البطر وان تدبر لا أبك عليها بكاء الخرق المهين أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وذكر ان عبد الملك لما قتل مصعبا ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع وأمر به الى الخورنق وأذن اذانا عاما فدخل الناس فأخذوا مجالسهم فدخل عمرو بن حريث المخزومي فقال الي وعلى سريري فأجلسه

معه

معه ثم قال أي الطعام أكلت أحب اليك وأشهى عندك قال عناق حمراء قد أجيد تمليحها وأحكم نضجها قال ما صنعت شيأ فأين أنت من عمروس راضع قد أجيد سمطه وأحكم نضجه اختلجت اليك رجله فأتبعتها يده غذي بشيرجتين من لبن وسمن ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك بن مروان ما ألذ عيشنا لو أن شيأ يدوم ولكنا كما قال الأول

وكل جديد يا أميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمرو بن حريث لمن هذا البيت ومن بني هذا البيت وعمرو يخبره فقال عبد الملك

وكل جديد يا أميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

ثم أتى مجلسه فاستلقى وقال

اعمل على مهل فانك ميت * واكدح لنفسك أيها الانسان

فكأن ما قد كان لم يك اذ مضى * وكأن ما هو كائن قد كان

﴿وفي هذه السنة﴾ افتتح عبد الملك في قول الواقدي قيسارية

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليلة﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبي صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ﴿ذكر هشام بن محمد﴾ عن أبي مخنف ان حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسي حدثاه ان الازارقة والمهلب بعدما اقتتلوا بسولاف ثمانية أشهر أشد القتال أتاهم ان مصعب بن الزبير قد قتل فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج الا تخبرونا ما قولكم في مصعب قالوا امام هدى قالوا فهو وليكم في الدنيا والآخرة قالوا نعم قالوا وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتا قالوا ونحن أولياؤه أحياء وأمواتا قالوا فما قولكم في عبد الملك بن مروان قالوا ذلك ابن اللعين نحن الى الله منه برآء هو عندنا أحل دما منكم قالوا فأنتم منه براء في الدنيا والآخرة قالوا نعم كبراءتنا منكم قالوا وأنتم له أعداء أحياء وأمواتا قالوا نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم قالوا فان امامكم مصعبا قد قتله عبد الملك بن مروان ونراكم ستجعلون غدا عبد الملك امامكم وأنتم الآن تتبرؤن منه وتلعنون أباه قالوا كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك ابن مروان فأتتهم الخوارج فقالوا ما تقولون في مصعب قالوا يا أعداء الله لا نخبركم ما قولنا فيه وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم فقالوا قد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتا فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك فقالوا ذاك امامنا وخليفتنا ولم يجدوا اذ بايعوه بدا من أن يقولوا هذا القول قالت لهم الأزارقة يا أعداء الله أنتم أمس تتبرؤن

منه فى الدنيا والآخرة وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتا وهو اليوم امامكم وخليفتكم وقد قتل امامكم الذى كنتم تولونه فأيهما المحق وأيهما المهتدى وأيهما الضال قالوا لهم يا أعداء الله رضينا بذاك اذ كان ولى أمورنا ونرضى بهذا كما رضينا بذاك قالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وأولياء الظالمين وعبيد الدنيا وبعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة فلما قدم خالد أثبت المهلبَ على خراج الاهواز ومعونتها وبعث عامر بن مُسمع على سابُور ومقاتل بن مسمع على اردَشير خُرَّه ومسمع بن مالك بن مسمع على فَسا ودَارَابجِرْدَ والمغيرة بن المهلب على اصطخر ثم انه بعث الى مقاتل فبعثه على جيش وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة فانحطوا عليه من قِبَل كَرْمان حتى أتوا دارابجِرْد فسار نحوهم وبعث قَطَرِىٌّ مع صالح بن مخراق تسعمائة فارس فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلا يجرون على غير تعبية فهزم الناس ونزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى قُتل وانهزم عبد العزيز بن عبد الله وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود فأقيمت فمن يزيد فبلغت مائة ألف وكانت جميلة فغار رجل من قومها كان من رؤس الخوارج يقال له أبو الحديد الشَّنِّىّ فقال تنَحَّوا هكذا ما أرى هذه المشركة الا قد فتنتكم فضرب عنقها ثم زعموا أنه لحق بالبصرة فرآه آل منذر فقالوا والله ما ندرى أنَحْمَدُك أم نذمك فكان يقول ما فعلته الا غيرة وحمية وجاء عبد العزيز حتى انتهى الى رام هُرْمُز وأتى المهلب فأخبر به فبعث اليه شيخا من أشياخ قومه كان أحدّ فرسانه فقال ائته فان كان منهزما فعَزِّه وأخبِرْه انه لم يفعل شيأ لم يفعله الناس قبله وأخبِرْه أن الجنود تأتيه عاجلا ثم يعزّه الله وينصره فأتاه ذلك الرجل فوجده نازلا فى نحو من ثلاثين رجلا كئيبا حزينا فسلم عليه الأزدى وأخبره انه رسول المهلب وبلغه ما أمره به وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة ثم انصرف الى المهلب فأخبره الخبر فقال له المهلب الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر فقال أنا آتيه أخبِرْهُ أن أخاه هزم والله لا آتيه فقال المهلب لا والله لا يأتيه غيرك أنت الذى عاينته ورأيته وأنت كنت رسولى اليه قال هوادًا يهديك يا مهلب ان ذهب اليه العام ثم خرج قال المهلب اما أنت والله فانك لى آمن أما والله لو أنك مع غيرى ثم أرسلك على رجليك خرجت تشتد قال له وأقبل عليه كانك انما تمن علينا بحلمك فنحن والله نكافيك بل نزيد أما تعلم انا نعرّض أنفسنا للقتل دونك ونحميك من عدوك ولو كنا والله مع من يجهل علينا ويبعثنا فى حاجاته على أرجلنا ثم احتاج الى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا ووقينا به أنفسنا قال له المهلب صدقت صدقت ثم دعا فتى من الأزد كان معه فسرحه الى خالد يخبره خبر أخيه فأتاه الفتى الأزدى وحوله الناس وعليه جُبَّة خضراء ومِطرف أخضر فسلم عليه فرد عليه فقال ما جاء بك قال أصلحك الله أرسلنى

اليك المهلب لاخبرك خبر ما عاينته قال وما عاينت قال رأيت عبد العزيز برام هُرْمُز مهزوما قال كذبت قال لا والله ما كذبت وما قلت لك الا الحق فان كنت كاذبا فاضرب عنقى وان كنت صادقا فأعطنى أصلحك الله جبتك ومطرفك قال ويحك ما أيسر ما سألت ولقد رضيت مع الخطر العظيم ان كنت كاذبا بالخطر الصغير ان كنت صادقا فحبسه وأمر بالاحسان اليه حتى تبينت له هزيمة القوم فكتب الى عبد الملك أما بعد فانى أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنى بعثت عبد العزيز بن عبد الله فى طلب الخوارج وأنهم لقوه بفارس فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس وقتل مقاتل بن مسمع وقدم الفلُّ الى الاهواز أحببت ان أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتينى رأيه وأمره انزل عنده ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فكتب اليه أما بعد فقد قدم رسولك فى كتابك تعلمنى فيه بعثتك أخاك على قتال الخوارج وبهزيمة مَنْ هُزم وقتل مَن قُتل وسألت رسولك عن مكان المهلب فحدثنى أنه عامل لك على الاهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك اعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب الى جنبك يجبى الخراج وهو الميمون النقيبة الحسن السياسة البصير بالحرب المقامى لها ابنها وابن ابنائها انظر أن ينهض بالناس حتى تستقبلهم بالاهواز ومن وراء الاهواز وقد بعثت الى بشر أن يمدك بجيش من أهل الكوفة فاذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأى حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فشق عليه أنه قيل رأيه فى بعثة أخيه وترك المهلب وفى أنه لم يرض رأيه خالصا حتى قال أحضره المهلب واستشره فيه وكتب عبد الملك الى بشر بن مروان أما بعد فانى قد كتبت الى خالد بن عبد الله آمرُه بالنهوض الى الخوارج فسرّح اليه خمسة آلاف رجل وابعث عليهم رجلا من قِبَلك ترضاه فاذا قضوا غزاتهم تلك صرفتهم الى الرى ففاتلوا عدوّهم وكانوا فى مسالحهم وجبوا فيأهم حتى تأتى أيام عقبهم فتُعقبهم وتبعث آخرين مكانهم فقطع على أهل الكوفة خمسة آلاف وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وقال اذا قضيت غزاتك هذه فانصرف الى الرى وكتب له عليها عهدا وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز وجاء عبد الرحمن ابن محمد ببَعْث أهل الكوفة حتى وافاهم بالأهواز وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم وقال المهلب لخالد بن عبد الله انى أرى ههنا سُفنا كثيرة فضُمّها اليك فوالله ما أظن القوم الا مُحرِّقيها فما لبث الا ساعة حتى ارتفعت خيل من خيلهم اليها فحرّقتها وبعث خالد بن عبد الله على ميمنته المهلبَ وعلى ميسرته داود بن قَحْذَم من بنى قيس بن ثعلبة ومرّ المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يخندق فقال له يا ابن أخى ما يمنعك من الخندق فقال والله لهم أهونُ علىّ من ضرطة الجمل قال فلا يهونوا عليك يا ابن أخى فانهم سباع العرب لا أبرحُ أو تضربَ عليك خندقا ففعل وبلغ الخوارج قولُ عبد الرحمن

ابن محمد لهم أهون علىّ من ضرطة الجمل فقال شاعرهم

ياطالب الحق لاتستهوَ بالأمـــل * فإن من دون ماتهوى مدى الأجلِ
واعمـــل لربك واسأله مثوبتَـــهُ * فإن تقواه فاعـلم أفضـــل العَمَلِ
واغزُ المخانيث فى الماذىّ مُعْلَمَـةً * كيما تُصبَّحَ غدْوَاضرْطَةَ الجمـــلِ

فأقاموا نحوا من عشرين ليلة ثم ان خالدا زحف اليهم بالناس فرأوا أمرًا هالهم من عـدد الناس وعُدّتهم فأخذوا يتحاجزون واجترأ عليهم الناسُ فكرّت عليهم الخيل وزحف اليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لايرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس وأتبعهم خالدُ ابن عبد الله داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة وانصرف خالد الى البصرة وانصرف عبد الرحمن بن محمد الى الرىّ وأقام المهلب بالأهواز فكتب خالد بن عبد الله الى عبـد الملك أما بعد فإنى أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله انى خرجت الى الأزارقة الذين مرقوا من الدين وحرجوا من ولاية المسلمين فالتقينا بمدينة الأهواز فتناهضنا فاقتتلنا كأشدّ قتال كان فى الناس ثم ان الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين وضرب الله وجوه أعدائه فأتبعهم المسلمون يقتلونهم ولايمنعون ولايمتنعون وأفاء الله مافي عسكرهم على المسلمين ثم أتبعتُهم داود بن قحذم والله ان شاء الله مهلكهم ومستأصلهم والسلام عليك فلما قدم هـذا الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك الى بشر بن مروان أما بعد فابعث من قبلك رجلا شجاعا بصيرا بالحرب فى أربعة آلاف فارس فليسيروا الى فارس فى طلب المارقة فان خالدا كتب الىّ يخبرنى انه قد بعث في طلبهم داود بن قحذم فرصاحبك الذى تبعث أن لايخالف داود بن قحذم اذا ما التقيا فإن اختلاف القوم بينهم عونٌ لعدوّهم عليهم والسلام عليك فبعث بشرُ بن مروان عتّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة فخرجوا حتى التقواهم وداود بن قحذم بأرض فارس ثم اتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت خيول عامتهم وأصابهم الجهد والجوع ورجع عامة ذينك الجيشين مُشاةً الى الأهواز فقال ابن قيس الرُّقيات من بنى مخزوم في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته

عبدَ العزيز فضحْتَ جيشَكَ كلَّهم * وتركتهم صرعى بكل سبيلِ
من بين ذى عَطَشٍ يجودُ بنفسه * وملحَّب بين الرجال قتيـــلِ
هلاّ صبرْتَ مع الشـــهيد مُقاتلاً * اذ رُحتَ مُنتَكِثَ القُوى بأصيلِ
وتركتَ جيشَكَ لاأميرَ عليهم * فارجع بعارٍ فى الحياة طويلِ
ونسيتَ عِرسَـــكَ اذ تُقادُ سَبِيَّةً * تُبكى العيونَ برَنَّةٍ وعويـــلِ

﴿وفى هذه السنة﴾ كان خروج أبى فُديك الخارجىّ وهو من بنى قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفى فاجتمع على خالد بن عبد الله نزولُ قطرىّ

الأهواز وأمر أبى فُديك فبعث أخاه أمية بن عبد الله على جند كثيف الى أبى فديك فهزمه أبو فديك وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه وسار أمية على فرس له حتى دخل البصرة فى ثلاثة أيام فكتب خالد الى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة ﴿وفي هذه السنة﴾ وجّه عبدُ الملك الحجاج بن يوسف الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وكان السبب في توجيهه الحجاج اليه دون غيره فيما ذُكر ان عبد الملك لما أراد الرجوع الى الشأم قام اليه الحجاج بن يوسف فقال ياأمير المؤمنين إنى رأيت فى منامى أنى أخذت عبد الله بن الزبير فسلختُه فابعثنى اليه وولنى قتاله فبعثه فى جيش كثيف من أهل الشأم فسار حتى قدم مكة وقد كتب اليهم عبد الملك بالامان ان دخلوا فى طاعته فحدثنى الحارث قال حدّثنى محمد بن سَعْد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن أبى الأسود عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال بعث عبد الملك بن مروان حين قتل مصعب بن الزبير الحجاجَ بن يوسف الى ابن الزبير بمكة فخرج فى ألفين من جند أهل الشأم فى جمادى من سنة ٧٢ فلم يعرض للمدينة وسلك طريق العراق فنزل بالطائف فكان يبعث البعوث الى عَرَفة في الحلّ ويبعث ابن الزبير بعثا فيقتتلون هنالك فكلّ ذلك تُهزَم خيل ابن الزبير وترجع خيلُ الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يستأذنه فى حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه ويخبره ان شوكته قد كلت وتفرّق عنه عامة أصحابه ويسأله أن يُمدّه برجال فجاءه كتاب عبد الملك وكتب عبد الملك الى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج فسار فى خمسة آلاف من أصحابه حتى لحق بالحجاج وكان قدوم الحجاج الطائف في شعبان سنة ٧٢ فلما دخل ذوالقعدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير وحجّ الحجاج بالناس في هذه السنة وابن الزبير محصورٌ وكان قدوم طارق مكة لهلال ذى الحجة ولم يطف بالبيت ولم يصل اليه وهو محرم وكان يلبس السلاح ولايقرب النساء ولا الطيب الى ان قتل عبد الله بن الزبير ونحر ابن الزبير بدنا بمكة يوم النحر ولم يحج ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة * قال محمد بن عمر وحدّثنى سعيد بن مسلم بن بابك عن أبيه قال حججت فى سنة ٧٢ فقدمنا مكة فدخلناها من أعلاها فنجد أصحاب الحجاج وطارق فيما بين الحجون الى بئر ميمون فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة ثم حج بالناس الحجاج فرأيته واقفا بالهضبات من عرفة على فرس وعليه الدرع والمغفر ثم صدر فرأيته عدل الى بئر ميمون ولم يطف بالبيت وأصحابه متسلحون ورأيت الطعام عندهم كثيرا ورأيت العير تأتى من الشأم تحمل الطعام الكعك والسويق والدقيق فرأيت أصحابه مخاصيب ولقد ابتعنا من بعضهم كعكا بدرهم فكفانا الى ان بلغنا الجحفة وإنا لثلاثة نفر * قال محمد بن عمر حدثنى مصعب بن ثابت عن نافع مولى بنى أسد قال وكان عالما بفتنة ابن الزبير قال حُصر ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة

سنة ٧٢ ﴿وفي هذه السنة﴾ كتب عبد الملك الى عبد الله بن خازم السُلمي يدعوه الى بيعته ويُطعمه خراسان سبع سنين فذكر علي بن محمد ان المفضل بن محمد ويحيى بن طفيل وزهير بن هنيد حدثوه قال وفي خبر بعضهم زيادة على خبر بعض أن مصعب بن الزبير قتل سنة ٧٢ وعبد الله بن خازم بأبرشهر يقاتل بحير ابن ورقاء الصريمي صريم بن الحارث فكتب عبد الملك بن مروان الى ابن خازم مع سورة بن أشيم النميري ان لك خراسان سبع سنين على ان تبايع لي فقال ابن خازم لسورة لولا ان أضرب بين بني سُليم وبني عامر لقتلتك ولكن كلّ هذه الصحيفة فأكلها قال وقال أبو بكر بن محمد بن واسع بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سوادة بن عبيد الله النميري وقال بعضهم بعث عبد الملك الى ابن خازم سنان بن مكمل الغنوي وكتب اليه ان خراسان طعمة لك فقال له ابن خازم انما بعثك أبو الذبان لأنك من غني وقد علم اني لا أقتل رجلا من قيس ولكن كلّ كتابه قال وكتب عبد الملك الى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد وكان خليفة ابن خازم على مرو بعهده على خراسان ووعده ومناه فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير ودعا الى عبد الملك ابن مروان فأجابه أهل مرو وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرشهر فترك بحيرا وأقبل الى مرو يريد أن يأتي ابنه بالترمذ فأتبعه بحير فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية شاهميغد بينها وبين مرو ثمانية فراسخ قال فقاتله ابن خازم فقال مولى لبني ليث كنتُ قريبا من معترك القوم في منزل فلما طلعت الشمس تهايج العسكران فجعلت أسمع وقع السيوف فلما ارتفع النهار خفيت الأصوات فقلت هذا الارتفاع النهار فلما صليت الظهر أو قبل الظهر خرجت فتلقاني رجل من بني تميم فقلت ما الخبر قال قتلت عدوّ الله ابن خازم وها هو ذا واذا هو محمول على بغل وقد شد وافي مذاكيره حبلا وحجرا عدّلوه به على البغل قال وكان الذي قتله وكيع بن عميرة القُريعي وهو ابن الدَورقية اعتور عليه بحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز الجشمي ووكيع فطعنوه فصرعوه فقعد وكيع على صدره فقتله فقال بعض الولاة لوكيع كيف قتلت ابن خازم قال غلبته بفضل القنا فلما صرع قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر عليه وقلتُ بالثأرات دَويلة ودويلةُ أخ لوكيع لأمه قتل قبل ذلك في غير تلك الايام قال وكيع فتنخم في وجهي وقال لعنك الله تقتل كبش مُضَر بأخيك علج لا يساوي كفا من نوى أو قال من تراب فما رأيت أحدا أكثر ريقا منه على تلك الحال عند الموت قال فذكر ابن هبيرة يوما هذا الحديث فقال هذه والله البسالة قال وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم رجلا من بني غُدانة الى عبد الملك ابن مروان يخبره بقتل ابن خازم ولم يبعث بالرأس وأقبل بكير بن وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم فأراد أخذ رأس ابن خازم فمنعه بحير فضربه بكير بعمود وأخذ الرأس

وقيد

وقيد بحيرا وحبسه وبعث بكير بالرأس الى عبد الملك وكتب اليه يُخبره انه هو الذي قتله فلما قُدم بالرأس على عبد الملك دعا الغُداني رسول بحير وقال ما هذا قال لا أدري وما فارقت القوم حتى قتل فقال رجل من بني سُليم

أليلتنا بنيسابور رُدّي * على الصبح ويحك أو أنيري
كواكبها زواحفُ لاغباتٌ * كأنّ سماءها بيدي مُديرِ
تلومُ على الحوادث أمّ زيدٍ * وهل لكِ في الحوادث من نكيرِ
جهلن كرامتي وصددن عني * الى أجلٍ من الدنيا قصيرِ
فلو شهد الفوارسُ من سليم * غداة يُطافُ بالأسد العقيرِ
لنازل حولهُ قومٌ كرامٌ * فعزّ الوترُ في طلب الوتورِ
فقد بقيت كلابٌ نابحاتٌ * وما في الارض بعدك من زئيرِ

فولى الحجّ بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان العامل على المدينة طارق مولى عثمان من قبل عبد الملك وعلى الكوفة بشر بن مروان وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بن مسعود وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضائها هشام ابن هُبيرة وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله بن خازم السُلمي وفي قول بعض بكير بن وشاح وزعم من قال كان على خراسان في سنة ٧٢ عبد الله بن خازم أنّ عبد الله بن خازم انما قتل بعد ما قتل عبدُ الله بن الزبير وأن عبد الملك انما كتب الى عبد الله بن خازم يدعوه الى الدخول في طاعته على أن يُطعمه خراسان عشر سنين بعد ما قتل عبدُ الله ابن الزبير وبعث برأسه اليه وأن عبد الله بن خازم حلف لما ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير أن لا يُعطيه طاعة أبدا وانه دعا بطست فغسل رأس ابن الزبير وحنطه وكفنه وصلى عليه وبعث به الى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة وأطعم الرسول الكتاب وقال لولا انك رسول لضربتُ عنقك وقال بعضهم قطع يديه ورجليه وضرب عنقه

﴿ فصل نذكر فيه الكتّاب من بدء أمر الاسلام ﴾

﴿روى﴾ هشام وغيره ان أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن عبد شمس بالعربية وان أول من كتب بالفارسية بيوراسب وكان في زمان ادريس وكان أول من صنف طبقات الكتّاب وبيّن منازلهم لهراسب بن كاوغان بن كيموس وحكى ان أبرويز قال لكاتبه انما الكلام أربعة أقسام سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وأمرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد وان نقص منها رابع لم تتمّ فاذا طلبت فأسجح واذا سألت فأوضح واذا أمرت فاحتم واذا أخبرت فحقق * وقال أبو موسى الأشعري أوّل من قال أما بعدُ داود وهي فصل الخطاب الذي ذكره الله عنه * وقال الهيثم

ابن عدى أوّل من قال أما بعد قُسّ بن ساعدة الإيادى (أسماء من كتب للنبىّ صلى الله عليه وسلم) علىّ بن أبى طالب عليه السلام وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحى فإن غابا كتبه أبىّ بن كعب وزيد بن ثابت وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان يكتبان بين يديه فى حوائجه وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يَغُوث والعلاء بن عُقبة يكتبان بين القوم فى حوائجهم وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب الى الملوك عن النبىّ صلى الله عليه وسلم (وكتب لأبى بكر) عثمان وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعىّ وحنظلة بن الربيع (وكتب لعمر بن الخطاب) زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعىّ أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة وكتب له على ديوان الكوفة أبو جَبيرة ابن الضحاك الأنصارىّ وقال عمر بن الخطاب لكُتّابه وعُمّاله ان القوّة على العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد فإنكم اذا فعلتم ذلك تذاءبت عليكم الأعمال فلا تدرون بأيها تبدؤن وأيها تأخذون وهو أوّل من دوّن الدواوين فى العرب فى الاسلام (وكان يكتب لعثمان) مروان بن الحكم وكان عبد الملك يكتب له على ديوان المدينة وأبو جبيرة الأنصارىّ على ديوان الكوفة وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بنى دُهمان من قيس عيلان يكتب له وكان يكتب له أهيب مولاه وعمران مولاه (وكان يكتب لعلىّ عليه السلام) سعيد بن نمران الهمدانى ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير وكان يكتب له عبد الله بن مسعود ورُوى ان عبد الله بن جُبير كتب له وكان عبيد الله بن أبى رافع يكتب له واختُلف فى اسم أبى رافع فقيل اسمه ابراهيم وقيل أسلم وقيل سنان وقيل عبد الرحمن *وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيد الله بن أوس الغسانىّ وكان يكتب له على ديوان الخراج سَرْجون بن منصور الرومىّ وكتب له عبد الرحمن بن دراج وهو مولى معاوية وكتب على بعض دواوينه عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاء السُّلمىّ *وكان يكتب لمعاوية بن يزيد الرّيان بن مسلم ويكتب له على الديوان سرجون ويروى انه كتب له أبو الزُّعَيزعة *وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب ابن حَلحلة الخزاعى ويُكنى أبا اسحاق وكتب له على ديوان الرسائل أبو الزعيزعة مولاه *وكان يكتب للوليد القعقاع بن خالد أو خُليد العبسىّ وكتب له على ديوان الخراج سليمان بن سعد الخُشنىّ وعلى ديوان الخاتم شُعيب العمانىّ مولاه وعلى ديوان الرسائل جناح مولاه وعلى المستغلّات نُفَيع بن ذؤيب مولاه *وكان يكتب لسليمان سليمان بن نعيم الحميرىّ *وكان يكتب لمسلمة سميع مولاه وعلى ديوان الرسائل الليث بن أبى رقيّة مولى أم الحكم بنت أبى سفيان وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشنىّ وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولى لأهل اليمن من فلسطين وقيل بل رجاء بن حَيوة كان يتقلد الخاتم *وكان يكتب ليزيد بن المهلب المغيرة بن أبى فروة *وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن أبى فروة مولى أم الحكم بنت

أبى سفيان ورجاء بن حيوة وكتب له اسماعيل بن أبى حكيم مولى الزبير وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشنى وقلد مكانه صالح بن جبير الغسانىّ وقيل الغدانىّ وعدى بن الصباح ابن المثنى ذكر الهيثم بن عدى انه كان من جلة كتابه *وكتب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله ثم استكتب أسامة بن يزيد السليحىّ *وكتب لهشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبىّ الأبرش ويكنى أبا مجاشع وكان نصر بن سيّار يتقلد ديوان خراج خراسان لهشام وكان من كتّابه بالرُّصافة شُعيب بن دينار *وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن الشمّاخ وعلى ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك ومن كتابه عبد الله بن أبى عمرو ويقال عبد الأعلى بن أبى عمرو وكتب له على الحضرة عمرو بن عتبة وكتب ليزيد ابن الوليد الناقص عبد الله بن نعيم وكان عمرو بن الحارث مولى بنى جُمح يتولى له ديوان الخاتم وكان يتقلد له ديوان الرسائل ثابت بن سليمان بن سعد الخشنىّ ويقال الربيع بن عمرة الخشنىّ وكان يتقلد له الخراج والديوان الذى للخاتم الصغير النضر بن عمرو من أهل اليمن *وكتب لابراهيم بن الوليد ابن أبى جمعة وكان يتقلد له الديوان بفلسطين وبايع الناس ابراهيم أعنى ابن الوليد سوى أهل حمص فانهم بايعوا مروان بن محمد الجعدىّ وكتب لمروان عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامرىّ ومصعب بن الربيع الخثعمى وزياد ابن أبى الورد وعلى ديوان الرسائل عثمان بن قيس مولى خالد القَسْرىّ وكان من كتابه مخلد ابن محمد بن الحارث ويكنى أبا هاشم ومن كتابه مصعب بن الربيع الخثعمىّ ويكنى أبا موسى وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة فى مكان مكين ومما اختير له من الشعر

تَرَحَّلَ ما ليس بالقافلِ * وأعقبَ ما ليس بالزائلِ
فلهفى على الخلف النازل * ولهفى على السلف الراحلِ
أبكّى على ذا وأبكى لذا * بكاء مُوَلهة ثاكلِ
تُبكى من ابنٍ لها قاطعٍ * وتبكى على ابنٍ لها واصلِ
فليست تفتّرُ عن عبرةٍ * لها فى الضمير ومن همّ لِ
تقضّت غوايات سُكر الصبى * وردّ التقى عَنّ الباطلِ

وكتب لأبى العباس خالد بن برمك ودفع أبو العباس ابنته رَيطة الى خالد بن برمك حتى أرضعتها زوجته أمّ خالد بنت يزيد بلبان بنت خالد تدعى أمّ يحيى وأرضعت أم سلمة زوجة أبى العباس أم يحيى بنت خالد بلبان ابنتها رَيطة وقلد ديوان الرسائل صالح بن الهيثم مولى رَيطة بنت أبى العباس *وكتب لأبى جعفر المنصور عبد الملك بن حُميد مولى حاتم بن النعمان الباهلىّ من أهل خراسان وكتب له هاشم بن سعيد الجعفىّ وعبد الأعلى بن أبى طلحة من بنى تميم بواسط وروى ان سليمان بن مخلد كان يكتب لأبى جعفر ومما كان يتمثل به أبو جعفر

المنصور

ومان شفا نفساً كامر صريمـــة * اذا حاجةٌ في النفس طال اعتراضها

وكتب له الربيع وكان عمارة بن حمزة من نبلاء الرجال وله

لاتشكون دهرا صحبت به * إن الغنى في صحـــة الجسم

هنيك الإمام أكنت منتفعاً * بغضارة الدنيا مـــع السقم

وكان يتمثل بقول عبد بني الحسحاس

أمن أمية دمع العـــين مذروفُ * لوأنّ ذا منك قبل اليوم معروفُ

لاتبك عينك انّ الدهر ذو غـــيرٍ * فيـــه تفرّق ذوإلفٍ ومألوفُ

وكتب للمهدى أبو عبيد الله وأبان بن صدقة على ديوان رسائله ومحمد بن حميد الكاتب على ديوان جنده ويعقوب بن داود وكان اتخذه على وزارته وأمره وله

عجبا لتصريف الأمـو * رِ محبّةً وكراهيـهْ

والدهرُ يلعبُ بالرجا * لِ له دوائرُ جاريهْ

ولابنه عبد الله بن يعقوب وكان له محمدٌ ويعقوبُ كلاهما شاعرٌ مجيدٌ

ورَع المشيبُ شراسـني وغرامي * ومرى الجفونُ بمنبـــل سجّام

ولقد حرصتُ بأن أواري شخصهُ * عن مقلتيّ فرمتُ غـــيرَ مرام

وصـــبغت ماصبغ الزمان فلم يدُم * صبغي ودامت صـــبغةُ الأيام

* لاتبعدنّ شبيبـــةٌ ذيّالة * فارقتُها في سالف الأعوام *

ماكان ماستصحبتُ من أيامها * الا كبعض طوارق الاحـلام

﴿ ولأبيـه ﴾

طلق الدنيا ثلاثا * واتخذ زوجا سواها انها زوجـةُ سوءٍ * لاتبالي من أتاها

واستوزر بعده الفيض بن أبي صالح وكان جوادا وكتب للهادي موسى عبيـدُ الله بن زياد ابن أبي ليلى ومحمد بن حميد وسأل المهدى يوما أبا عبيد الله عن أشعار العرب فصنفها له فقال أحكمُها قول طرفة بن العبد

أرى قـــبرَ نحامٍ بخيـلٍ بماله * كقبرِ غويّ في البطالة مفسـدِ

ترى جثوتين من تراب عليهـما * صفائحُ صمٌّ من صفيح مصمّدِ

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلةَ مال الفاحش المتشدّدِ

أرى العيش كنزا ناقصا كلّ ليلة * وماتنقص الايام والدهر ينفدِ

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياهُ باليدِ

وقوله

وقوله وقد أرانا كلانا هَمَّ صاحبُه * لوأن شيأ اذا ما فاتنا رجعا

وكان شيءٌ الى شيء ففرّقه * دهر يكرّ على تفريق ما جمعا

وقول لبيد

ألا تسألان المرء ما ذا يحاول * أنحبٌ فيُقضى أم ضلال وباطلُ

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل * وكلُّ نعيم لا محالة زائلُ

أرى الناس لايدرون ما قدرُ أمرهم * بلى كلُّ ذي رأى الى الله واصلُ

وكقول النابغة الجعدى

وقد طال عهدى بالشباب وأهله * ولاقيتُ روعات تشيبُ النواصيا

فلم أجد الاخوان الا صحابة * ولم أجد الأهلين الا مثاويا

ألم تعلمى ان قد رُزئتُ محاربا * فلك منه اليومَ شيءٌ ولا ليا

وكقول هُدبة بن خشرم

ولستُ بمفراح اذا الدهرُ سرّني * ولاجازع من صرفه المتقلبِ

ولا أتبغّى الشرّ والشرُّ تاركي * ولكن متى أحمل على الشرّ أركبِ

ومايعرف الاقوامُ للدهر حقهُ * وما الدهرُ مما يكرهون بمُعتبِ

وللدهر في أهل الفتى وتلاده * نصيبٌ كحزّ الجازر المتشعّبِ

وكقول زيادة بن زيد وتمثل به عبد الملك بن مروان

تذكّر عن ثُمهط أمية فارعوى * لها بعدا كثار وطول نحيبِ

وان امرءا قد جرّب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغيرُ لبيبِ

هل الدهرُ والايام الا كما ترى * رزيئةُ مال أو فراق حبيبِ

وكلُّ الذي يأتي فأنت نسيبُهُ * ولستَ لشيءٍ ذاهب بنسيبِ

وليس بعيدٌ مايجيءُ كمُقبلٍ * ولا مامضى من مُفرح بقريبِ

وكقول ابن مقبل

لما رأت بدل الشباب بكت له * والشيبُ أرذلُ هذه الابدالِ

والناس همُّهُمُ الحياةُ ولا أرى * طول الحياة يزيدُ غير خبالِ

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذُخرا يكون كصالح الاعمالِ

ووزر له يحيى بن خالد ووزر للرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد فمن مليح كلامه الخط سمةُ الحكمة به تُفصل شذورها وينظم منثورها. قال ثمامة قلت لجعفر بن يحيى ما البيان فقال أن يكون الاسم محيطا بمعناك مخبرا عن مغزاك مخرجا من الشركة غير مستعان عليه بالفكرة

قال الاصمعى سمعت يحيى بن خالد يقول الدنيا دُوَل والمال عارية ولنا بمن قبلنا أسوة وفينا لمن بعدنا عبرة ونأتى بتسمية باقى كتاب خلفاء بنى العباس اذا انتهينا الى الدولة العباسية ان شاء الله تعالى

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ﴾

﴿ذكر الكائن الذى كان فيها من الامور الجليلة﴾

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير

﴿ذكر الخبر عن صفة ذلك﴾

حدثنى الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى اسحاق ابن يحيى عن عبيد الله بن القبطية قال كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة قال محمد بن عمر وحدثنى مصعب بن ثابت عن نافع مولى بنى أسد وكان عالما بفتنة ابن الزبير قال حُصر ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة سنة ٧٢ وقُتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٧٣ وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة حدثنا الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدّثنى اسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك قال رأيت المنجنيق يُرمى به فرعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة فاشتمل عليها فأعظم ذلك أهل الشام فأمسكوا بأيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه فغر زها فى منطقته ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا ورمى معهم قال ثم أصبحوا فجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثنى عشر رجلا فانكسر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لا تُنكروا هذا فانى ابن تهامة هذه صواعق تهامة هذا الفتح قد حضر فابشروا إن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى كان قبيل مقتله وقد تفرّق عنه أصحابه وخرج عامة أهل مكة الى الحجاج فى الامان حدثنى الحارث قال حدّثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدّثنى اسحاق بن عبيد الله عن المنذر بن جهم الاسدى قال رأيت ابن الزبير يوم قُتل وقد تفرّق عنه أصحابه وخذله من معه خذلانا شديدا وجعلوا يخرجون الى الحجاج حتى خرج اليه نحو من عشرة آلاف وذكر انه كان ممن فارقه وخرج الى الحجاج ابناه حمزة وخُبيب فأخذا منه لانفسهما أمانا فدخل على أمه أسماء كما ذكر محمد بن عمر عن أبى الزناد عن مخرمة بن سليمان الوالبى قال دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم فقال يا أمّه خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى فلم يبق معى الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يُعطونى

ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت والله يا بنىّ أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قُتل عليه أصحابك ولا تُمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بنى أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك وان قلت كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك فى الدنيا القتل أحسن فدنا ابن الزبير فقبّل رأسها وقال هذا والله رأيى والذى قمت به داعيا الى يومى هذا ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله أن يُستحل حرمه ولكنى أحببت ان أعلم رأيك فزدتينى بصيرة مع بصيرتى فانظرى يا أمّه فانى مقتول من يومى هذا فلا يشتدّ حزنك وسلّمى لامر الله فان ابنك لم يتعمّد اتيان منكر ولا عملا بفاحشة ولم يَجُر فى حكم الله ولم يغدر فى أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغنى ظلم عن عمّالى فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شىء آثر عندى من رضى ربى اللهم انى لا أقول هذا تزكية منّى لنفسى أنت أعلم بى ولكن أقوله تعزية لأمى لتسلو عنّى فقالت أمه انى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا ان تقدّمتنى وان تقدّمتك ففى نفسى اخرج حتى أنظر الى ما يصير أمرك قال جزاك الله يا أمّه خيرا فلا تدعى الدعاء لى قبل وبعد فقالت لا أدعه أبدا فمن قُتل على باطل فقد قُتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة وبرّه بأبيه وبى اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين قال مصعب بن ثابت فما مكثت بعده الا عشرا ويقال خمسة أيام * قال محمد بن عمر حدّثنى موسى بن يعقوب بن عبد الله عن عمه قال دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر فوقف فلم يمكث فتناول يدها فقبّلها فقالت هذا وداع فلا تبعد قال ابن الزبير جئتُ مودّعا إنى لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمرّ بى واعلمى يا أمّه أنى ان قتلت فانما أنا لحم لا يضرّنى ما صُنع بى قالت صدقت يا بنىّ أتمم على بصيرتك ولا تمكن ابن أبى عقيل منك ودنا منّى أودّعك فدنا منها فقبلها وعانقها وقالت حيث مست الدرع ما هذا صنيع من يريد ما تريد قال ما لبست هذا الدرع الا لأشد منك قالت العجوز فإنه لا يشد منى فنزعها ثم أدرج كمّيه وشد أسفل قميصه وجُبة خزّ تحت القميص فأدخل أسفلها فى المنطقة وأمّه تقول البس ثياب مشمّرة ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول

إنى اذا أعرف يومى أصبر * إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعت العجوز قوله فقالت تصبر والله ان شاء الله أبوك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب حدثنى الحارث قال حدثنى ابن سعد قال أخبرنى محمد بن عمر قال أخبرنا نور بن يزيد عن شيخ من أهل حمص شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشام قال رأيته يوم

الثلاثاء وإنا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة خمسمائة من باب لنا ندخله لا يدخله غيرنا فيخرج الينا وحده في أثرنا ونحن منهزمون منه فما أنسى أرجوزة له

إني اذا أعرف يومي أصبر * وإنما يعرف يوميه الحرّ

اذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فأقول أنت والله الحر الشريف فلقد رأيته يقف في الأبطح ما يدنو منه أحد حتى ظننا انه لا يقتل ﴿ حدثني ﴾ الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد قال رأيت الأبواب قد شحنت من أهل الشأم يوم الثلاثاء وأسلم أصحاب ابن الزبير المحارس وكثرهم القوم فأقاموا على كل باب رجالا وقائدا وأهل بلد فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ولأهل دمشق باب بني شيبة ولاهل الأردن باب الصفا ولأهل فلسطين باب بني جمح ولأهل قنسرين باب بني سهم وكان الحجاج وطارق بن عمرو جميعا في ناحية الأبطح الى المروة فرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية فلكأنه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال فيعدو في أثر القوم وهم على الباب حتى يخرجهم وهو يرتجز

انى اذا أعرف يومي أصبر * وانما يعرف يوميه الحرّ

ثم يصيح يا أباصفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال

لو كانَ قِرْنِي وَاحِدًا كفيتُهُ

قال ابن صفوان أي والله وألف ﴿ حدثني ﴾ الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال فحدثني ابن أبي الزناد وأبو بكر بن عبد الله بن مصعب عن ابن المنذر وحدثنا نافع مولى بني أسد قالا لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ٧٣ وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب بات ابن الزبير يصلي عامة الليل ثم احتبى بحمائل سيفه فأغفى ثم انتبه بالفجر فقال أذن ياسعد فأذن عند المقام وتوضأ ابن الزبير وركع ركعتي الفجر ثم تقدم وأقام المؤذن فصلى بأصحابه فقرأ ن والقلم حرفا حرفا ثم سلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر وعليهم المغافر والعمائم فكشفوا وجوههم فقال يا آل الزبير لوطبتم لي نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا في الله لم تصبنا زبا بتة أما بعد يا آل الزبير فلا برعكم وقع السيوف فإني لم أحضر موطنا قط الا ارتثت فيه من القتل وما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم لا أعلم امرءا كسر سيفه واستبقى نفسه فإن الرجل اذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل غضوا أبصاركم عن البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا يلهينكم السؤال عني ولا تقولن أين عبد الله بن الزبير الا من كان سائلا عني فإني في الرعيل الأول

ابى

أبى لابن سلمى أنه غير خالد * ملاقى المنايا أيّ صرف تيمما

فلستُ بمبتاع الحياة بسبّة * ولا مُرتقٍ من خشية الموت سلّما

احملوا على بركة الله ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرمي بأجرّة فأصابته في وجهه فأرعش لها ودمي وجهه فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه ولحيته قال

لَسْنَا على الأعقاب تدمى كُلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدّما

وتغاوا عليه فالا وصاحت مولاة لنا مجنونة وا أمير المؤمنيناه فالا وقد رأته حيث هوى فأشارت لهم اليه فقتل وإن عليه ثياب خزّ وجاء الخبر الى الحجاج فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو فقال طارق ما ولدت النساء أذكر من هذا فقال الحجاج تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا ولو لا هذا ما كان لنا عذرا نا محاصروه وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقا ﴿ حدثنا ﴾ عمر قال حدثنا أبو الحسن عن رجاله قال كأني أنظر الى ابن الزبير وقد قتل غلاما أسود ضربه فعرقبه وهو يمر في جملته عليه ويقول صبرا يا ابن حام ففي مثل هذه المواطن تصبر الكرام ﴿ حدثني ﴾ الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الجبار بن عمارة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال بعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم الى المدينة فنصبت بها ثم ذهب بها الى عبد الملك بن مروان ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة ولى عبد الملك طارقا مولى عثمان المدينة فوليها خمسة أشهر ﴿وفي هذه السنة﴾ توفي بشر بن مروان في قول الواقدي وأما غيره فانه قال كانت وفاته في سنة ٧٤ ﴿وفيها﴾ أيضا وجه فيما ذكر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك وأمره ان يندب معه من أحب من أهل المصرين فقدم الكوفة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف ثم قدم البصرة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف فأخرج لهم أرزاقهم وأعطياتهم فأعطوها ثم سار بهم عمر بن عبيد الله فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة وجعل أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله وجعل خيله في القلب حتى انتهوا الى البحرين فصف عمر بن عبيد الله أصحابه وقدم الرجالة في أيديهم الرماح قد ألزموها الأرض واستتروا بالبراذع فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر بن عبيد الله حتى ذهبوا في الارض الا المغيرة ابن المهلب ومعن بن المغيرة ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فإنهم مالوا الى صف أهل الكوفة وهم ثابتون وارتث عمر بن موسى بن عبيد الله فهو في القتلى قد أثخن جراحة فلما

رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا تداعموا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتى مروا بعمر بن موسى بن عبيد الله جريحا فحملوه حتى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه تبن كثير فأحرقوه ومالت عليهم الريح وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروهم في المشقر فنزلوا على الحكم فقتل عمر بن عبيد الله منهم فيما ذكر نحوا من ستة آلاف وأسر ثمانى مائة وأصابوا جارية لامية بن عبد الله حبلى من أبى فديك وانصرفوا الى البصرة ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاها أخاه بشر بن مروان فصارت ولايتها وولاية الكوفة اليه فشخص بشر لما ولى مع الكوفة البصرة الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث ﴿وفيها﴾ غزا محمد ابن مروان الصائفة فهزم الروم وقيل انه كان فى هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم فى ناحية أرمينية وهو فى أربعة آلاف والروم فى ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم وأقام الحج فى هذه السنة للناس الحجاج بن يوسف وهو على مكة واليمن واليمامة وعلى الكوفة والبصرة فى قول الواقدى بشر بن مروان وفي قول غيره على الكوفة بشر بن مروان وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان بكير بن وشاح

﴿ثم دخلت سنة أربع وسبعين﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة﴾

فما كان فيها من ذلك عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن المدينة واستعماله عليها الحجاج بن يوسف فقدمها فيما ذكر فأقام بها شهرا ثم خرج معتمرا ﴿وفيها﴾ كان فيما ذكر نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة الذى كان ابن الزبير بناه وكان اذ بناه أدخل فى الكعبة الحجر وجعل لها بابين فأعادها الحجاج على بنائها الأول في هذه السنة ثم انصرف الى المدينة فى صفر فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبث بأهل المدينة ويتعنتهم وبنى بها مسجدا في بنى سلمة فهو ينسب اليه واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فختم فى أعناقهم فذكر محمد ابن عمران ابن أبى ذيب حدثه عمن رأى جابر بن عبد الله مختوما فى يده وعن ابن أبى ذيب عن اسحاق بن يزيد انه رأى أنس بن مالك مختوما فى عنقه يريدان يذله بذلك قال ابن عمر وحدثنى شرحبيل بن أبى عون عن أبيه قال رأيت الحجاج أرسل الى سهل بن سعد فدعاه فقال ما منعك ان تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال قد فعلت قال كذبت ثم أمر به فختم فى عنقه برصاص ﴿وفيها﴾ استقضى عبد الملك أبا ادريس الخولانى فيما ذكر الواقدى ﴿وفى هذه السنة﴾ شخص في قول بعضهم بشر بن مروان من الكوفة الى البصرة واليا عليها ﴿وفي هذه السنة﴾ ولى المهلب حرب الأزارقة من قبل عبد الملك

ذكر

﴿ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها﴾

ولما صار بشر بالبصرة كتب عبد الملك اليه فيما ذكر هشام عن أبى مخنف عن يونس بن أبى اسحاق عن أبيه أما بعد فابعث المهلب فى أهل مصره الى الأزارقة ولينتخب من أهل مصره وجوههم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم فانه أعرف بهم وبحيله ورأيه فى الحرب فانى أوثق شئ بتجربته ونصيحته للمسلمين وابعث من أهل الكوفة بعثا كثيفا وابعث عليهم رجلا معروفا شريفا حسيبا صليبا يعرف بالبأس والنجدة والتجربة للحرب ثم أنهض اليهم أهل المصرين فليتبعوهم أى وجه ما توجهوا حتى يبيدهم الله ويستأصلهم والسلام عليك فدعا بشر المهلب فأقرأه الكتاب وأمره ان ينتخب من شاء فبعث بجديع بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدى وهو خال يزيد ابنه فأمره ان يأتى الديوان فينتخب الناس وشق على بشر ان امرة المهلب جاءت من قبل عبد الملك فلا يستطيع ان يبعث غيره فأوغرت صدره عليه حتى كانه كان له اليه ذنب ودعا بشر بن مروان عبد الرحمن بن مخنف فبعثه على أهل الكوفة وأمره ان ينتخب فرسان الناس ووجوههم وأولى الفضل منهم والنجدة (قال أبو مخنف) فحدثنى أشياخ الحى عن عبد الرحمن بن مخنف قال دعانى بشر بن مروان فقال لى انك قد عرفت منزلتك منى وأثرتك عندى وقد رأيت ان أوليك هذا الجيش للذى عرفت من جزئك وغنائك وشرفك وبأسك فكن عند أحسن ظنى بك أنظر هذا الكذا كذا يقع في المهلب فاستبدل عليه بالأمر ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتنقصه وقصر به قال فترك ان يوصينى بالجند وقتال العدو والنظر لاهل الاسلام وأقبل يغرينى بابن عمى كأنى من السفهاء أو ممن يستصبى ويستجهل ما رأيت شيخا مثلى في مثل هيئتى ومنزلتى طمع منه فى مثل ما طمع فيه هذا الغلام منى شبّ عمرو وعن الطوق قال ولما رأى انى لست بالنشيط الى جوابه قال لى ما لك قلت أصلحك الله وهل يسعنى الا انفاذ أمرك فى كل ما أحببت وكرهت قال امض راشدا قال فودعته وخرجت من عنده وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رام هرمز فلقى بها الخوارج فخندق عليه وأقبل عبد الرحمن بن مخنف بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه بشر بن جرير وعلى ربع تميم وهمدان محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وعلى ربع كندة وربيعة اسحاق بن محمد بن الاشعث وعلى ربع مذحج وأسد زحر بن قيس فأقبل عبد الرحمن حتى نزل من المهلب على ميل أو ميل ونصف حيث تراءى العسكران برام هرمز فلم يلبث الناس الا عشرا حتى أتاهم نعى بشر بن مروان وتوفي بالبصرة فارفض كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة واستخلف بشر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة زحر بن قيس وابن اسحاق بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فبعث عبد الرحمن بن

مخنف ابنه جعفرا فى آثارهم فرد اسحاق ومحمدا وفاته زحر بن قيس فحبسهما يومين ثم أخذ عليهما ان لا يفارقاه فلم يلبثا الا يوما حتى انصرفا فأخذا غير الطريق وطلبا فلم يلحقا وأقبلا حتى لحقا زحر بن قيس بالأهواز فاجتمع بها ناس كثير ممن يريد البصرة فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فكتب الى الناس كتابا وبعث رسولا يضرب وجوه الناس ويردهم فقدم بكتابه مولى له فقرأ الكتاب على الناس وقد جمعوا له بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن عبد الله الى من بلغه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإنى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو أما بعد فإن الله كتب على عباده الجهاد وفرض طاعة ولاة الأمر فمن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ومن ترك الجهاد فى الله كان الله عنه أغنى ومن عصى ولاة الأمر والقوام بالحق أسخط الله عليه وكان قد استحق العقوبة فى بشره وعرض نفسه لاستفاءة ماله وإلقاء عطائه والتسيير الى أبعد الأرض وشر البلدان أيها المسلمون اعلموا على من اجترأتم ومن عصيتم انه عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الذى ليست فيه غميزة ولا لأهل المعصية عنده رخصة سوطه على من عصى وعلى من خالف سيفه فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فإنى لم آلكم نصيحة عباد الله ارجعوا الى مكتبيكم وطاعة خليفتكم ولا ترجعوا عاصين مخالفين فيأتيكم ما تكرهون أقسم بالله لا أنقف عاصيا بعد كتابى هذا إلا قتلته ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وأخذ كلما قرأ عليهم سطرا أو سطرين قال له زحر أوجز فيقول له مولى خالد والله انى لأسمع كلام رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع أشهد لا يعيج بشئ مما فى هذا الكتاب فقال له اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرت به ثم ارجع الى أهلك فإنك لا تدرى ما فى أنفسنا فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس الى ما فى كتابه وأقبل زحر واسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قرية لآل الأشعث الى جانب الكوفة وكتبوا الى عمرو بن حريث أما بعد فإن الناس لما بلغهم وفاة الأمير رحمة الله عليه تفرقوا فلم يبق معنا أحد فأقبلنا الى الأمير والى مصرنا وأحببنا ان لا ندخل الكوفة الا بإذن الأمير وعلمه فكتب اليهم أما بعد فإنكم تركتم مكتبكم وأقبلتم عاصين مخالفين فليس لكم عندنا اذن ولا أمان فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى اذا كان الليل دخلوا الى رحالهم فلم يزالوا مقيمين حتى قدم الحجاج بن يوسف ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

﴿ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية﴾

وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان الى حين قدم أمية عليها والياسنتين فى قول أبى الحسن وذلك أن ابن خازم قتل سنة ٧٢ وقدم أمية سنة ٧٤ وكان سبب عزل بكير عن خراسان ان بحيرا فيما ذكر على عن المفضل حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت فى رأس ابن خازم حين قتله فلم يزل محبوسا عنده حتى استعمل عبد الملك أمية بن عبد الله بن خالد بن

أسيد فلما بلغ ذلك بكيرا أرسل الى بحير ليصالحه فأبى عليه وقال ظن بكير ان خراسان تبقى له فى الجماعة فشت السفراء بينهم فأبى بحير فدخل عليه ضرار بن حصين الضبى فقال ألا أراك ما تقايرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك وأنت أسيره والمشرفى فى يده ولو قتلك ما حبقت فيك عنز ولا تقبل منه ما أنت بموفق اقبل الصلح واخرج وأنت على أمرك فقبل مشورته وصالح بكيرا فأرسل اليه بكير بأربعين ألفا وأخذ على بحير ان لا يقاتله وكانت تميم قد اختلفت بخراسان فصارت مقاعس والبطون يتعصبون له فخاف أهل خراسان ان تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم عدوهم من المشركين فكتبوا الى عبد الملك بن مروان إن خراسان لا تصلح بعد الفتنة الا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه فقال عبد الملك خراسان ثغر المشرق وقد كان به من الشر ما كان وعليه هذا التميمى وقد تعصب الناس وخافوا ان يصيروا الى ما كانوا عليه فيهلك الثغر ومن فيه وقد سألوا ان أولى أمرهم رجلا من قريش فيسمعوا له ويطيعوا فقال أمية بن عبد الله يا أمير المؤمنين تداركهم برجل منك قال لولا انحيازك عن أبى فديتك كنت ذلك الرجل قال يا أمير المؤمنين والله ما انحزت حتى لم أجد مقاتلا وخذلنى الناس فرأيت ان انحيازى الى فئة أفضل من تعريضى عصبة بقيت من المسلمين للهلكة وقد علم ذلك مرار بن عبد الرحمن بن أبى بكرة وكتب اليك خالد بن عبد الله بما بلغه من عذرى قال وكان خالد كتب اليه يعذره ويخبره أن الناس قد خذلوه فقال مرار صدق أمية يا أمير المؤمنين لقد صبر حتى لم يجد مقاتلا وخذله الناس فولاه خراسان وكان عبد الملك يحب أمية ويقول تنبحنى أى لدتى فقال الناس ما رأينا أحدا عوض من هزيمة ما عوض أمية فر من أبى فديك فاستعمل على خراسان فقال رجل من بكر بن وائل فى محبس بكير بن وشاح

أتتك العيس تنفخ فى براها * تكشف عن مناكبها القطوع
كأن مواقع الأكوار منها * حمام كنائس بقع وقوع
بأبيض من أمية مضرحى * كأن جبينه سيف صنيع

وبحير يومئذ بالسند يسأل عن مسير أمية فلما بلغه انه قد قارب أبرشهر قال لرجل من عجم أهل مرو يقال له رزين أو زرير دلنى على طريق قريب لألقى الأمير قبل قدومه لك كذا وكذا وأجزل لك العطية وكان عالما بالطريق فخرج به فسار من السند الى أرض سرخس فى ليلة ثم مضى به الى نيسابور فوافى أمية حين قدم أبرشهر فلقيه فأخبره عن خراسان وما يصلح أهلها وتحسن به طاعتهم ويخف على الوالى مؤنتهم ورفع على بكير أموالا أصابها وحذره غدره قال وسار معه حتى قدم مرو وكان أمية سيدا كريما فلم يعرض لبكير ولا لعماله وعرض عليه ان يوليه شرطته فأبى بكير فولاها بحير بن ورقاء فلام بكير ارجال من

قومه فقالوا أبيت ان تلى فولى بحيرا وقد عرفت ما بينكما قال كنت أمس والى خراسان تحمل الحراب بين يدى فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربة وقال أمية لبكير اختر ما شئت من عمل خراسان قال طخارستان قال هى لك قال فتجهز بكير وأنفق مالا كثيرا فقال بحير لامية إن أتى بكير طخارستان خلعك فلم يزل يحذره حتى حذر فأمره بالمقام عنده

﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان ولى قضاء المدينة عبد الله بن قيس ابن مخرمة قبل شخوصه الى المدينة كذلك ذكر ذلك عن محمد بن عمر وكان على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وقد ذكر ان عبد الملك بن مروان اعتمر في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى عبد الملك يحيى بن الحكم بن أبى العاص المدينة ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان ﴿وفيها﴾ قدم الحجاج الكوفة ﴿حدثنى﴾ أبو زيد قال حدثنى محمد بن يحيى أبو غسان عن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءة وقد كان بشر بعث المهلب الى الحرورية فبدأ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال على بالناس فحسبوه وأصحابه خارجة فهموا به حتى اذا اجتمع اليه الناس قام فكشف عن وجهه وقال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

أما والله انى لأحمل الشر محمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله وإنى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وإنى لأنظر الى الدماء بين العمائم واللحى

قد شمرت عن ساقها تشميرا

هذا أوان الشد فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى إبل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى

مهاجر ليس بأعرابى

ليس أوان يكره الخلاط * جاءت به والقلص الأعلاط

تهوى هوى سابق الغطاط

انى والله يا أهل العراق ما أغمز كغمز التين ولا يقعقع لى بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وجريت الى الغاية القصوى إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فوجهنى اليكم فانكم طال ما أوضعتم فى الفتن وسننتم سنن الغى أما والله لألحونكم لحو العود ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل انى والله لا أعد الا وفيت ولا أخلق الا فريت فاياى وهذه الجماعات وقيلا وقالا ومايقول فيم أنتم وذاك والله لتستقيمن على سبل الحق أولأدعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وأنهبت ماله ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك

* قال ويقال انه لما طال سكوته تناول محمد بن عمير حصى فأراد ان يحصبه بها وقال قاتله الله ما أعياه وأدمه والله انى لأحسب خبره كروائه فلما تكلم الحجاج جعل الحصى يتناثر من يده ولا يعقل به وأن الحجاج قال في خطبته شاهت الوجوه ان الله ضرب مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك وأشباه أولئك فاستوثقوا واستقيموا فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدروا ولأعصبنكم عصب السلمة حتى تنقادوا أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف ولتدعن الارجاف وكان وكان وأخبرنى فلان عن فلان والهبر وما الهبر أولأهبرنكم بالسيف هبر ايدع النساء أيامى والولدان يتامى وحتى تمشوا السمهى وتقلعوا عن هاوها إياى وهذه الزرافات لا يركبن الرجل منكم الا وحده الا انه لوساغ لأهل المعصية معصيتهم ما جبى فيء ولا قوتل عدو ولعطلت الثغور ولولا انهم يغزون كرها ما غزوا طوعا وقد بلغنى رفضكم المهلب واقبالكم على مصركم عصاة مخالفين وإنى أقسم لكم بالله لا أجد أحدا بعد ثالثة الا ضربت عنقه ثم دعا العرفاء فقال ألحقوا الناس بالمهلب وأنونى بالبراآت بموافاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ليلا ولا نهارا حتى تنقضى هذه المدة ﴿تفسير الخطبة﴾ قوله أنا ابن جلا فابن جلا الصبح لأنه يجلو الظلمة والثنايا ما صغر من الجبال ونتا وأينع الثمر بلغ ادراكه وقوله فاشتدى زيم فهى اسم للحرب والحطم الذى يحطم كل شئ يمر به والوضم ما وقى به اللحم من الارض والعصلبى الشديد والدوية الأرض الفضاء التى يسمع فيها دوى اخفاف الابل والاعلاط الابل التى لا ارسان عليها أنشد أبو زيد الأصمعى

واعرورت العلط العرضى تركضه * أم الفوارس بالدىداء والربعه

والشنان جمع شنة وهى القربة البالية اليابسة قال الشاعر

كأنك من جمال بنى أقيش * يقعقع خلف رجليه بشن

وقوله فعجم عيدانها أى عضها والعجم بفتح الفاء حبّ الزبيب قال الاعشى

وملفوظها كلقيط العجَم

وقوله أمرّها عودا أى أصلبها يقال حبل مُمرّ اذا كان شديد الفتل وقوله لأعصبنّكم عصب السَّلَمَة فالعصب القطع والسلمة شجرة من العضاه وقوله لأحلقن الافريت فالخلق التقدير قال الله تعالى من نطفة مُخلَّقة وغير مُخلَّقة أى مقدَّرة وغير مقدرة يعنى مايتم ومايكون سقطا قال الكميت يصف قربة

لم تَجْشِم الخالقات فرْيتها * ولم يَفِضْ من نطاقها السَّرَبُ

وانما وصف حواصل الطير يقول ليست كهذه وصخرة خلقاء أى ملساء قال الشاعر

وبَهْوٍ هواءٍ فوق موركانه * من الصَّخرة الخلقاء زُحلوقُ مَلعَبِ

ويقال فريت الأديم اذا أصلحته وأفريت بالألف اذا أنت أفسدته والسمهى الباطل قال أبو عمرو الشيبانى وأصله ماتسميه العامة مُخاط الشيطان وهو لعاب الشمس عند الظهيرة قال أبو النجم العجلى

وذاب للشمس لُعابٌ فنزَلْ * وقام ميزان الزمان فاعتدَلْ

والزرافات الجماعات تم التفسير ﴿قال أبو جعفر﴾ قال عمر فحدثنى محمد بن يحيى عن عبد الله ابن أبى عبيدة قال فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيرا في السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال ياأهل العراق وأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد الله به فى الترغيب ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصف يابنى اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الايامى ألا يربع رجل منكم على ظلعه ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وأدبا لما بعدها * قوله تحتها قصف فهو شدة الريح والكعاء الورهاء وهى الحمقاء من الاماء والظلع الضعف والوهن من شدة السير وقوله تهوى هوىّ سابق الغطاط فالغطاط بضم الغين ضرب من الطير قال الأصمعى الغطاط بفتح الغين ضرب من الطير وأنشد لحسان بن ثابت

يُغشَوْن حتى ماتهرُّ كلابُهم * لايسألون عن الغطاطِ المُقبِلِ

بفتح الغين قال والغُطاط بضم الغين اختلاط الضوء بالظلمة من آخر الليل قال الراجز

قام الى أدماء في الغُطَاطِ * يَمْشِى بمِثْلِ قائمِ الفُسْطاط

﴿تم التفسير﴾ قال فقام اليه عمير بن ضابئ التميمى ثم الحنظلى فقال أصلح الله الأمير أنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير عليل وهذا ابنى وهو أشبّ منى قال ومن أنت قال عمير بن ضابئ التميمى قال أسمعت كلامنا بالأمس قال نعم قال ألست الذى غزا أمير المؤمنين عثمان قال بلى قال وما حملك على ذلك قال كان حبس أبى وكان شيخا كبيرا قال أوليس يقول

هَمَمْتُ ولم أفعلْ وكِدتُ وليتَنِى * تَرَكْتُ على عثمانَ تبكى حلائلُهْ

انى لأحسب فى قتلك صلاح المصرين قم اليه ياحرسىّ فاضرب عنقه فقام اليه رجل فضرب عنقه وأنهب ماله ويقال ان عنبسة بن سعيد قال للحجاج أتعرف هذا قال لا قال هذا أحد قتلة أمير المؤمنين عثمان فقال الحجاج ياعدوّ الله أفلا الى أمير المؤمنين بعثت بديلا ثم أمر بضرب عنقه وأمر مناديا فنادى الا انّ عمير بن ضابئ أتى بعد ثالثة وقد كان سمع النداء فأمرنا بقتله ألا فان ذمة الله بريئة ممن بات الليلة من جند المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرجت العرفاء الى المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب قدم العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدوّ قال ابن أبى عبيدة فى حديثه فعبر الجسر تلك الليلة أربعة آلاف من مذحج فقال المهلب قدم العراق رجل ذكر قال عمر عن أبى الحسن قال لما قرأ عليهم كتاب عبد الملك قال القارئ أما بعد سلام عليكم فانى أحمد اليكم الله فقال له اقطع ياعبيد العصا أيُسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يردّ رادٌّ منكم السلام هذا أدبُ ابن نهيّة أما والله لأؤدّبنّكم غير هذا الادب ابدأ بالكتاب فلما بلغ الى قوله أما بعد سلام عليكم لم يبق منهم أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله * قال عمر حدثنى عبد الملك بن شيبان بن عبد الملك بن مسمع قال حدثنى عمرو بن سعيد قال لما قدم الحجاج الكوفة خطبهم فقال انكم قد أخللتم بعسكر المهلب فلا يصبحنّ بعد ثالثة من جنده أحدٌ فلما كان بعد ثالثة أتى رجل يسمى فقال من بك قال عمير بن ضابئ البرجمى أمرته بالخروج الى معسكره فضرب بنى وكذب عليه فأرسل الحجاج الى عمير بن ضابئ فأتى به شيخا كبيرا فقال له ماخلفك عن معسكرك قال أنا شيخ كبير لاحراك بى فأرسلت ابنى بديلا فهو أجلد منى جلدا وأحدث منى سنا فسل عما أقول لك فان كنت صادقا والا فعاقبنى قال فقال عنبسة بن سعيد هذا الذى أتى عثمان قتيلا فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه فأمر به الحجاج فضربت عنقه قال عمرو بن سعيد فوالله انى لأسير بين الكوفة والحيرة اذ سمعت رجزا مضريّا فعدلت اليهم فقلت ما الخبر فقالوا قدم علينا رجل من شر أحياء العرب من هذا الحىّ من ثمود أسقف الساقين ممسوح الجاعرتين أخفش العينين فقدّم سيد الحىّ عمير بن ضابئ فضرب عنقه ولما قتل الحجاج عمير بن ضابئ لقى ابراهيم بن عامر أحد بنى غاضرة من بنى أسد عبد الله بن الزبير فى السوق فسأله عن الخبر فقال ابن الزبير

أقولُ لابراهيم لمّا لقيتُهُ * أرى الامر أمسَى مُنصبًا متشعّبا

تجهّزْ وأسرِعْ والحقِ الجيشَ لاأرى * سوى الجيش الا فى المهالك مذهبا

تخيَّرْ فاما أن تزورَ ابنَ ضابئٍ * عميرًا وإما أن تزورَ المهلبا

هما خطتا كره نجاؤك منهما * ركوبُك حوليًّا من الثلج أشهبا

فحال ولو كانت خُرَاسَانُ دُونَهُ * رآها مَكانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا

فكأن ترى من مُكْرِهِ العَدْوِ مُسْمِنٍ * تَحَمَّمَ حِنْوَ السَّرْجِ حتى تَحَنَّبَا

وكان قدوم الحجاج الكوفة فيما قيل فى شهر رمضان من هذه السنة فوجّه الحكم بن أيوب الثقفى على البصرة أميرا وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله فلما بلغ خالدا الخبر خرج من البصرة قبل أن يدخلها الحكم فنزل الجلحاء وشيّعه أهل البصرة فلم يَبْرَحْ مُصَلًّاه حتى قسم فيهم ألف ألف ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عبد الملك بن مروان حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر ووفد يحيى بن الحكم فى هذه السنة على عبد الملك بن مروان واستخلف على عمله بالمدينة أبان بن عثمان وأمر عبد الملك يحيى بن الحكم أن يقرّ على عمله على ما كان عليه بالمدينة وعلى الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زُرارة بن أوْفى ﴿وفى هذه السنة﴾ خرج الحجاج من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة أبا يعفُور عروة بن المغيرة بن شعبة فلم يزل عليها حتى رجع اليها بعد وقعة رُستقباذ ﴿وفى هذه السنة﴾ نار الناس بالحجاج بالبصرة

﴿ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به﴾

*ذكر هشام عن أبى مخنف عن أبى زهير العبسى قال خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعد ما قدمها وقتل ابن ضابئ من فوره ذلك حتى قدم البصرة فقام فيها بخطبة مثل الذى قام بها فى أهل الكوفة وتوعّدهم مثل وعيده اياهم فأتى برجل من بنى يَشْكُر فقيل هذا عاص فقال انّى بى فتقا وقد رآه بِشرٌ فعذرنى وهذا عطائى مردود فى بيت المال فلم يقبل منه وقتله ففزع لذلك أهل البصرة فخرجوا حتى تداكّوا على العارض بقَنْطَرة رامهرمز فقال المهلب جاء الناس رجل ذكر وخرج الحجاج حتى نزل رُستقباذ فى أول شعبان سنة ٧٥ فثار الناس بالحجاج عليهم عبد الله بن الجارود فقتل عبد الله بن الجارود وبعث بثمانية عشر رأسا فنُصبت برامهرمز للناس فاشتدت ظهور المسلمين وساء ذلك الخوارج وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف فانصرف الحجاج الى البصرة وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود ان الحجاج لما ندب الناس الى اللحاق بالمهلب بالبصرة فنهضوا سارا الحجاج حتى نزل رُستقباذ قريبا من دَسْتَوَى فى آخر شعبان ومعه وجوه أهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا فقام فى الناس فقال ان الزيادة التى زادكم ابن الزبير فى أعطياتكم زيادة فاسق منافق ولست أجيزها فقام اليه عبد الله بن الجارود العبدى فقال انها ليست بزيادة فاسق منافق ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتها لنا فكذّبه وتوعّده فخرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل ابن الجارود

وجماعة

وجماعة من أصحابه وبعث برأسه ورؤس عشرة من أصحابه الى المهلب وانصرف الى البصرة وكتب الى المهلب والى عبد الرحمن بن مخنف أما بعد اذا اتاكم كتابى هذا فانهضوا الخوارج والسلام ﴿وفى هذه السنة﴾ نفى المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم فى هذه السنة﴾

﴿ذكر هشام﴾ عن أبى مخنف عن أبى زهير العبسى قال ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج اليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة ٧٥ فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد ولكنهم زحفوا اليهم حتى أزالوهم وخرج القوم كانهم على حامية حتى نزلوا سابور بارض منها يقال لها كازَرُون وسار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم فى أول رمضان فخندق المهلب عليه فذكر أهل البصرة ان المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف ان رأيت أن تخندق عليك فافعل وان أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا انما خندق قُناسيونا وان الخوارج زحفوا الى المهلب ليلا ليبيّتوه فوجدوه قد أخذ حذره فمالوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فنزل فقاتل فى أناس من أصحابه فقتل وقتلوا حوله فقال شاعرهم

لمن العَسكرُ المكلَّلُ بالصَّرْ * عَى فَهُمْ بين مَيِّتٍ وقَتِيلِ

فتَرَاهُم تَسْفِى الرياح عليهم * حاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جرِّ الذيولِ

وأما أهل الكوفة فانهم ذكروا ان كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف أن ناهضا الخوارج حين يأتيكما كتابى فناهضاهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة ٧٥ واقتتلوا قتالا شديدا لم يكن بينهم فيما مضى قتال كان أشد منه وذلك بعد الظهر فمالت الخوارج بحدّها على المهلب بن أبى صفرة فاضطرّوه الى عسكره فسرّح الى عبد الرحمن رجالا من صلحاء الناس فأتوه فقالوا ان المهلب يقول لك انما عدوّنا واحد وقد ترى ما قد لقى المسلمون فأمدادخوانك يرحمك الله فأخذ يُمِدّه بالخيل بعد الخيل والرجال بعد الرجال فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجئ من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال الى عسكر المهلب ظنوا أن قد خف أصحابه فجعلوا خمس كتائب أو ستا تجاه عسكر المهلب وانصرفوا بحدهم وجمعهم الى عبد الرحمن بن مخنف فلما رآهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القُرّاء عليهم أبو الاحوص صاحب عبد الله بن مسعود وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسى الذى قتل مع زيد بن علىّ وصُلب معه بالكوفة ونزل معه من خاصة قومه احد وسبعون رجلا وحملت عليهم الخوارج فقاتلتهم قتالا شديدا ثم ان الناس انكشفوا عنه فبقى فى عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه الى المهلب فنادى فى الناس ليتّبعوه الى أبيه فلم يتبعه الا ناس قليل فجاء حتى اذا دنا من أبيه حالت الخوارج بينه وبين أبيه فقاتل

حتى ارتثته الخوارج وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثى الليل ثم قتل فى تلك العصابة فلما أصبحوا جاء المهلب حتى أتاه فدفنه وصلى عليه وكتب بمصابه الى الحجاج فكتب بذلك الحجاج الى عبد الملك بن مروان فنعى عبد الرحمن بمنى وذمّ أهل الكوفة وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتاب بن ورقاء وأمره اذا ضمّتهما الحرب أن يسمع للمهلب ويطيع فساءه ذلك فلم يجد بدّا من طاعة الحجاج ولم يقدر على مراجعته فجاء حتى أقام فى ذلك العسكر وقاتل الخوارج وأمرُه الى المهلب وهو فى ذلك يقضى أموره ولا يكاد يستشير المهلب فى شئ فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالا من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مَصقلة بن هبيرة فأغراهم بعتاب (قال أبو مخنف) عن يوسف بن يزيد ان عتّابا أتى المهلّب يسأله أن يرزق أصحابه فأجلسه المهلب معه على مجلسه قال فسأله أن يرزق أصحابه سؤالا فيه علظة وتجهم قال فقال له المهلب وإنك لههنا يا ابن اللخناء فبنو تميم يزعمون انه ردّ عليه وأما يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون انه قال والله انها لمُعَمَّة مُخولة ولوددت ان الله فرّق بينى وبينك قال فجرى بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه فوثب عليه ابنه المغيرة فقبض على القضيب وقال أصلح الله الأمير شيخ من أشياخ العرب وشريف من أشرافهم ان سمعتَ منه بعض ما تكرهه فاحتمله له فانه لذلك منك أهل ففعل وقام عتاب فرجع من عنده واستقبله بسطام بن مصقلة يشتمه ويقع فيه * فلما رأى ذلك كتب الى الحجاج يشكو اليه المهلّب ويخبره انه قد أغرى به سفهاء أهل المصر ويسأله أن يضمّه اليه فوافق ذلك من الحجاج حاجة اليه فيما لقى أشراف الكوفة من شبيب فبعث اليه أن اقدم واترك أمر ذلك الجيش الى المهلب فبعث المهلب عليه حبيبَ بن المهلب وقال حميد بن مسلم يرثى عبد الرحمن بن مخنف

ان يقتلوك أبا حكيم غدوةً * فلقد تشدُّ وتقتلُ الأبطالا
أو يشكلوا سيدَ المسوّدِ * سَمْحَ الخليقة ماجدًا مفضالا
فلمثل قتلك هدَّ قومَك كلهم * مَن كان يحمل عنهم الاثقالا
من كان يكشف غرَمهم وقتالهم * يوما اذا كان القتالُ نزالا
أقسمتُ ما نيلتْ مقاتلُ نفسه * حتى تدرَّعَ من دمٍ سربالا
وتناجزَ الأبطالُ تحت لوائه * بالمشرفيّة فى الأكفّ نصالا
يوما طويلا ثم آخرَ ليلهم * حين استبانوا فى السماء هلالا
وتكشّفت عنه الصفوفُ وخيلُه * فهناك نالته الرّماحُ فمالا

وقال سراقة بن مرداس البارقىّ

أعينىَّ جودا بالدموع السواكبِ * وكُونا كواهى شَنةٍ معراكبِ

على

على الأزد لما أن أصيب سَراتُهم * فنوحا لعيش بعد ذلك خائبِ
نُرجّى الخلودَ بعدهم ونَعُوقنا * عوائقُ موت أو قراع الكتائبِ
وكنا بخيرٍ قبل قتل ابن مخنفٍ * وكلُّ امرئ يوما لبعض المذاهبِ
أمارَ دموعَ الشيبِ من أهل مصرِه * وعجّل فى الشُبّان شَيْبَ الذوائبِ
وقاتل حتى مات أكرمَ ميتةٍ * وخرَّ على خدٍّ كريم وحاجبِ
وضارَبَ عنه المارقين عصابةٌ * من الأزد تمشى بالسيوف القواضبِ
فما ولدتْ أنثى ولا آب غائب * الى أهله إن كان ليس بآيبِ
فياعينى ابكى مخنفا وابن مخنفٍ * وفرسانَ قومى قصرةً وأقاربى

وقال سراقة أيضا يرثى عبد الرحمن بن مخنف

نَوَى سيدُ الأزدين أزدَ شنُوءةٍ * وأزدَ عمانَ رهنَ رمسٍ بكازرِ
وضارب حتى مات أكرم ميتةٍ * بأبيضَ صافٍ كالعقيقة باترِ
وصُرّع حولَ التلّ تحت لوائه * كرامُ المساعى من كرام المعاشرِ
قضى نحبَه يوم اللقاء ابن مخنفٍ * وأدبرَ عنه كلُّ ألوثَ دائرِ
أمدَّ فلم يُمددْ فراحَ مُشمّرًا * الى الله لم يذهبْ بأنواب غادرِ

وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحوا من سنة ﴿وفى هذه السنة﴾ تحرّك صالح بن مُسرّح أحد بنى امرئ القيس وكان يرى رأى الصُفرية وقيل انه أوّل من خرج من الصفرية

﴿ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه فى هذه السنة﴾

ذكر ان صالح بن مسرح أحد بنى امرئ القيس حج سنة ٧٥ ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين وأشباههم وحجّ فى هذه السنة عبد الملك بن مروان فهمّ شبيب بالفتك به وبلغه ذكرُ من خبرهم فكتب الى الحجاج بعد انصرافه يأمره بطلبهم وكان صالح يأتى الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ليَعِدهم فتثبتُ بصالح الكوفةُ لما طلبه الحجاج فتنكبها

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين ﴾

﴿ذكر الكائن من الأحداث فيها﴾

فمن ذلك خروج صالح بن مسرح

﴿ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح وعن سبب خروجه﴾

وكان سبب خروجه فيما ذكر هشام عن أبى مخنف عن عبد الله بن علقمة عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمى ان صالح بن مسرّح التيمىّ كان رجلا ناسكا مخبتا مصفرّ الوجه صاحب عبادة وانه كان بدارا وأرض الموصل والجزيرة له أصحاب يُقرئهم القرآن ويفقّههم ويقصّ

عليهم فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا ان قصص صالح بن مسرّح عنده وكان ممن يرى رأيهم فسألوه أن يبعث بالكتاب اليهم ففعل وكان قصصه الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اللهم انا لانعدل بك ولا نحفد الا اليك ولا نعبد الا اياك لك الخلق والأمر ومنك النفع والضر واليك المصير ونشهد ان محمدا عبدك الذى اصطفيته ورسولك الذى اخترته وارتضيته لتبليغ رسالاتك ونصيحة عبادك ونشهد انه قد بلغ الرسالة ونصح للأمة ودعا الى الحق وقام بالقسط ونصر الدين وجاهد المشركين حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا والرغبة فى الآخرة وكثرة ذكر الموت وفراق الفاسقين وحب المؤمنين فان الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما عند الله وتفرّغ بدنه لطاعة الله وان كثرة ذكر الموت يخيف العبد من ربه حتى يجأره اليه ويستكين له وان فراق الفاسقين حق على المؤمنين قال الله فى كتابه ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وان حب المؤمنين للسبب الذى ينال به كرامة الله ورحمته وجنته جعلنا الله وإياكم من الصادقين الصابرين ألا ان من نعمة الله على المؤمنين ان بعث فيهم رسولا من أنفسهم فعلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم ووفقهم فى دينهم وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما حتى قبضه الله صلوات الله عليه ثم ولى الأمر من بعده التقى الصدّيق على الرضى من المسلمين فاقتدى بهديه واستنّ بسنته حتى لحق بالله رحمه الله واستخلف عمر فولاه الله أمر هذه الرعية فعمل بكتاب الله وأحيا سنة رسول الله ولم يخنق فى الحق على جرّته ولم يخف فى الله لومة لائم حتى لحق به رحمة الله عليه وولى المسلمين من بعده عثمان فاستأثر بالفيء وعطل الحدود وجار في الحكم واستذلّ المؤمن وعزّ المجرم فسار اليه المسلمون فقتلوه فبرئ الله منه ورسوله وصالح المؤمنين وولى أمر الناس من بعده علىّ بن أبى طالب فلم ينشب ان حكّم في أمر الله الرجال وشكّ في أهل الضلال وركن وأدهن فنحن من علىّ وأشياعه براء فتيسّروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزّبة وأئمة الضلال الظلمة والخروج من دار الفناء الى دار البقاء واللحاق باخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة وأنفقوا أموالهم التماس رضوان الله فى العاقبة ولا تجزعوا من القتل فى الله فان القتل أيسر من الموت والموت نازل بكم غير ما ترجمُ الظنون ففرّق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم وحلائلكم ودنياكم وان اشتدّ لذلك كرهكم وجزعكم ألا فبيعوا الله أنفسكم طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين وتعانقوا الحور العين جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الله بن علقمة قال بينا أصحاب صالح يختلفون اليه اذ قال لهم ذات يوم ما أدرى ما تنتظرون وحتى متى أنتم مقيمون هذا الجور قد فشا وهذا

العدل

العدل قد عفا ولا تزداد هذه الولاة على الناس الا غلوّا وعتوّا وتباعدا عن الحق وجرأة على الربّ فاستعدّوا وابعثوا الى اخوانكم الذين يريدون من انكار الباطل والدعاء الى الحق مثل الذى تريدون فيأتوكم فنلتقى وننظر فيما نحن صانعون وفى أىّ وقت ان خرجنا نحن خارجون قال فتراسل أصحاب صالح وتلاقوا في ذلك فبيناهم في ذلك اذ قدم عليهم المحلل بن وائل اليشكرىّ بكتاب من شبيب الى صالح بن مسرّح أما بعد فقد علمت انك كنت أردت الشخوص وقد كنت دعوتنى الى ذلك فاستجبت لك فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخ المسلمين ولن نعدل بك منا أحدا وان أردت تأخير ذلك اليوم أعلمتنى فان الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تختر منى المنيّة ولما أجاهد الظالمين فياله غبنا وياله فضلا مترو كا جعلنا الله واياك ممن يريد بعمله الله ورضوانه والنظر الى وجهه ومرافقة الصالحين فى دار السلام والسلام عليك قال فلما قدم على صالح المحلل بن وائل بذلك الكتاب من شبيب كتب اليه صالح أما بعد فقد كان كتابك وخبرك أبطأ عنى حتى أهمنى ذلك ثم ان أمراء من المسلمين نبّأنى بنبإ مخرجك ومقدمك فحمدت الله على قضاء ربنا وقد قدم علىّ رسولك بكتابك فكلّ ما فيه قد فهمته ونحن فى جهاز واستعداد للخروج ولم يمنعنى من الخروج الا انتظارك فأقبل اليّ النيام اخرج بنا منى ما أحببت فانك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى دونه الأمور والسلام عليك * فلما قدم على شبيب كتابه بعث الى نفر من أصحابه فجمعهم اليه منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم والمحلل بن وائل اليشكرىّ والصقر بن حاتم من بنى تيم بن شيبان وابراهيم بن حجر أبو الصقير من بنى محلّم والفضل بن عامر من بنى ذهل بن شيبان ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرّح بدارا فلما لقيه قال اخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد السنة الا دروسا ولا يزداد المجرمون الا طغيانا فبثّ صالح رسله فى أصحابه وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ٧٦ فاجتمع بعضهم الى بعض وتهيّأوا وتيسر واللخروج في تلك الليلة واجتمعوا جميعا عنده فى تلك الليلة ليعاده (قال أبو مخنف) فحدثنى فروة بن لقيط الأزدىّ قال والله انى لمع شبيب بالمدائن اذ حدّثنا عن مخرجهم قال لما هممنا بالخروج اجتمعنا الى صالح بن مسرّح ليلة خرج فكان رأيى استعراض الناس لما رأيت من المنكر والعدوان والفساد في الأرض فقمت اليه فقلت يا أمير المؤمنين كيف ترى في السيرة في هؤلاء الظلمة أنقتلهم قبل الدعاء أم ندعوهم قبل القتال وسأخبرك برأيى فيهم قبل أن تخبرنى فيهم برأيك أما أنا فأرى أن نقتل كلّ من لا يرى رأينا قريبا كان أو بعيدا فانا نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله واستحوذ عليهم الشيطان فقال لا بل ندعوهم فلعمرى لا يجيبك الا من يرى رأيك وليقاتلنك من يرى عليك والدعاء أقطع لحجتهم وأبلغ فى الحجة عليهم قال فقلت له فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ما نقول

فى دمائهم وأموالهم فقال ان قتلنا وغنمنا فلنا وان تجاوزنا وعفونا فوسع علينا ولنا قال فأحسن القول وأصاب رحمة الله عليه وعلينا (قال أبو مخنف) فحدثنى رجل من بنى محلم ان صالح بن مسرح قال لأصحابه ليلة خرج اتقوا الله عباد الله ولا تعجلوا الى قتال أحد من الناس الا ان يكونوا قوما يريدونكم وينصبون لكم فانكم انما خرجتم غضبا لله حيث انتهكت محارمه وعُصى فى الارض فسُفكت الدماء بغير حلها وأخذت الأموال بغير حقها فلا تعيبوا على قوم أعمالا ثم تعملوا بها فان كلّ ما أتتم عاملون أنتم عنه مسؤلون وإنّ عظمكم رجّالة وهذه دوابّ لمحمد بن مروان فى هذا الرستاق فابدؤا بها فشدّوا عليها فاحملوا أرجلكم وتقوّوا بها على عدوّكم فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدوابّ فحملوا رجّالتهم عليها وصارت رجالتهم فرسانا وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصّن منهم أهل دارا وأهل نَصِيبين وأهل سنجار وخرج صالح ليلة خرج فى مائة وعشرين وقيل فى مائة وعشرة قال وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة فاستخفّ بأمرهم وبعث اليهم عدىّ بن عدىّ بن عُميرة من بنى الحارث بن معاوية بن ثور فى خمسمائة فقال له أصلح الله الأمير أتبعثنى الى رأس الخوارج منذ عشرين سنة قد خرج معه رجال من ربيعة قد سُمّوا لى كانوا يعزّوننا الرجل منهم خير من مائة فارس فى خمسمائة رجل قال له فإنى أزيدك خمسمائة أخرى فسُرّ اليهم فى ألف فسار من حرّان فى ألف رجل فكان أوّل جيش سار الى صالح وسار اليه عدىّ وكأنما يساق الى الموت وكان عدىّ رجلا يتنسّك فأقبل حتى اذا نزل دَوْغان نزل بالناس وسرّح الى صالح بن مسرّح رجلا دسّه اليه من بنى خالد من بنى الوَرثة يقال له زياد ابن عبد الله فقال ان عدىّ يبعثنى اليك يسألك ان تخرج من هذا البلد وتأتى بلدا آخر فتقاتل أهله فإنّ عدىّ اللقائك كارهٌ فقال له صالح ارجع اليه فقل له ان كنت ترى رأينا فأرنا من ذلك ما نعرف ثم نحن مدلجون عنك من هذا البلد الى غيره وإن كنت على رأى الجبابرة وأئمة السوء رأينا رأينا فان شئنا بدأنا بك وإن شئنا رحلنا الى غيرك فانصرف اليه الرسول فأبلغه ما أرسل به فقال له ارجع اليه فقل له انى والله ما أنا على رأيك ولكنّى أكره قتالك وقتال غيرك فقاتل غيرى فقال صالح لأصحابه اركبوا فركبوا وحبس الرجل عنده حتى خرجوا ثم تركه ومضى بأصحابه حتى يأتى عدىّ بن عدىّ بن عُميرة فى سُوق ذوغان وهو قائم يصلى الضحى فلم يشعر الا والخيل طالعة عليهم فلما بصروا بها تنادوا وجعل صالح شبيبا فى كتيبة فى ميمنة أصحابه وبعث سويد بن سُليم الهندىّ من بنى شيبان فى كتيبة فى ميسرة أصحابه ووقف هو فى كتيبة فى القلب فلما دنا منهم رآهم على غير تعبية وبعضهم يجول فى بعض فأمر شبيبا فحمل عليهم ثم حمل سُويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يقاتلوا وأتى عدىّ بن عدىّ بدابته وهو يصلى فركبها ومضى على وجهه وجاء صالح بن مسرّح حتى نزل عسكره

وحوى

وحوى ما فيه وذهب فلّ عدىّ وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان فغضب ثم دعا خالد بن جَزْء السلمىّ فبعثه فى ألف وخمسمائة ودعا الحارث بن جَعْونة من بنى ربيعة ابن عامر بن صَعْصعة فبعثه فى ألف وخمسمائة ودعاهما فقال أخرجا الى هذه الخارجة القليلة الخبيثة وعجّلا الخروج وأغذّا السير فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه فخرجا من عنده فأغذا السير وجعلا يسألان عن صالح بن مسرّح فيقال لهما انه توجه نحو آمد فأتبعاه حتى انتهيا اليه وقد نزل على أهل آمد فنزلا ليلا فخندقا وانتهيا اليه وهما متساندان كلّ واحد منهما فى أصحابه على حدته فوجّه صالح شبيبا الى الحارث بن جَعْونة العامرىّ فى شطر أصحابه وتوجّه هو نحو خالد بن جَزْء السلمىّ (قال أبو مخنف) فحدّثنى المُحلمىّ قال انتهوا الينا فى أوّل وقت العصر فصلى بنا صالح العصر ثم عبّانا لهم فاقتتلنا كأشدّ قتال اقتتله قوم قطّ وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيهزمهم وعلى العشرين فكذلك وجعلت خيلهم لا تثبت لخيلنا * فلما رأى أمير اهم ذلك ترجلا وأمر اجلّ من معهما فترجّل فعند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذى نريد اذا حملنا عليهم استقبلتْنا رجّالتهم بالرماح ونضحتْنا نُبالُ مَاتهم بالنبل وخيلهم تطاردنا فى خلال ذلك فقاتلناهم الى المساء حتى حال الليل بيننا وبينهم وقد أفشوا فينا الجراحة وأفشيناها فيهم ووالله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا وقد قتلوا منا نحوا من ثلاثين رجلا وقتلنا منهم أكثر من سبعين فوقفنا مقابلهم ما يقدمون علينا وما نقدم عليهم فلما أمسوا رجعوا الى عسكرهم ورجعنا الى عسكرنا فصلينا وترّحنا وأكلنا من الكِسَر ثم إن صالحا دعا شبيبا ورؤس أصحابه فقال يا أحلائى ماذا ترون فقال شبيب أرى انا قد لقينا هؤلاء القوم فقاتلناهم وقد اعتصموا بخندقهم فلا أرى أن نقيم عليهم فقال صالح وأنا أرى ذلك فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين فضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ثم دخلوا أرض الموصل فساروا فيها حتى قطعوها ومضوا حتى قطعوا الدَّسكرة * فلما بلغ ذلك الحجاج سرّح اليهم الحارث بن عميرة بن ذى المِشعار الهمدانىّ فى ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة ألف من المقاتلة الأولى والفين من الفرض الذى فرض لهم الحجاج فسار حتى اذا دنا من الدَّسكرة خرج صالح بن مسرّح نحو جَلُولاء وخانقين وأتبعه الحارث بن عميرة حتى انتهى الى قرية يقال لها المدّيج من أرض الموصل على تَخوم ما بينها وبين أرض جوخى وصالح يومئذ فى تسعين رجلا فعبّى الحارث بن عميرة يومئذ أصحابه وجعل على ميمنته أبا الرواع الشاكرىّ وعلى ميسرته الزبير بن الأروح التميمى ثم شدّ عليهم وذلك بعد العصر وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس فهو فى كردوس وشبيب فى كردوس فى ميمنته وسويد بن سليم فى كردوس فى الميسرة فى كلّ كردوس منهم ثلاثون رجلا * فلما شدّ عليهم الحارث بن عميرة فى جماعة أصحابه انكشف سُويد بن سليم وثبت صالح بن مسرّح فقتل وضارب شبيب حتى صُرع عن فرسه فوقع فى رجّالة فشدّ

عليهم فانكشفوا فجاء حتى انتهى الى موقف صالح بن مسرح فأصابه قتيلا فنادى الىّ يامعشر المسلمين فلاذوا به فقال لأصحابه ليجعل كل واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوّه اذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن ونرى رأينا ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشبيب وأحاط بهم الحارث بن عميرة ممسيا وقال لأصحابه أحرقوا الباب فاذا صار جمرا فدعوه فانهم لا يقدرون على أن يخرجوا منه حتى نصبّحهم فنقتلهم ففعلوا ذلك بالباب ثم انصرفوا الى عسكرهم فأشرف شبيب عليهم وطائفة من أصحابه فقال بعض أولئك الفرض يابنى الزوانى ألم يخزكم الله فقالوا يافسّاق نعم تقاتلوننا القتالنا اياكم اذ عمّاكم الله عن الحق الذى نحن عليه فما عذركم عند الله في الفرّى على أمهاتنا فقال لهم حلماؤهم انما هذا من قول شبّاب فيناسفهاء والله مايعجبنا قولهم ولا نستحله وقال شبيب لأصحابه ياهؤلاء ماتنتظرون فوالله لئن صبّحكم هؤلاء غدوة إنه لهلاككم فقالوا له مرنا بأمرك فقال لهم إن الليل أخفى للويل يا يعونى أو من شئتم منكم ثم أخرجوا بنا حتى نشدّ عليهم فى عسكرهم فإنهم لذلك منكم آمنون وأنا أرجو أن ينصركم الله عليهم فقالوا فابسط يدك فلنبايعك فبايعوه ثم جاؤا ليخرجوا وقد صار بابهم جمرا فأتوا باللبود فبلوها بالماء ثم ألقوها على الجمر ثم قطعوا عليها فلم يشعر الحارث بن عميرة ولا أهل العسكر الا وشبيب وأصحابه يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم فضارب الحارث حتى صرع واحتمله أصحابه وانهزموا وحلّوا لهم العسكر ومافيه ومضوا حتى نزلوا المدائن فكان ذلك الجيش أوّل جيش هزمه شبيب وأصيب صالح بن مسرّح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الاولى من سنته ﴿وفى هذه السنة﴾ دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة

﴿ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجاج بها والسبب الذى دعا شبيبا الى ذلك﴾

وكان السبب فى ذلك فيما ذكر هشام عن أبى مخنف عن عبد الله بن علقمة عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمى أن شبيبا لما قتل صالح بن مسرّح بالمدبّج وبايعه أصحاب صالح ارتفع الى أرض الموصل فلقى سلامة بن سيّار بن المضاء التيمى تيم شيبان فدعاه الى الخروج معه وكان يعرفه قبل ذلك اذ كان في الديوان والمغازى فاشترط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارسا ثم لا يغيب عنه الا ثلاث ليال عددا ففعل فانتخب ثلاثين فارسا فانطلق بهم نحو عنزة وإنما أرادهم ليشفى نفسه منهم لقتلهم أخاه فضالة وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك فى ثمانية عشر نفسا حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجال عليه أثلة عظيمة وعليه عنزة * فلما رأته عنزة قال بعضهم لبعض نقتلهم ثم نغدو بهم الى الأمير فنعطى ونحظى فأجمعوا على ذلك فقالت بنو نصر اخواله لعمر الله لا نساعدكم على قتل ولدنا فنهضت عنزة اليهم فقاتلوهم

فقتلوهم

فقتلوهم وأتوا برؤسهم عبد الملك بن مروان فلذلك أنزلهم بانقيا وفرض لهم ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك الا قليلة فقال سلامة بن سيّار أخو فضالة يذكر قتل أخيه وخذلان أخواله اياه

وَمَا خِلْتُ أَخْوَالَ الفَتَى يُسْلِمُونَهُ * لِوَقْعِ السلاح قبلَ ما فَعَلَتْ نَصْرُ

قال وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرح وشبيب * فلما بايع سلامةُ شبيبا اشترط عليه هذا الشرط فخرج فى ثلاثين فارسا حتى انتهى الى عنزة فجعل يقتل المحلة منهم بعد المحلة حتى انتهى الى فريق منهم فيهم خالته وقد أكبّت على ابن لها وهو غلام حين احتلم فقالت وأخرجت ثديها اليه أنشدك برحم هذا ياسلامة فقال لا والله ما رأيت فضالة مذ أناخ بعُمر الشجرة يعنى أخاه لتقومنّ عنه أولأجمعنّ جافتّك بالرمح فقامت عن ابنها عند ذلك فقتله (قال أبو مخنف) فحدثنى المفضل بن بكر من بنى تيم بن شيبان ان شبيبا أقبل فى أصحابه نحو راذان فلما سمعت به طائفة من بنى تيم بن شيبان خرجوا هرّابا منه ومعهم ناس من غيرهم قليل فأقبلوا حتى نزلوا دير خرّزاد الى جنب حوّلايا وهم نحو من ثلاثة آلاف وشبيب فى نحو من سبعين رجلا أو يزيدون قليلا فنزل بهم فهابوه وتحصّنوا منه ثم ان شبيبا سرى في اثنى عشر فارسا من أصحابه الى أمه وكانت في سفح ساتيدَما نازلة فى مظلة من مظالّ الأعراب فقال لا تبنّ بأمى فلأجعلنها فى عسكرى فلا تفارقنى أبدا حتى أموت أو تموت وخرج رجلان من بنى تيم بن شيبان تخوّفا على أنفسهما فنزلا من الدير فلحقا بجماعة من قومهما وهم نزول بالجال منهم على مسيرة ساعة من النهار وخرج شبيب في أولئك الرهط في أوّلهم وهم اثنا عشر يريد أمّه بالسفح فإذا هو بجماعة من بنى تيم بن شيبان غارّين فى أموالهم مقيمين لا يرون ان شبيبا يمرّ بهم لمكانهم الذى هم به ولا يشعر بهم فحمل عليهم في فرسانه تلك فقتل منهم ثلاثين شيخا فيهم حوثرة بن أسد وبرة بن عاصم اللذان كانا نزلا من الدير فلحقا بالجال ومضى شبيب الى أمه فحملها من السفح فأقبل بها وأشرف رجل من أصحاب الدير من بكر بن وائل على أصحاب شبيب وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ويقال لذلك الرجل الذى أشرف عليهم سلام بن حيان فقال لهم ياقوم القرآن بيننا وبينكم ألم تسمعوا قول الله وإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ قالوا بلى قال لهم فكفوا عنا حتى نصبح ثم نخرج اليكم على أمان لنا منكم لكيلا تعرضوا لنا بشئ نكرهه حتى تعرضوا علينا أمركم هذا فإن نحن قبلناه حرمت عليكم أموالنا ودماؤنا وكنا لكم اخوانا وإن نحن لم نقبله رددتمونا الى مأمننا ثم رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم قالوا لهم فهذا لكم * فلما أصبحوا خرجوا اليهم فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم ووصفوا لهم أمرهم فقبلوا ذلك كله وخالطوهم ونزلوا اليهم فدخل بعضهم الى بعض

وجاء شبيب وقد اصطلحوا فأخبره أصحابه خبرهم فقال أصبتم ووفقتم وأحسنتم ثم ان شبيبا ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفة جانحة وخرج يومئذ معه ابراهيم بن حجر المحلمي أبو الصقير كان مع بني تيم بن شيبان نازلا فيهم ومضى شبيب في أدانى أرض الموصل وتخوم أرض جوخى ثم ارتفع نحو آذربيجان وأقبل سفيان بن أبي العالية الخثعمي في خيل قد كان أمر أن يدخل بها طبرستان فأمر بالقفول فأقبل راجعا في نحو من ألف فارس فصالح صاحب طبرستان (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الله بن علقمة الخثعمي ان كتاب الحجاج أتاه أما بعد فسر حتى تنزل الدسكرة فمن معك ثم أقم حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة الهمداني بن ذي المشعار وهو الذي قتل صالح بن مسرح وخيل المناظر ثم سر الى شبيب حتى تناجزه * فلما أتاه الكتاب أقبل حتى نزل الدسكرة ونودي في جيش الحارث بن عميرة بالكوفة والمدائن ان برئت الذمة من رجل من جيش الحارث بن عميرة لم يواف سفيان بن أبي العالية بالدسكرة قال فخرجوا حتى أتوه وأتته خيل المناظر وكانوا خمسمائة عليهم سورة ابن أبجر التميمي من بني أبان بن دارم فوافوه الا نحوا من خمسين رجلا تخلفوا عنه وبعث الى سفيان بن أبي العالية أن لا تبرح العسكر حتى آتيك فعجل سفيان فارتحل في طلب شبيب فلحقه بخانقين في سفح جبل فجعل على ميمنته خازم بن سفيان الخثعمي من بني عمرو ابن شهران وعلى ميسرته عدي بن عميرة الشيباني وأصحر لهم شبيب ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه وقد أكمن له أخاه مصادا معه خمسون في هزم من الأرض فلما رأوه جمع أصحابه ثم مضى في سفح الجبل مشرفا فقالوا هرب عدو الله فاتبعوه فقال لهم عدي بن عميرة الشيباني أيها الناس لا تعجلوا عليهم حتى نضرب في الارض ونسير بها فان يكونوا قد أكمنوا لنا كمينا كنا قد حذرناه والا فإن طلبهم لن يفوتنا فلم يسمع منه الناس وأسرعوا في آثارهم * فلما رأى شبيب انهم قد جازوا الكمين عطف عليهم * ولما رأى الكمين أن قد جازوهم خرجوا اليهم فحمل عليهم شبيب من أمامهم وصاح بهم الكمين من ورائهم فلم يقاتلهم أحد وكانت الهزيمة فثبت ابن أبي العالية في نحو من مائتي رجل فقاتلهم قتالا شديدا حسنا حتى ظن انه انتصف من شبيب وأصحابه فقال سويد بن سليم لاصحابه أمنكم أحد يعرف أمير القوم ابن أبي العالية فوالله لئن عرفته لأجهدن نفسي في قتله فقال شبيب أنا من أعرف الناس به أما ترى صاحب الفرس الاغر الذي دونه المرامية فإنه ذلك فإن كنت تريده فأمهله قليلا ثم قال ياقعنب أخرج في عشرين فأتهم من ورائهم فخرج قعنب في عشرين فارتفع عليهم * فلما رأوه يريد أن يأتيهم من ورائهم جعلوا يتقضون ويتسللون وحمل سويد بن سليم على سفيان ابن أبي العالية فطاعنه فلم تصنع رماحهما شيأ ثم اضطربا بسيفيهما ثم اعتنق كل منهما صاحبه فوقعا الى الارض يعتركان ثم تحاجزوا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا وأتى سفيان غلام له

يقال

يقال له غزوان فنزل عن برذونه وقال اركب يا مولاي فركب سفيان وأحاط به أصحاب شبيب فقاتل دونه غزوان فقتل وكانت معه رايته وأقبل سفيان بن أبي العالية حتى انتهى الى بابل مهرُوذ فنزل بها وكتب الى الحجاج أما بعد فاني أخبر الامير أصلحه الله اني اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم بخانقين فقاتلتهم فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم فبينا نحن كذلك اذ أتاهم قوم كانوا غيبا عنهم فحملوا على الناس فهزموهم فنزلت في رجال من أهل الدين والصبر فقاتلتهم حتى خررت بين القتلى فحملت مرتثا فأتي بي بابل مهروذ فها أنا بها والجند الذين وجههم الى الامير وافوا الاسورة بن أبجر فإنه لم يأتني ولم يشهد معي حتى اذا ما نزلت بابل مهروذ أتاني يقول ما لا أعرف ويعتذر بغير العذر والسلام * فلما قرأ الحجاج الكتاب قال من صنع كما صنع هذا وأبلى كما أبلى فقد أحسن ثم كتب اليه أما بعد فقد أحسنت البلاء وقضيت الذي عليك فاذا خف عنك الوجع فأقبل مأجورا الى أهلك والسلام وكتب الى سورة بن أبجر أما بعد فيا ابن أم سورة ما كنت خليقا ان تجترئ على ترك عهدي وخذلان جندي فاذا أتاك كتابي فابعث رجلا ممن معك صليبا الى الخيل التي بالمدائن فلينتخب منهم خمسمائة رجل ثم ليقدم بهم عليك ثم سر بهم حتى تلقى هذه المارقة واحزم في أمرك وكد عدوك فإن أفضل أمر الحرب حسن المكيدة والسلام * فلما أتى سورة كتاب الحجاج بعث عدي بن عميرة الى المدائن وكان بها ألف فارس فانتخب منهم خمسمائة ثم دخل على عبد الله بن أبي عصيفير وهو أمير المدائن امارته الاولى فسلم عليه فأجازه بألف درهم وحمله على فرس وكساه أثوابا ثم انه خرج من عنده فأقبل بأصحابه حتى قدم بهم على سورة بن أبجر ببابل مهروذ فخرج في طلب شبيب وشبيب يجول في جوخى وسورة في طلبه فجاء شبيب حتى انتهى الى المدائن فتحصن منه أهل المدائن وتحرزوا ووهى أبنية المدائن الاولى فدخل المدائن فأصاب بها دواب جند كثيرة فقتل من ظهر له ولم يدخلوا البيوت فأتي فقيل له هذا سورة بن أبجر قد أقبل اليك فخرج في أصحابه حتى انتهى الى النهروان فنزلوا به وتوضؤوا وصلوا ثم أتوا مصارع اخوانهم الذين قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام فاستغفروا لاخوانهم وتبرؤا من علي وأصحابه وبكوا فأطالوا البكاء ثم خرجوا فقطعوا جسر النهروان فنزلوا من جانبه الشرقي وجاء سورة حتى نزل بقطرانا وجاءته عيونه فأخبرته بمنزل شبيب بالنهروان فدعا رؤس أصحابه فقال انهم قلما يلقون مصحرين أو على ظهر الا انتصفوا منكم وظهروا عليكم وقد حدثت انهم لا يزيدون على مائة رجل الا قليلا وقد رأيت أن أنتخبكم فأسير في ثلثمائة رجل منكم من أقويائكم وشجعانكم فآتيهم الآن اذ هم آمنون لبياتكم فوالله اني لارجو أن يصرعهم الله مصارع اخوانهم الذين صرعوا منهم بالنهروان من قبل فقالوا اصنع ما أحببت فاستعمل على عسكره حازم بن

قدامة الخثعمى وانتخب من أصحابه ثلاثمائة رجل من أهل القوة والجلد والشجاعة ثم أقبل بهم نحو النهر وان وبات شبيب وقد أذكى الحرس فلما دنا أصحاب سورة منهم نذروا بهم فاستوا على خيولهم وتعبوا تعبيتهم * فلما انتهى اليهم سورة وأصحابه أصابوهم قد حذروا واستعدوا فحمل عليهم سورة وأصحابه فثبتوا لهم وصاربوهم حتى صدّ عنهم سورة وأصحابه ثم صاح شبيب بأصحابه فحمل عليهم حتى تركوا له العرضة وحملوا عليهم معه وجعل شبيب يضرب ويقول

من ينكُ العبرَ ينكْ نيًّا كا * جندلتان اصطكّتا اصطكاكا

فرجع سورة الى عسكره وقد هزم الفرسان وأهل القوة فتحمّل بهم حتى أقبل بهم نحو المدائن فدفع اليهم وقد تحمّل وتعدّى الطريق الذى فيه شبيب واتبعه شبيب وهو يرجو أن يلحقه فيصيب عسكره ويصيب بهزيمته أهل العسكر فأغذ السير في طلبهم فانتهوا الى المدائن فدخلوها وجاء شبيب حتى انتهى الى بيوت المدائن فدفع اليهم وقد دخل الناس وخرج ابن أبى عصيفير فى أهل المدائن فرماهم الناس بالنبل ورموا من فوق البيوت بالحجارة فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن فمرّ على كلواذا فأصاب بها دوابّ كثيرة للحجاج فأخذها ثم خرج يسير فى أرض جوخى ثم مضى نحو تكريت فبينا ذلك الجند فى المدائن اذ أرجف الناس بينهم فقالوا هذا شبيب قد دنا وهو يريد ان يبيّت أهل المدائن الليلة فارتحل عامة الجند فلحقوا بالكوفة (قال أبو مخنف) وحدّثنى عبد الله بن علقمة الخثعمى قال والله لقد هربوا من المدائن وقالوا نُبيّتُ الليلةَ وإن شبيبا لبتكريت قال ولما قدم الفلّ على الحجاج سرّح الجزل بن سعيد بن شُرَحبيل بن عمر والكندى (قال أبو مخنف) حدّثنا النضر بن صالح العبسى وفضيل بن خديج الكندى ان الحجاج لما أتاه الفلّ قال قبح الله سورة ضيّع العسكر والجند وخرج يبيت الخوارج أما والله لأسوأنه وكان بعد قد حبسه ثم عفا عنه (قال أبو مخنف) وحدّثنى فضيل بن خديج ان الحجاج دعا الجزل وهو عثمان بن سعيد فقال له تيسّر للخروج الى هذه المارقة فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق ولا تحجم إحجام الوانى الفرق هل فهمت لله أنت يا أخا بنى عمرو بن معاوية فقال نعم أصلح الله الأمير قد فهمت قال له فاخرج فعسكر بدير عبد الرحمن حتى يخرج اليك الناس فقال أصلح الله الأمير لا تبعثنّ معى أحدا من أهل هذا الجند المفلول المهزوم فان الرعب قد دخل قلوبهم وقد خشيت أن لا ينفعك والمسلمين منهم أحدٌ قال له فإن ذلك لك ولا أراك الا قد أحسنت الرأى ووفقت ثم دعا أصحاب الدواوين فقال اضربوا على الناس البعث فأخرجوا أربعة آلاف من الناس من كل ربع ألف رجل وأعجلوا ذلك فجمعت العرفاء وجلس أصحاب الدواوين وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف فأمرهم بالعسكر فعسكر وأتم نودى فيهم بالرحيل ثم ارتحلوا

ونادى

ونادى منادى الحجاج أن برئت الذمّة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفا قال فمضى الجزل بن سعيد وقد قدّم بين يديه عياض بن أبى لينة الكندى على مقدمته فخرج حتى أتى المدائن فأقام بها ثلاثا وبعث اليه ابن أبى عصيفير بفرس وبرذون وبغلين وألفى درهم ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا فأصاب الناس ما شاؤا من تلك الجزر والعلف الذى وضع لهم ابن أبى عصيفير ثم ان الجزل بن سعيد خرج بالناس فى أثر شبيب فطلبه فى أرض جوخى فجعل شبيب يُريه الهيبة فيخرج من رستاق الى رستاق ومن طسّوج الى طسوج ولا يقيم له ارادة أن يفرّق الجزلُ أصحابه ويتعجّل اليه فيلقاه فى يسير من الناس على غير تعبية فجعل الجزل لا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا خندق على نفسه خندقا فلما طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسرَوْا (قال أبو مخنف) فحدّثنى فروة بن لقيط ان شبيبا دعانا ونحن بدير بَرِمّا ستون ومائة رجل فجعل على كلّ أربعين من أصحابه رجلا وهو فى أربعين وجعل أخاه مصادا فى أربعين وبعث سويد بن سُليم فى أربعين وبعث المحلل بن وائل فى أربعين وقد أتته عيونه فأخبرته ان الجزل بن سعيد قد نزل دير يزدجرد قال فدعانا عند ذلك فعبّانا هذه التعبية وأمرنا فعلقنا على دوابنا وقال لنا تيسروا فإذا قضمت دوابّكم فاركبوا وليسر كل امرئ منكم مع أميره الذى أمرناه عليه ولينظر كل امرئ منكم ما يأمر به أميره فليتّبعه ودعا أمراءنا فقال لهم انى أريد أن أبيّت هذا العسكر الليلة ثم قال لأخيه مصاد آتهم فارتفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم من قِبَل حلوان وساتيهم أنا من امامى من قِبَل الكوفة وأنهم أنت يا سويد من قِبَل المشرق وأنهم أنت يا محلل من قبل المغرب وليلج كل امرئ منكم على الجانب الذى يحمل عليه ولا تقلعوا عنهم تحملون وتكرّون عليهم وتصيحون بهم حتى يأتيكم أمرى فلم نزل على تلك التعبية وكنت أنا فى الأربعين الذين كانوا معه حتى اذا قضمت دوابنا وذلك أول الليل أول ما هدأت العيون خرجنا حتى انتهينا الى دير الخرارة فإذا القوم مسلحة عليهم عياض بن أبى لينة فما هو الا ان انتهينا اليهم فحمل عليهم مصاد أخو شبيب فى أربعين رجلا وكان امام شبيب وقد كان أراد أن يسبق شبيبا حتى يرتفع عليهم ويأتيهم من ورائهم كما أمره * فلما لقى هؤلاء قاتلهم فصبروا ساعة وقاتلوهم ثم انادفعنا اليهم جميعا فحملنا عليهم فهزمناهم وأخذوا الطريق الأعظم وليس بينهم وبين عسكرهم بدير يزدجرد الا قريب من ميل فقال لنا شبيب اركبوا معاشر المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم ان استطعتم فأتبعناهم والله ملظّين بهم ملحين عليهم ما نُرفه عنهم وهم منهزمون مالهم همة الا عسكرهم فانتهوا الى عسكرهم ومنعهم أصحابهم أن يدخلوا عليهم ورشقونا بالنبل وكانت عيون لهم قد أتتهم فأخبرتهم بمكاننا وكان الجزل قد خندق عليه وتحرّز ووضع هذه المسلحة الذين لقيناهم بدير الخرارة ووضع

مسلحة أخرى مما يلى حلوان على الطريق فلما ان دفعنا الى هذه المسلحة التى كانت بدير الخرارة فألحقناهم بعسكر جماعتهم رجعت المسالح الأخر حتى اجتمعت ومنعها أهل العسكر دخول العسكر وقالوا لهم قاتلوا وانضحوا عنكم بالنبل (قال أبو مخنف) وحدثنى جرير بن الحسين الكندى قال كان على المسلحتين الاخريتين عاصم بن حجر على التى تلى حلوان وواصل بن الحارث السكونى على الأخرى فلما ان اجتمعت المسالح جعل شبيب يحمل عليها حتى اضطرها الى الخندق ورشقهم أهل العسكر بالنبل حتى ردوهم عنهم فلما رأى شبيب انه لا يصل اليهم قال لأصحابه سيروا ودعوهم فمضى على الطريق نحو حلوان حتى اذا كان قريبا من موضع قباب حسين بن زفر من بنى بدر بن فزارة وانما كانت قباب حسين بن زفر بعد ذلك قال لأصحابه انزلوا فأقضموا وأصلحوا نبلكم وتروحوا وصلوا ركعتين ثم اركبوا فنزلوا ففعلوا ذلك ثم انه أقبل بهم راجعا الى عسكر أهل الكوفة أيضا وقال سيروا على تعبيتكم التى عبأتكم عليها بدير بير ما أول الليل ثم أطيفوا بعسكرهم كما أمرتكم فأقبلوا فأقبلنا معه وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم اليهم وقد أمنونا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافر خيولنا قريبا منهم فانتهينا اليهم قبيل الصبح فأحطنا بعسكرهم ثم صيحنا بهم من كل جانب فإذا هم يقاتلوننا من كل جانب ويرموننا بالنبل ثم ان شبيبا بعث الى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أقبل الينا وخل لهم سبيل الطريق الى الكوفة فأقبل اليه وترك ذلك الوجه وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة حتى أصبحنا فأصبحنا ولم نستفل منهم شيأ فسرنا وتركناهم فجعلوا يصيحون بنا أين يا كلاب النار أين أيتها العصابة المارقة أصبحوا نخرج اليكم فارتفعنا عنهم نحوا من ميل ونصف ثم نزلنا فصلينا الغداة ثم أخذنا الطريق على بر ازالروز ثم مضينا الى جرجرايا وما يليها فأقبلوا فى طلبنا (قال أبو مخنف) فحدثنى مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر قال كنت مع الناس تاجراهم فى طلب الحرورية وعلينا الجزل بن سعيد فجعل يتبعهم فلا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا على خندق وكان شبيب يدعه ويضرب فى أرض جوخى وغيرها يكسر الخراج وطال ذلك على الحجاج فكتب اليه كتابا فقرئ على الناس أما بعد فإنى بعثتك فى فرسان أهل المصر ووجوه الناس وأمرتك باتباع هذه المارقة الضالة المضلة حتى تلقاها فلا تقلع عنها حتى تقتلها وتفنيها فوجدت التعريس فى القرى والتخييم فى الخنادق أهون عليك من المضى لما أمرتك به من مناهضتهم ومناجزتهم والسلام فقرئ الكتاب علينا ونحن بقطرانا ودير أبى مريم فشق ذلك على الجزل وأمر الناس بالسير فخرجوا فى طلب الخوارج جادين وأرجفنا بأميرنا وقلنا يعزل (قال أبو مخنف) فحدثنى اسماعيل بن نعيم الهمدانى ثم البرسمى ان الحجاج بعث سعيد بن المجالد على ذلك الجيش وعهد اليه ان لقيت المارقة فازحف اليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم

وواقفهم

وواقفهم واستعن بالله عليهم ولا تصنع صنيع الجزل واطلبهم طلب السبع وحد عنهم حيدان الضبع وأقبل الجزل فى طلب شبيب حتى انتهوا الى النهروان فأدركوه فلزم عسكره وخندق عليه وجاءه اليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميرا فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة انكم قد عجزتم ووهنتم وأغضبتم عليكم أميركم أنتم فى طلب هذه الاعاريب العجف منذ شهرين وهم قد خربوا بلادكم وكسروا خراجكم وأنتم حاذرون فى جوف هذه الخنادق لا تزايلونها الا ان يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ونزلوا بلدا سوى بلدكم اخرجوا على اسم الله اليهم فخرج وأخرج الناس معه وجمع اليه خيول أهل العسكر فقال له الجزل ما تريد ان تصنع قال اريد ان أقدم على شبيب فى هذه الخيل فقال له الجزل أقم أنت فى جماعة الجيش فارسهم وراجلهم وأصحر له فوالله ليقدمن عليك فلا نفرق أصحابك فان ذلك شر لهم وخير لك فقال له قف أنت فى الصف فقال يا سعيد بن مجالد ليس لى فيما صنعت رأى أنا برىء من رأيك هذا سمع الله ومن حضر من المسلمين فقال هو رأيى ان أصبت فالله وفقنى له وان يكن غير صواب فأنتم منه براء قال فوقف الجزل فى صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق وجعل على ميمنتهم عياض بن أبى لينة الكندى وعلى ميسرتهم عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الرواسى ووقف الجزل فى جماعتهم واستقدم سعيد بن مجالد فخرج وأخرج الناس معه وقد أخذ شبيب الى بر ازالروز فنزل قطيطيا وأمر دهقانها ان يشترى لهم ما يصلحهم ويتخذ لهم غداء ففعل ودخل مدينة قطيطيا وأمر بالباب فأغلق فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد فى أهل ذلك العسكر فصعد الدهقان السور فنظر الى الجند مقبلين قد دنوا من حصنه فنزل وقد تغير لونه فقال له شبيب مالى أراك متغير اللون فقال له الدهقان قد جاءتك الجنود من كل ناحية قال لا بأس هل أدرك غداؤنا قال نعم قال فقربه وقد أغلق الباب وأتى بالغداء فتغدى وتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا ببغل له فركبه ثم انهم اجتمعوا على باب المدينة فأمر بالباب ففتح ثم خرج على بغله فحمل عليهم وقال لا حكم الا لله الحكيم أنا أبو مدله اثبتوا ان شئتم وجعل سعيد يجمع قومه وخيله ثم يدلفها فى أثره ويقول ما هؤلاء انما هم أكلة رأس فلما رآهم شبيب قد تقطعوا وانتشر والف خيله كلها ثم جمعها ثم قال استعرضوهم استعراضا وانظروا الى أميرهم فوالله لأقتلنه أو يقتلنى وحمل عليهم مستعرضا لهم فهزمهم وثبت سعيد بن المجالد ثم نادى أصحابه الى أنا ابن ذى مران وأخذ قلنسوته فوضعها على قربوس سرجه وحمل عليه شبيب فعممه بالسيف فخالط دماغه فخر ميتا وانهزم ذلك الجيش وقتلوا كل قتلة حتى انتهوا الى الجزل ونزل الجزل ونادى أيها الناس الى وناداهم عياض بن أبى لينة أيها الناس ان كان أميركم القادم قد هلك فأميركم الميمون النقيبة المبارك حى لم يمت ففاتل الجزل قتالا شديدا حتى حمل من بين القتلى فحمل الى المدائن مرتثا وقدم فل أهل ذلك

العسكر الكوفة وكان من أشد الناس بلاء يومئذ خالد بن نهيك من بني ذهل بن معاوية وعياض بن أبي لينة حتى استنقذاه وهو مرتث هذا حديث طائفة من الناس والحديث الآخر قتالهم فيما بين دير أبي مريم الى براز الروز ثم ان الجزل كتب الى الحجاج قال وأقبل شبيب حتى قطع دجلة عند الكرخ وبعث الى سوق بغداذ فآمنهم وذلك اليوم يوم سوقهم وكان بلغه انهم يخافونه فأحب ان يؤمنهم وكان أصحابه يريدون ان يشتروا من السوق دواباً وثيابا وأشياء ليس لهم منها بدٌّ ثم أخذ بهم نحو الكوفة وساروا أول الليل حتى نزلوا عقر الملك الذي يلي قصر ابن هبيرة ثم اغذّ السير من الغد فبات بين حمّام عمر بن سعد وبين قبّين فلما بلغ الحجاج مكانه بعث الى سويد بن عبد الرحمن السعدي فبعثه في ألفي فارس نقاوة وقال له اخرج الى شبيب فالقه واجعل ميمنة وميسرة ثم انزل اليه في الرجال فإن استطرد لك فدعه ولا تتبعه فخرج فعسكر بالسبخة فبلغه ان شبيبا قد أقبل فأقبل نحوه وكأنما يساقون الى الموت وأمر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس بالسبخة ونادى ألا برئت الذمة من رجل من هذا الجند بات الليلة بالكوفة لم يخرج الى عثمان بن قطن بالسبخة وأمر سويد بن عبد الرحمن ان يسير في الألفين اللذين معه حتى يلقى شبيبا فمر بأصحابه الى زُرارة وهو يعبئهم ويحرضهم اذ قيل له قد غشيك شبيب فنزل ونزل معه جل أصحابه وقدم رايته ومضى الى أقصى زرارة فأخبر ان شبيبا قد أخبر بمكانك فتركك ووجد مخاضة فعبر الفرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الذي أنت به ثم قيل له أماتراهم فنادى في أصحابه فركبوا في آثارهم وان شبيبا أتى دار الرزق فنزلها فقيل له ان أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسبخة فلما بلغهم مكان شبيب صاح بعضهم ببعض وجالوا وهموا ان يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم ان سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الخيل (قال هشام) وأخبرني عمر بن بشير قال لما نزل شبيب الدير أمر بغنم تهيأ له فصعد الدهقان ثم نزل وقد تغير لونه فقال مالك قال قد والله جاءك جمع كثير قال أبلغ الشواء بعد قال لا قال دعه قال ثم أشرف اشرافة أخرى فقال قد والله أحاطوا بالجوسق قال هات شواءك فجعل يأكل غير مكترث لهم فلما فرغ توضأ وصلى بأصحابه الأولى ثم تقلد سيفين بعد ما لبس درعه وأخذ عمود حديد ثم قال اسرجوا البغلة فقال أخوه مصاد أفي هذا اليوم تسرج بغلة قال نعم اسرجوها فركبها ثم قال يا فلان أنت على الميمنة وأنت يا فلان على الميسرة وقال لمصاد أنت في القلب وأمر الدهقان ففتح الباب في وجوههم قال فخرج اليهم وهو يحكّم فجعل سعيد وأصحابه يرجعون القهقرى حتى صار بينهم وبين الدير نحو من ميل قال وجعل سعيد يقول يا معشر همدان أنا ابن ذي مران الى آخر وجه سربا مع ابنه وقد أحس أنها تكون عليه فنظر شبيب الى مصاد فقال أثكلنيك الله ان لم أثكله ولده قال ثم علاه بالعمود فسقط ميتا وانهزم أصحابه وما قتل بينهم يومئذ الا قتيل واحد قال

وانكشف

وانكشف أصحاب سعيد بن مجالد حتى أتوا الجزل فناداهم الجزل أيها الناس الى آخر الى آخر وناداهم عياض بن أبي لينة أيها الناس ان يكن أميركم هذا القادم قد هلك فهذا أميركم الميمون النقيبة أقبلوا اليه وقاتلوا معه فمنهم من أقبل اليه ومنهم من ركب رأسه منهزما وقاتل الجزل قتالا شديدا حتى صرع وقاتل عنه خالد بن نهيك وعياض بن أبي لينة حتى استنقذاه وهو مرتث وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا الكوفة فأتى بالجزل حتى أدخل المدائن وكتب الى الحجاج بن يوسف * قال أبو مخنف حدثني بذلك ثابت مولى زهير أما بعد فاني أخبر الأمير أصلحه الله اني خرجت فيمن قبلي من الجند الذي وجهني فيه الى عدوه وقد كنت حفظت عهد الامير الى فيهم ورأيه فكنت أخرج اليهم اذا رأيت الفرصة وأحبس الناس عنهم اذا خشيت الورطة فلم أزل كذلك ولقد أرادني العدو بكل ارادة فلم يصب مني غرّة حتى قدم علي سعيد بن مجالد رحمة الله عليه ولقد أمرته بالتؤدة ونهيته عن العجلة وأمرته ان لا يقاتلهم الا في جماعة الناس عامّة فعصاني وتعجّل اليهم في الخيل فأشهدت عليه أهل المصرين اني برئ من رأيه الذي رأى واني لا أهوى ما صنع فمضى فأصيب تجاوز الله عنه ودفع الناس الي فنزلت ودعوتهم الى ورفعت لهم رايتي وقاتلت حتى صرعت فحملني أصحابي من بين القتلى فما أفقت الا وأنا على أيديهم على رأس ميل من المعركة فأنا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت الرجل من دونها ويعافى من مثلها فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتي له ولجنده وعن مكايدتي عدوه وعن موقفي يوم البأس فإنه يستبين له عند ذلك أني قد صدقته ونصحت له والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد فقد أتاني كتابك وقرأته وفهمت كل ما ذكرت فيه وقد صدّقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأميرك وحيطتك على أهل مصرك وشدتك على عدوك وقد فهمت ما ذكرت من أمر سعيد وعجلته الى عدوه فقد رضيت عجلته وتؤدتك فأما عجلته فانها أفضت به الى الجنة وأما تؤدتك فانها لم تدع الفرصة اذا أمكنت وترك الفرصة اذا لم تمكن حزم وقد أصبت وأحسنت البلاء وأجرت وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة وقد أشخصت اليك حيان بن أبجر ليداويك ويعالج جراحتك وبعثت اليك بألفي درهم فانفقها في حاجتك وما ينوبك والسلام فقدم عليه حيان بن أبجر الكناني من بني فراس وهم يعالجون الكلى وغيره فكان يداويه وبعث اليه عبد الله بن أبي عصيفير بألف درهم وكان يعوده ويتعاهده باللطف والهدية قال وأقبل شبيب نحو المدائن فعلم انه لا سبيل له الى أهلها مع المدينة فأقبل حتى انتهى الى الكرخ فعبر دجلة اليه وبعث الى أهل سوق بغداذ وهو بالكرخ أن اثبتوا في سوقكم فلا بأس عليكم وكان ذلك يوم سوقهم وقد كان بلغه انهم يخافونه قال ويخرج سويد حتى جعل بيوت مزينة وبني سليم في ظهره وظهور أصحابه وحمل عليهم شبيب حملة منكرة وذلك عند الماء فلم يقدر منهم على شيء فأخذ على بيوت الكوفة نحو

الحيرة وأتبعه سويد لا يفارقه حتى قطع بيوت الكوفة كلها الى الحيرة وأتبعه سويد حتى انتهى الى الحيرة فيجده قد قطع قنطرة الحيرة ذاهبا فتركه وأقام حتى أصبح وبعث اليه الحجاج أن أتبعه فأتبعه ومضى شبيب حتى أغار فى أسفل الفرات على من وجد من قومه وارتفع في البرّ من وراء خفان في أرض يقال لها الغلظة فيصيب رجالا من بنى الورثة فحمل عليهم فاضطرّهم الى جدد من الأرض فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم فلما نفدت وصل اليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلا منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحمران ابن مالك كلهم من بنى الورثة (قال أبو مخنف) حدثنى بذلك عطاء بن عرفجة بن زياد بن عبد الله الورثىّ ومضى شبيب حتى يأتى بنى أبيه على اللصف ماء لرهطه وعلى ذلك الماء الفزر ابن الاسود وهو أحد بنى الصلت وهو الذى كان ينهى شبيبا عن رأيه وأن يفسد بنى عمه وقومه فكان شبيب يقول والله لئن ملكت سبعة أعنة لأغزون الفزر فلما غشيهم شبيب فى الخيل سأل عن الفزر فاتقاه الفزر فخرج على فرس لا تجارى من وراء البيوت فذهب عليها في الأرض وهرب منه الرجال ورجع وقد أحاف أهل البادية حتى أخذ على القُطقُطانة ثم على قصر مقاتل ثم أخذ على شاطئ الفرات حتى أخذ على الحصاصة ثم على الأنبار ثم مضى حتى دخل دَقُوقاء ثم ارتفع الى أدانى آذربيجان فتركه الحجاج وخرج الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فاشعر الناس بشئ حتى جاء كتاب من ماذر واسب دهقان بابل مهروذ وعظيمها الى عروة بن المغيرة بن شعبة ان تاجرا من تجار الأنبار من أهل بلادى أتانى فذكر ان شبيبا يريد ان يدخل الكوفة فى أول هذا الشهر المستقبل أحببتُ إعلامك ذلك لترى رأيك ثم لم ألبث الا ساعة حتى جاءنى جابيان من جبانى فحدثانى انه قد نزل خانيجار فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرح به الى الحجاج بالبصرة فلما قرأه الحجاج أقبل جوادا الى الكوفة وأقبل شبيب يسير حتى انتهى الى قرية يقال لها حربى على شاطئ دجلة فعبر منها فقال ما اسم هذه القرية فقالوا حربى فقال حَرْبٌ يَصْلى بها عدوكم وحَرْبٌ تدخلونه بيُوتهم انما يتطيّر من يقوف ويعيف ثم ضرب رايته وقال لأصحابه سيروا فأقبل حتى نزل عَقْرَقُوفا فقال له سويد بن سليم يا أمير المؤمنين لو تحوّلت بنا من هذه القرية المشؤمة الاسم قال وقد تطيّرت أيضا والله لا أتحوّل عنها حتى أسير الى عدوّى منها انما شؤمها ان شاء الله على عدوّكم تحملون عليهم فيها فالعقر لهم ثم قال لأصحابه ياهؤلاء ان الحجاج ليس بالكوفة وليس دون الكوفة ان شاء الله شئ فسيروا بنا فخرج يبادر الحجاج الى الكوفة وكتب عروة الى الحجاج ان شبيبا قد أقبل مسرعا يريد الكوفة فالعجل العجل فطوى الحجاج المنازل واستبقا الى الكوفة ونزلها الحجاج صلاة الظهر ونزل شبيب السبخة صلاة المغرب فصلى المغرب والعشاء ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيأ يسيرا ثم ركبوا خيولهم

فدخلوا

فدخلوا الكوفة فجاء شبيب حتى انتهى الى السوق ثم شد حتى ضرب باب القصر بعموده قال أبو المنذر رأيت ضربة شبيب بباب القصر قد أثرت أثرا عظيما ثم أقبل حتى وقف عند المصطبة ثم قال

وكأنّ حافرَها بكُلّ خميلةٍ * كَيْلٌ يَكِيلُ به شَجِيجٌ مُعْدِمُ
عَبْدٌ دَعِىٌّ من ثمودٍ أصلُه * لا بل يُقَال أبُو أبيهم يَقْدُمُ

ثم اقتحموا المسجد الاعظم وكان كثيرا لا يفارقه قوم يصلون فيه فقتل عقيل بن مصعب الوادعى وعدىّ بن عمرو الثقفى وأبا ليث بن أبى سليم مولى عنبسة بن أبى سفيان وقتلوا أزهر بن عبد الله العامرى ومرّوا بدار حوشب وهو على الشُرَط فوقفوا على بابه وقالوا ان الامير يدعو حوشبا فأخرج ميمونٌ غلامه برذونَ حوشب ليركبه حوشب فكانه أنكرهم فظنوا انه قد اتهمهم فأراد أن يدخل فقالوا له كما أنت حتى يخرج صاحبك فسمع حوشب الكلام فأنكر القوم فخرج اليهم فلما رأى جماعتهم أنكرهم وذهب لينصرف فعجّلوا نحوه ودخل وأغلق الباب وقتلوا غلامه ميمونا وأخذوا برذونه ومضوا حتى مروا بالجحّاف بن نبيط الشيبانى من رهط حوشب فقال له سويد انزل الينا فقال له ما تصنع بنزولى قال له سويد أقضيك ثمن البكرة التى كنتُ ابتعتُ منك بالبادية فقال له الجحّاف بئس ساعة القضاء هذه الساعة وبئس قضاء الدين هذا المكان أما ذكرت أمانتك الا والليل مظلم وأنت على ظهر فرسك قبح الله يا سويد دينا لا يصلح ولا يتم الا بقتل ذوى القرابة وسفك دماء هذه الامة قال ثم مضوا فمروا بمسجد بنى ذُهْل فلقوا ذهل بن الحارث وكان يصلى في مسجد قومه فيُطيل الصلاة فصادفوه منصرفا الى منزله فشدوا عليه ليقتلوه فقال اللهم انى أشكو اليك هؤلاء وظلمهم وجهلهم اللهم انى عنهم ضعيف فانتصر لى منهم فضربوه حتى قتلوه ثم مضوا حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة ﴿قال هشام﴾ قال أبو بكر بن عياش واستقبله النضر بن قعقاع بن شَوْر الذهلى وأمه ناجية بنت هانئ بن قبيصة بن هانئ الشيبانى فأبْطَرَه حين نظر اليه قال يعنى بقوله أبطره أفزعه فقال السلام عليك أيها الامير ورحمة الله قال له سويد مبادرا أمير المؤمنين ويلك فقال أمير المؤمنين حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة وأمر الحجاج المنادى فنادى ياخيل الله اركبى وابشرى وهو فوق باب القصر وثم مصباح مع غلام له قائم فكان أول من جاءه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى الغصة ومعه مواليه وناس من أهله فقال أنا عثمان بن قطن أعلموا الامير مكانى فليأمر بأمره فقال له ذلك الغلام قف مكانك حتى يأتيك أمر الامير وجاء الناس من كل جانب وبات عثمان فيمن اجتمع اليه من الناس حتى أصبح ثم ان الحجاج بعث بشر بن غالب الاسدى من بنى والبة في ألفى رجل وزائدة بن قدامة الثقفى فى ألفى رجل وأبا الضريس مولى بنى تميم في ألف من الموالى

وأعين صاحب حمام أعين مولى بشر بن مروان فى ألف رجل وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان وكتب له عليها عهده وكتب الى الحجاج أما بعد فاذا قدم عليك محمد بن موسى فجهز معه ألفى رجل الى سجستان وعجّل سراحه وأمر عبد الملك محمد بن موسى بمكاتبة الحجاج فلما قدم محمد بن موسى جعل يتحبّس في الجهاز فقال له نصحاؤه تعجّل أيها الامير الى عملك فانك لا تدرى ما يكون من أمر الحجاج وما يبدو له فاقام على حاله وحدث من أمر شبيب ما حدث فقال الحجاج لمحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله تلقى شبيبا وهذه الخارجة فجاهدهم ثم تمضى الى عملك وبعث الحجاج مع هؤلاء الامراء أيضا عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشى وزياد بن عمرو العتكى وخرج شبيب حيث خرج من الكوفة فأتى المردمة وبها رجل من حضرموت على العشور يقال له ناجية بن مرثد الحضرمى فدخل الحمام ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضرب عنقه واستقبل شبيب النضر بن القعقاع بن شور وكان مع الحجاج حين أقبل من البصرة فلما طوى الحجاج المنازل خلّفه وراءه فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه فقال له شبيب يا نضر بن القعقاع لا حكم الا لله وانما أراد شبيب بمقالته له تلقينه فلم يفهم النضر فقال انا لله وانا اليه راجعون فقال أصحاب شبيب يا أمير المؤمنين كانك انما تريد بمقالتك أن تلقنه فشدوا على نضر فقتلوه قال واجتمعت تلك الامراء فى أسفل الفرات فترك شبيب الوجه الذى فيه جماعة أولئك القوّاد وأخذ نحو القادسية ووجه الحجاج زحر بن قيس في جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس وقال له اتبع شبيبا حتى تواقعه حيثما أدركته الا أن يكون منطلقا ذاهبا فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك فلا تبرح ان هو أقام حتى تواقعه فخرج زحر حتى انتهى الى السيلحين وبلغ شبيبا مسيره اليه فأقبل نحوه فالتقيا فجعل زحر على ميمنته عبد الله بن كنّاز الهدى وكان شجاعا وعلى ميسرته عدىّ بن عدىّ بن عميرة الكندى ثم الشيبانى وجمع شبيب خيله كلها كتيبة واحدة ثم اعترض بها الصف فوجف وجيفا واضطرب حتى انتهى الى زحر بن قيس فنزل زحر بن قيس فقاتل زحر حتى صُرع وانهزم أصحابه وظن القوم انهم قد قتلوه فلما كان فى السحر وأصابه البرد قام يمشى حتى دخل قرية فبات بها وحُمل منها الى الكوفة ورأسه بوجهه وبرأسه بضعة عشر جراحة من بين ضربة وطعنة فمكث أياما ثم أتى الحجاج وعلى وجهه وجراحه القُطن فأجلسه الحجاج معه على السرير وقال لمن حوله من سرّه أن ينظر الى رجل من أهل الجنة يمشى بين الناس وهو شهيد فلينظر الى هذا وقال أصحاب شبيب لشبيب وهم يظنون انهم قد قتلوا زحرا قد هزمنا لهم جندا وقتلنا لهم أميرا من أمرائهم عظيما انصرف بنا الآن وافرين فقال لهم ان قتلنا هذا الرجل وهزمنا هذا الجند قد أربت هذه الامراء والجنود التى بُعثت فى طلبكم فاقصدوا بنا قصدهم فوالله لئن نحن قتلناهم ما دون الحجاج

من

من شئ وأخذ الكوفة ان شاء الله فقالوا نحن لرأيك سمع تبع ونحن طوع يديك قال فانقضّ بهم جوادا حتى يأتى نَجُران وهى نجران الكوفة ناحية عين التمر ثم سأل عن جماعة القوم فخُبّر باجتماعهم برُوذبار فى أسفل الفرات فى بهقُباذ الاسفل على رأس أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فبلغ الحجاج مسيره اليهم فبعث اليهم عبد الرحمن بن الغرق مولى ابن أبى عقيل وكان على الحجاج كريما فقال له الحق بجماعتهم يعنى جماعة الامراء فأعلمهم بمسير المارقة اليهم وقل لهم ان جمعكم قتال فأمير الناس زائدة بن قدامة فأتاهم ابن الغرق فأعلمهم ذلك وانصرف عنهم ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى عبد الرحمن بن جُندب قال انتهى الينا شبيب وفينا سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامة. وقد عبّى كل أمير أصحابه على حدة ففى ميمنتنا زياد بن عمرو العتكى وفى ميسرتنا بشر بن غالب الاسدى وكل أمير واقف فى أصحابه فأقبل شبيب حتى وقف على تل فأشرف على الناس وهو على فرس له كُميت أغرّ فنظر الى تعبيتهم ثم رجع الى أصحابه فأقبل فى ثلاث كتائب يوجفون حتى اذا دنا من الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سُليم فتقف فى ميمنتنا ومضت كتيبة فيها مصاد أخو شبيب فوقفت على ميسرتنا وجاء شبيب فى كتيبة حتى وقف مقابل القلب قال وخرج زائدة بن قدامة يسير فى الناس فيما بين ميمنتهم الى ميسرتهم يحرّض الناس ويقول يا عباد الله أنتم الكثيرون الطيّبون وقد نزل بكم القليلون الخبيثون فاصبروا جُعلت لكم الفداء الكرّتين أو ثلاث تكرون عليهم ثم هو الصبر ليس بينه حاجز ولا دونه شئ ألا ترون اليهم والله ما يكونون مائتى رجل انما هم أكلة رأس انما هم السرّاق المرّاق انما جاؤكم ليهربوا دماءكم ويأخذوا فيأكم فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه وهم قليل وأنتم كثير وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة غضّوا الابصار واستقبلوهم بالاسنة ولا تحملوا عليهم حتى آمركم ثم انصرف الى موقفه قال ويحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو فانكشف صفهم وثبت زياد فى نحو من نصف أصحابه ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ثم كرّ عليهم ثانية ثم اطّعنوا ساعة ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى فروة بن لقيط قال أنا والله فيهم يومئذ قال اطّعنا ساعةً وصبروا لنا حتى ظننت انهم لن يزولوا وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا وجعل ينادى ياحيلى ويشد بالسيف فيقاتل قتالا شديدا فلقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وانه لاثبع العرب وأشده قتالا وما يعرض له قال ثم انا ارتفعنا عنهم آخر افاذا هم يتقوّضون فقال له أصحابه ألا ترا هم يتقوّضون احمل عليهم فقال لهم شبيب خلوهم حتى يخفّوا فتركوهم قليلا ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا فنظرت الى زياد بن عمرو وانه ليضرب بالسيف وما من سيف يُضرَب به الا نبا عنه وهو مجفّف ولقد رأيته اعتوره أكثر من عشرين سيفا فما ضرّه من ذلك شئ ثم انه انهزم وقد جُرح جراحة يسيرة وذلك عند المساء قال ثم شددنا على عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه وما قاتلنا كثير

قتال وقد ضارب ساعة وقد بلغني انه كان جُرح ثم لحق بزياد بن عمرو فضيا منهزمين حتى انتهينا الى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلنا قتالا شديدا وصبر لنا ﴿ذكر هشام﴾ عن أبي مخنف قال حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ان أخا شبيب مصادا حمل على بشر بن غالب وهو في الميسرة فأبلى وكرم والله وصبر فنزل ونزل معه رجال من أهل الصفر نحو من خمسين فضاربوا بأسيافهم حتى قتلوا عن آخرهم وكان فيهم عروة بن زهير ابن ناجذ الأزدي وأمه زرارة امرأة ولدت في الأزد فيقال لهم بنو زرارة فلما قتلوه وانهزم أصحابه مالوا فشدوا على أبي الضريس مولى بني تميم وهو يلي بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى الى موقف أعين ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعا فهزموهما حتى انتهوا بهما الى زائدة ابن قدامة فلما انتهوا اليه نزل ونادى يا أهل الاسلام الأرض الارض الى الا يكبوا على كفرهم أصبر منكم على ايمانكم فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ثم ان شبيبا شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربضة حوله من أهل الحفاظ ﴿قال أبو مخنف﴾ وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال سمعت زائدة بن قدامة ليلتئذ رافعا صوته يقول يا أيها الناس اصبروا وصابروا يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلا غير مدبر حتى قتل ﴿قال أبو مخنف﴾ وحدثني فروة بن لقيط ان أبا الصفر الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن قدامة وقد حاجّه في ذلك آخر يقال له الفضل بن عامر قال ولما قتل شبيب زائدة بن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقا عظيما وقال شبيب لاصحابه ارفعوا السيف عن الناس وادعوهم الى البيعة فدعوهم الى البيعة عند الفجر * قال عبد الرحمن بن جندب فكنت فيمن قدم اليه فبايعه وهو واقف على فرس وخيله واقفة دونه فكل من جاء ليبايعه نُزع سيفه عن عاتقه وأخذ سلاحه منه ثم يُدنى من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ثم يخلى سبيله قال وأنا لكذلك اذ انفجر الفجر ومحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله في أقصى العسكر معه عصابة من أصحابه قد صبروا فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن فلما سمع شبيب الأذان قال ما هذا فقال هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يبرح فقال قد ظننت ان حمقه وخيلاءه سيحمله على هذا نحّوا هؤلاء عنا وانزلوا بنا فلنصل قال فنزل فأذّن هو ثم استقدم فصلى بأصحابه فقرأ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ و﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ ثم سلم ثم ركبوا فحمل عليهم فانكشفت طائفة من أصحابه وثبتت طائفة قال فروة فما أنسى قوله وقد غشيناه وهو يقاتل بسيفه وهو يقول ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ قال وضارب حتى قتل قال فسمعت أصحابي يقولون ان شبيبا هو الذي قتله ثم انا نزلنا فأخذنا ما كان في العسكر من شيء وهرب الذين كانوا بايعوا شبيبا فلم

يبق

يبق منهم أحد وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبي مخنف أمر ا غير الذي ذكرته عنه والذي ذكر من ذلك ان عبد الملك بن مروان كان ولى محمد بن موسى بن طلحة سجستان فكتب اليه الحجاج انك عامل كل بلد مررت به وهذا شبيب في طريقك فعدل اليه محمد فأرسل اليه شبيب انك امرؤ مخدوع قد اتقى بك الحجاج وأنت جار لك حتى فانطلق لما أمرت به ولك الله لا آذيتك فأبى الا محاربته فواقفه شبيب وأعاد اليه الرسول فأبى الا قتاله فدعا الى البراز فبرز اليه البطين ثم قعنب ثم سويد فأبى الا شبيبا فقالوا لشبيب قد رغب عنا اليك قال فما ظنكم هذه الاشراف فبرز اليه شبيب وقال انى انشدك الله في دمك فان لك جوارا فأبى الا قتاله فحمل عليه شبيب فضربه بعصا حديد فيها اثنا عشر رطلا بالشامي فهشم بها بيضته عليه ورأسه فسقط ثم كفنه ودفنه وابتاع ما غنموا من عسكره فبعث به الى أهله واعتذر الى أصحابه وقال هو جارى بالكوفة ولى أن أهب ما غنمت لاهل الردة * قال عمر بن شبة قال أبو عبيدة كان محمد بن موسى مع عمر بن عبيد الله بن معمر بفارس وشهد معه قتال أبي فديك وكان على ميمنته وشهر بالنجدة وشدة البأس وزوجه عمر بن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان فولاه سجستان فمر بالكوفة وبها الحجاج بن يوسف فقيل للحجاج ان صار هذا الى سجستان مع نجدته وصهره لعبد الملك فلجأ اليه أحد ممن تطلب منعك منه قال فما الحيلة قيل تأتيه وتسلم عليه وتذكر نجدته وبأسه وأن شبيبا في طريقه وانه قد أعياك وأنك ترجو أن يريح الله منه على يده فيكون له ذكر ذلك وشهرته ففعل فعدل اليه محمد بن موسى بن طلحة ابن عبيد الله فواقعه شبيب فقال له شبيب انى قد علمت خداع الحجاج وانما اغترك ووقى بك نفسه وكانى بأصحابك لو قد التقت حلقتا البطان قد أسلموك فصُرعت مصرع أصحابك فأطعني وانطلق لشأنك فانى أنفس بك عن الموت فأبى محمد بن موسى فبارزه شبيب فقتله ﴿رجع الحديث الى حديث أبي مخنف﴾ قال عبد الرحمن لقد كان فيمن بايعه تلك الليلة أبو بُرْدَة بن أبي موسى الاشعري فلما بايعه قال له شبيب ألست أبا بردة قال بلى قال شبيب لاصحابه يا أخلائى أبو هذا أحد الحكمين فقالوا ألا نقتل هذا فقال ان هذا لا ذنب له فيما صنع أبوه قالوا أجل قال وأصبح شبيب فأتى مقبلا نحو القصر الذي فيه أبو الضريس وأعين فرموه بالنبل وتحصنا منه فأقام ذلك اليوم عليهم ثم شخص عنهم فقال له أصحابه ما دون الكوفة أحد يمنعنا فنظر فاذا أصحابه قد خرجوا فقال لهم ما عليكم أكثر مما قد فعلتم فخرج بهم على نفَر ثم على الصراة ثم على بغداذ ثم خرج الى خانيجار فأقام بها قال ولما بلغ الحجاج أن شبيبا قد أخذ نحو نفَر ظن انه يريد المدائن وهي باب الكوفة ومن أخذ المدائن كان ما في يده من أرض الكوفة أكثر فهال ذلك الحجاج وبعث الى عثمان بن قطن

ودعاه وسرّحه الى المدائن وولاه منبرها والصلاة ومعونة جوخى كلها وخراج الاستان فخرج مسرعا حتى نزل المدائن وعزل الحجاج عبد الله بن أبى عصيفير وكان بها الجزل مقيما أشهرا يداوى جراحته وكان ابن أبى عصيفير يعوده ويكرمه فلما قدم عثمان بن قطن المدائن لم يُعُده ولم يكن يتعاهده ولا يُلطفه بشئ فقال الجزل اللهم زد ابن عصيفير جودا وكرما وفضلا وزد عثمان بن قطن ضيقا وبخلا قال ثم ان الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فقال له انتخب الناس واخرج فى طلب هذا العدوّ فأمره بنخبة ستة آلاف فانتخب فرسان الناس ووجوههم وأخرج من قومه ستمائة من كندة وحضرموت واستحثه الحجاج بالعسكر فعسكر بدير عبد الرحمن فلما أراد الحجاج اشخاصهم كتب اليهم أما بعد فقد اعتدتم عادة الأذلاء ووليتم الدبر يوم الزحف وذلك دأب الكافرين وإنى قد صفحت عنكم مرّة بعد مرّة ومرة بعد مرة وإنى أقسم لكم بالله قسما صادقا لئن عدتم لذلك لأوقعنّ بكم إيقاعا أكون أشدّ عليكم من هذا العدوّ الذى تهربون منه فى بطون الأودية والشعاب وتستترون منه بأثناء الانهار وألواذ الجبال فخاف من له معقول على نفسه ولم يجعل عليها سبيلا وقد أعذر من أنذر وقد أسمعت لو ناديت حيًّا * ولكن لا حياة لمن تنادى والسلام عليكم قال ثم سرّح ابن الأصمّ مؤذّنه فأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند طلوع الشمس فقال له ارتحل الساعة ونادى فى الناس أن برئت الذمة عن رجل من هذا البعث وجدناه متخلفا فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى الناس حتى مر بالمدائن فنزل بها يوما وليلة وتشرى أصحابه حوائجهم ثم نادى فى الناس بالرحيل فارتحلوا ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته وسأله ساعة وحدثه ثم ان الجزل قال له يا ابن عمّ انك تسير الى فرسان العرب وأبناء الحرب وأحلاس الخيل والله لكأنما خُلقوا من ضلوعها ثم بنوا على ظهورها ثم هم أسد الأجم الفارس منهم أشدّ من مائة ان لم تبدأ به بدأ وإن هُجهج أقدم فإنى قد قاتلتهم وبلوتهم فإذا أصحرت لهم انتصفوا منّى وكان لهم الفضل علىّ واذا خندقت علىّ وقاتلتهم فى مضيق نلت منهم بعض ما أحبّ وكان لى عليهم الظفر فلا تلقهم وأنت تستطيع الا فى تعبية أو فى خندق ثم انه ودّعه فقال له الجزل هذه فرسى الفسيفساء خذها فإنها لا تجارى فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب فلما دنا منه ارتفع عنه شبيب الى دَقوقاء وشهرزور فخرج عبد الرحمن فى طلبه حتى اذا كان على التخوم أقام وقال انما هو فى أرض الموصل فليقاتلوا عن بلادهم أو ليدعوه فكتب اليه الحجاج بن يوسف أما بعد فاطلب شبيبا واسلك فى أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده والسلام فخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجاج فى طلب شبيب فكان شبيب يدعه حتى اذا دنا منه بيّته فيجده قد خندق على نفسه وحذر

فيمضى

فيمضى ويدعه فيتبعه عبد الرحمن فإذا بلغه انه قد تحمل وأنه يسير أقبل فى الخيل فاذا انتهى اليه وجده قد صفّ الخيل والرجال وأدنى المرامية فلا يصيب له غرّة ولا له علة فيمضى ويدعه قال ولما رأى شبيب أنه لا يصيب لعبد الرحمن غرّة ولا يصل اليه جعل يخرج اذا دنا منه عبد الرحمن فى خيله فينزل على مسيرة عشرين فرسخا ثم يقيم فى أرض غليظة جدبة فيجئ عبد الرحمن فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فسار خمسة عشر أو عشرين فرسخا فنزل منزلا غليظا خشنا ثم يقيم حتى يدنو عبد الرحمن (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الرحمن بن جُندب ان شبيبا كان قد عذب ذلك العسكر وشق عليهم وأحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء فلم ينزل عبد الرحمن يتبعه حتى مرّ به على خانقين ثم على جلولاء ثم على تامَرّا ثم أقبل حتى نزل البَتّ قرية من قرى الموصل على تخوم الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة الا نهر يسمى حولايا قال وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى نزل فى نهر حولايا وفى راذان الأعلى من أرض جوخى ونزل عواقيل من النهر ونزلها عبد الرحمن حيث نزلها وهى تعجبه يرى انها مثل الخندق والحصن قال وأرسل شبيب الى عبد الرحمن ان هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم فإن رأيتم أن تواد عونا حتى تمضى هذه الأيام ففعلوا فقال له عبد الرحمن نعم ولم يكن شئ أحبّ الى عبد الرحمن من المطاولة والموادعة قال وكتب عثمان بن قطن الى الحجاج أما بعد فإنى أخبر الأمير أصلحه الله ان عبد الرحمن بن محمد قد حفر جوخى كلها خندقا واحدا وخلى شبيبا وكسر خراجها وهو يأكل أهلها والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد فقد فهمت ما ذكرت لى عن عبد الرحمن وقد لعمرى فعل ماذكرت فسر الى الناس فأنت أميرهم وعاجل المفارقة حتى تلقاهم فإن الله ان شاء الله ناصرك عليهم والسلام * قال وبعث الحجاج الى المدائن مطرّف بن المغيرة بن شعبة وخرج عثمان حتى قدم على عبد الرحمن بن محمد ومَن معه من أهل الكوفة وهم معسكرون على نهر حولايا قريبا من البت عشية الثلاثاء وذلك يوم التروية فنادى الناس وهو على بغلة أيها الناس أخرجوا الى عدوّكم فوثب اليه الناس فقالوا نشدك الله هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطنوا أنفسهم على القتال فبت الليلة ثم اخرج بالناس على تعبية فجعل يقول لأناجزنهم ولتكوننّ الفرصة لى أو لهم فأتاهم عبد الرحمن فأخذ بعنان دابته وناشده الله لما نزل وقال له عقيل بن شدّاد السلولى ان الذى تريد من مناجزتهم الساعة أنت فاعله غدا وهو غدا خير لك وللناس ان هذه ساعة ريح وغبرة وقد أمسيت فانزل ثم أبكر بنا اليهم غدوة فنزل فسفت عليه الريح وشق عليه الغبار ودعا صاحب الخراج العلوج فبنوا له قبة فبات فيها ثم أصبح يوم الأربعاء فجاء أهل البت الى شبيب وكان قد نزل ببيعتهم فقالوا له أصلحك الله أنت ترحم الضعفاء وأهل الجزية ويكلمك مَن تلى عليه ويشكون اليك ما نزل بهم فتنظر لهم وتكف عنهم وان هؤلاء

القومَ جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم انك مقيم في بيعتنا ليقتلنا ان قضى لك ان ترتحل عنا فإن رأيت فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالا قال فإني أفعل ذلك بكم ثم خرج فنزل جانب القرية قال فبات عثمان ليلته كلها يحرّضهم فلما أصبح وذلك يوم الاربعاء خرج بالناس فاستقبلتهم ريحٌ شديدة وغبرة فصاح الناس اليه فقالوا انشدك الله أن تخرج بنا في هذا اليوم فإن الريح علينا فأقام بهم ذلك اليوم وأراد شبيب قتالهم وخرج أصحابه فلما رآهم لم يخرجوا اليه أقام فلما كان ليلة الخميس خرج عثمان فعبّى الناس على أرباعهم فجعل كلَّ ربع في جانب العسكر وقال لهم اخرجوا على هذه التعبية وسألهم مَن كان على ميمنتكم فقالوا خالد بن نهيك بن قيس الكندي وكان على ميسرتنا عقيل بن شدّاد السلولي فدعاهما فقال لهما قفا موا قفكما التي كنتما بها فقد وليتكما المجنبتين فأثبتا ولا تفرّا فوالله لا أزول حتى يزول نخلٌ رَاذَانَ عن أصوله فقالا ونحن والله الذي لا اله الا هو لا نفرّ حتى نظفر أو نُقتل فقال لهما جزاكما الله خيرا ثم أقام حتى صلى بالناس الغداة ثم خرج فجعل ربع أهل المدينة تميم وهمدان نحو نهر حولايا في الميسرة وجعل ربع كندة وربيعة ومذحج وأسد في الميمنة ونزل يمشي في الرجال وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا فقطع اليهم النهر فكان هو في ميمنة أصحابه وجعل على ميسرته سويد بن سليم وجعل في القلب مصاد بن يزيد أخاه وزحفوا وسما بعضهم لبعض (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح العبسي ان عثمان كان يقول فيكثر لن يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِنَ المَوتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا أين المحافظون على دينهم المحامون عن فيئهم فقال عقيل بن شدّاد بن حُبشي السلولي يعني أن أكون أحدهم قُتِلَ أولئك يوم رُوذَبار ثم قال شبيب لأصحابه اني حامل على ميسرتهم مما يلي النهر فإذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتي على ميمنتهم ولا يبرح صاحبُ القلب حتى يأتيه أمري وحمل في ميمنة أصحابه مما يلي النهر على ميسرة عثمان بن قطن فانهزموا ونزل عقيل بن شدّاد فقاتل حتى قُتل وقُتل يومئذ مالك بن عبد الله الهمداني ثم المُرهبي عمّ عياش بن عبد الله بن عياش المنتوف وجعل يومئذ عقيل بن شدّاد يقول وهو يجالدهم

لأضربنَّ بالحسام البائر * ضربَ غلامٍ من سلول صابر

ودخل شبيب عسكرهم وحمل سويد بن سليم في ميسرة شبيب على ميمنة عثمان بن قطن فهزمها وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندي فنزل خالد فقاتل قتالا شديدا وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على ربع كندة وربيعة يومئذ وهو صاحب الميمنة فلم ينثنِ شبيب حتى علاه بالسيف فقتله ومضى عثمان بن قطن وقد نزلت معه العرفاء وأشراف الناس والفرسان نحو القلب وفيه أخو شبيب في نحو من ستين راجلا فلما دنا منهم عثمان بن قطن شدّ عليهم

في الأشراف وأهل الصبر فضاربوهم حتى فرّقوا بينهم وحمل شبيب بالخيل من ورائهم فما شعروا الا والرماح في أكنافهم تكبّهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا في خيله ورجع مصاد وأصحابه وقد كان شبيب رجّلهم فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن فأحسن القتال ثم انهم شدّوا عليهم فأحاطوا به وحمل عليه مصاد أخو شبيب فضربه ضربة بالسيف استدار لها ثم قال وكان أمرُ الله مفعولا ثم ان الناس قتلوه وقُتل يومئذ الأبرد ابن ربيعة الكندي وكان على تلّ فألقى سلاحه الى غلامه وأعطاه فرسه وقاتل حتى قتل ووقع عبد الرحمن فرآه ابن أبي سبرة الجعفي وهو على بغلة فعرفه فنزل اليه فناوله الرمح وقال له اركب فقال عبد الرحمن بن محمد أينا الرديف قال ابن أبي سبرة سبحان الله أنت الأمير تكون المقدّم فركب وقال لابن أبي سبرة نادِ في الناس الحقوا بدير أبي مريم فنادى ثم انطلقا ذاهبين ورأى واصل بن الحارث السكوني فرس عبد الرحمن الذي حمله عليه الجزلُ يجول في العسكر فأخذها بعض أصحاب شبيب فظن انه قد هلك فطلبه في القتلى فلم يجده وسأل عنه فقيل له قد رأينا رجلا قد نزل عن دابته فحمله عليها فأخلقه أن يكون اياه وقد أخذها هنا آنفا فاتبعه واصلُ بن الحارث على برذونه ومع واصل غلامه على بغل فلما دنوا منهما قال محمد ابن أبي سبرة لعبد الرحمن قد والله لحق بنا فارسان فقال عبد الرحمن فهل غيرُ اثنين فقال لا فقال عبد الرحمن فلا يعجز اثنان عن اثنين قال وجعل يحدّث ابن أبي سبرة كأنه لا يكترث بهما حتى لحقهما الرجلان فقال له ابن أبي سبرة رحمك الله قد لحقنا الرجلان فقال له فانزل بنا فنزلا فانتضيا سيفيهما ثم مضيا اليهما * فلما رآهما واصل عرفهما فقال لهما إنكما قد تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا الآن ثم حسر العمامة عن وجهه فعرفاه فرحّبا به وقال لابن الأشعث اني لمّا رأيت فرسك يجول في العسكر ظننتك راجلا فأتيتك ببرذوني هذا لتركبه فتركك لابن أبي سبرة بغلته وركب البرذون وانطلق عبد الرحمن بن الاشعث حتى نزل دير اليعار وأمر شبيب أصحابه فرفعوا عن الناس السيف ودعاهم الى البيعة فأتاه من بقي من الرجّالة فبايعوه وقال له أبو الصقر المحلّمي قتلت من الكوفيين سبعة في جوف النهر كان آخرهم رجلا تعلق بثوبي وصاح ورهّبني حتى رهبته ثم اني أقدمت عليه فقتلته وقتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألف من سائر الناس أو ستمائة وقتل عظم العرفاء يومئذ (قال أبو مخنف) حدثني قدامة بن حازم بن سفيان الخثعمي انه قتل منهم يومئذ جماعة وبات عبد الرحمن بن محمد تلك الليلة بدير اليعار فأتاه فارسان فصعدا اليه فوق البيت وقام آخر قريبا منهما فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلا ثم جاءه ثم نزل هو وأصحابه وقد كان الناس يتحدّثون ان ذلك كان شبيبا وانه قد كان كاتبه ثم خرج عبد الرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دير أبي مريم فإذا هو بأصحاب الخيل قد وضع لهم محمدُ بن عبد الرحمن بن أبي سبرة صُبَر الشعير والقتّ

بعضه على بعض كأنه القصور ونحر لهم من الجزر ماشاؤا فأكلوا يومئذ وعلفوا دوابهم واجتمع الناس الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له ان سمع شبيب بمكانك أتاك وكنت له غنيمة قد ذهب الناس وتفرقوا وقتل خيارهم فالحق أيها الرجل بالكوفة فخرج الى الكوفة و رجع الناس أيضا وجاء فاختبى من الحجاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك

﴿وفي هذه السنة﴾ أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم ﴿ذكر الواقدي﴾ ان سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بذلك قال وحدثني ابن أبي الزناد عن أبيه ان عبد الملك ضرب الدراهم والدنانير عامئذ وهو أول من أحدث ضربها قال وحدثني خالد بن أبي ربيعة عن أبي هلال عن أبيه قال كانت مثاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين قيراطا الاحبة وكان العشرة وزن سبعة قال وحدثني عبد الرحمن بن جرير الليثي عن هلال بن أسامة قال سألت سعيد بن المسيب في كم تجب الزكاة من الدنانير قال في كل عشرين مثقالا بالشامي نصف مثقال قلت ما بال الشامي من المصري قال هو الذي تضرب عليه الدنانير وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب الدنانير كانت اثنين وعشرين قيراطا الاحبة قال سعيد قد عرفته قد أرسلت بدنانير الى دمشق فضربت على ذلك ﴿وفي هذه السنة﴾ وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك بن مروان وولى أبان بن عثمان المدينة في رجب ﴿وفيها﴾ استقضى أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خداش من بني عامر بن لوي ﴿وفيها﴾ ولد مروان بن محمد بن مروان ﴿وأقام الحج﴾ للناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق ابن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى

﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين﴾

﴿ففي هذه السنة﴾ قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية

﴿ذكر الخبر عن سبب مقتلهما﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ان شبيبا لما هزم الجيش الذي كان الحجاج وجهه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث اليه وقتل عثمان بن قطن وذلك في صيف وحر شديد اشتد الحر عليه وعلى أصحابه فأتى ماه بهرا ذان فتصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا فلحقوا به وناس ممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تباعات كان منهم رجل من الحي يقال له الحر بن عبد الله بن عوف وكان دهقانا من أهل نهر دقيط قد أساء اليه وضيق عليه فشد عليهما فقتلهما

ثم لحق بشبيب فكان معه بماه وشهد معه مواطنه حتى قتل فلما آمن الحجاج كل من كان خرج الى شبيب من أصحاب المال والتباعات وذلك بعد يوم السبخة خرج اليه الحر فمن خرج فجاء أهل الدهقانين يستعدون عليه الحجاج فأتى به فدخل وقد أوصى ويئس من نفسه فقال له الحجاج ياعدو الله قتلت رجلين من أهل الخراج فقال له قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا فقال وما هو قال خروجي من الطاعة وفراق الجماعة ثم آمنت كل من خرج اليك فهذا أماني وكتابك لي فقال له الحجاج أولى لك قد لعمري فعلت وخلى سبيله قال ولما انفسخ الحر عن شبيب خرج من ماه في نحو من ثمانمائة رجل فأقبل نحو المدائن وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب ماذر واسب عظيم بابل مهروذ الى الحجاج أما بعد فإني أخبر الأمير أصلحه الله ان شبيبا قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة ولا أدري أين يريد * فلما قرأ الحجاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس والله لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم أو لأبعثن الى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغيظ منكم فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيأكم فقام اليه الناس من كل جانب فقالوا نحن نقاتلهم ونعتب الأمير فليندبنا الأمير اليهم فانا حيث سرّه وقام اليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستتم قائما حتى يؤخذ بيده فقال له أصلح الله الأمير انك انما تبعث اليهم الناس متقطعين فاستنفر الناس اليهم كافة فلينفر اليهم كافة وابعث عليهم رجلا ثبتا شجاعا مجربا للحرب ممن يرى الفر ارهضما وعارا والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج فأنت ذاك فاخرج فقال أصلح الله الأمير انما يصلح للناس في هذا رجل يحمل الرمح والدرع ويهز السيف ويثبت على متن الفرس وأنا لا أطيق من هذا شيأ وقد ضعف بصري وضعفت ولكن أخرجني في الناس مع الأمير فإني انما أثبت على الراحلة فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأيي فقال له الحجاج جزاك الله عن الإسلام وأهله في أول الإسلام خيرا وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيرا فقد نصحت وصدقت أنا مخرج الناس كافة ألا فسيروا أيها الناس فانصرف الناس فجعلوا يسيرون وليس يدرون من أميرهم وكتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله ان شبيبا قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة في كلها يقتل أمراءهم ويفل جنودهم فان رأى أمير المؤمنين أن يبعث الى أهل الشأم فيقاتلوا عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل والسلام فلما أتى عبد الملك كتابه بعث اليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف وبعث اليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج في ألفين فسرحهم حين أتاه الكتاب الى الحجاج وجعل أهل الكوفة يتجهزون الى شبيب ولا يدرون من أميرهم وهم يقولون يبعث

فلانا أوفلانا وقد بعث الحجاج الى عتاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خيل الكوفة مع المهلب وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفه هم الذين كان بشر بن مروان بعث عبد الرحمن بن مخنف عليهم الى قطرى فلم يلبث عبد الرحمن بن مخنف الا نحوا من شهرين حتى قدم الحجاج على العراق فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قدوم الحجاج الا رجب وشعبان وقتل قطرى عبد الرحمن في آخر رمضان فبعث الحجاج عتاب بن ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن بن مخنف وأمر الحجاج عتابا بطاعة المهلب فكان ذلك قد كبر على عتاب ووقع بينه وبين المهلب شر حتى كتب عتاب الى الحجاج يستعفيه من ذلك الجيش ويضمه اليه فلما ان جاءه كتاب الحجاج بإتيانه سر بذلك قال ودعا الحجاج اشراف أهل الكوفة فيهم زهرة بن حوية السعدى من بني الأعرج وقبيصة بن والق التغلبي فقال لهم من ترون ان ابعث على هذا الجيش فقالوا رأيك أيها الأمير أفضل قال فاني قد بعثت الى عتاب بن ورقاء وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة فيكون هو الذى يسير في الناس قال زهرة بن حوية أصلح الله الأمير رَمَيْتَهُمْ بِحَجَرِهِمْ لا والله لا يرجع اليك حتى يظفر أو يقتل وقال له قبيصة بن والق إني مشير عليك برأيي فان يكن خطأ فبعد اجتهادى في النصيحة لأمير المؤمنين وللأمير ولعامة المسلمين وان يك صوابا فالله سددني له إنا قد تحدثنا وتحدث الناس ان جيشا قد فصل اليك من قبل الشأم وان أهل الكوفة قد هزموا وفلوا واستخفوا بالصبر وهان عليهم عار الفرار فقلوبهم كأنها ليست فيهم كأنما هي في قوم آخرين فإن رأيت ان تبعث الى جيشك الذى أمددت به من أهل الشأم فيأخذوا حذرهم ولا يبيتوا الا وهم يرون أنهم مُبَيَّتون فعلت فإنك تحارب حُوَّلا قُلَّبا ظاعنا رحالا وقد جهزت اليه أهل الكوفة ولست واثقا بهم كل الثقة وإنما اخوانهم هؤلاء القوم الذين بعثوا اليك من الشأم إن شبيبا بينا هو في أرض اذ هو في أخرى ولا آمن ان يأتيهم وهم غارون فإن يهلكوا نهلك ويهلك العراق فقال لله أنت ما أحسن ما رأيت وما أحسن ما أشرت به علي قال فبعث عبد الرحمن ابن الغرق مولى أبي عقيل الى من أقبل اليه من أهل الشأم فأتاهم وقد نزلوا هيت بكتاب من الحجاج أما بعد فإذا حاذيتم هيت فدعوا طريق الفرات والأنبار وخذوا على عين التمر حتى تقدموا الكوفة ان شاء الله وخذوا حذركم وعجلوا السير والسلام فأقبل القوم سراعا قال وقدم عتاب بن ورقاء في الليلة التي قال الحجاج انه قادم عليكم فيها فأمره الحجاج فخرج بالناس فعسكر بهم بحمام أعين وأقبل شبيب حتى انتهى الى كلواذا فقطع منها دجلة ثم أقبل حتى نزل مدينة بهرسير الدنيا فصار بينه وبين مطرف بن المغيرة بن شعبة جسر دجلة فلما نزل شبيب مدينة بهرسير قطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب أن ابعث الي رجالا من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن وأنظر فيما تدعوا اليه فبعث اليه شبيب رجالا من وجوه أصحابه فيهم

قعنب

قعنب وسويد والمحلل فلما أرادوا ان ينزلوا في السفينة بعث اليهم شبيب ان لا تدخلوا السفينة حتى يرجع الي رسولي من عند مطرف فرجع الرسول وبعث الى مطرف أن ابعث الي من أصحابك بعدد أصحابي يكونوا رهنا في يدى حتى ترد علي أصحابي فقال مطرف لرسوله القه وقل له كيف آمنك انا على أصحابي اذا انا بعثتهم الآن اليك وأنت لا تأمنني على أصحابك فرجع الرسول الى شبيب فأبلغه فأرسل اليه شبيب انك قد علمت أنا لا نستحل الغدر في ديننا وأنتم تفعلونه وتستحلونه فبعث اليه مطرف الربيع بن يزيد الاسدى وسليمان بن خذيفة بن هلال بن مالك المزني وبزيد بن أبي زياد مولاه وصاحب حرسه فلما صاروا في يدى شبيب سرح اليه أصحابه فأتوا مطرفا فمكثوا أربعة أيام يتراسلون ثم لم يتفقوا على شئ فلما تبين لشبيب ان مطرفا غير تابعه ولا داخل معه تهيأ للمسير الى عتاب بن ورقاء وإلى أهل الشأم (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط ان شبيبا دعا رؤس أصحابه فقال لهم انه لم يثبطني على رأى قد كنت رأيته الا هذا الثقفي منذ أربعة أيام قد كنت حدثت نفسي ان أخرج في جريدة خيل حتى ألقى هذا الجيش المقبل من الشأم رجاء ان أصادف غرتهم أو يحذروا فلا أبالي كنت ألقاهم منقطعين من المصر ليس عليهم أمير كالحجاج يستندون اليه ولا مصر كالكوفة يعتصمون به وقد جاءتني عيوني اليوم فخبروني ان أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة وجاءتني عيوني من نحو عتاب بن ورقاء فحدثوني انه قد نزل بجماعة أهل الكوفة الصراة فما أقرب ما بيننا وبينهم فتيسر وابنا للمسير الى عتاب بن ورقاء قال وخاف مطرف ان يبلغ خبره وما كان من ارساله الى شبيب الحجاج فخرج نحو الجبال وقد كان أراد ان يقيم حتى ينظر ما يكون بين شبيب وعتاب فأرسل اليه شبيب أما اذ لم تبايعني فقد نبذت اليك على سواء فقال مطرف لأصحابه اخرجوا بنا وافرين فإن الحجاج سيقاتلنا فيقاتلنا وبنا قوة أمثل فخرج ونزل المدائن فعقد شبيب الجسر وبعث الى المدائن أحاه مصادا وأقبل اليه عتاب حتى نزل بسوق حكمة وقد أخرج الحجاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم ومن نشط الى الخروج من شبابهم وكانت مقاتلتهم أربعين ألفا سوى الشباب ووافى مع عتاب يومئذ أربعون ألفا من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة فكانوا خمسين ألفا ولم يدع الحجاج قرشيا ولا رجلا من بيوتات العرب الا أخرجه (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الرحمن بن جندب قال سمعت الحجاج وهو على المنبر حين وجه عتابا الى شبيب في الناس وهو يقول يا أهل الكوفة اخرجوا مع عتاب بن ورقاء بأجمعكم لا ارخص لاحد من الناس في الإقامة الا رجلا قد ولينا ه من أعمالنا الا إن للصابر المجاهد الكرامة والأثرة الا وإن للناكل الهارب الهوان والجفوة والذى لا إله غيره لئن فعلتم في هذا الموطن كفعلكم في المواطن التي كانت لأولينكم كنفا خشنا ولأعركنكم بكلكل ثقيل ثم نزل وتوافى الناس

مع عتاب بسوق حكمة (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال عرضنا شبيب بالمدائن فكنا ألف رجل فقام فينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر المسلمين ان الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلا وأنقص منه قليلا فأنتم اليوم مئون ومئون الا انى مصلى الظهر ثم سائر بكم فصلى الظهر ثم نودى في الناس ياخيل الله اركبي وابشري فخرج في أصحابه فأخذوا يتخلفون ويتأخرون فلما جاوزا ساباط ونزلنا معه قص علينا وذكرنا بأيام الله وزهدنا في الدنيا ورغبنا في الآخرة ساعة طويلة ثم أمر مؤذنه فأذن ثم تقدم فصلى بنا العصر ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتاب بن ورقاء وأصحابه فلما ان رآهم من ساعته نزل وأمر مؤذنه فأذن ثم تقدم فصلى بنا المغرب وكان مؤذنه سلام بن سيار الشيباني وكانت عيون عتاب ابن ورقاء قد جاؤه فأخبروه انه قد أقبل اليه فخرج بالناس كلهم فعباهم وكان قد خندق أول يوم نزل وكان يظهر كل يوم انه يريد ان يسير الى شبيب بالمدائن فبلغ ذلك شبيبا فقال أسير اليه أحب الي من ان يسير الى فأتاه فلما صف عتاب الناس بعث على ميمنته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال يا ابن أخي انك شريف فاصبر وصابر فقال أما أنا فوالله لا فاتلن ماثبت معي انسان وقال لقبيصة بن والق وكان يومئذ على ثلث بني تغلب اكفني الميسرة فقال أنا شيخ كبير كثير مني ان أثبت تحت رايتي قد ثبت مني القيام ما أستطيع القيام الا ان أقام ولكن هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن عليم التغلبيان وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب فقال ابعث أيهما أحببت فأيهما بعثت فلتبعثن ذا حزم وعزم وغناء فبعث نعيم بن عليم على ميسرته وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعي وهو ابن عم عتاب شيخ أهل بيته على الرجالة وصفهم ثلاث صفوف صف فيهم الرجال معهم السيوف وصف وهم أصحاب الرماح وصف فيه المرامية ثم سار فيما بين الميمنة الى الميسرة يمر بأهل راية راية فيحثهم على تقوى الله ويأمرهم بالصبر ويقص عليهم (قال أبو مخنف) فحدثني حصيرة بن عبد الله ان تميم بن الحارث الازدي قال وقف علينا فقص علينا قصصا كثيرا كان مما حفظت منه ثلاث كلمات قال يا أهل الإسلام ان أعظم الناس نصيبا في الجنة الشهداء وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين ألا ترون انه يقول اصبروا إن الله مع الصابرين فمن حمد الله فعله فما أعظم درجته وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغي ألا ترون ان عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه لا يرون الا ان ذلك لهم قربة عند الله فهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار أين القصاص قال ذلك فلم يجبه والله أحد منا فلما رأى ذلك قال أين من يروى شعر عنترة قال فلا والله ما رد عليه انسان كلمة فقال إنا لله كأني بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفي في استه الريح ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهم العدوي وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد

تخلف

تخلف عنه من الناس أربعمائة فقال لقد تخلف عنا من لا أحب ان يرى فينا فبعث سويد ابن سليم في مائتين الى الميسرة وبعث المحلل بن وائل في مائتين الى القلب ومضى هو في مائتين الى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات قالوا رايات ربيعة فقال شبيب رايات طال ما نصرت الحق وطال ما نصرت الباطل لها في كل نصيب والله لأجاهدنكم محتسبا للخير في جهادكم أنتم ربيعة وأنا شبيب أنا أبو المدله لا حكم الا لله حكم اثبتوا ان شئتم ثم حمل عليهم وهو على مسناة امام الخندق ففضهم فثبت أصحاب رايات قبيصة بن والق وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم فقتلوا وانهزمت الميسرة كلها وتنادى اناس من بني تغلب قتل قبيصة بن والق فقال شبيب قتلتم قبيصة بن والق التغلبي يامعشر المسلمين قال الله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين هذا مثل ابن عمكم قبيصة بن والق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم جاء يقاتلكم مع الكافرين ثم وقف عليه فقال ويحك لو ثبت على اسلامك الأول سعدت ثم حمل من الميسرة على عتاب ابن ورقاء وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن فقاتل في الميمنة في رجال من بني تميم وهمدان فأحسنوا القتال فما زالوا كذلك حتى أتوا فقيل لهم قتل عتاب بن ورقاء فانفضوا ولم يزل عتاب جالسا على طنفسة في القلب وزهرة بن حوية معه اذ غشيهم شبيب فقال له عتاب يا زهرة بن حوية هذا يوم كثر فيه العدد وقل فيه الغناء وا لهفي على خمسمائة فارس من نحور رجال تميم معي من جميع الناس ألا صابر لعدوه ألا مؤاس بنفسه فانفضوا عنه وتركوه فقال له زهرة أحسنت يا عتاب فعلت فعل مثلك والله والله لو منحتهم كتفك ما كان بقاؤك الا قليلا ابشر فإني أرجو ان يكون الله قد أهدى الينا الشهادة عند فنائنا عمارنا فقال له جزاك الله خير ما جزى امرأ لمعروف وحاثا على تقوى فلما دنا منه شبيب وثب في عصابة صبرت معه قليلة وقد ذهب الناس يمينا وشمالا فقال له عمار بن يزيد الكلبي من بني المدينة أصلحك الله ان عبد الرحمن بن محمد قد هرب عنك فانصفق معه اناس كثير فقال له قد فر قبل اليوم وما رأيت ذلك الفتى يبالي ما صنع ثم قاتلهم ساعة وهو يقول ما رأيت كاليوم قط موطنا لم أبتل بمثله قط أقل مقاتلا ولا أكثر هارب اخاذلا فرآه رجل من بني تغلب من أصحاب شبيب من بني زيد بن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عمرو وكان قد أصاب دما في قومه فلحق بشبيب وكان من الفرسان فقال لشبيب والله اني لأظن هذا المتكلم عتاب بن ورقاء فحمل عليه فطعنه فوقع فكان هو ولي قتله ووطئت الخيل زهرة بن حوية فأخذ يذب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع ان يقوم فجاءه الفضل بن عامر الشيباني فقتله فانتهى اليه شبيب فوجده صريعا فعرفه فقال من قتل هذا فقال الفضل أنا قتلته فقال شبيب هذا زهرة ابن حوية أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك

وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للمشركين قد هزمتها وسرية لهم قد أغرتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتتحتها ثم كان في علم الله أن تقتل ناصر الظالمين (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال رأيناه والله توجع له فقال رجل من شبان بكر بن وائل والله ان أمير المؤمنين منذ الليلة ليتوجع لرجل من الكافرين قال انك لست بأعرف بضلالتهم مني ولكني أعرف من قديم أمرهم مالا تعرف مالوثبتوا عليه كانوا اخواناً وقتل في المعركة عمار بن يزيد بن شبيب الكلبي وقتل أبو خيثمة بن عبد الله يومئذ واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس فقال ارفعوا عنهم السيف ودعا الى البيعة فبايعه الناس من ساعتهم وهربوا من تحت ليلتهم وأخذ شبيب يبايعهم ويقول الى ساعة يهربون وحوى شبيب على ما في العسكر وبعث الى أخيه فأتاه من المدائن فلما وفاه بالعسكر أقبل الى الكوفة وقد أقام بعسكره ببيت قرة يومين ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة وقد دخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج فيمن معهما من أهل الشأم الكوفة فشد والحجاج ظهره فاستغنى بهما عن أهل الكوفة فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا أهل الكوفة فلا أعز الله من أرادبكم العز ولا نصر من أرادبكم النصر اخرجوا عنا ولا تشهدوا معنا قتال عدونا الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملا ومن لم يكن شهد قتال عتاب بن ورقاء (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال والله لخرجنا نتبع آثار الناس فأنتهى الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس الهمداني وهما يمشيان كأني أنظر الى رأس عبد الرحمن قد امتلأ طيناً فصددت عنهما وكرهت ان اذعرهما ولو أني أوذن بهما أصحاب شبيب لقتلا مكانهما وقلت في نفسي لئن سقت الى مثلكما من قومي القتل ما أنا برشيد الرأي وأقبل شبيب حتى نزل الصراة (قال أبو مخنف) فحدثني موسى بن سوار ان شبيبا خرج يريد الكوفة فانتهى الى سورا فانتدب الناس فقال أيكم يأتيني برأس عامل سورا فانتدب له بطين وقعنب وسويد ورجلان من أصحابه فساروا مغذين حتى انتهوا الى دار الخراج والعمال في سمرجة فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا أجيبوا الأمير فقالوا أي الأمراء قالوا أمير خرج من قبل الحجاج يريد هذا الفاسق شبيبا فاغتر بذلك العامل منهم ثم انهم شهروا السيوف وحكموا حين وصلوا اليه فضربوا عنقه وقبضوا على ما كان من مال ولحقوا بشبيب فلما انتهوا اليه قال ما الذي أتيتمونا به قالوا جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال والمال على دابة في بدوره فقال شبيب أتيتمونا بفتنة للمسلمين هلم الحربة يا غلام فخرق بها البدور وأمر فتخس بالدابة والمال يتناثر من بدوره حتى وردت الصراة فقال إن كان بقي شيء فاقذفه في الماء ثم خرج اليه سفيان بن الأبرد مع الحجاج وكان أتاه قبل خروجه معه فقال ابعثني أستقبله قبل أن يأتيك فقال ما أحب

أن نفترق حتى ألقاه في جماعتكم والكوفة في ظهورنا والحصن في أيدينا ﴿وفي هذه السنة﴾ دخل شبيب الكوفة دخلته الثانية

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجاج﴾

﴿قال هشام﴾ حدثني أبو مخنف عن موسى بن سوار قال قدم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشأم الكوفة وكان مُطَرِّف بن المغيرة كتب الى الحجاج إن شبيبا قد اطلّ عليّ فابعث الى المدائن بعثا فبعث اليه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتي فارس فلما خرج مطرّف يريد الجبل خرج بأصحابه معه وقد أعلمهم ما يريد وكتم ذلك سبرة فلما انتهى الى دسكرة الملك دعا سبرة فأعلمه ما يريد ودعاه الى أمره فقال له نعم أنا معك فلما خرج من عنده بعث الى أصحابه فجمعهم وأقبل بهم فيصادف عتّاب بن ورقاء قد قتل وشبيبا قد مضى الى الكوفة فأقبل حتى انتهى الى قرية يقال لها بيطرى وقد نزل شبيب حمّام عُمر فخرج سبرة حتى يعبر الفرات في معبر قرية شاهي ثم أخذ الظهر حتى قدم على الحجاج فوجد أهل الكوفة مسخوطا عليهم فدخل على سفيان بن الابرد فقصّ قصته عليه وأخبره بطاعته وفراقه مُطَرِّفا وانه لم يشهد عتّابا ولم يشهد هزيمة في موطن من مواطن أهل الكوفة ولم أزل للامير عاملا ومعي مائتا رجل لم يشهدوا معي هزيمة قط وهم على طاعتهم لم يدخلوا في فتنة فدخل سفيان الى الحجاج فخبّره بخبر ما قص عليه سبرة بن عبد الرحمن فقال صدق وبرّ قل له فليشهد معنا لقاء عدوّنا فخرج اليه فأعلمه ذلك وأقبل شبيب حتى نزل موضع حمّام أعين ودعا الحجاج الحارث بن معاوية بن أبي زُرْعة بن مسعود الثقفي فوجّهه في ناس من الشُرَط لم يكونوا شهدوا يوم عتاب ورجالا كانوا عمّالا في نحو من مائتي رجل من أهل الشأم فخرج في نحو من ألف فنزل زُرارة وبلغ ذلك شبيبا فتعجل اليه في أصحابه فلما انتهى اليه حمل عليه فقتله وهزم أصحابه وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة وجاء شبيب حتى قطع الجسر وعسكر دونه الى الكوفة وأقام شبيب في عسكره ثلاثة أيام فلم يكن في أول يوم الا قتل الحارث بن معاوية فلما كان في اليوم الثاني أخرج الحجاج مواليه وغلمانه عليهم السلاح فأخذوا بأفواه السكك مما يلي الكوفة وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سككهم وخشوا ان لم يخرجوا موجدة الحجاج وعبد الملك بن مروان وجاء شبيب حتى ابتنى مسجدا في أقصى السبخة مما يلي موقف أصحاب القنّ عند الايوان وهو قائم حتى الساعة فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا الورد مولى له عليه تجفاف وأخرج مجففة كثيرة وغلمانا له وقالوا هذا الحجاج فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم ان الحجاج أخرج له غلامه طَهْمان في مثل تلك العُدّة على مثل تلك الهيئة فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم ان الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فقال

ائتونى ببغل أركبه مابينى وبين السبخة فأتى ببغل محجل فقيل له ان الاعاجم أصلحك الله تطيّر أن تركب فى مثل هذا اليوم مثل هذا البغل فقال ادنوه منى فان اليوم يومٌ أغرّ محجل فركبه ثم خرج في أهل الشأم حتى أخذ فى سكة البريد ثم خرج فى أعلى السبخة فلما نظر الحجاج الى شبيب وأصحابه نزل وكان شبيب فى ستمائة فارس فلما رأى الحجاج قد خرج اليه أقبل بأصحابه وجاء سبرة بن عبد الرحمن الى الحجاج فقال أين يأمرنى الامير أن أقف فقال قف على أفواه السكك فان جاؤكم فكان فيكم قتال فقاتلوا فانطلق حتى وقف فى جماعة الناس ودعا الحجاج بكرسى له فقعد عليه ثم نادى يا أهل الشأم أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يغلبَنّ باطلُ هؤلاء الارجاس حقَّكم غُضّوا الابصار واجثوا على الرُكب واستقبلوا القوم بأطراف الاسنة فجثوا على الركب وأشرعوا الرماح وكانهم حرَّة سوداء وأقبل اليهم شبيب حتى اذا دنا منهم عبّى أصحابه ثلاثة كراديس كتيبة معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحلل بن وائل فقال لسويد احمل عليهم في خيلك فحمل عليهم فثبتوا له حتى غشى أطراف الاسنة وثبوا في وجهه ووجوه أصحابه فطعنوهم قُدُماً حتى انصرف وصاح الحجاج يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا قدّم كرسى ياغلام وأمر شبيب المحلل فحمل عليهم ففعلوا به مثل ما فعلوا بسويد فناداهم الحجاج يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا قدّم كرسى ياغلام ثم ان شبيبا حمل عليهم فى كتيبته فثبتوا له حتى اذا غشى أطراف الرماح وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلا ثم ان أهل الشأم طعنوه قُدُماً حتى ألحقوه بأصحابه فلما رأى صبرهم نادى ياسويد احمل في خيلك على أهل هذه السكة يعنى سكة لحام جرير لعلك تزيل أهلها عنها فتأتى الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من امامه فانفرد سويد بن سليم فحمل على أهل تلك السكة فرُمى من فوق البيوت وأفواه السكك فانصرف وقد كان الحجاج جعل عروة بن المغيرة ابن شعبة في نحو من ثلثمائة رجل من أهل الشأم ردءا له ولاصحابه لئلا يؤتوا من ورائه ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى فروة بن لقيط ان شبيبا قال لنا يومئذ يا أهل الاسلام انما شرينا الله ومن شرى الله لم يكبر عليه ما أصابه من الاذى والألم فى جنب الله الصبر الصبر شدة كشداتكم فى مواطنكم الكريمة ثم جمع أصحابه فلما ظن الحجاج انه حامل عليهم قال لاصحابه يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم ورب السماء ماشئ دون الفتح فجثوا على الرُكَب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه فلما غشيهم نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا فى وجهه فما زالوا يطعنون ويضربون قُدُماً ويدفعون شبيبا وأصحابه وهو يقاتلهم حتى بلغوا موضع بُستان زائدة فلما بلغ ذلك المكان نادى شبيب أصحابه يا أولياء الله الارض الارض ثم نزل وأمر أصحابه فنزل نصفهم وترك نصفهم مع سويد بن سليم وجاء الحجاج حتى انتهى الى مسجد شبيب ثم قال يا أهل الشأم يا أهل السمع والطاعة هذا أول الفتح والذى نفس الحجاج بيده وصعد

المسجد

المسجد معه نحوٌ من عشرين رجلا معهم النبل فقال ان دنوا منا فارشقوهم فاقتتلوا عامة النهار من أشد قتال في الارض حتى أقرّ كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم ان خالد بن عتاب قال للحجاج ائذن لى في قتالهم فانى موتور وأنا ممن لا يُنهم في نصيحة قال فانى قد أذنت لك قال فانى آتيهم من ورائهم حتى أغير على عسكرهم فقال له افعل ما بدا لك قال فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتى دخل عسكرهم من ورائهم فقتل مُصادًا أخا شبيب وقتل غزالة امرأته قتلها فروة بن الدفان الكلبى وحرق فى عسكره وأتى ذلك الخبر الحجاج وشبيبا فأما الحجاج وأصحابه فكبروا تكبيرة واحدة وأما شبيب فوثب هو وكل راجل معه على خيولهم وقال الحجاج لأهل الشأم شدوا عليهم فانه قد أتاهم ما أرعب قلوبهم فشدوا عليهم فهزموهم وتخلف شبيب فى حامية الناس ﴿قال هشام﴾ فحدثنى أصغر الخارجى قال حدثنى من كان مع شبيب قال لما انهزم الناس فخرج من الجسر تبعه خيل الحجاج قال فجعل يخفق برأسه فقلت يا أمير المؤمنين التفت فانظر من خلفك قال فالتفت غير مكترث ثم أكبّ يخفق برأسه قال ودنوا منا فقلنا يا أمير المؤمنين قد دنوا منك قال فالتفت والله غير مكترث ثم جعل يخفق برأسه قال فبعث الحجاج الى خيله أن دعوه في حرق الله وناره فتركوه ورجعوا ﴿قال هشام﴾ قال أبو مخنف حدثنى أبو عمرو العذرى قال قطع شبيب الجسر حين عبر قال وقال لى فروة كنت معه حين انهزمنا فما حرّك الجسر ولا اتبعونا حتى قطعنا الجسر ودخل الحجاج الكوفة ثم صعد المنبر فحمد الله ثم قال والله ما قوتل شبيب قبلها ولى والله هاربا وترك امرأته يُكسر فى استها القصب ﴿وقد قيل﴾ فى قتال الحجاج شبيبا بالكوفة ماذكره عمر بن شبة قال حدثنى عبد الله بن المغيرة بن عطية قال حدثنى أبى قال حدثنا مزاحم بن زُفر بن جساس التيمى قال لما فض شبيب كتائب الحجاج أذن لنا فدخلنا عليه فى مجلسه الذى يبيت فيه وهو على سرير وعليه لحاف فقال انى دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر فأشيروا علىّ ان هذا الرجل قد تبجبج بُحبُوحتكم ودخل حريمكم وقتل مقاتلتكم فأشيروا علىّ فأطرقوا وفصل رجل من الصف بكرسيه فقال ان أذن لى الامير تكلمتُ فقال تكلمْ فقال ان الأمير والله ما راقب الله ولا حفظ أمير المؤمنين ولا نصح للرعية ثم جلس بكرسيه فى الصف قال واذا هو قتيبة قال فغضب الحجاج وألقى اللحاف ودلى قدميه من السرير كانى أنظر اليهما فقال من المتكلم قال فخرج قتيبة بكرسيه من الصف فأعاد الكلام قال فما الرأى قال الرأى أن تخرج اليه فتحاكمه قال فارتدّ لى معسكرا ثم اغدُ الىّ قال فخرجنا لعنبسة بن سعيد وكان كلم الحجاج في قتيبة فجعله من أصحابه فلما أصبحنا وقد أوصينا جميعا غدونا في السلاح فصلى الحجاج الصبح ثم دخل فجعل رسوله يخرج ساعة بعد ساعة فيقول أجاء بعد أجاء بعد ولا ندرى من يريد وقد أفعمت المقصورة بالناس فخرج الرسول فقال أجاء بعد واذا قتيبة يمشى في

المسجد عليه قباء هروي أصفر وعمامة خز أحمر متقلدا سيفا عريضا قصير الحمائل كانه في ابطه قد أدخل بركة قبائه في منطقته والدرع يصفق ساقيه ففتح له الباب فدخل ولم يحجب فلبث طويلا ثم خرج وأخرج معه لواء منشورا فصلى الحجاج ركعتين ثم قام فتكلم وأخرج اللواء من باب الفيل وخرج الحجاج يتبعه فاذا بالباب بغلة شقراء غراء محجلة فركبها وعارضه الوصفاء بالدواب فأبى غيرها وركب الناس وركب قتيبة فرسا أغر محجلا كميتا كانه في سرجه رمانة من عظم السرج فأخذ في طريق دار السقاية حتى خرج الى السبخة وبها عسكر شبيب وذلك يوم الأربعاء فتواقفوا ثم غدوا يوم الخميس للقتال ثم غادوهم يوم الجمعة فلما كان وقت الصلاة انهزمت الخوارج * قال أبو زيد حدثني خلاد بن يزيد قال حدثنا الحجاج بن قتيبة قال جاء شبيب وقد بعث اليه الحجاج أميرا فقتله ثم آخر فقتله أحدهما أعين صاحب حمام أعين قال فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزالة وقد كانت نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران قال ففعلت قال واتخذ شبيب في عسكره أخصاصا فقام الحجاج فقال لا أراكم تناصحون في قتال هؤلاء القوم يا أهل العراق وأنا كاتب الى أمير المؤمنين ليمدني بأهل الشأم قال فقام قتيبة فقال انك لم تنصح لله ولا لأمير المؤمنين في قتالهم ﴿قال عمر بن شبة﴾ قال خلاد فحدثني محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر ابن عثمان التيمي ان الحجاج خنق قتيبة بعمامته خنقا شديدا ﴿ثم رجع الحديث الى حديث الحجاج وقتيبة﴾ قال فقال وكيف ذاك قال تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاعا من الناس فينهزمون عنه ويستحيا فيقاتل حتى يقتل قال فما الرأى قال أن تخرج بنفسك ويخرج معك نظراؤك فيؤاسونك بأنفسهم قال فلعنه ثم وقال الحجاج والله لأبرزن له غدا فلما كان الغد حضر الناس فقال قتيبة اذكر يمينك أصلح الله الامير فلعنود أيضا وقال الحجاج اخرج فارتد لى معسكرا فذهب وتهيأ هو وأصحابه فخرجوا فأتى على موضع فيه بعض القذر موضع كناسة فقال ألقوا لى ههنا فقيل ان الموضع قذر فقال ماتدعوننى اليه أقذر الارض تحته طيبة والسماء فوقه طيبة قال فنزل وصف الناس وخالد بن عتاب بن ورقاء مسخوط عليه فليس في القوم وجاء شبيب وأصحابه فقربوا دوابهم وخرجوا يمشون فقال لهم شبيب الهوا عن رميكم ودبوا تحت تراسكم حتى اذا كانت النتهم فوقها فأزلقوها صعدا ثم ادخلوا تحتها لتستقلوا فتقطعوا أقدامهم وهى الهزيمة باذن الله فأقبلوا يدبون اليهم وجاء خالد ابن عتاب في شاكريته فدار من وراء عسكرهم فأضرم أخصاصهم بالنار فلما رأوا ضوء النار وسمعوا معمعتها التفتوا فرأوها في بيوتهم فولوا الى خيلهم وتبعهم الناس وكانت الهزيمة ورضى الحجاج عن خالد وعقد له على قتالهم قال ولما قتل شبيب عتابا أراد دخول الكوفة ثانية فأقبل حتى شارفها فوجه اليه الحجاج سيف بن هانئ ورجلا معه ليأتياه بخبر شبيب فأتيا

عسكره

عسكره ففطن بهما فقتل الرجل وأفلت سيف وتبعه رجل من الخوارج فأوثب سيف فرسه ساقية ثم سأل الرجل الامان على أن يصدقه فآمنه فأخبره ان الحجاج بعثه وصاحبه ليأتياه بخبر شبيب قال فأخبره انا نأتيه يوم الاثنين فأتى سيف الحجاج فأخبره فقال كذب وماق فلما كان يوم الاثنين توجهوا يريدون الكوفة فوجه اليهم الحجاج الحارث بن معاوية الثقفى فلقيه شبيب بزرارة فقتله وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البطين في عشرة فوارس يرتاد له منزلا على شاطئ الفرات في دار الرزق فأقبل البطين وقد وجه الحجاج حوشب بن يزيد في جمع من أهل الكوفة فأخذوا بأفواه السكك فقاتلهم البطين فلم يقو عليهم فبعث الى شبيب فأمده بفوارس فعقروا فرس حوشب وهزموه ونجا ومضى البطين الى دار الرزق وعسكر على شاطئ الفرات وأقبل شبيب فنزل دون الجسر فلم يوجه اليه الحجاج أحدا فمضى فنزل السبخة بين الكوفة والفرات فأقام ثلاثا لا يوجه اليه الحجاج أحدا فأشير على الحجاج أن يخرج بنفسه فوجه قتيبة بن مسلم فهيأ له عسكرا ثم رجع فقال وجدت المأتى سهلا فسر على الطائر الميمون فنادى في أهل الكوفة فخرجوا وخرج معه الوجوه حتى نزلوا في ذلك العسكر وتواقفوا وعلى ميمنة شبيب البطين وعلى ميسرته قعنب مولى بنى أبى ربيعة بن ذهل وهو في زهاء مائتين وجعل الحجاج على ميمنته مطر بن ناجية الرياحى وعلى ميسرته خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى في زهاء أربعة آلاف وقيل له لا تعرفه موضعك فتنكر وأخفى مكانه وشبه له أبا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود وزنه خمسة عشر رطلا فقتله وشبه له أعين صاحب حمام أعين بالكوفة وهو مولى لبكر بن وائل فقتله فركب الحجاج بغلة غراء محجلة وقال ان الدين أغر محجل وقال لأبى كعب قدم لواءك أنا ابن أبى عقيل وحمل شبيب على خالد بن عتاب وأصحابه فبلغ بهم الرحبة وحملوا على مطر بن ناجية فكشفوه فنزل عند ذلك الحجاج وأمر أصحابه فنزلوا فجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد فانهم على ذلك اذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبى لجام شبيب فقال ما تقول في صالح بن مسرح وبما تشهد عليه قال أعلى هذه الحال وفى هذه الحرة والحجاج ينظر قال فبرئ من صالح فقال مصقلة برئ الله منك وفارقوه الا أربعين فارسا هم أشد أصحابه وانحاز الآخرون الى دار الرزق وقال الحجاج قد اختلفوا وأرسل الى خالد بن عتاب فأتاهم فقاتلهم فقتلت غزالة ومر برأسها الى الحجاج فارس فعرفه شبيب فأمر عُلوان فشد على الفارس فقتله وجاء بالرأس فأمر به فغسل ودفنه وقال هى أقرب اليكم رحما يعنى غزالة ومضى القوم على حاميتهم ورجع خالد الى الحجاج فأخبره بانصراف القوم فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم وأتبعه يمانية منهم قعنب والبطين وعلوان وعيسى والمهذب وابن عويمر وسنان حتى بلغوا به الرحبة وأتى شبيب في موقفه بخوط ابن عمير السدوسى فقال له شبيب يا خوط لا حكم الا لله فقال لا حكم الا لله فقال شبيب خوط من

أصحابكم ولكنه كان يخاف فأطلقه وأتى بعمير بن الفعقاع فقال له لا حكم الا لله يا عمير فجعل لا يفقه عنه ويقول فى سبيل الله شبابى فردّد عليه شبيب لا حكم الا لله ليتخلّصه فلم يفقه فأمر بقتله وقُتل مُصاد أخو شبيب وجعل شبيب ينتظر النفر الذين تبعوا خالدا فأبطؤا ونعس شبيب فأيقظه حبيب بن حدرة وجعل أصحاب الحجاج لا يقدمون عليه هيبة له وسار الى دارا الرزق فجمع رثة من قتل من أصحابه وأقبل الثمانية الى موضع شبيب فلم يجدوه فظنوا انهم قتلوه ورجع مطر وخالد الى الحجاج فأمرهما فأتبعا الرهط الثمانية وأتبع الرهط شبيبا فمضوا جميعا حتى قطعوا جسر المدائن فدخلوا ديرا هنالك وخالد يقفوهم فحصرهم فى الدير فخرجوا عليه فهزموه نحوا من فرسخين حتى ألقوا أنفسهم فى دجلة بخيلهم وألقى خالد نفسه بفرسه فرّبه ولواؤه فى يده فقال شبيب قاتله الله فارسا وفرسه هذا أشد الناس وفرسه أقوى فرس فى الارض فقيل له هذا خالد بن عتاب فقال مُعْرَقٌ له فى الشجاعة والله لو علمت لأقحمت خلفه ولو دخل النار ﴿رجع الحديث الى حديث أبى مخنف﴾ عن أبى عمرو العذرى ان الحجاج دخل الكوفة حين انهزم شبيب ثم صعد المنبر فقال والله ما قوتل شبيب قط قبلها مثلها ولّى والله هاربا وترك امرأته يُكسر فى استها القصب ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن الحكمى فبعثه فى أثره فى ثلاثة آلاف من أهل الشأم فقال له الحجاج احذر بياته وحيث ما لقيته فنازله فان الله قد فلّ حدّه وقصم نابه فخرج حبيب بن عبد الرحمن فى أثر شبيب حتى نزل الانبار وبعث الحجاج الى العمال ان دُسّوا الى أصحاب شبيب ان من جاءنا منهم فهو آمن فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممن قد هدّه القتال يجىء فيؤمَن وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجاج يوم هُزموا ان من جاءنا منكم فهو آمن فتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه وبلغ شبيبا مُنْزِلُ حبيب بن عبد الرحمن الانبارَ فأقبل بأصحابه حتى اذا دنا من عسكرهم نزل فصلى بهم المغرب ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى أبو يزيد السكسكى قال أنا والله فى أهل الشأم ليلة جاءنا شبيب فبيّتنا قال فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعلنا أرباعا وقال لكل ربع منا ليجزئ كل ربع منكم جانبه فان قاتل هذا الربع فلا يُغثْهم هذا الربع الآخر فانه قد بلغنى ان هذه الخوارج مناقريب فوطّنوا أنفسكم على انكم مبيّتون ومقاتلون فنازلنا على تعبيتنا حتى جاءنا شبيب فبيّتنا فشد على ربع منا عليهم عثمان بن سعيد العذرى فضاربهم طويلا فنازالت قَدَمُ الانسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامرى فقاتلهم فنازالت قدم انسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وعليهم النعمان بن سعد الحميرى فما قدر منهم على شىء ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمى فقاتلهم طويلا فلم يظفر بشىء ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل وألزّبنا حتى قلنا لا يفارقنا ثم نازلنا راجلا طويلا فسقطت والله بيننا وبينهم الايدى وفُقئت الاعين وكثرت

القتلى

القتلى قتلنا منهم نحوا من ثلاثين وقتلوا منا نحوا من مائة والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لاهلكونا وايم الله على ذلك ما فارقونا حتى مَلِلناهم وملوناوكرهوناوكرهناهم ولقد رأيت الرجل منا يضرب بسيفه الرجل منهم فما يضرّه شيأ من الإعياء والضعف ولقد رأيت الرجل منا يقاتل جالسا ينفح بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء فلما يئسوا منا ركب شبيب ثم قال لمن كان نزل من أصحابه اركبوا فلما استووا على متون خيولهم وجّه منصرفا عنا ﴿قال أبو مخنف﴾ حدثنى فروة بن لقيط عن شبيب قال لما انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة وجراحة ظاهرة قال لنا ما أشد هذا الذى بنا لو كنا انما نطلب الدنيا وما أيسر هذا فى ثواب الله فقال أصحابه صدقت يا أمير المؤمنين قال فما أنسى منه اقباله على سويد بن سليم ولا مقالته له قتلت منهم أمس رجلين أحدهما أشجع الناس والآخر أجبن الناس خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم فاشترى أحدهم حاجته ثم خرج قبل أصحابه وخرجتُ معه فقال كانك لم تشترعلفا فقلت ان لى رفقاء قد كفونى ذلك فقلت له أين ترى عدوّنا هذا نزل قال بلغنى انه قد نزل منا قريبا وايم الله لوددت انى قد لقيت شبيبهم هذا قلت فتحب ذلك قال نعم قلت فخذ حذرك فأنا والله شبيب وانتضيت سيفى فخرّ والله ميتا فقلت له ارتفع ويحك وذهبت أنظر فاذا هو قد مات فانصرفت راجعا فاستقبل الآخر خارجا من القرية فقال أين تذهب هذه الساعة وانما يرجع الناس الى عسكرهم فلم أكلمه ومضيت يقرّب بى فرسى وأتبعنى حتى لحقنى فقطعت عليه فقلت له مالك فقال أنت والله من عدوّنا فقلت أجل والله فقال والله لا تبرح حتى تقتلنى أو أقتلك فحملت عليه وحمل علىّ فاضطربنا بسيفينا ساعة فوالله ما فضلته فى شدة نفس ولا اقدام الا ان سيفى كان أقطع من سيفه فقتلته قال فمضينا حتى قطعنا دجلة ثم أخذنا فى أرض جوخى حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من عند واسط ثم أخذنا الى الأهواز ثم الى فارس ثم ارتفعنا الى كرمان ﴿وفى هذه السنة﴾ هلك شبيب فى قول هشام بن محمد وفى قول غيره كان هلاكه سنة ٧٨

﴿ذكر سبب هلاكه﴾

﴿قال هشام﴾ عن أبى مخنف قال حدثنى أبو يزيد السكسكى قال أقفلنا الحجاج اليه يعنى الى شبيب فقسم فينا مالا عظيما وأعطى كل جريح منا وكل ذى بلاء ثم أمر سفيان بن الأبرد أن يسير الى شبيب فتجهز سفيان فشق ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمى وقال تبعث سفيان الى رجل قد فللته وقتلت فرسان أصحابه فأمضى سفيان بعد شهر بن وأقام شبيب بكرمان حتى اذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعا فيستقبله سفيان بجسر دُجَيل الاهواز وقد كان الحجاج كتب الى الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبى عَقِيل وهو زوج ابنة

الحجاج وعامله على البصرة أما بعد فابعث رجلا شجاعا ثبتا فمن أهل البصرة في أربعة آلاف الى شبيب ومُرْه فليلحق بسفيان بن الابرد وليسمع له وليطع فبعث اليه زياد بن عمرو العتكى في أربعة آلاف فلم ينته الى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب ولما ان التقيا بجسر دجيل عبر شبيب الى سفيان فوجد سفيان قد نزل في الرجال وبعث مهاصر بن صيفي العنزى على الخيل وبعث على ميمنته بشر بن حسان الفهرى وبعث على ميسرته عمر بن هبيرة الفزارى فأقبل شبيب في ثلاثة كراديس من أصحابه هو في كتيبة وسويد في كتيبة وقعنب المُحلمي في كتيبة وخلف المحلل بن وائل في عسكره قال فلما حمل سويد وهو في ميمنته على ميسرة سفيان وقعنب وهو في ميسرته على ميمنته حمل هو على سفيان فاضطربنا طويلا من النهار حتى انحاز وا فرجعوا الى المكان الذى كانوا فيه فكر علينا هو وأصحابه اكثر من ثلاثين كرة كل ذلك لا نزول من صفنا وقال لنا سفيان بن الأبرد لا تتفرقوا ولكن لتزحف الرجال اليهم زحفا فوالله ما زلنا نطاعنهم ونضاربهم حتى اضطررناهم الى الجسر فلما انتهى شبيب الى الجسر نزل ونزل معه نحو من مائة رجل فقاتلناهم حتى المساء أشد قتال قاتله قوم قط فما هو الا ان نزلوا فأوقعوا النا من الطعن والضرب شيأ ما رأينا مثله من قوم قط فلما رأى سفيان انه لا يقدر عليهم ولا يأمن مع ذلك ظفرهم دعا الرُماة فقال ارشقوهم بالنبل وذلك عند المساء وكان التقاؤهم نصف النهار فرماهم أصحاب النبل بالنبل عند المساء وقد صفهم سفيان بن الابرد على حِدَة وبعث على المرامية رجلا فلما رشقوهم بالنبل ساعة شدوا عليهم فلما شدوا على رماتنا شددنا عليهم فشغلناهم عنهم فلما رُموا بالنبل ساعة ركب شبيب وأصحابه ثم كرّوا على أصحاب النبل كرة صرع منهم أكثر من ثلاثين رجلا ثم عطف بخيله علينا فمشى عامد انحونا فطاعناه حتى اختلط الظلام ثم انصرف عنا فقال سفيان لاصحابه أيها الناس دعوهم لا تتبعوهم حتى نصبّحهم غدوة قال فكففنا عنهم وليس شيء أحب الينا من أن ينصرفوا عنا ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثني فروة بن لقيط قال فما هو الا ان انتهينا الى الجسر فقال اعبروا معاشر المسلمين فاذا أصبحنا باكرناهم ان شاء الله فعبرنا امامه وتخلف في أخرانا فأقبل على فرسه وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيانة فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الماذيانة ونزل حافر رجل فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء فلما سقط قال ليَقْضِ اللهُ أمرًا كان مفعولا فارتمس في الماء ثم ارتفع فقال ذلك تقدير العزيز العليم ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثني أبو يزيد السكسكى بهذا الحديث وكان ممن يقاتله من أهل الشأم وحدثني فروة بن لقيط وكان ممن شهد مواطنه فأما رجل من رهطه من بني مُرّة بن هَمّام فانه حدثني انه كان معه قوم يقاتلون من عشيرته ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم رجالا كثيرا فكان ذلك قد أوجع قلوبهم وأوغر صدورهم وكان رجل يقال له مقاتل من بني

تيم بن شيبان من أصحاب شبيب فلما قتل شبيب رجالا من بني تيم بن شيبان أغار هو على بني مرّة بن همام فأصاب منهم رجلا فقال له شبيب ما حملك على قتلهم بغير أمرى فقال له أصلحك الله قتلت كفار قومي وقتلت كفار قومك قال وأنت الوالي عليّ حتى تقطع الأمور دوني فقال أصلحك الله أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا منا كان أو من غيرنا قال بلى قال فانما فعلت ما كان ينبغي ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من رهطك عُشر ما أصبت من رهطي وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تجد من قتل الكافرين قال اني لا أجد من ذلك وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائرهم فزعموا انه لما تخلف في أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض هل لكم أن نقطع به الجسر فندرك ثأرنا الساعة فقطعوا الجسر فمالت السفن ففزع الفرس ونفر ووقع في الماء فغرق (قال أبو مخنف) فحدثني ذلك المُرّى بهذا الحديث وناس من رهط شبيب يذكرون هذا أيضا وأما حديث العامة فالحديث الاول (قال أبو مخنف) وحدثني أبو يزيد السكسكى قال إنا والله لنتهيأ للانصراف اذ جاء صاحب الجسر فقال أين أميركم قلنا هو هذا فجاءه فقال أصلحك الله ان رجلا منهم وقع في الماء فتنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ثم انهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبّر سفيان وكبّرنا ثم أقبل حتى انتهى الى الجسر وبعث مهاصر بن صَيْفي فعبر الى عسكرهم فاذا ليس فيه منهم صافر ولا آثر فنزل فيه فاذا أكثر عسكر خلق الله خيرا وأصبحنا فطلبنا شبيبا حتى استخرجناه وعليه الدرع فسمعت الناس يزعمون انه شُق بطنه فأخرج قلبه فكان مجتمعا صلبا كانه صخرة وانه كان يضرب به الأرض فيثب قامة انسان فقال سفيان احمدوا الله الذى أعانكم فأصبح عسكرهم في أيدينا (قال أبو زيد) عمر بن شبة حدثني خلاد بن يزيد الأرقط قال كان شبيب يُنعى لامه فيقال قتل فلا تقبل قال فقيل لها انه غرق فقبلت وقالت اني رأيت حين ولدته انه خرج مني شهاب نار فعلمت انه لا يُطفئه الا الماء (قال هشام) عن أبي مخنف حدثني فروة بن لقيط الأزدى ثم العامري ان يزيد بن نُعَيم أبا شبيب كان ممن دخل في جيش سلمان بن ربيعة اذ بعث به وبمن معه الوليد بن عقبة عن أمر عثمان اياه بذلك مددا لأهل الشأم أرض الروم فلما قفل المسلمون أقيم السبي للبيع فرأى يزيد بن نعيم أبو شبيب جارية حمراء لاشهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين فابتاعها ثم أقبل بها وذلك سنة ٢٥ أول السنة فلما أدخلها الكوفة قال أسلمي فأبت عليه فصربها فلم تزدد الا عصيانا فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت ثم دعا بها فأدخلت عليه فلما تغشاها تلقّت منه بحمل فولدت شبيبا وذلك سنة ٢٥ في ذي الحجة في يوم النحر يوم السبت وأحبت مولاها حبا شديدا وكانت تحدثه وقالت ان شئت أجبتك الى ما سألتني من الاسلام فقال لها قد شئت فأسلمت وولدت شبيبا وهي مُسلمة وقالت اني رأيت فيما يرى النائم انه خرج من قُبُلي

شهاب فثقب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلها فبيناهو كذلك اذ وقع في ماء كثير جار فخبا وقد ولدتُه في يومكم هذا الذى تهريقون فيه الدماء وانى قد أوّلت رؤياى هذه انى أرى ولدى هذا غلاما أراه سيكون صاحب دماء يهريقها وانى أرى أمره سيعلو ويعظم سريعا قال فكان أبوه يختلف به وبأمه الى البادية الى أرض قومه على ماء يدعى اللصف (قال أبو مخنف) وحدثنى موسى بن أبى سويد بن رادى ان جند أهل الشأم الذين جاؤا حملوا معهم الحجر فقالوا لا نفرّ من شبيب حتى يفرهذا الحجر فبلغ شبيبا أمرُهم فأراد أن يكيدهم فدعا بأفراس أربعة فربط في أذنابها ترسة في ذنب كل فرس ترسين ثم ندب معه ثمانية نفر من أصحابه ومعه غلام له يقال له حيّان وأمره أن يحمل معه إداوة من ماء ثم سار حتى يأتى ناحية من العسكر فأمر أصحابه أن يكونوا في نواحى العسكر وأن يجعلوا مع كل رجلين فرسا ثم يُمسّوها الحديد حتى تجد حرّه ويخلوها في العسكر وواعدهم تلعة قريبة من العسكر فقال من نجا منكم فان موعده هذه التلعة وكره أصحابه الاقدام على ما أمرهم به فنزل حيث رأى ذلك منهم حتى صنع بالخيل مثل الذى أمرهم ثم وغلت في العسكر ودخل يتلوها محكّما فضرب الناس بعضهم بعضا فقام صاحبهم الذى كان عليهم وهو حبيب بن عبد الرحمن الحكمى فنادى أيها الناس ان هذه مكيدة فالزموا الارض حتى يتبيّن لكم الامر ففعلوا وبقى شبيب في عسكرهم فلزم الارض حيث رآهم قد سكنوا وقد أصابته ضربة عمود أوهنته فلما ان هدأ الناس ورجعوا الى أبنيتهم خرج في غمارهم حتى أتى التلعة فاذا هو بحيان فقال أفرغ ياحيان على رأسى من الماء فلما مدرأسه ليصبّ عليه من الماء هم حيان أن يضرب عنقه فقال لنفسه لا أجدلى مكرمة ولا ذكرا أرفع من قتلى هذا وهو أمانى عند الحجاج فاستقبلته الرعدة حيث هم بما هم به فلما أبطأ بحل الاداوة قال ما يُبْطِئُكَ بحلها فتناول السكين من موزجه فخرقها به ثم ناولها اياه فأفرغ عليه من الماء فقال حيان منعنى والله الجبن وما أخذنى من الرعدة أن أضرب عنقه بعد ما هممت به ثم لحق شبيب بأصحابه في عسكره ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة خرج مُطَرِّف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجبال فقُتل

﴿ذكر السبب الذى كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان﴾

﴿قال هشام﴾ عن أبى مخنف قال حدثنى يوسف بن يزيد بن بكر الازدى ان بنى المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء نبلاء أشرافا بأبدانهم سوى شرف أبيهم ومنزلتهم فى قومهم قال فلما قدم الحجاج فلقوه وشافههم علم انهم رجال قومه وبنو أبيه فاستعمل عروة بن المغيرة على الكوفة ومُطَرِّف بن المغيرة على المدائن وحمزة بن المغيرة على همذان (قال أبو مخنف) فحدثنى الحصين بن عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدى قال قدم علينا مطرّف بن المغيرة بن شعبة

المدائن

المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولانى عليكم وأمرنى بالحكم بالحق والعدل في السيرة فإن عملت بما أمرنى به فأنا أسعد الناس وإن لم أفعل فنفسى أوبقتُ وحظّ نفسى ضيّعتُ الا انى جالس لكم العصرين فارفعوا الى حوائجكم وأشيروا علىّ بما يصلحكم ويُصلح بلادكم فإنى لن آلوكم خيرا ما استطعت ثم نزل وكان بالمدائن اذ ذاك رجال من أشراف أهل المصر وبيوتات الناس وبها مقاتلة لا تسعُها عدّة ان كان كونٌ بأرض جوخى أو بأرض الأنبار فأقبل مطرّف حين نزل حتى جلس للناس في الايوان وجاء حكيم بن الحارث الأزدى يمشى نحوه وكان من وجوه الأزد وأشرافهم وكان الحجاج قد استعمله بعد ذلك على بيت المال فقال له أصلحك الله انى كنت منك نائيا حين تكلمتَ وانى أقبلت نحوك لأجيبك فوافق ذلك نزولك إنّا قد فهمنا ما ذكرت لنا انه عهد اليك فأرشد الله العاهد والمعهود اليه وقد منيت من نفسك العدل وسألت المعونة على الحق فأعانك الله على ما نويت إنك تشبه أباك في سيرته برضى الله والناس فقال له مطرّف ههنا الى فأوسع له فجلس الى جنبه (قال أبو مخنف) فحدثنى الحصين بن يزيد انه كان من خير عامل قدم عليهم قطّ أقمعه للمريب وأشدّه إنكارا للظلم فقدم عليه بشر بن الاجدع الهمدانى ثم الثورى وكان شاعرا فقال

انى كلفتُ بجَوْدٍ غير فاحشة * غرّاء وهنانة حسّانة الجيد
كأنها الشمس يوم الدجن إذ برزت * تمشى مع الأنس الهيف الأماليد
سلّ الهوى بعد أنداة مذكّرة * عنها الى المجتدى ذى العُرف والجود
إلى الفتى الماجد الفيّاض نعرفه * فى الناس ساعة يحلى كل مردود
من الأكارم أنسابا اذا نُسِبُوا * والحامل الثقل يوم المغرم الصيد
إنى أعيذك بالرحمن من نفر * حُمر السبال كأسد الغابة السود
فُرسان شيبان لم نسمع بمثلهم * أبناء كلّ كريم النجل صنديد
شدّوا على ابن حصين في كتيبته * فغادروه صريعا ليلة العيد
وابن المجالد أردته رماحهم * كأنما زلّ عن خوصاء صيخود
وكلّ جمع بروذاباذ كان لهم * قد فضّ بالطعن بين النخل والبيد

فقال له ويحك ما جئت الا لترغبنا وقد كان شبيب أقبل من ساتيدما فكتب مطرّف الى الحجاج أما بعد فإنى أخبر الأمير أكرمه الله ان شبيبا قد أقبل نحونا فان رأى الأمير ان يُمدّنى برجال أضبط بهم المدائن فعل فإن المدائن باب الكوفة وحصنها فبعث اليه الحجاج ابن يوسف سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتين وعبد الله بن كنّاز فى مائتين وجاء شبيب فأقبل حتى نزل قناطر حذيفة ثم جاء حتى انتهى الى كلواذا فعبر منها دجلة ثم أقبل حتى

نزل مدينة بَهُرسير ومطرّف بن المغيرة في المدينة العتيقة التي فيها منزل كسرى والقصر الأبيض * فلما نزل شبيب بهرسير قطع مطرّف الجسر فيما بينه وبين شبيب وبعث الى شبيب أن ابعث الىّ رجالا من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن وانظر ما تدعون اليه فبعث اليه رجالا منهم سُويد بن سُليم وقَعْنَب والمحلل بن وائل فلما أدنى منهم المِعْبر وأرادوا أن ينزلوا فيه أرسل اليهم شبيب أن لا تدخلوا السفينة حتى يرجع الىّ رسولى من عند مطرّف وبعث الى مطرف أن ابعث الىّ بعدّة من أصحابك حتى تردّ على أصحابى فقال لرسوله القه فقل له فكيف آمنك على أصحابى اذا بعثتهم الآن اليك وأنت لا تأمننى على أصحابك فأرسل اليه شبيب انك قد علمت أنا لا نستحل فى ديننا الغدر وأنتم تفعلونه وتهوّنونه فسرّح اليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدىّ وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزنىّ ويزيد ابن أبى زياد مولى المغيرة وكان على حرس مطرّف فلما وقعوا فى يديه بعث أصحابه اليه

(قال أبو مخنف) حدّثنى النضر بن صالح قال كنت عند مطرّف بن المغيرة بن شعبة فما أدرى أقال انى كنت فى الجند الذين كانوا معه أو قال كنت بازائه حيث دخلت عليه رسل شبيب وكان لى ولا خى ودّا مكرما ولم يكن ليستر منا شيأ فدخلوا عليه وما عنده أحد من الناس غيرى وغير أخى حلام بن صالح وهم ستة ونحن ثلاثة وهم شاكون فى السلاح ونحن ليس علينا الا سيوفنا * فلما دنوا قال سويد السلام على من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله فقال له مطرّف أجَلْ فسلم الله على أولئك ثم جلس القوم فقال لهم مطرّف قُصوا علىّ أمركم وخبرونى ما الذى تطلبون وإلى ما تدعون فحمد الله سُويدُ بن سُليم وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الذى ندعو اليه كتابُ الله وسنة محمد صلى الله عليه وان الذى نقمنا على قومنا الاستئثار بالفىء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال لهم مطرّف ما دعوتم الا الى حق ولا نقمتم الا جورا ظاهرا أنا لكم على هذا متابع فتابعونى الى ما أدعوكم اليه ليجتمع أمرى وأمركم وتكون يدى وأيديكم واحدة فقالوا هات اذكر ما تريد ان تذكر فإن يكن ما تدعونا اليه حقا نجبْك قال فإنى أدعوكم الى أن نقاتل هؤلاء الظَلَمَة العاصين على احداثهم الذى أحدثوا وان ندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين يُؤمّرون عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التى تركهم عليها عمرُ بن الخطاب فان العرب اذا علمت انما يراد بالشورى الرضى من قريش رضوا وكثر تبعكم منهم وأعوانكم على عدوّكم وتمّ لكم هذا الأمر الذى تريدون قال فوثبوا من عنده وقالوا هذا ما لا نجيبك اليه أبدا فلما مضوا فكادوا أن يخرجوا من صفة البيت التفت اليه سويد ابن سليم فقال يا ابن المغيرة لو كان القوم عُداةً غُدُرًا كنت قد أمكنتهم من نفسك ففزع لها مطرّف وقال صدقت وإله موسى وعيسى قال ورجعوا الى شبيب فأخبره بمقالته

فطمع

فطمع فيه وقال لهم اذا أصبحتم فليأته أحدكم * فلما أصبحوا بعث اليه سويدا وأمره بأمره فجاء سويد حتى انتهى الى باب مطرّف فكنتُ أنا المستأذن له فلما دخل وجلس أردتُ أن أنصرف فقال لى مطرّف اجلسْ فليس دونك ستر فجلست وأنا يومئذ شاب أغيد فقال له سويد مَنْ هذا الذى ليس لك دونه ستر فقال له هذا الشريف الحسيب هذا ابن مالك ابن زُهير بن جَذيمة فقال له بخ أكرمتَ فارتبط ان كان دينه على قدر حسبه فهو الكامل ثم أقبل علىّ فقال انا لقينا أمير المؤمنين بالذى ذكرت لنا فقال لنا القوه فقولوا له ألست تعلم ان اختيار المسلمين منهم خيرَهم لهم فيما يرون رأى رشيد فقد مضت به السنة بعد الرسول صلى الله عليه فاذا قال لكم نعم فقولوا له فإنا قد اخترنا لأنفسنا أرضانا فينا وأشدّنا اضطلاعا لما حُمل فما لم يُغيّر ولم يُبدّل فهو ولىُّ أمرنا وقال لنا قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت ان العرب اذا علمت انكم انما تريدون بهذا الأمر قريشا كان أكثر لتبعكم منهم فان أهل الحق لا ينقصهم عند الله أن يقلوا ولا يزيد الظالمين خيرا أن يكثروا وان تركنا حقنا الذى خرجنا له ودخولنا فيما دعوتنا اليه من الشورى خطيئة وعجز ورخصة الى نصرة الظالمين ووهن لأنا لا نرى ان قريشا أحقُّ بهذا الأمر من غيرها من العرب فقال له فان زعم انهم أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا له ولِمَ ذاك فان قال لقرابة محمد صلى الله عليه بهم فقل له فوالله ما كان ينبغى اذ الأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأوّلين ان يتولوا على أسرة محمد ولا على ولد أبى لهب لو لم يبق غيرُهم ولولا انهم علموا ان خير الناس عند الله أتقاهم وان أولاهم بهذا الأمر أتقاهم وأفضلهم فيهم وأشدّهم اضطلاعا بحمل أمورهم ما تولوا أمور الناس ونحن أوّل مَنْ أنكر الظلم وغيّر الجور وقاتل الأحزاب فان اتبعنا فله مالنا وعليه ما علينا وهو رجل من المسلمين والا يفعل فهو كبعض مَنْ نُعادى ونقاتل من المشركين فقال له مطرّف قد فهمت ما ذكرت ارجعْ يومَك هذا حتى ننظر فى أمرنا فرجع ودعا مطرّف رجالا من أهل ثقاته وأهل نصائحه منهم سليمان ابن حذيفه المزنىّ والربيع بن يزيد الأسدىّ قال النضر بن صالح وكنت أنا ويزيد بن أبى زياد مولى المغيرة بن شعبة قائمين على رأسه بالسيف وكان على حرسه فقال لهم مُطرّف ياهؤلاء انكم نصحائى وأهل مودّتى ومَنْ أثق بصلاحه وحسن رأيه والله ما زلت لأعمال هؤلاء الظلمة كارها أنكرها بقلبى وأغيّرها ما استطعت بفعلى وأمرى . فلما عظمت خطيئتهم ومرّبى هؤلاء القوم يجاهدونهم لم أرانه يسعنى الا مناهضتهم وخلافهم ان وجدت أعوانا عليهم وانى دعوت هؤلاء القوم فقلت لهم كيت وكيت وقالوا لى كيت وكيت فلستُ أرى القتال معهم ولو تابعونى على رأيى وعلى ما وصفت لهم خلعت عبد الملك والحجاج وسرت اليهم أجاهدهم فقال له المزنىّ انهم لن يتابعوك وانك لن تتابعهم فأخف هذا الكلام

ولا تظهرنّ لأحد وقال له الاسدىّ مثل ذلك فجثا مولاه ابن أبى زياد على ركبتيه ثم قال والله لا يخفى مما كان بينك وبينهم على الحجاج كلمة واحدة وليزادنّ على كل كلمة عشرة أمثالها والله ان لو كنت فى السحاب هاربا من الحجاج ليلتمسن أن يصل اليك حتى يُهلكك أنت ومن معك فالنجاء النجاء من مكانك هذا فان أهل المدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب وأهل عسكر شبيب يتحدثون بما كان بينك وبين شبيب ولا تمسى من يومك هذا حتى يبلغ الخبر الحجاجَ فاطلب دارا غير المدائن فقال له صاحباه ما نرى الرأى الا كما ذكرت لك قال لهما مطرّف فما عندكما قال الإجابة الى ما دعوتنا اليه والمؤاساة لك بأنفسنا على الحجاج وغيره قال ثم نظر الىّ فقال ما عندك فقلت قتال عدوّك والصبر معك ما صبرت فقال لى ذاك الظنّ بك قال ومكث حتى اذا كان فى اليوم الثالث أتاه قعنب فقال له ان تابعتنا فأنت منا وان أبيت فقد نابذناك فقال لا تعجلوا اليوم فانا ننظر قال وبعث الى أصحابه أن ارحلوا الليلة من عند آخركم حتى توافوا الدسكرة معى لحدث حدث هنالك ثم أدلج وخرج أصحابه معه حتى مرّ بدير يزدجرد فنزله فلقيه قبيصة بن عبد الرحمن القحافىّ من خثعم فدعاه الى صحبته فصحبه فكساه وحمله وأمر له بنفقة ثم سار حتى نزل الدسكرة * فلما أراد أن يرتحل منها لم يجد بدّا من ان يُعلم أصحابه ما يريد فجمع اليه رؤس أصحابه فذكر الله بما هو أهله وصلى على رسوله ثم قال لهم أما بعد فان الله كتب الجهاد على خلقه وأمر بالعدل والإحسان وقال فيما أنزل علينا تعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله انّ الله شديد العقاب وانى أشهد الله انى قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف فمن أحبّ منكم صحبتى وكان على مثل رأيى فليتابعنى فان له الأسوة وحسن الصحبة ومن أبى فليذهب حيث شاء فانى لست أحبّ أن يتبعنى من ليست له نيّة فى جهاد أهل الجور أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والى قتال الظلمة فاذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الامر شورى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا قال فوثب اليه أصحابه فبايعوه ثم انه دخل رحله وبعث الى سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف والى عبد الله بن كناز النهدىّ فاستخلاهما ودعاهما الى مثل ما دعا اليه عامة أصحابه فأعطياه الرضى فلما ارتحل انصرفا بمن معهما من أصحابه حتى أتيا الحجاج فوجداه قد نازل شبيبا فشهدا معه وقعة شبيب قال وخرج مطرّف بأصحابه من الدسكرة موجّها نحو حلوان وقد كان الحجاج بعث فى تلك السنة سويد بن عبد الرحمن السعدىّ على حلوان وماه سبُذان * فلما بلغه ان مطرف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضه عرف انه ان رفق فى أمره أو داهن لا يقبَل ذلك منه الحجاجُ فجمع له سويد أهل البلد والأكراد فأما الأكراد فأخذوا عليه ثنية حلوان وخرج اليه سويد وهو يحبّ أن يسلم من قتاله وان يعافى من الحجاج فكان خروجه كالتعذير (قال أبو مخنف) فحدثنى

عبد

عبد الله بن علقمة الخثعمى ان الحجاج بن جارية الخثعمى حين سمع بخروج مطرّف من المدائن نحو الجبل أتبعه فى نحو من ثلاثين رجلا من قومه وغيرهم قال وكنت فيهم فلحقناه بحلوان فكنا ممن شهد معه قتال سويد بن عبد الرحمن (قال أبو مخنف) وحدثنى بذلك أيضا النضر (قال أبو مخنف) وحدثنى عبد الله بن علقمة قال ما هو الا ان قدمنا على مطرّف بن المغيرة فسُرّ بمقدمنا عليه وأجلس الحجاج بن جارية معه على مجلسه (قال أبو مخنف) وحدّثنى النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة ان سويدا لما خرج اليهم بمن معه وقف فى الرجال ولم يخرج بهم من البيوت وقدم ابنه القعقاع فى الخيل وما خيله يومئذ بكثير (قال أبو مخنف) قال النضر بن صالح أراهم كانوا مائتين وقال ابن علقمة أراهم كانوا ينقصون من الثلاثمائة قال فدعا مطرّف الحجاج بن جارية فسرّحه اليهم فى نحو من عدّتهم فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادّون فى قتاله وهم فرسان متعالمون فلما رآهم سويد قد تيسر وانحو ابنه أرسل اليهم غلاما له يقال له رُستم قتل معه بعد ذلك بدَير الجماجم وفى يده راية بنى سعد فانطلق غلامه حتى انتهى الى الحجاج بن جارية فأمرّ اليه ان كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه الى غيرها فاخرجوا عنا فانا لا نريد قتالكم وان كنتم ايّانا تريدون فلا بدّ لنا من منع ما فى أيدينا * فلما جاءه بذلك قال له الحجاج بن جارية ائت أميرنا فاذكر له ما ذكرت لى فخرج حتى أتى مطرّفا فذكر له مثل الذى ذكر للحجاج بن جارية فقال له مطرّف ما أريدكم ولا بلادكم فقال له فالزم هذا الطريق حتى تخرج من بلادنا فانا لا نحبّ بدّا من ان يرى الناس وتسمع بذلك انا قد خرجنا اليك قال فبعث مطرّف الى الحجاج فأتاه ولزموا الطريق حتى مروا بالثنيّة فاذا الأكراد بها فنزل مطرّف ونزل معه عامة أصحابه وصعد اليهم فى الجانب الأيمن الحجاج بن جارية وفى الجانب الأيسر سليمان بن حذيفة فهزمهم وقتلاهم وسلم مطرّف وأصحابه فمضوا حتى دنوا من همذان فتركوها وأخذوا ذات اليسار الى ماه دينار وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همذان فكره أن يدخلها فيُتّهَم أخوه عند الحجاج فلمّا دخل مطرّف أرض ماه دينار كتب الى أخيه حمزة أما بعد فان النفقة قد كثرت والمؤنة قد اشتدت فأمددْ أخاك بما قدرت عليه من مال وسلاح وبعث اليه يزيدَ بن أبى زياد مولى المغيرة بن شعبة فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب مطرّف ليلا فلما رآه قال له ثكلتك أمّك أنت قتلت مطرّفا فقال له ما أنا قتلته جُعلت فداك ولكن مطرّفا قتل نفسه وقتلنى وليته لا يقتلك فقال له ويحك من سوّل له هذا الأمر فقال نفسه سوّلت هذا له ثم جلس اليه فقص عليه القصص وأخبره بالخبر ودفع كتاب مطرف اليه فقرأه ثم قال نعم وأنا باعث اليه بمال وسلاح ولكن أخبرنى ترى ذلك يخفى لى قال ما أظن ان يخفى فقال له حمزة فوالله لئن أنا خذلته فى أنفع النصرين له نصر العلانية لا أخذله فى أيسر النصرين نصر السريرة قال فسرح اليه مع يزيد

ابن أبي زياد بمال وسلاح فأقبل به حتى أتى مطرفا ونحن نزول في رستاق من رساتيق ماه دينار يقال له سامان متاخم أرض اصبهان وهو رستاق كانت الحمراء تنزله (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح قال والله ما هو الا ان مضى يزيد بن أبي زياد فسمعت أهل العسكر يتحدثون ان الأمير بعث الى أخيه يسأله النفقة والسلاح فأتيت مطرفا فحدثته بذلك فضرب بيده على جبهته ثم قال سبحان الله قال الأول ما يخفى قال ما لا يكون قال وما هو الا ان قدم يزيد بن أبي زياد علينا فسار مطرف بأصحابه حتى نزل قم وقاشان واصبهان (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الله بن علقمة ان مطرفا حين نزل قم وقاشان واطمأن دعا الحجاج بن جارية فقال له حدثني عن هزيمة شبيب يوم السبخة أكانت وأنت شاهدها أم كنت خرجت قبل الوقعة قال لا بل شهدتها قال فحدثني حديثهم كيف كان فحدثه فقال انى كنت أحب ان يظفر شبيب وإن كان ضالا فيقتل ضالا قال فظننت انه تمنى ذلك لأنه كان يرجو ان يتم له الذى يطلب لوهلك الحجاج قال ثم ان مطرفا بعث عماله (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح ان مطرفا عمل عملا حازما لولا ان الأقدار غالبة قال كتب مع الربيع بن يزيد الى سويد بن سرحان الثقفي والى بكير بن هارون البجلي أما بعد فإنا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والى جهاد من عند عن الحق واستأثر بالفيء وترك حكم الكتاب فإذا ظهر الحق ودمغ الباطل وكانت كلمة الله هي العليا جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة يرتضى المسلمون لأنفسهم الرضى فمن قبل هدانا كان أخانا في ديننا وولينا في محيانا ومماتنا ومن رد ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه فكفى بنا عليه حجة وكفى بتركه الجهاد في سبيل الله غبنا وبمداهنة الظالمين في أمر الله وهنا ان الله كتب القتال على المسلمين وساءه كرها ولن ينال رضوان الله الا بالصبر على أمر الله وجهاد أعداء الله فأجيبوا رحمكم الله الى الحق وادعوا اليه من ترجون اجابته وعرفوه ما لا يعرفه وليقبل الي كل من رأى رأينا وأجاب دعوتنا ورأى عدوه عدونا أرشدنا الله وإياكم وتاب علينا وعليكم إنه هو التواب الرحيم والسلام فلما قدم الكتاب على ذينك الرجلين دبا في رجال من أهل الري ودعوا من تابعهما ثم خرجا في نحو من مائة من أهل الري سرا لا يفطن بهم فجاؤا حتى وافوا مطرفا وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج على اصبهان أما بعد فان كان للأمير أصلحه الله حاجة في اصبهان وغير اصبهان فليبعث الى مطرف جيشا كثيفا يستأصله ومن معه فإنه لا تزال عصابة قد انتفحت له من بلدة من البلدان حتى توافيه بمكانه الذى هو به فانه قد استكف وكثر تبعه والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد اذا أتاك رسولي فسكر بمن معك فاذا مر بك عدي بن وتاد فاخرج معه في أصحابك واسمع له وأطع والسلام فلما قرأ كتابه خرج فعسكر ودعا الحجاج بن يوسف يسرح الى البراء بن قبيصة الرجال على دواب البريد عشرين عشرين

وخمسة

وخمسة عشر خمسة عشر وعشرة عشرة حتى سرح اليه نحوا من خمسمائة وكان في ألفين وكان الأسود بن سعد الهمداني أتى الري في فتح الله على الحجاج يوم لقي شبيبا بالسبخة فر بهمذان والجبال ودخل على حمزة فاعتذر اليه فقال الأسود فابلغت الحجاج عن حمزة فقال قد بلغني ذاك وأراد عزله فخشي ان يمكر به ان يمتنع منه فبعث الى قيس بن سعد العجلي وهو يومئذ على شرطة حمزة بن المغيرة ولبني عجل وربيعة عدد بهمذان فبعث الى قيس بن سعد بعهده على همذان وكتب اليه ان أوثق حمزة بن المغيرة في الحديد واحبسه قبلك حتى يأتيك أمري فلما أتاه عهده وأمره أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير فلما دخل المسجد وافق الاقامة لصلاة العصر فصلى مع حمزة فلما انصرف حمزة انصرف معه قيس بن سعد العجلي صاحب شرطه فأقرأه كتاب الحجاج اليه وأراه عهده فقال حمزة سمعا وطاعة فأوثقه وحبسه في السجن وتولى أمر همذان وبعث عماله عليها وجعل عماله كلهم من قومه وكتب الى الحجاج أما بعد فاني أخبر الامير أصلحه الله اني قد شددت حمزة بن المغيرة في الحديد وحبسته في السجن وبعثت عمالي على الخراج ووضعت يدي في الجباية فان رأى الأمير ابقاه الله ان يأذن لي في المسير الى مطرف أذن لي حتى اجاهده في قومي ومن أطاعني من أهل بلادي فإني أرجو ان يكون الجهاد أعظم أجرا من جباية الخراج والسلام فلما قرأ الحجاج كتابه ضحك ثم قال هذا جانب آثرا ما قد أمناه وقد كان مكان حمزة بهمذان أثقل ما حلق الله على الحجاج مخافة ان يمد أخاه بالسلاح والمال ولا يدري لعله يبدو له فيعق فلم يزل يكيده حتى عزله فاطمأن وقصد قصد مطرف (قال أبو مخنف) فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة ان الحجاج لما قرأ كتاب قيس بن سعد العجلي وسمع قوله إن أحب الأمير سرت اليه حتى اجاهده في قومي قال ما أبغض الي ان تكثر العرب في أرض الخراج قال فقال لي ابن الغرق ما هو الا ان سمعتها من الحجاج فعلمت انه لو قد فرغ له قد عزله قال وحدثني النضر بن صالح ان الحجاج كتب الى عدي بن وتاد الإيادي وهو على الري يأمره بالمسير الى مطرف بن المغيرة وبالمر على البراء بن قبيصة فإذا اجتمعوا فهو أمير الناس (قال أبو مخنف) وحدثني أبي عن عبد الله ابن زهير عن عبد الله بن سليم الأزدي قال إني لجالس مع عدي بن وتاد على مجلسه بالري اذ أتاه كتاب الحجاج فقرأه ثم دفعه الي فقرأته فإذا فيه أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فانهض بثلاثة أرباع من معك من أهل الري ثم اقبل حتى تمر بالبراء بن قبيصة بحي ثم سير اجميعا فاذا التقيتما فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفا فاذا كفى الله المؤمنين مؤنته فانصرف الى عملك في كنف من الله وكلاءته وستره فلما قرأته قال لي قم وتجهز قال وخرج فعسكر ودعا الكتاب فضربوا البعث على ثلاثة أرباع الناس فما مضت جمعة حتى سرنا فانتهينا الى بحي ويوافينا بها قبيصة القحافي في تسعمائة من أهل الشأم فيهم عمر بن هبيرة قال ولم نلبث ببحي

الايومين حتى نهض عدى بن وتّاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الرى وألف مقاتل مع البراء بن قبيصة بعثهم اليه الحجاج من الكوفة وسبعمائة من أهل الشأم ونحو من ألف رجل من أهل اصبهان والأكراد فكان في قريب من ستة آلاف مقاتل ثم أقبل حتى دخل على مطرّف بن المغيرة (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح عن عبد الله ابن علقمة ان مطرّفا لما بلغه مسيرهم اليه خندق على أصحابه خندقا فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه (قال أبو مخنف) وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير قال كنت مع مولاى اذذاك قال خرج عدى بن وتاد فعبّى الناس فجعل على ميمنته عبد الله بن زهير ثم قال للبراء بن قبيصة قم فى الميسرة فغضب البراء وقال تأمرنى بالوقوف فى الميسرة وأنا أمير مثلك تلك خيلى في الميسرة وقد بعثت عليها فارس مُضَر الطفيل بن عامر بن واثلة قال فأنهى ذلك الى عدى بن وتاد فقال لابن اقيصر الخثعمى انطلق فأنت على الخيل وانطلق الى البراء بن قبيصة فقل له انك قد أمرت بطاعتى ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرّجالة فى شئ انما عليك أن تؤمر فتُطيع ولا تعرض لى فى شئ أكرهه فأتنكّر لك وقد كان له مُكْرِما ثم ان عدّيا بعث على الميسرة عمر بن هبيرة وبعثه فى مائة من أهل الشأم فجاء حتى وقف برايته فقال رجل من أصحابه للطفيل بن عامر خلّ رايتك وتنحّ عنا فانما نحن أصحاب هذا الموقف فقال الطفيل انى لا أخاصمكم انما عقد لى هذه الراية البراء بن قبيصة وهو أميرنا وقد علمنا ان صاحبكم على جماعة الناس فان كان قد عقد لصاحبكم هذا فبارك الله له ما أسمعَنا وأطوَعنا فقال لهم عمر بن هبيرة مهلا كفّوا عن أخيكم وابن عمكم رايتنا رايتك فان شئت آثرناك بها قال فما رأينا رجلين كانا أحلم منهما في موقفهما ذلك قال ونزل عدى بن وتاد ثم زحف نحو مطرّف (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة ان مطرّفا بعث على ميمنته الحجاج بن جارية وعلى ميسرته الربيع بن يزيد الاسدى وعلى الحامية سليمان ابن صخر المُزنى ونزل هو يمشى في الرجال ورايته مع يزيد بن أبى زياد مولى أبيه المغيرة ابن شعبة قال فلما زحف القوم بعضهم الى بعض وتدانوا قال لبكير بن هارون البجلى أخرج اليهم فادعهم الى كتاب الله وسنة نبيه وبكتبهم بأعمالهم الخبيثة فخرج اليهم بكير بن هارون على فرس له أدهم أقرح ذنوب عليه الدرع والمغفر والساعدان فى يده الرمح وقد شد درعه بعصابة حمراء من حواشى البرود فنادى بصوت له عال رفيع يا أهل قبلتنا وأهل ملتنا وأهل دعوتنا انّا نسألكم بالله الذى لا اله الا هو الذى علمه بما تُسرّون مثل علمه بما تُعلنون لما أنصفتمونا وصدقتمونا وكانت نصيحتكم لله لا لخلقه وكنتم شهداء الله على عباده بما يعلمه الله من عباده خبّرونى عن عبد الملك بن مروان وعن الحجاج بن يوسف ألستم تعلمونهما جبارَين مستأثرين يتبعان الهوى فيأخذان بالظنة ويقتلان على الغضب قال

فتنادوا

فتنادوا من كل جانب يا عدوّ الله كذبت ليسا كذلك فقال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ويلكم أو تعلمون الله ما لا يعلم انى قد استشهدتكم وقد قال الله في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبُهُ فخرج اليه صارم مولى عدى بن وتاد وصاحب رايته فحمل على بكير بن هارون البجلى فاضطربا بسيفيهما فلم تعمل ضربة مولى عدى شيأ وضربه بكير بالسيف فقتله ثم استقدم فقال فارس لفارس فلم يخرج اليه أحد فجعل يقول

صارمُ قَدْ لاقَيْتَ سَيْفًا صارِمَا * وأسَدًا ذا لِبْدَةٍ ضُبَارِمَا

قال ثم ان الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو فى الميسرة وفيها الطفيل ابن عامر بن واثلة فالتقى هو والطفيل وكانا صديقين متواخيين فتعارفا وقد رفع كل واحد منهما السيف على صاحبه فكفّ أيديهما فاقتتلوا طويلا ثم ان ميسرة عدى بن وتاد زالت غير بعيد وانصرف الحجاج بن جارية الى موقفه ثم ان الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير فاقتتلوا طويلا ثم ان جماعة الناس حملت على الأسدى فقتلته وانكشفت ميسرة مطرف بن المغيرة حتى انتهت اليه ثم ان عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتله قتالا طويلا ثم انه حذره حتى انتهى الى مطرّف وحمل ابن أقيصر الخثعمى في الخيل على سليمان بن صخر المزنى فقتله وانكشفت خيلهم حتى انتهى الى مطرّف فثمّ اقتتلت الفرسان أشد قتال رآه الناس قط ثم انه وصل الى مطرّف (قال أبو مخنف) فحدثنى النضر بن صالح انه جعل يناديهم يومئذ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا نتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قال ولم يزل يقاتل حتى قتل واحتزّ رأسه عمر بن هبيرة وذكر انه قتله وقد كان أسرع اليه غيرُ واحد غير أن ابن هبيرة احتزّ رأسه وأوفده به عدى بن وتاد وحظى به وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاء حسنا (قال أبو مخنف) وقد حدثنى حكيم بن أبى سفيان الأزدى انه قتل يزيد بن أبى زياد مولى المغيرة بن شعبة وكان صاحب راية مطرّف قال ودخلوا عسكر مطرّف وكان مطرّف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدى فقتل وكان صالحا ناسكا عفيفا (قال أبو مخنف) حدثنى زيد مولاهم انه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمى فما ملكتُ نفسى أن قلت له أما والله لقد قتلته من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيرا قال فأقبل نحوى وقال من أنت فقال له مَوْلَاىَ هذا غلامى ماله قال فأخبره بمقالتى فقال انه ضعيف العقل قال ثم انصرفنا الى الرى مع عدى بن وتاد قال وبعث رجالا من أهل البلاء الى الحجاج فأكرمهم وأحسن اليهم قال ولما رجع الى الرى جاءت بَجِيلةُ الى عدى بن وتاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فآمنه وطلبت ثقيفُ

لسويد بن سرحان الثقفي الأمان فآمنه وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته فآمنهم وأحسن في ذلك وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحيط بهم في عسكر مطرف فنادوا يا براء خذلنا الأمان يا براء اشفع لنا فشفع لهم فتركوا وأسر عدي ناسا كثيرا فخلى عنهم (قال أبو مخنف) وحدثني النضر بن صالح انه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بحلوان فأكرمه وأحسن اليه ثم انه انصرف بعد ذلك الى الكوفة (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة ان الحجاج بن جارية الخثعمي أتى الري وكان مكتبه بها فطلب الى عدي فيه فقال هذا رجل مشهور قد شهر مع صاحبه وهذا كتاب الحجاج الي فيه (قال أبو مخنف) فحدثني أبي عن عبد الله بن زهير قال كنت فيمن كلمه في الحجاج بن جارية فأخرج الينا كتاب الحجاج بن يوسف أما بعد فان كان الله قتل الحجاج بن جارية فبعدا له فذاك ما أهوى وأحب وان كان حيا فاطلبه قبلك حتى توثقه ثم سرح به الي ان شاء الله والسلام قال فقال لنا قد كتب الي فيه ولا بد من السمع والطاعة ولو لم يكتب الي فيه آمنته لكم وكففت عنه فلم أطلبه وقنا من عنده قال فلم يزل الحجاج بن جارية خائفا حتى عزل عدي بن وتاد وقدم خالد بن عتاب ابن ورقاء فشيت اليه فيه فكلمته فآمنه وقال حبيب بن خدرة مولى لبني هلال بن عامر

هل أتى فائد عن أيسارنا * اذ خشينا من عدو خرقا
اذ أتانا الخوف من مأمننا * فطوينا في سواد أفقا
وسلي هدية يوما هل رأت * بشرا أكرم منا خلقا
وسلي أعلى العهد لنا * أو يصرون علينا حنقا
ولكم من حلة من قبلها * قد صرمنا حبلها فانطلقا
قد أصبنا العيش عيشا ناعما * وأصبنا العيش عيشا رنقا
وأصبنا الدهر دهرا أشتهي * طبقا منه وألوى طبقا
وشهدنا الخيل في ملمومة * ماترى منهن الا الحدقا
يتساقون بأطراف القنا * من نجيع الموت كأسا دهقا
فطراد الخيل قد يؤنقني * ويرد اللهو عني الأنقا
بمشيح البيض حتى يتركوا * لسيوف الهند فيها طرقا
وكأني من غد واقفها * مثل ما وافق شن طبقا

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب قطري بن الفجاءة فخالفه بعضهم واعتزله وبايع عبد رب الكبير وأقام بعضهم على بيعة قطري

ذكر

﴿ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذي من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم الى الهلاك﴾

*ذكر هشام عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد ان المهلب أقام بسابور فقاتل قطريا وأصحابه من الأزارقة بعد ما صرف الحجاج عتاب بن ورقاء عن عسكره نحوا من سنة ثم انه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم قتالا شديدا وكانت كرمان في أيدي الخوارج وفارس في يد المهلب فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذي هم به لا يأتيهم من فارس مادة وبعد ديارهم عنهم فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب حتى نزل بجيرفت وجيرفت مدينة كرمان فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالا شديدا وحازهم عن فارس كلها فلما صارت فارس كلها في يدي المهلب بعث الحجاج عليها عماله وأخذها من المهلب فبلغ ذلك عبد الملك فكتب الى الحجاج أما بعد فدع بيد المهلب خراج جبال فارس فانه لا بد للجيش من قوة ولصاحب الجيش من معونة ودع له كورة فسا ودارابجرد وكورة اصطخر فتركها للمهلب فبعث المهلب عليها عماله فكانت له قوة على عدوه وما يصلحه ففي ذلك يقول شاعر الازد وهو يعاتب المهلب

نقاتل عن قصور دارابجرد * ونحمي للغيرة والرقاد

وكان الرقاد بن زياد بن همام رجل من العتيك كريما على المهلب وبعث الحجاج الى المهلب البراء بن قبيصة وكتب الى المهلب أما بعد فانك والله لو شئت فيما أرى لقد اصطلمت هذه الخارجة المارقة ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الارض حولك وقد بعثت اليك البراء بن قبيصة لينهضك اليهم فانهض اليهم اذا قدم عليك بجميع المسلمين ثم جاهدهم أشد الجهاد واياك والعلل والاباطيل والامور التي ليست لك عندي بسائغة ولا جائزة والسلام فأخرج المهلب بنيه كل ابن له في كتيبة وأخرج الناس على راياتهم ومصافهم وأخماسهم وجاء البراء ابن قبيصة فوقفه على تل قريب منهم حيث يراهم فأخذت الكتائب تحمل على الكتائب والرجال على الرجال فيقتتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة الى انتصاف النهار ثم انصرفوا فجاء البراء بن قبيصة الى المهلب فقال له لا والله ما رأيت كبنيك فرسانا قط ولا كفرسانك من العرب فرسانا قط ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط اصبر ولا أبأس أنت والله المعذور فرجع بالناس المهلب حتى اذا كان عند العصر خرج اليهم بالناس وبنيه في كتائبهم فقاتلوه كقتالهم في أول مرة (قال أبو مخنف) وحدثني أبو المغلس الكناني عن عمه أبي طلحة قال خرجت كتيبة من كتائبهم لكتيبة من كتائبنا فاشتد بينهما القتال فأخذت كل واحدة منهما لا تصد عن الاخرى فاقتتلتا حتى حجز الليل بينهما فقالت احداهما للأخرى ممن أنتم فقال هؤلاء نحن من بني تميم وقال هؤلاء نحن من بني تميم فانصرفوا عند المساء قال المهلب للبراء كيف رأيت قال رأيت قوما والله ما يعينك عليهم الا الله فأحسن الى البراء بن

قبيصة وأجازه وحمله وكساه وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم انصرف الى الحجاج فأتاه بعذر المهلب وأخبره بما رأى وكتب المهلب الى الحجاج أما بعد فقد أتانى كتاب الامير أصلحه الله واتهامه اياى فى هذه الخارجة المارقة وأمرنى الامير بالنهوض اليهم وإشهاد رسوله ذلك وقد فعلت فليسأله عما رأى فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استئصالهم أوازالتهم عن مكانهم ثم أمسكت عن ذلك لقد غششت المسلمين وما وفيت لامير المؤمنين ولا نصحت للامير أصلحه الله فعاذ الله أن يكون هذا من رأيى ولا مما أدين الله به والسلام ثم ان المهلب قاتلهم بهاتمانية عشر شهرا لا يستفل منهم شيأ ولا يرى فى موطن ينتفعون له ولمن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يردعونهم به ويكفونهم عنهم ثم ان رجلا منهم كان عاملا لقطرى على ناحية من كرمان خرج فى سرية لهم يدعى المقعطر من بنى ضبة فقتل رجلا قد كان ذا بأس من الخوارج ودخل منهم فى ولاية فقتله المقعطر فوثبت الخوارج الى قطرى فذكروا له ذلك وقالوا أمكنا من الضبى نقتله بصاحبنا فقال لهم ما أرى أن أفعل رجل تأول فأخطأ فى التأويل ما أرى أن تقتلوه وهو من ذوى الفضل منكم والسابقة فيكم فقالوا بلى قال لهم لا فوقع الاختلاف بينهم فولوا عبد رب الكبير وخلعوا قطريا وبايع قطريا منهم عصابة نحو من ربعهم أو خمسهم فقاتلهم نحوا من شهر غدوة وعشية فكتب بذلك المهلب الى الحجاج أما بعد فان الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم فخلع عظمهم قطريا وبايعوا عبد رب الكبير وبقيت عصابة منهم مع قطرى فهم يقاتل بعضهم بعضا غدوا وعشيا وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم ان شاء الله والسلام فكتب اليه أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها فاذا أتاك كتابى هذا فقاتلهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا فتكون مؤنتهم عليك أشد والسلام فكتب اليه أما بعد فقد بلغنى كتاب الامير وكل ما فيه قد فهمت ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضا وينقص بعضهم عدد بعض فان تمادوا على ذلك فهو الذى نريد وفيه هلاكهم وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رق بعضهم بعضا فأناهضهم على تفيئة ذلك وهم أهون ما كانوا وأضعفه شوكة ان شاء الله والسلام فكف عنه الحجاج وتركهم المهلب يقتتلون شهرا لا يحرك منهم ثم ان قطريا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان وبايع عامتهم عبد رب الكبير فنهض اليهم المهلب فقاتلوه قتالا شديدا ثم ان الله قتلهم فلم ينج منهم الا قليل وأخذ عسكرهم وما فيه وسبوا الا نهم كانوا يسبون المسلمين وقال كعب الاشقرى والاشقر بطن من الأزد يذكر يوم رام هرمز وأيام سابور وأيام جيرفت

ياحفص انى عدانى عنكم السفر * وقد أرقت فآذى عينى السهر
علقت يا كعب بعد الشيب غانية * والشيب فيه عن الأهواء مزدجر
أمسكت أنت عنها بالذى عهدت * أم حبلها اذ نأتك اليوم منبتر

علقت

علقت خودا بأعلى الطف منزلها * فى غرفة دونها الابواب والحجر
درما منا كبها ريا ما كمها * تكاد اذ نهضت للمشى تنبتر
وقد تركت بشط الزابيين لها * دارا بها يسعد البادون والحضر
واخترت دارا بها حى أسرتهم * مازال فيهم لمن نختارهم خير
لما نبت بى بلادى سرت منتجعا * وطالب الخير مرتاد ومنتظر
أبا سعيد فانى جئت منتجعا * أرجو نوالك لما مسنى الضرر
لولا المهلب ما زرنا بلادهم * مادامت الأرض فيها الماء والشجر
فما من الناس من حى علمتهم * الا يرى فيهم من سيبكم أثر
أحييتهم بسجال من ندالك كما * تحيا البلاد اذا مامسها المطر
إنى لأرجو اذا مافاقة نزلت * فضلا من الله فى كفيك يبتدر
فاجبر أخالك أوهى الفقر قوته * لعله بعد وهى العظم ينجبر
جفا ذوو نسبى عنى وأخلفنى * ظنى فلله درى كيف آتمر
ياواهب القينة الحسناء سنتها * كالشمس هركولة فى طرفها فتر
وما تزال بدور منك رائحة * وآخرون لهم من سيبك الغرر
نماك للمجد أملاك ورثتهم * شم العرانين فى أخلاقهم يسر
ثاروا بقتلى وأوتار تعدها * فى حين لاحدث فى الحرب يبتدر
واستسلم الناس اذ خل العدو بهم * فما لأمرهم ورد ولا صدر
وما تجاوز باب الجسر من أحد * وعضت الحرب أهل المصر فانحجروا
وأدخل الخوف أجواف البيوت على * مثل النساء رجال مابهم غير
واشتدت الحرب والبلوى وحل بنا * أمر تشمر فى أمثاله الازر
نظل من دون خفض معصمين بهم * فشمر الشيخ لما أعظم الخطر
كنا نهون قبل اليوم شأنهم * حتى تفاقم أمر كان يحتقر
لما وهنا وقد حلوا بساحتنا * واستنفر الناس تارات فما نفروا
نادى امرؤ لاخلاف فى عشيرته * عنه وليس به فى مثله قصر
أفشى هنالك مما كان مذعصروا * فيهم صنائع مما كان يدخر
تلبسوا لقراع الحرب بزتها * فأصبحوا من وراء الجسر قد عبروا
ساروا بألوية للمجد قد رفعت * وتحتهن ليوث فى الوغا وقر

حتى اذا خلّفوا الأهواز واجتمعوا * برام هرمز وافاهم بها الخبرُ
نعيُ بشرٍ فجال القومُ وانصدعوا * الا بقايا اذا ما ذُكّروا ذكروا
ثم استمرّ بناراضٍ ببيعته * ينوي الوفاء ولم تغدرْ كما غدروا
حتى اجتمعنا بسابورا الجنود وقد * شُبّت لنا ولهم نارٌ لها شررُ
تلقى مساعيرَ أبطالاً كأنهمُ * جنٌّ تُقارعُهم مامثلُهم بشرُ
نُسقى ونَسقيهمُ سمّاً على حنقٍ * مُستأنفي الليل حتى أسفرَ السَّحرُ
قتلى هنالك لاعقلٌ ولاقودٌ * منّا ومنهم دماءٌ سفكُها هدرُ
حتى تنحّوا لناعنها تسوقهمُ * منا ليوث اذا ما أقدموا جسروا
لم يُغنِ عنهم غداة التلّ كيدُهمُ * عند الطعان ولا المكرُ الذى مكروا
باتتْ كتائبُنا تردى مُسوّمةً * حول المهلب حتى نوّرَ القمرُ
هناك ولوا حزانا بعد ما فرحوا * وحالَ دونهمُ الأنهارُ والجدرُ
عبّوا جنودَهمُ بالسفح اذ نزلوا * بكازرونَ فاعزّوا ولاظفروا
وقد لقوا مصدقا منا بمنزلةٍ * ظنوا بأن يُنصروا فيها فانصروا
بدشت بارين يوم الشعب اذ لحقتْ * أسد بسفك دماء الناس قد زئروا
لاقوا كتائب لايُخلون ثغرهمُ * فيهم على من يقاسى حربهم صعرُ
المقدمين اذا ما خيلهم وردتْ * والعاطفين اذا ما ضيّع الدبرُ
وفى جُبيرين اذ صفّوا بزحفهمِ * ولواحزايا وقد فلّوا وقد قهروا
والله ما نزلوا يوما بساحتنا * إلا أصابهمُ من حربنا ظفرُ
نَنفيهمُ بالقنا عن كلّ منزلةٍ * نروحُ منا مساعيرُ وتبتكرُ
ولواحذارا وقد هزّوا أسنّتنا * نحو الحروب فما نجّاهم الحذرُ
صلتُ الجبين طويلُ الباع ذو فرَحٍ * ضخمُ الدَّسيعة لاوانٍ ولاغمرُ
مُجرّبُ الحربِ ميمونٌ نقيبتُهُ * لايُستخفُّ ولا من رأيه البطرُ
وفي ثلاث سنين يستديمُ بنا * يُقارعُ الحربَ أطوارا ويأتمرُ
يقولُ إنّ غدا أمْدٌ لناظره * وفى الليالى وفي الأيام مُعتبرُ
دعوا التتابعَ والإسراعَ وارتقبوا * انّ المحاربَ يستأنى وينتظرُ
حتى أتته أمورٌ عندها فرجٌ * وقد تبين مايأتى ومايذرُ
لما زواهم الى كرمان وانصدعوا * وقد تقاربتِ الآجالُ والقدرُ

سرنا اليهم بمثل الموج وازدلفوا * وقبل ذلك كانت بيننا مِئرُ
وزادنا حنقا قتلى نذكرُها * لاتستفيقُ عيونٌ كلما ذُكروا
اذا ذكرنا جروزا والذين بها * قتلى مضى لهمُ حولانِ ما قُبروا
تأتى علينا حزازاتُ النفوسِ فما * نُبقى عليهم وما يبقون ان قدروا
ولايُقيلوننا فى الحرب عثرتنا * ولانقيلهمُ يوما اذا عثروا
لاعُذرَ يُقبلُ منادون أنفسنا * ولالهم عندنا عذرٌ لو اعتذروا
صفّانِ بالقاع كالطودين بينهما * كالبرقِ يلمعُ حتى يُشخص البصرُ
على بصائر كلٌّ غيرُ تاركها * كلا الفريقين تُتلى فيهم السُورُ
يمشون فى البيض والأبدان اذ وردوا * مَشى الزوامل تهدى صفّهمْ زُمرُ
وشيخنا حوله منا مُلملمةٌ * حيٌّ من الأزد فيما بينهمْ صُبرُ
فى موطنٍ يقطعُ الابطالُ منظرُهُ * تُشاط فيه نفوسٌ حين تبتكرُ
مازال منا رجالٌ ثم نضربهم * بالمشرفيّ ونارُ الحرب تستعرُ
وباد كلُّ سلاحٍ يُستعانُ به * فى حومة الموت الا الصارم الذكرُ
ندوسهمْ بعناجيجٍ مُجفّفةٍ * وبيننا ثمّ من صُمّ القنا كسرُ
يغشَيْنَ قتلى وعقرى مابها رمقٌ * كأنما فوقها الجادىُّ يُعتصرُ
قتلى بقتلى قصاصٌ يُستقادُ بها * تشفى صُدورَ رجالٍ طال ما وتروا
مُجاورين بها حيّا مُعقّرةً * للطيرِ فيها وفى أجسادهم جزرُ
فى معركٍ تحسبُ القتلى بساحته * أعجازَ نخلٍ زفتْهُ الريحُ ينقعرُ
وفي مواطن قبل اليوم قد سلفتْ * قد كان للأزد فيها الحمدُ والظفرُ
فى كلّ يوم تُلاقى الأزدُ مفظعةً * يشيبُ فى ساعةٍ من هولها الشعرُ
والأزدُ قومى خيارُ القوم قد علموا * اذا قروا مُهم يوم الوغى خطروا
فيهم معاقلُ من عزّ يُلاذُ بها * يوما اذا شمّرتْ حربٌ لها درَرُ
حيٌّ بأسيافهم يبغون مجدهمُ * ان المكارمَ فى المكروهِ تبتدرُ
لولا المهلب للجيش الذى وردوا * أنهار كرمان بعد الله ماصدروا
انا اعتصمنا بحبل الله اذ جحدوا * بالمحكماتِ ولم نكفرْ كما كفروا
جاروا عن القصد والإسلام واتبعوا * دينا يُخالفُ ماجاءت به النُّذرُ

وقال الطفيل بن عامر بن واثلة وهو يذكر قتل عبد رب الكبير وأصحابه وذهاب قطرى

فى الأرض واتباعهم اياه ومراوغته اياهم

لقد مسّ منا عبدربّ وجندهُ * عقابٌ فأمسى سَبْيُهُم فى المقاسم
سمالهمُ بالجيش حتى أزاحهُم * بكرمان عن مثوًى من الأرض ناعم
وما قطرىّ الكفر الا نعامةٌ * طريد يُدوّى ليله غير نائم
اذا فرّ منا هاربًا كان وَجْهُهُ * طريقًا سوى قصد الهدى والمعالم
فليس بمنجيه الفرارُ وإن جرت * به الفلكُ فى لج من البحر دائم

﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة كانت هلكة قطرىّ وعبيدة بن هلال وعبدربّ الكبير ومن كان معهم من الأزارقة

﴿ذكر سبب مهلكهم﴾

وكان سبب ذلك ان أمر الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتّت بالاختلاف الذى حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبدربّ الكبير وبعضهم مع قطرىّ ووهى أمرُ قطرىّ توجه يريد طبرستان وبلغ أمره الحجاجَ فوجّه فيما ذكر هشام عن أبى مخنف، عن يونس بن يزيد سفيانَ بن الأبرد ووجّه معه جيشا من أهل الشأم عظيما فى طلب قطرىّ فأقبل سفيان حتى أتى الرى ثم أتبعهم وكتب الحجاج الى اسحاق بن محمد بن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطبرستان أن اسمع وأطع لسفيان فأقبل الى سفيان فسار معه فى طلب قطرىّ حتى لحقوه فى شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه فتفرّق عنه أصحابه ووقع عن دابته فى أسفل الشعب فتهدى حتى خرّ الى أسفله فقال معاوية بن محصن الكندىّ رأيته حيث هوى ولم أعرفه ونظرت الى خمس عشرة امرأة عربية هنّ فى الجمال والبرازة وحسن الهيئة كأشاء ربك ما عدا عجوزا فيهنّ فحملت عليهنّ فصرفتهنّ الى سفيان بن الابرد * فلما دنوت بهنّ منه انتحت لى بسيفها العجوزُ فتضربه عنق فقطعت المِغْفر وقطعت جلدةً من حلقى وأختلج السيف فأضرب به وجهها فأصاب قحف رأسها فوقعت ميتةً وأقبلتُ بالفتيات حتى دفعتهنّ الى سفيان وإنه ليضحك من العجوز وقال ما أردت الى قتل هذه أحزاها الله فقلت أوما رأيت أصلحك الله ضربتها اياى والله ان كادت لتقتلنى قال قد رأيت فوالله ما ألومك على فعلك أبعدها الله ويأبى قطريًا حيث تهدى من الشعب علجٌ من أهل البلد فقال له قطرىّ اسقنى من الماء وقد كان اشتدّ عطشه فقال أعطنى شيأ حتى أسقيك فقال ويحك والله ما معى الا ما ترى من سلاحى فأنا مؤتيكه اذا أتيتنى بماء قال لا بل أعطنيه الآن قال لا ولكن ائتنى بماء قبلُ فانطلق العلج حتى أشرف على قطرىّ ثم حدّر عليه حجرا عظيما من فوقه دهدأه عليه فأصاب احدى وركيه فأوهنته وصاح بالناس فأقبلوا نحوه والعلج حينئذ لا يعرف قطريا غير أنه يظنّ انه من أشرافهم لحسن هيئته وكمال سلاحه فدفع

اليه

اليه نفرٌ من أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه منهم سورة بن أبجر التميمىّ وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والصباح بن محمد بن الاشعث وبادام مولى بنى الاشعث وعمر بن أبى الصلت ابن كنان مولى بنى نصر بن معاوية وهو من الدهاقين فكل هؤلاء ادّعوا قتله فدفع اليهم أبو الجهم بن كنانة الكلبىّ وكلهم يزعم انه قاتله فقال لهم ادفعوه الىّ حتى تصطلحوا فدفعوه اليه فأقبل به الى اسحاق بن محمد وهو على أهل الكوفة ولم يأته جعفر لشئ كان بينه وبينه قبل ذلك وكان لا يكلمه وكان جعفر مع سفيان بن الابرد ولم يكن معه اسحاق كان جعفر على ربع أهل المدينة بالرى * فلما مرّ سفيان بأهل الرى انتخب فرسانهم بأمر الحجاج فسار بهم معه فلما أتى القوم بالرأس فاختصموا فيه وهو فى يدى أبى الجهم بن كنانة الكلبى قال له امض به أنت ودع هؤلاء المختلفين فخرج برأس قطرىّ حتى قدم به على الحجاج ثم أتى به عبد الملك بن مروان فألحق فى ألفين وأعطى فطما يعنى انه يفرض للصغار فى الديوان وجاء جعفر الى سفيان فقال له أصلحك الله ان قطريا كان أصاب والدى فلم يكن لى همّ غيره فاجمع بينى وبين هؤلاء الذين ادّعوا قتله فسلمهم ألم أكن أمامهم حتى بدرتهم فضربته ضربة فصرعته ثم جاؤنى بعدُ فأقبلوا يضربونه بأسيافهم فان أقر والى بهذا فقد صدقوا وان أبوا فأنا أحلف بالله أنى صاحبه والا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه وانهم لا يعرفون ما أقول ولا حقّ لى فيه قال جئت الآن وقد سرحنا بالرأس فانصرف عنه فقال لأصحابه أما والله إنك لأحلق القوم أن تكون صاحبه ثم ان سفيان بن الابرد أقبل منصرفا الى عسكر عبيدة ابن هلال وقد تحصّن فى قصر بقومس فحاصره فقاتله أياما ثم ان سفيان بن الابرد سار بنا اليهم حتى أحطنا بهم ثم أمر مناديه فنادى فيهم أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج الينا فهو آمن فقال عبيدة بن هلال

لعمرى لقد قام الاصمُّ بخطبة * لذى الشك منها فى الصدور غليلُ
لعمرى لئن أعطيتُ سفيان بيعتى * وفارقتُ دينى إننى لجهولُ
الى الله أشكو ما ترى بجيادنا * تساوكُ هزلى مُخهنّ قليلُ
تعاورها القُذّافُ من كل جانب * بقومس حتى صعبهنّ ذلولُ
فان يكُ أفناها الحصارُ فربما * تشحّطَ فيما بينهن قتيلُ
وقد كنّ مما ان يُقدْنَ على الوَجى * لهنّ بأبواب القباب صهيلُ

فحاصرهم حتى جهدوا وأكلوا دوابهم ثم انهم خرجوا اليه فقاتلوه فقتلهم وبعث برؤسهم الى الحجاج ثم دخل الى دُنباوند وطبرستان فكان هنالك حتى عزله الحجاج قبل الحاج ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة قتل بكير بن وشاح السعدىّ أميةُ بن عبد الله بن خالد ابن أسيد

﴿ذكر سبب قتله اياه﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد ان أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان ولى بكيرا غزو وما وراء النهر وقد كان ولاه قبل ذلك طخارستان فتجهز للخروج اليها وأنفق نفقة كثيرة فوشى به اليه بحير بن ورقاء الصريمي على ما بينت قبل فأمره أمية بالمقام * فلما ولا دغزو وما وراء النهر تجهز وتكاف الخيل والسلاح وادّان من رجال السغد وتجارهم فقال بحير لأمية إن صار بينك وبينه النهر ولقى الملوك خلع الخليفة ودعا الى نفسه فأرسل اليه أمية أقم لعلى أغزو فتكون معي فغضب بكير وقال كأنه يضارّني وكان عتاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير فلما أقام أحذه غرماؤه فحبس فأدّى عنه بكير وخرج ثم أجمع أمية على الغزو قال فأمر بالجهاز ليغزو بخارى ثم بأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ فاستعدّ الناس وتجهزوا واستخلف على خراسان ابنه زيادا وسار معه بكير فعسكر بكشماهن فأقام أياما ثم أمر بالرحيل فقال له بحير انى لا آمن أن يخلف الناس فقل لبكير فلتكن في الساقة ولتحشر الناس قال فأمره أمية فكان على الساقة حتى أتى النهر فقال له أمية اقطع يا بكير فقال عتاب اللقوة الغداني أصلح الله الامير أعبر ثم يعبر الناس بعدك فعبر ثم عبر الناس فقال أمية لبكير قد خفت أن لا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث فارجع الى مرو فاكفنيها فقد وليتكها فزيّن ابني وقم بأمره فانتخب بكير فرسانا من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر ومضى أمية الى بخارى على مقدمته أبو حالد ثابت مولى خزاعة فقال عتاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية إنا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان ثم طلبنا أميرا من قريش يجمع أمرنا فجاءنا أمير يلعب بنا يحوّلنا من سجن الى سجن قال فما ترى قال احرق هذه السفن وامض الى مرو فاخلع أمية وتقيم بمرو وتأكلها الى يوم ما قال فقال الأحنف بن عبد الله العنبري الرأى ما رأى عتاب فقال بكير إني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي فقال أتخاف عدم الرجال انا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك هؤلاء الذين معك قال يهلك المسلمون قال انما يكفيك أن ينادي منادٍ من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفا من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع قال فيهلك أمية ومن معه قال ولم يهلكون ولهم عدّة وعدد ونجدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة ليقاتلوا عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين فأحرق بكير السفن ورجع الى مرو فأخذ ابن أمية فحبسه ودعا الناس الى خلع أمية فأجابوه وبلغ أمية فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ورجع فأمر باتخاذ السفن فاتخذت له وجمعت وقال لمن معه من وجوه تميم ألا تعجبون من بكير إني قدمت خراسان فحذّرته ورفع عليه وشكى منه وذكروا أموالا أصابها فأعرضت عن ذلك كله ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحدا من عمّاله ثم

عرضت

عرضت عليه شرطتي فأبى فأعفيته ثم وليته فحذرته فأمرته بالمقام وما كان ذلك الا نظرا له ثم رددته الى مرو وليته الأمر فكفر ذلك كله وكافأني بما ترون فقال له قوم أيها الامير لم يكن هذا من شأنه انما أشار عليه بإحراق السفن عتاب اللقوة فقال وما عتاب وهل عتاب الا دجاجة حاضنة فبلغ قوله عتابا فقال عتاب في ذلك

إنّ الحواضن تلقاها مجففة * غُلب الرقاب على المنسوبة النُّجب
تركت أمرك من جُبْن ومن خَوَر * وجئتنا حُمُقا يا ألأم العرب
لما رأيت جبال السُّغد معرضة * وليت موسى ونوحا عكوة الذنب
وجئت ذيخا مُغذّاما تُكالمنا * وطرت من سَعَف البحرين كالخرب
أوعدُ وعيدك ابني سوف تعرفني * تحت الخوافق دون العارض اللجب
يَحُبُّ بي مشرفٌ عار نواهقه * يغشى الكتيبة بين العدو والخيب

قال فلما تهيأت السفن عبر أمية وأقبل الى مرو وترك موسى بن عبد الله وقال اللهم إني أحسنت الى بكير فكفر إحساني وصنع ما صنع اللهم أكفنيه فقال شماس بن دثار وكان رجع من سجستان بعد قتل ابن خازم فغزا مع أمية أيها الأمير أكفيكه ان شاء الله فقدمه أمية في ثمانمائة فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر وسار اليه بكير ومعه مُدرك بن أنيف وأبوه مع شماس فقال اما كان في تميم أحد يحارب بني غيرك ولامه فأرسل اليه شماس أنت ألوم وأسوء صنيعا مني لم تف لأمية ولم تشكر له صنيعه بك قدم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك قال فبيّته بكير ففرّق جمعه وقال لا تقتلوا منهم أحدا وخذوا سلاحهم فكانوا اذا أخذوا رجلا سلبوه وخلوا عنه فتفرّقوا ونزل شماس في قرية لطيئ يقال لها بُوَيْنه وقدم أمية فنزل كشماهن ورجع اليه شماس بن دثار فقدّم أمية ثابت بن قُطبة مولى خزاعة فالتقيه بكير فأسر ثابتا وفرّق جمعه وخلى بكير سبيل ثابت ليد كانت له عنده قال فرجع الى أمية فأقبل أمية في الناس فقاتله بكير وعلى شرطة بكير أبو رُستم الخليل بن أوس العَبْشمي فأبلى يومئذ فنادوه يا صاحب شرطة عارمة وعارمة جارية بكير فأحجم فقال له بكير لا أبالك لا يهدّك نداء هؤلاء القوم فإن للعارمة فخلا يمنعها فقدّم لواءك فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط فنزل السوق العتيقة ونزل أمية باسان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد فانكشفوا يوما فحماهم بكير ثم التقوا يوما آخر في الميدان فضرب رجل من بني تميم على رجله فجعل يسحبها وهُريم يحميه فقال الرجل اللهم أيدنا فأمدّنا بالملائكة فقال له هريم أيها الرجل قاتل عن نفسك فإن الملائكة في شغل عنك فحامل ثم أعاد قوله اللهم أمدّنا بالملائكة فقال هريم لتكفنّ عني أولأدعنك والملائكة وحماه حتى ألحقه بالناس قال ونادى رجل من بني تميم يا أمية يا فاضح قريش فالى أمية إن ظفر به أن يذبحه فظفر به

فذبحه بين شُرفتين من المدينة ثم التقوا يوما آخر فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه وانتمى أنا ابن وشاح فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير فانحاز بكير وانكشف أصحابه وأتبع حُريث بكيرا حتى بلغ القنطرة فناداه أين يا بكير فكرّ عليه فضربه حريثٌ على رأسه فقطع المغفر وعض السيف برأسه فصُرع فاحتمله أصحابه فأدخلوه المدينة قال فكانوا على ذلك يقاتلونهم وكان أصحاب بكير يغدون متفضلين فى ثياب مصبَّغة وملاحف وأزر صُفر وحمر فيجلسون على نواحى المدينة يتعدّون وينادى منادٍ مَن رمى بسهم رمينا اليه برأس رجل من ولده وأهله فلا يرميهم أحد قال فأشفق بكير وخاف ان طال الحصار أن يخذله الناس فطلب الصلح وأحبّ ذلك أيضا أصحاب أُمية لمكان عيالاتهم بالمدينة فقالوا لأمية صالحه وكان أمية يحبّ العافية فصالحه على أن يقضى عنه أربعمائة ألف ويَصِلَ أصحابَه ويوليه أىّ كُورَ خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وان رابه منه ريب فهو آمن أربعين يوما حتى يخرج عن مرو فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك وكتب له كتابا على باب سنجان ودخل أمية المدينة قال وقوم يقولون لم يخرج بكير مع أمية غازيا ولكن أمية لما غزا استخلفه على مرو فخلعه فرجع أمية فقاتله ثم صالحه ودخل مرو ووفى أمية لبكير وعاد الى ما كان عليه من الإكرام وحسن الإذن وأرسل الى عتاب اللقوة فقال أنت صاحب المشورة فقال نعم أصلح الله الأمير قال ولِمَ قال خف ما كان فى يدى وكثر دَينى وأعديت على غرمائى قال ويحك فضرّبت بين المسلمين وأحرقت السفن والمسلمون فى بلاد العدوّ وما خفت الله قال قد كان ذلك فأستغفر الله قال كم دَينك قال عشرون ألفا قال تكفف عن غشّ المسلمين وأقضى دَينك قال نعم جعلنى الله فداك قال فضحك أمية وقال ان ظنّى بك غير ما تقول وسأقضى عنك فأدّى عنه عشرين ألفا وكان أمية سهلا ليّنا سخيّا لم يُعط أحدٌ من عمال خراسان بها مثل عطاياه قال وكان مع ذلك ثقيلا عليهم كان فيه زَهو شديد وكان يقول ما أكتفى بخراسان وسجستان لمَطْبخى وعزل أمية بحيرا عن شرطته وولاها عطاء ابن أبى السائب وكتب الى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه فضرب عبد الملك بعثا الى أمية بخراسان فتجاعل الناس فأعطى شقيق بن سَليل الأسدىّ جعالته رجلا من جرم وأخذ أمية الناس بالخراج واشتدّ عليهم فيه فجلس بكير يوما فى المسجد وعنده ناس من بنى تميم فذكروا شدّة أمية على الناس فذمّوه وقالوا سلط علينا الدهاقين فى الجباية وبحير وضرار بن حصن وعبد العزيز بن جارية بن قُدامة فى المسجد فنقل بحير ذلك الى أمية فكذبه فادّعى شهادة هؤلاء وادّعى شهادة مزاحم بن أبى المُجشّر السلمىّ فدعا أمية مزاحما فسأله فقال انما كان يمزح فأعرض عنه أمية ثم أتاه بحير فقال أصلح الله الأمير ان بكيرا والله قد دعانى الى خلعك وقال لولا مكانك لقتلت هذا القرشىّ وأكلت خراسان

فقال

فقال أمية ما أصدّق بهذا وقد فعل ما فعل فآمنته ووصلته قال فأتاه بضرار بن حصن وعبد العزيز بن جارية فشهدا ان بكيرا قال لهما لو أطعتمانى لقتلت هذا القرشىّ المخنث وقد دعانا الى الفتك بك فقال أمية أنتم أعلم وما شهدتم وما أظن هذا به وإن تركه وقد شهدتم بما شهدتم عجزٌ وقال لحاجبه عبيدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبى السائب اذا دخل بكير وبدل وشمر دل ابنا أخيه فنهضت فخذوهم وجلس أمية للناس وجاء بكير وابنا أخيه فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل وخرج الناس وخرج بكير فحبسوه وابنىْ أخيه فدعا أمية ببكير فقال أنت القائل كذا وكذا قال تثبّت أصلحك الله ولا تسمعنّ قول ابن المحلوقة فحبسه وأخذ جاريته العارمة فحبسها وحبس الاحنف بن عبد الله العنبرىّ وقال أنت ممن أشار على بكير بالخلع * فلما كان من الغد أخرج بكيرا فشهد عليه بحيرٌ وضرار وعبد العزيز ابن جارية أنه دعاهم الى خلعه والفتك به فقال أصلحك الله تثبت فان هؤلاء أعدائى فقال أمية لزياد ابن عقبة وهو رأس أهل العالية ولابن وَلاّن العدوىّ وهو يومئذ من رؤساء بنى تميم وليعقوب بن خالد الذُّهلى أتقتلونه فلم يجيبوه فقال لبَحير أتقتله قال نعم فدفعه اليه فنهض يعقوب بن القعقاع الاعلم الازدىّ من مجلسه وكان صديقا لبكير فاحتضن أمية وقال أذكرك الله أيها الامير فى بكير فقد أعطيته ما أعطيته من نفسك قال يا يعقوب ما يقتله الا قومه شهدوا عليه فقال عطاء بن أبى السائب الليثىّ وهو على حرس أمية خلّ عن الامير قال لا فضرب به عطاء بقائم السيف فأصاب أنفه فأدماه فخرج ثم قال لبحير يا بحير إن الناس أعطوا بكيرا ذمتهم فى صلحه وأنت منهم فلا تخفر ذمتك قال يا يعقوب ما أعطيته ذمة ثم أخذ بحير سيف بكير الموصول الذى كان أحذه من إسوار الترجمان ترجمان ابن خازم فقال له بكير يا بحير انك تفرّق أمر بنى سعد إن قتلتنى فدع هذا القرشىّ يلى منى ما يريد فقال بحير لا والله يا ابن الإصبهانية لا تصلح بنو سعد ما دمنا حيّين قال فشأنك يا ابن المحلوقة فقتله وذلك يوم جمعة وقتل أمية ابنى أخى بكير ووهب جارية بكير العارمة لبَحير وكلّم أمية فى الاحنف بن عبد الله العنبرىّ فدعا به من السجن فقال وأنت ممن أشار على بكير وشتمه وقال قد وهبتك لهؤلاء قال ثم وجّه أمية رجلا من خُزاعة الى موسى بن عبد الله بن خازم فقتله عمرو بن خالد بن حصن الكلابىّ غيلة فتفرّق جيشه فاستأمن طائفةٌ منهم موسى فصاروا معه ورجع بعضهم الى أمية ﴿وفى هذه السنة﴾ عبر النهر نهر بلخ أمية للغزو فحوصر حتى جهدهو وأصحابه ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك فانصرف والذين معه من الجند الى مرو وقال عبد الرحمن بن خالد ابن العاص بن هشام بن المغيرة يهجو أمية

ألا أبلغ أمية أن سيُجزَى * ثواب الشرّ إنّ له ثوابا
ومَن ينظر عتابَك أو يَرُدُّه * فلستُ بناظر منك العتابا
محا المعروفَ منك خلالُ سوءٍ * مُنحتَ صَنيعَها بابا فبابا

ومن سمّاك إذ قسم الاسامى * أمية اذ ولدت فقد أصابا

﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

وحدثني أحمد بن ثابت عمن حدّثه عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال حج أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجتين سنة ٧٦ وسنة ٧٧ وقد قيل ان هلاك شبيب كان فى سنة ٧٨ وكذلك قيل فى هلاك قطرى وعبيدة بن هلال وعبد ربّ الكبير وغزا فى هذه السنة الصائفة الوليد

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

﴿ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة﴾

فمن ذلك عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وضمّه خراسان وسجستان الى الحجاج بن يوسف فلما ضم ذلك اليه فرّق فيه عماله

﴿ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان وذكر السبب فى توليته من ولاه ذلك وشيأ منه﴾

﴿ذكر﴾ ان الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخص من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل وقد قيل انه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله ابن عامر الحضرمي ثم عزله وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله فقدم عليه المهلب بها وقد فرغ من الازارقة فقال هشام حدّثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي ان المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الازارقة قدم على الحجاج وذلك سنة ٧٨ فأجلسه ودعا بأصحاب البلاء من المهلب فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلا من أصحابه ببلاء حسن الا صدّقه الحجاج بذلك فحملهم الحجاج وأحسن عطاياهم وزاد فى أعطياتهم ثم قال هؤلاء أصحاب الفعال وأحق بالاموال هؤلاء حماة الثغور وغيظ الاعداء (قال هشام) عن أبي مخنف قال يونس بن أبي اسحاق فدكان الحجاج ولى المهلب سجستان مع خراسان فقال له المهلب الا أدلك على رجل هو أعلم بسجستان منى وقد كان ولى كابل وزابل وجباهم وقاتلهم وصالحهم قال له بلى فمن هو قال عبيد الله بن أبي بكرة ثم انه بعث المهلب على خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة على سجستان وكان العامل هنالك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وكان عاملا لعبد الملك بن مروان لم يكن للحجاج شئ من أمره حين بُعث على العراق حتى كانت تلك السنة فعزله عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج فمضى المهلب الى خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة الى سجستان فمكث عبيد الله بن أبي بكرة بقية سنته فهذه رواية أبي مخنف عن أبي المخارق وأما علىّ بن محمد فانه ذكر عن المفضل بن محمد ان خراسان وسجستان جُمعتا للحجاج مع العراق فى أول سنة ٧٨ بعد ما قتل الخوارج فاستعمل عبيد الله بن أبي

بكرة على خراسان والمهلب بن أبي صفرة على سجستان فكره المهلب سجستان فلقى عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمى وكان على شرطة الحجاج فقال ان الأمير ولانى سجستان وولى ابن أبي بكرة خراسان وأنا أعرف بخراسان منه قد عرفتها أيام الحكم بن عمرو الغفارى وابن أبي بكرة أقوى على سجستان منى فكلم الأمير يحوّلنى الى خراسان وابن ابى بكرة الى سجستان قال نعم وكلم زاذان فَرُّوخ يُعيننى فكلمه فقال نعم فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج وليت المهلب سجستان وابن أبي بكرة أقوى عليها منه فقال زاذان فروخ صدق قال إنا قد كتبنا عهده قال زاذان فروخ ما أهون تحويل عهده فحوّل ابن ابى بكرة الى سجستان والمهلب الى خراسان وأخذ المهلب بألف ألف من خراج الاهواز وكان ولاها اياه خالد بن عبد الله فقال المهلب لابنه المغيرة ان خالدا ولانى الأهواز وولاك اصطخر وقد أخذنى الحجاج بألف ألف فنصفٌ علىّ ونصف عليك ولم يكن عند المهلب مال كان اذا عزل استقرض قال فكلم اباماوية مولى عبد الله بن عامر وكان أبو ماوية على بيت مال عبد الله بن عامر فأسلف المهلب ثلثمائة ألف فقالت خيرة القشيرية امرأة المهلب هذا لا يفى بما عليك فباعت حليها لها ومتاعا فأكمل خمسمائة ألف وحمل المغيرة الى أبيه خمسمائة ألف فحملها الى الحجاج ووجّه المهلب ابنه حبيبا على مقدمته فأتى الحجاج فودعه فأمر الحجاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء قال فسار حبيب على تلك البغلة حتى قدم خراسان هو وأصحابه على البريد فسار عشرين يوما فتلقاهم حين دخلوا حمل حطب فنفرت البغلة فتعجبوا منها ومن نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير فلم يعرض لامية ولا لعماله وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة ٧٩

﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة الوليد بن عبد الملك حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن ابى معشر وكان أمير المدينة فى هذه السنة أبان بن عثمان وأمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف وخليفته بخراسان المهلب وبسجستان عبيد الله بن أبي بكرة وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة فيما قيل موسى بن أنس وأغزى عبد الملك فى هذه السنة يحيى بن الحكم

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة﴾

فمن ذلك ما أصاب أهل الشأم فى هذه السنة من الطاعون حتى كادوا يفنون من شدته فلم يغز فى تلك السنة أحدٌ فيما قيل للطاعون الذى كان بها وكثرة الموت ﴿وفيها﴾ فيما قيل أصابت الروم أهل أنطاكية ﴿وفيها﴾ غزا عبيد الله بن أبي بكرة رُتبيل

﴿ذكر الخبر عن غزوه اياه﴾

﴿قال هشام﴾ حدثنى أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبى قال لما ولى الحجاج المهلب خراسان

وعبيد الله بن أبي بكرة سجستان مضى المهلب الى خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة الى سجستان وذلك في سنة ٧٨ فمكث عبيد الله بن أبي بكرة بقية سنته ثم انه غزا رتبيل وقد كان مصالحا وقد كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجا وربما امتنع فلم يفعل فبعث الحجاج الى عبيد الله بن أبي بكرة أن ناجزه بمن معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته وتسبي ذريته فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ الحارثي ثم الضبابي وكان من أصحاب علي وكان عبيد الله على أهل البصرة وهو أمير الجماعة فمضى حتى وغل في بلاد رتبيل فأصاب من البقر والغنم والاموال ما شاء وهدم قلاعا وحصونا وغلب على أرض من أرضهم كثيرة وأصحاب رتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب وخلوهم والرساتيق فسقط في أيدي المسلمين وظنوا أن قد هلكوا فبعث ابن أبي بكرة الى شريح بن هانئ اني مصالح القوم على أن أعطيهم مالا ويخلوا بيني وبين الخروج فأرسل اليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم فلقيه شريح فقال انك لا تصالح على شيء الا حسبه السلطان عليكم في أعطياتكم قال لو منعنا العطاء ما حيينا كان أهون علينا من هلاكنا قال شريح والله لقد بلغت سنا وقد هلكت لذاني ما تأتي علي ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضي حتى أموت ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ولئن فاتتني اليوم ما أخالني مدركها حتى أموت وقال يا أهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له ابن أبي بكرة انك شيخ قد خرفت فقال شريح انما حسبك أن يقال بستان ابن أبي بكرة وحمام ابن أبي بكرة يا أهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فالي فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا الا قليلا فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول

أصبحت ذا بثّ أقاسي الكبرا * قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمّ أدركت النبيّ المنذرا * وبعده صدّيقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تستَرا * والجمع في صفّينهم والنهرا
وبأجيرات مع المشقّرا * هيهات ما أطول هذا عمرا

فقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ونجا من نجا فخرجوا من بلاد رتبيل حتى خرجوا منها فاستقبلهم من خرجوا اليهم من المسلمين بالاطعمة فاذا أكل أحدهم وشبع مات فلما رأى ذلك الناس حذروا يطعمونهم ثم جعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمرؤا وبلغ ذلك الحجاج فأخذه ما تقدم وما تأخر وبلغ ذلك منه كل مبلغ وكتب الى عبد الملك أما بعد فان جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم الا القليل وقد اجترأ العدو بالذي أصابه على

اهل

محلس شورای ملی

أهل الاسلام فدخلوا بلادهم وغلبوا على كل حصونهم وقصورهم وقد أردت أن أوجه اليهم جندا كثيفا من أهل المصرين فأحببت أن أستطلع رأي أمير المؤمنين في ذلك فان رأى لي بعثة ذلك الجند أمضيته وان لم يرذلك فان أمير المؤمنين أولى بجنده مع اني أتخوف ان لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جند كثيف عاجلا أن يستولوا على ذلك الفرج كله ﴿وفي هذه السنة﴾ قدم المهلب خراسان أميرا وانصرف عنها أمية بن عبد الله وقيل استعفى شريح القاضي من القضاء في هذه السنة وأشار بأبي بردة بن أبي موسى الأشعري فأعفاه الحجاج وولى أبا بردة ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة فيما حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر أبان بن عثمان وكذلك قال الواقدي وغيره من أهل السير وكان أبان هذه السنة أميرا على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج

وقيل ان المهلب كان على حربها وابنه المغيرة على خراجها وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى وعلى قضاء البصرة موسى ابن أنس

تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله
﴿ سنة ثمانين من الهجرة ﴾